كيف كان خلقه القرءان

أحمد عبده ماهر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الأنعام١٥٣

رقم الإيداع بدار الكتب ٢١٦٠٥/٢٠٠٦

الطبعة الأولى.... ديسمبر ٢٠٠٦

للإتصال بالمؤلف ٠١٢١٥٠٦٠٧٠

e.mail:maherLLLLLL@yahoo

الموقع الإلكترونى www.ISLAM99.blogspot.com

٣ ا)،٥

بقلـم الأستاذ الدكتور

أحمد عبد الرحيم السايح

أستاذ العقيدة والفلسفة

بجامعة الأزهر وقطر وأم القرى

الحمد لله رب العالمين الذى أنزل القرءان الكريم على رسوله الصادق الأمين لإصلاح حال الخلق

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين والمبعوث رحمة وهداية للناس أجمعين

عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين...   أما بعد ،،

فإن كتاب كيف كان خلقه القرءان إشارة إلى جذوة اتقاد نحو مشروع نهضوى يأخذ بالمجتمع الإسلامى نحو الصلاح والإصلاح.

والكتاب يشير إلى أن الأمة يمكنها أن تنمى فلسفتها الخاصة بها لتساهم باقتدار فى صنع حياة راقية.

وقد يكون واضحا أن كثيرين من أهل الاختصاص نتيجة لعوامل اختراقية قد رضوا أن يلغوا عقولهم ، ويرددوا ما ألفوا.

ومما ينبغى أن يدرك : أن أصحاب العقائد يعلمون أن العقيدة فى حياة المسلمين هى النافذة التى يطلون منها على العوالم الحية. بكل شعب هذه العوالم وجنبات جوانب العيش فيها.

وإن مصدر الفاعلية فى عقيدة المسلمين هو القيم الإنسانية الهادفة الفاعلة البانية المنطلقة من آيات القرءان الكريم الذى تكفل الله بحفظه.

ومما يحسن أن أشير إليه : أن الغنوصية استطاعت أن تضع للمسلمين كما هائلا من الروايات والأساطير.

وهناك رسالة ماجستير فى كلية أصول الدين بأسيوط تحت عنوان : "الغنوصية الشرقية وخطرها على الإسلام وأثرها على الفرق الإسلامية" أعدها الباحث سعد خلف عبد الوهاب عبد الله.

هذه الرسالة العلمية كشفت عن أثر الغنوصية فى الحشوية ، والحشوية كما فى دائرة "معارف القرن العشرين" هم أهل الحديث الذين يحشون الأحاديث بمرويات لا أصل لها.

وينبغى هنا أن نشير إلى المعالم التالية :

أولا : إن التعامل مع العائد المعرفى لدلالة المفردة القرءانية يرتبط بكونها إصطلاحا. لا مترادف ، ولا مشترك فيه ، ولا مجاز. فلغة القرءان الكريم ولسانه : مثالية رياضية منضبطة الدلالات كاللغة العلمية تماما.

والقرءان الكريم محكم الآيات. وهذا يؤدى إلى إحكام المفردات الدّالة على الآيات المحكمة ، وضبط عائدها المعرفى.

قال تعالى فى سورة هود : الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ{١}.فهذا إحكام وتفصيل مصدرهما : الذّات الإلهية الأزلية إشارة إلى اللدنية الإلهية. والذى يصدر من لدن الله أعظم من الذى يصدر من عند غير الله. قال تعالى فى سورة النمل : "وإنك لتلقى القرءان من لدن حكيم عليم". وأكد الله على هذه الخاصية القرءانية فى سورة الزخرف : "حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم".

فالقرءان تجسيد لما هو مطلق : أمّ الكتاب. حيث أن مطلقه لدى حكيم عليم يتنزل عن أصله "أمه" على خاتم الرسل والنبيين بلغة عربية وهذا مضمون : "إنا جعلناه".

فمفردات القرءان محكمة فى دلالتها المعرفية. لأنها أصل البيان. والقرءان كتاب مبين لا تختلط مفرداته بما هو مترادف ومشترك ومجاز. فى بلاغة العرب.

فأصل القرءان هو فى أم الكتاب لدى الله ثم جعل عربيا ليتناوله الناس فمنهم ما يتناوله بفهم العرب للغتهم وموازينها، ومنهم من يتناوله بضوابط الاستخدام الإلهى المعرفى والمنهجى للمفردات.

وإذا كان القرءان له هذه المفاهيم فهنالك كما يقول المفكر العالمى محمد أبو القاسم فى دراسة تحت عنوان : "المداخل المنهجية والمعرفية للنص القرءانى" فى مجلة الوعى المعاصر. هنالك من ينسخ القرءان بالسنة ويعترض على أحكام قرءانية كجلد الزانية والزانى بممارسة السنَّة للرجم ، ويفرق من عنده ما بين محصن وغير محصن. وقضايا كثيرة أخرى. ونحن نأخذ بغير ذلك : ليس فى تقييد سلطة التحريم بالنص الإلهى القرءانى المبين فقط. ولكن فى تقييد سلطة السنة بوصفها بيانا للقرءان وليس خروجا عليه.

قال تعالى فى سورة الحاقة :َلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ{٣٨} وَمَا لَا تُبْصِرُونَ{٣٩} إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ{٤٠} وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ{٤١} وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ{٤٢} تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ{٤٣} وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ{٤٤} لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ{٤٥} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ{٤٦} فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ{٤٧} وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ{٤٨} وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ{٤٩} وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ{٥٠} وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ{٥١} فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ{٥٢} .

هذا قول إلهى صارم وغليظ قاله الله لأهل العلم بخطاب منه ، عبر نبيه لنعلم : أن خاتم الرسل والأنبياء لا يخرج عن مرجعية القرءان وبيانها. وقال تعالى فى سورة النحل : وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ{٤٣} بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ{٤٤} .

وماثل الله بين عصمة النبى المبيِّن للذكر من خلال القرءان وحده وبين القرءان. فكلاهما كمواقع النجوم لا يهتز شعرة من مواقعه. وإلا اضطراب النظام الكونى كله.

قال تعالى فى سورة الواقعة :َلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ{٧٥} وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ{٧٦} إِنَّهُ لَقرءان كَرِيمٌ{٧٧} فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ{٧٨} لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ{٧٩} تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ{٨٠} .

وقال تعالى فى سورة النجم : وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى{١} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى{٢} وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى{٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى{٤} عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى{٥} ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى{٦} وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى{٧} ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى{٨} فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى{٩} فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى{١٠} مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى{١١}.

وحلقة الربط بين اللدنيه وبين القرءان ومحمد هى "ذو المرة الذى استوى" وهو الروح القدس. جبريل الذى عنده علم الكتاب. فى سورة الرعد : {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ }الرعد٤٣.

فالدين منضبط ، والسنة النبوية بيان للقرءان ومنضبطة به. فحين خرج بعض المتقولين على خاتم الأنبياء والرسل. نبهنا الله على المتقولين ، وردنا للقرءان كمرجعية مطلقة. قال تعالى فى سورة النساء : مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً{٨٠} وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً{٨١} أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقرءان وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً{٨٢} .

فأولئك المتقولون وباسم الطاعة للرسول. وهى طاعة أمر بها المسلمون – يدسّون أقوالا غير أقوال الرسول المنضبطة بالقرءان الكريم. فيكشف الله عن هؤلاء المنقولين ، ويرد الناس إلى القرءان الذى لا اختلاف فيه أو عليه.

فالقاعدة لدى العقلاء من العلماء : "رد كل حديث وفعل نبوى للقرءان الكريم. فإذا وجد لذلك أصلا فى القرءان قبلوه باعتباره بيانا للقرءان. وإذا لم يجدوا لذلك أصلا فى القرءان ردوه".

ثانيا : ومن جهة أخرى قد فهمت آيه النسخ فى التراث كونها تناسخا للقرءان قال تعالى فى سورة البقرة : {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }البقرة١٠٦.

وبناء على فهمهم وضعوا علم الناسخ والمنسوخ للآيات القرءانية : والعقلاء من العلماء. لا يأخذون بهذا المفهوم للتناسخ القرءانى. لأن هذا المفهوم الذى وصل إليه هؤلاء أولا طعن فى الذات الإلهية المنزهة نفسها من ناحية ، وثانيا طعن فى وحدة القرءان المنهجية والمعرفية، ثالثا طعن فى بنائية القرءان العضوية الممتدة من فاتحة الكتاب إلى المعوذتين.

فالنسخ فى القرءان هو نسخ لما سبق من أديان وتشريعات. وذلك بعد تصديق تنزلها على أقوامها ، ثم نسخ القرءان لها وهيمنة القرءان عليها. قال تعالى فى سورة المائدة : {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }المائدة٤٨.

فهذا – كما ترى – بيان قرءانى لشرعة ومنهاج مختلفين عن تلك التى كانت فى الأديان السابقة. فاستبدال الخطاب القبلى بالخطاب العالمى كافة للناس ، واستبدلت شرعة الإصر والأغلال والنكال بشرعة التخفيف والرحمة.

واستبدلت خوارق المعجزات كشق البحر ، وتحولت إلى جهد بشرى ، وتحولت الحاكمية الإلهية التى تشق البحر لموسى وحاكمية الاستخلاف التى تتعامل مع الحق والنمل والطير إلى حاكمية كتاب تتعامل مع عقول البشر.

واستبدل الله تدخله المرئى الحسى بالمعجزات إلى تدخل غيبى غير مرئى كإنزال الملائكة وإثارة الرياح وتأييد رسوله بجنود لم يرها أحد.

ثالثا : بعض الجاهلين ممن ينتسبون إلى الدين قد اتخذ من مواضع نزول الآيات بضاعة فقهية وتفسيرية هى أخطر من القول بالنسخ ، وليدللوا به على النسخ أيضا من مدخل التدريج فى التشريع وذلك بنزول آيات لاحقة تجيب بشكل أكثر تحديدا ودقة على ما

كان من آيات سابقة ثم نسخها فى نظرهم. كأن الله عز وجل قد ترك هذه الأحكام مفتوحة ثم ضبطها. فى حين أن الحالات متميزة ولها خصوصيتها. وهذا لا ينفي توافق واقتران فرقان القرءان.حيث يبث على لسان الرسول فى صدره بوقائع معينة تعطيه حرارة التلقى.

فالقرءان الكريم بناء عضوى متكامل ومطلق غير مقيد بأسباب النزول أو مواضعها. ثم إن القرءان مطلق غير متدرج فى أحكامه وخطابه للناس. بداية من مقدمة سورة العلق ، وانتهاء بآيات الختام.

وجاء جبريل – عليه السلام – ليعيد ترتيب الآيات ، بادئا المصحف بالفاتحة وانتهاء بالمعوذتين.

وأثناء إعادة الترتيب شكك البعض فى ابدال مكان الآيات. فأوضح الله لهم بأن إعادة الترتيب تم بأمر من عنده. فى سورة النحل : "وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون. قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبّت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين. إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم. إنما يفترى الكذب الذين لا يمؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون".

فالله قد تولى جمع القرءان بعد تلاوته فرقانا ، وأعاد الترتيب عبر التبين الذى قام به الرسول. فى سورة القيامة : لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ{١٦} إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقرءانهُ{١٧} .

رابعا : وإذا كان هذا شأن القرءان الكريم ، وحتى لا ينحرف المسلمون نتيجة للدس والتحريف. أدرك الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن مصادر الدس فى الأديان والمعتقدات السابقة قد تم عن طريق تزييف النص الأصلى ودس أقاويل على الرسل والأنبياء لم يقولوها. لهذا نهي النبى عن تدوين أحاديثه. حتى لا يتقول عليه بما يناقض القرءان ، وحتى لا يطعنون فى القرءان بعلوم الناسخ والمنسوخ.

أو يأتون بقول مثل : شرع من قبلنا شرع لنا ، أو بقول نسخ السنة للقرءان. فالرسول صلوات الله وسلامه عليه. لم يكن قلقا على نص القرءان الكريم لأن الله حافظه قال تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }الحجر٩.

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخشى أن يتقول عليه المتقولون أحاديث تكون أساساً للتحريف وما ليس بمعقول ولا بمقبول قال تعالى فى سورة النساء : "من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا. ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا. أفلا يتدبرون القرءان ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا".

وحرصا من الرسول صلوات الله وسلامه عليه فقد منع تدوين الأحاديث واتبع السابقون من المقربين من الصحابة نهج الرسول فمنعوا رواية الحديث.

فالدس فى الروايات كما يقول الكاتب الكبير محمد أبو القاسم منهج خطير والدس هنا خطة لنسف قيم الإسلام .

يقول الشيخ الدكتور بدران أبو العينين بدران : "قد وقف الصحابة الراشدون على جذر فى شأن الحديث. فأقلوا من الرواية خشية أن يتخذها المنافقون مطية لأغراضهم الخبيثة. فكانوا دائما يرقبون قول رسولهم الأعظم : أياكم وكثرة الحديث. ومن قال عنى فلا يقولن إلا حقا".

وروى عن كثير من الصحابة : أنهم كانوا ينهون عن الرواية. روى الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ : أن الصديق أبو بكر جمع الناس بعد وفاة النبى فقال : "أنتم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا. فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله ، وحرموا حرامه".

وكذلك روى عن قرظة بن كعب. أنه قال : "لما سيرنا عمر إلى العراق بشيء معنا عمر. وقال : أتدرون لما شيعتكم؟.

قالوا : نعم مكرمة لنا. قال : إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرءان كدوى النحل. فلا تصدوهم بالحديث فتشغلوهم. جردوا القرءان ، وأقلوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم.

فلما قدم قرظة. قالوا : حدثنا. قال قرظة : نهانا عمر". إن النبى – صلى الله عليه وسلم – طلب ممن كتب عنه شيئا غير القرءان أن يمحوه. فقد روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لا تكتبوا عنى شيئا غير القرءان ومن كتب عنى شيئا غير القرءان فيلمحه".

وروى أن زيد بن ثابت دخل على معاوية. فسأله عن حديث ولما حدثه به أمر إنسانا أن يكتبه. فقال له زيد : إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمرنا ألا نكتب شيئا من حديثه. فمحاه.

وقد علل أبو العينين نهي الرسول عن كتابة الأحاديث. خشية اختلاطها بالقرءان. ولكن الأمر أخطر من ذلك. فالنهى يراد به الحفاظ على أحكام القرءان وعدم التذرع بالسنة لنسخ القرءان.

ويذكر أحمد أمين فى "فجر الإسلام" : أن الأحاديث قد كتبت وخلافا لنهى الرسول بعد قرنين من وفاة الرسول.

ومما ينبغى أن يشار إليه : أنه وضعت ست مجموعات للحديث تعتبر موثوقة. وهذه المجموعات قد كتبت فى زمن متقارب. كأنه تسلط فجأة على المجتمع شعور بضرورة حد للإنتحال.

فمنذ وفاة الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – وخلال قرنين بعد الوفاة استباح كثيرون لأنفسهم وضع الحديث. ومن يطالع كتب الوضع والوضاعين يهوله ما أصاب الأمة.

يقول بعض العلماء : "وإذا تذكرنا أن الأحاديث المنقولة عن أقرب الناس إلى النبى كعائشة وأبى هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس بلغت خمسة عشر ألف حديث. فى حين أن البخارى اقتصر على أربعة آلاف من كافة الأحاديث على اختلاف مصادرها. أدركنا مقدار ما انتحل على لسان هؤلاء وحدهم".

معنى ذلك أن المسلمين فى أقرب السنين لنشوء الدعوى لم يتحرجوا فى وضع أحاديث خدمة لأغراضهم .

ومما يحسن أن يشار إليه : أن رواة الحديث لم ينقلوا شيئا عن زوجات النبى – عدا عائشة – فهل زوجات النبى غير عائشة على درجة من الجهالة بحيث لم يحفظن حديثا واحدا عن رسول الله وهن معه.

ويذكر ابن خلدون : أنه روى عن الإمام الشافعى قوله : أنه لم يثبت عن ابن عباس إلا نحو مائه حديث ، ولم يثبت عن عمر ابن الخطاب إلا نحو خمسين حديثا.

أما الإمام أبو حنيفة. فلم يصح عنده إلا سبعة عشر حديثا من ستمائة ألف.

فإذا صح قول هؤلاء. فعلى أى أساس قامت تلك العلوم التى يقول الأستاذ أحمد أمين : أنها تفرعت عن الحديث.

وقد ذكرت الأستاذة /زينب عبد المنعم فى مجلة أكتوبر "٨ أكتوبر ٢٠٠٥م فيما كتبته عن بحث الدكتور عبد الله بن ناصر بن محمد الشقارى الأستاذ فى قسم السنة بكلية أصول الدين بالرياض. ذكرت ما يلى : "أن الدكتور الشقارى يقول: قرر العلماء أن سنة أربعين للهجرة. هى الحد الفاصل بين صفاء السنة وبين التزيد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية والانقسامات الداخلية".

من هنا : وحرصا على سلامة المجتمع. أراد المستشار/ أحمد عبده ماهر أن يكون كتابة: جذوة إتقاد كما يبين فى الهدف من الدراسة. دلالة على اليقظة ، ومساهمة حية فى وضع الوعى الثلاثى موضع التنفيذ ، وإشارة إلى أن الأمة تملك العقلانية الفاعلة البانية التى لا تقر سيولة الانفعال ، وامتداد اللامعقول.

والمستشار/ أحمد عبده ماهر بدا لي من خلال قراءتى للكتاب وتنقلى بين صفحاته. أنه :

أولا : ذو إطلاع واسع ، وإحاطة كبيرة بالمشاكل التى ترتبت على ما أصحاب المجتمع من ركود وجمود.

ثانيا : صاحب عقلية لا يتفرد بها إلا من وهبهم الله هذه الهبة. فجاءت أساليبه متميزة بالرصانة والقمة.

ثالثا : يملك شخصية متطلعة نحو إنشاد الكمال ، وحب الخير للناس أجمعين.

ولما كان الكتاب يقوم على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : دراسة بحثية عن صحيح السنة النبوية.

والفصل الثانى : اجتهادات فقهية.

والفصل الثالث : تدعيم معتقدات المسلم الحق.

كانت الفصول الثلاثة منارات على مغارات. يسترشد بها الأكياس فى غور الأمور .. ويبدو لى : أن الكتاب أحوج ما تكون الأمة إليه ، خاصة فى هذا الزمن الذى أصبح فيه من ينتسبون إلى العلم الدينى لا صلة لهم بالعلم ، ولا الدين.

ومن ينتسبون إلى العلم إما حافظ لأقوال الفقهاء وما ذكره المفسرون وأسباب النزول. ويستطيع بالمران أن يذكر منها ما يريد. وهذا الصنف من الناس لا يفيد الناس فى قليل أو كثير.

وإما حافظ لأقوال المتقدمين والمتأخرين. وجامد ومحنط. لا يستطيع أن يقدّم ما نحن فى حاجة إليه فى عصرنا.

قال تعالى فى وصف عباد الرحمن فى سورة الفرقان. "والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمّا وعميانا". أى خروا عليها مستمعين متبصرين الواقع. ولكن من ينتسبون إلى العلم يخرون – إن خروا – عليها جامدين محنطين متحجرين.

لا يهمهم العلم المتحرك ، ولا تهمهم المعرفة التى تفيد المجتمع ، وترفع شأن الناس. وقد يكون واضحا. أن كثيرا ممن ينتسبون إلى العلم خاصة الدينى منه لا يقرءون ، ولا يعرفون أسماء المجلات والكتب التى تصدر وتملأ أسواق الصحافة والمكتبات.

وإذا قرأوا لا يفهمون. وإنما حسبهم ما ألفه لهم هؤلاء نقلا من الكتب القديمة التى لا تفيد وهذه الكتب المليئة بالخرافات والأساطير هى أخطر ما تواجه الأمة.

وبودنا أن يقرأ من يتصدى للعلم كتاب : "الإسرائيليات فى تفسير الطبرى" للدكتورة آمال محمد عبد الرحمن والذى طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة وكذلك كتاب: "العجيب والغريب فى كتب تفسير القرءان" للأستاذ وحيد السعفى طبع تبر الزمان. وغير ذلك من كتب ودراسات. ليدرك هؤلاء المتعالمون أنهم فى عالم آخر كله أساطير وحكايات.

ومن الغريب : أنك تسمع أحدهم يقول : أن الشيعة عندهم قرءان آخر أو حرفوا القرءان. وفاتهم أن ابن كثير السنى فى تفسيره : يذكر روايات من مسند الإمام أحمد بن حنبل أن المعوذتين ليستا من القرءان.

وهناك الكثير مما يحتاج إلى تنبيه. وحسبنا ما ذكره الأستاذ الهمام المستشار/ أحمد عبده ماهر. ففى ما ذكره تنمية الوعى الفلسفى ، وظهور هذه المؤلفات دليل صحة وعافية فى طريق الأمة.

أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح
أستاذ العقيدة والفلسفة
بجامعة الأزهر وقطر وأم القرى

مقدّمة كتاب كيف كان خلقه القرءان

عشت بين أمتي الإسلامية فروتني وأحببتها، واليوم وقد رأيت من واجبي أن أردّ لها بعضا من أفضالها، {هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ }الرحمن٦٠!! ولذلك عمدت إلى إصدار تلك الدراسة التي أجد فيها تصحيحا لبعض معتقدات أهلي وإخواني في أمتي الإسلامية والتي تؤثر سلبا على مسيرتها في دنياها فضلا عن تأثيرها في عقيدتها ومناهج الحياة التي نحياها.

لقد عبث الكثيرون بتراث أمتي وكان لابد عليّ من كشف زيف الإفك إنقاذا لأشقائي الذين التف بهم دوران الإفك حتى صار علوما اعتبروها مقدّسة، وأصدروا الكتب تدعيما للزيف الذي أصبح مقدّسا يرجع إليه الباحثون، فكان أن ذبلت الأمّة وذهب ريحها بين الأمم من كثرة زيف المزورين وكثرة المرتادين لحانات الخروج عما كان عليه النبي الخاتم ﷺ ، مع تصوّر الكثيرين واستحسانهم احتكار بعض المجامع للبحث والدرس حتى أصبحت عادة معظم الأمّة استنكار أهلها الفكر والتدبر في دين الله.

إن أمة تكرّس التفرق بين أشطارها ويلعن بعضها بعضا، وإن أمّة تهدم دستورها القرءان لذمة فقه فقهاء وتأويلات لآخرين تارة تحت ما أسموه المنسوخ في كتاب الله وتارة باسم الروايات التي منها روايات لا تصلح إلاّ مسرحيات تتصادم بالمواجهة مع آيات كتاب الله، وتارة بجعل الفكر الديني حكرا على أفراد أو مؤسسات بعينها، مع عدم قيام المجامع الفقهية في عصر المؤسسات الذي نحياه بواجبها مع غموض الطريق لاستراتيجية الدعوة الإسلامية فيها، وتارة بالركون إلى الشطارة السياسية في حل أزمات جماعات الفراغ الديني المسماة بالإسلامية، وتارة بقصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للمحكومين دون الحكام، بل وتجد قناعه رجل المؤسسة الدينية في القيام بدور الرجل الثاني تهدم أصلا من أصول الدين وريادته في دنيا الناس.

وبينما برز بين أهل الإسلام من بذل الجهد المشكور ليخرج لهم بصحاح عن الروايات المنسوبة لرسول الله، دأب أغلب دعاة الإسلام في الأمة على استخدام قصص غير موثق سندا لدعوتهم إبان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، بل أن قصصهم التراثي أفرز تصادما مع آيات كتاب الله، وتجد غالب المجتمع الإسلامي وقد أصبح يبادرك بحجّته في الحديث ولا يبادر بحجتة من كتاب الله، وما ذلك إلا للفقر الفكري في كتاب الله، كذا في الركون لتأويلات خاصة عن ما جاء في تفسير آياته دون سواها، وترى الذبول المعرفي هو النتيجة الحتمية لجمود التفكر في دين الله جيلا بعد جيل.

وبينما تجد كل فرقة من فرق الإسلام وقد تفرقت عن أختها، تجد كل فرقة وقد انقسمت في داخلها إلى مذاهب، وترى لكل مذهب رجال قد تناحروا في خصام أبدى لا تذهب ناره، وذلك أنهم لا يتركون حينا يمضى إلا وخرج البعض بمؤلفات يتنافس بها كل مذهب مع المذهب الآخر ليزعم كل فريق أن رأيه هو الصحيح، ومؤلفات أخرى تطعن بها كل فرقة في الفرقة الأخرى حتى ذهب ريح الأمة بين الأمم وهم يظنون أنهم يدافعون عن الصحيح، وتجدهم يهوّنون مصيبة الاختلاف بين مذاهب الفرقة الواحدة وهم يرفعون شعار (أن الخلاف في الفروع) وتلكم مصيبة تهوين الاختلاف الذي أفرز إبقاء حال الخلاف على ما هو عليه رغم تغير الدنيا وبروز دور المؤسسات وإنقضاء دور الفرد الشاطر سواء أكان هذا الفرد احمد بن حنبل أو كان جعفر الصادق ـ كتاب البخاري كان أو كتاب الكافي.

إن ركود الأمة على ما هي فيه من تراث فكرى مخلوط أو مغلوط في بعض أجزاءه، وسكون المجامع الفقهية على هذا الأمر أفرز جماعات قتل رجال الأمن ورجال الحكم في جانب، وأفرز على الجانب الآخر رجال اغتصاب الفتيات ورواد حانات اللهو، بينما لا يجد القائمون على أمر الدّعوة أن قصورهم في محاكاة أدوات العصر في دعاواهم هو أحد أسباب هذا النتاج الشيطاني.

وقد تم تدوين الكتاب بصورة تساعد القارئ على سهولة إدراك أهدافه، وروعي فيه البعد قدر الامكان عن المصطلحات الفقهية التي قد يملّ بعض القرّاء التعرض لها، والكتاب عبارة عن دراسة مكونة من ثلاثة أجزاء...

الجزء الأول: تحت عنوان السّنة النبوية بين الحقيقة المدونة والتضليل العملي، وهى مبوبة في داخلها إلى دراسة نقدية لما عليه الواقع العملي في مفهوم السّنة، كذا صورة مقترحة في مثالية للأسبقيات في السنّة، وهى تعالج بعض السقطات الفكريّة لبعض مسائل الفقه والسيرة مثل قضية هل السنّة مكمّلة أو مبيّنة، وكيفية تفعيل رواية (كان خلقه القرءان)، ونقد فكر الناسخ والمنسوخ، والتّدرج في تحريم الخمر، ومدى صحّة احتكار المتخصصين لشأن الدعوة، وأهمية تفعيل دور المجامع الفقهية وتعانقها مع المجامع العلمية، كذا نقد فكر التّخاصم وضرورة توحيد أشطار الأمة.

الجزء الثاني: تحت عنوان إجتهادات فقهية تناهض كتاب الله، وهو أيضا دراسة نقدية عن فكر فقر رسول الله وفكر أمّيته، وهل أوحى إليه بشيء من الطب أم أنها كانت وسائله في الطب والتي اعتبرها الناس أهدافا حتى صارت هناك عيادات للحجامة وغيرها من مؤلفات سميت باسم (الطب النبوي)، ومدى صحة ما يتناقله الدّعاة من مرويات تعنى اضطهاد رسول الله للمرأة وتمييزه للرجل عليها، ومدى حقيقة المعراج وأهداف الإسراء، وهل كان لرسول الله حق التشريع حتى يأمر بقتل المرتدّ ورجم الزناة المحصنين وغير ذلك مما حواه ذلك الجزء في تصحيح بعض المعتقدات الموروثة أو تلك التي لا أصل لها أو التي تتصادم مع دستور الإسلام القرءان الكريم.

الجزء الثالث: تحت عنوان المسلم الحق وهو مبوب إلى أقسام أولها باسم الإسلام معنى ومبنى، والهدف من قراءة القرءان، وقراءة في تدبّر قصة ذبح إسماعيل عليه السلام، وكيفية التوبة ومعنى الإنابة وغير ذلك مما يفيد المسلم في مسيرته مع ربه.

والكتاب صورة اجتهادية فردية كان يتوجّب أن تقوم بها أحد المجامع الفقهية بالأمة الإسلامية لتنقيح التراث وإذكاء الحضارة الإسلامية الحقّة وتنقية جواهر الصحاح مما المّ بها من عبث غابر الزمان.

وقد ذيّل الكتاب بملاحق تبيّن جوهر الخلل في الفكر الفقهي الذي يستغلّه أعداء الإسلام في الكيد بأهل الإسلام.

الهدف من الدراسة

١. أهدف من الكتاب توحيد راية الأمّة بكافة طوائفها ومذاهبها تحت شعار لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكل من شهد بها فهو في رحاب سماحة الإسلام وهو من امتى التي يجب تتوحد في عصر العولمة واتحاد الدول بعضها البعض لتكوين تكتلات اقتصادية وعسكرية تواجه بها صراع الحضارات، وحتى لا تداعى علينا الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.

٢. وأهدف منه إلى ضرورة القضاء على ثقافة التخاصم والغلظة، وأن يتقبّل أهل الإسلام فكر بعضهم البعض دون تجريح، مع القضاء على المذهبية وحتى لا تصبح تناقضات تراثنا وخلافاتنا الفقهية ألعوبة لطعن أعداء الإسلام في ديننا.

٣. وتؤكد الدراسة إلى ضرورة إعمال الفكر ووضع كتاب الله في صدارة المصادر التشريعية للأمّة، وعدم المساس بحروف أحكامه وصحيح معانيها تحت أي مظلّة فقهية أو روائية مهما كانت أو تكون.

٤ـ وأد دين الوراثة، وتدعيم بزوغ المسلم المستنير الذي يؤمن بتطور المفهوم الديني في التطبيق القرءاني في حركة الحياة، وأن يدرك المسلم أن البث الحي المباشر لقدرة الله وهيمنته أمر لم تقطعه وفاة النبي وهو أمر منشور في الكون ويراه أهل التدبر.

٥ـ كسر الأصنام الثقافية التي صنعها البعض، وعدم الوقوف عند جهدهم المشكور بل واستكماله بذات إخلاص أصحابه من الأقدمين.

٦ـ إبراز إنكار البعض للحقيقة القرءانية دون وجل بينما هم يتنفسون نارا إذا ما جحد أحد من الناس إحدى المرويات المخالفة للحقيقة القرءانية والمنسوبة زورا وبهتانا إلى الرسولﷺ.

٧. التحقق من الصورة المثلي في ضبط حركة حياة المسلم على رضوان الله وسبل تطبيقها حتّى لا يندم أحد ويصطدم بحقائق كانت غائبة عنه حال عمره المديد الذي لم ينتفع به.

ولقد اجتهدت كمسلم بما أملكه من أدوات متواضعة في إبراز تلك الأهداف جميعا كدراسة متكاملة لا يجوز الحكم على جزئية من جزئيّاتها منفردة؛ إنما يحكم عليها في مضمونها الكلّى وفق منظومة الأهداف التي ذكرتها، لأنها قد لا تصيب في إحدى جزئيّاتها لكنها ذات صحة في يقين في موضوعها وأهدافها.

ولقد دفعني كثير من الأخوة وكثير من المؤلفات ـ لمن أخلصوا العمل لله معنويا وعلميا ـ في سبيل خروج هذه الدراسة إلى النور ' ولقد ذكرت بعضهم داخل دفتي الكتاب ومن خلال فهرس المراجع، كما لا يفوتنى أن أخصّ بالذكر الدكتور/محمد السعيد المشتهرى نجل شيخى فقد كان له أكبر الفضل علىّ في تنقية ديني من موروثات الماضي التي كانت تصاحب الشرك وتلازمه داخل كياني دون أن أدرى، وهو بلا شك أكبر هدية أهداها إلّى شيخى رحمه الله، كما لمست من تشجيع العلاّمة الأستاذ الدكتور/أحمد السايح أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر وقطر وأمّ القرى ماروى ظمئي وشفى قلمي، كذا أذكر صديق عمري المهندس/على عبد الجواد والأستاذ الباحث الإسلامي المخلص /عبد الفتاح عساكر وإن كنت لا أتفق معهم في بعض الأمور، لكن جزاهم الله جميعا عن الإسلام خير الجزاء.

وأعلم يقينا أن لغيري من الأفراد أو الهيئات أدوات أكثر اتساعا ورؤية أكثر وضوحا خاصة لمجامعنا الفقهية ولبعض رجال تربّعوا على عرش الفقه التقليدي الذين لن يرضيهم كتابي لكثرة ما قدحت في منهاجهم ودروبهم، لكن دوري في الدراسة ينبثق من قوله تعالى {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ.. }البقرة٢٨٦ ـ وأسأل الله العون أن يكون جهدي وفق وسعى متقبلا منه سبحانه وتعالى، فإني أعلم أنّ البشر وخاصة من تربّوا على موائد حضارة أذكت ثقافة التّخاصم، وعادت كلّ فكر جديد، وتؤمن بأصنام ثقافية من صنعها، لا شك أنّ دأبهم في الخلاف ـ حين الاختلاف ـ سينتهي إلى قطيعة وغيبة بين كتابي وفكرهم، لأن الدراسة تحمل في طياتها إلغاء تجارة رائجة كمثل عيادات الطب المسمّى بالنبوي والقدح في مناهج من حصلوا على شهادات لا أساس لها إلا العلوم المدخولة على الإسلام، خاصة وأنها تطالب بإلغاء كافة المرويات التي تتصادم مع كتاب الله، كما تخرج ببعض المناهج الفقهية التي يدرسها أهل المعاهد الدينية إلى مخرج آخر غير ما ألفوه.

وليعلم أهل المجامع الفقهية والمعاهد الدينية وأهل تجارة الدنيا ألاّ يتاجروا بمصطلحات تطعن في دين من يخالفهم الرأي الفقهي، فإن منهاجي الفقهي البديل لفقه أكثرهم وبعض مناهجهم الغير منضبطة مع كتاب الله هو (لا دين بغير سنة منضبطة مع القرءان ولا سنة بغير قرءان).

و كان لابد للدّراسة أن تخرج إلى النور حتى لا يستمر داء الشرك المصاحب للإيمان ملازما للأمّة من خلال موروثات ومعتقدات واجتهادات لابد من وضع نهاية لها، فلقد كان للسلف فقه يتناسب مع ما ألفوه ومع عقولهم وزمانهم، أما نحن فقد لا يناسبنا تخريجاتهم التي جرّ بعضها الويل على الأمة، وحقّا يقول تعالى{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }العنكبوت٦٩... فمن الله الهداية ومنه التوفيق وإليه يرجع الأمر كله.

وعوده إلى الرّجاء في الله الذي أسأله خضوعا أن يتقبّل منى هذا العمل المتواضع ليغفر به ذنبي ويرفع درجتي عنده سبحانه، وأن يرحم به والديّ وزوجتي وأبنائي الذين قد يدركون مرماه فيما بعد والذين أعظهم بمداومة خدمة دين الله بالمدارسة والبحث والتدبر، وأن يظللني ومن ساعدني على خروجه بهذا النحو خاصة ابنة صديقي الأكبر /كمال عبد الحق ـ التي آثرت تواضعا ألاّ يذكر اسمها رغم ما بذلته من جهد لا يفنى أثره عند الله ـ ببهاء ورضوان ورحمة تفيض على كياننا في الدنيا والآخرة.....

أحمد عبده ماهر

الفصل الأول

دراسة بحثيّة عن صحيح السّنة النبويّة

(السنة النبويّة بين الحقيقة المدوّنة والتّضليل العملي)

مقدمة من أجل الوصول إلى هدف

لعل الحق أصبح علقما ولعل التعقّل أصبح من منبوذات هذا الزمان، هذا ما انتهيت إليه حين تدبّرت أمر أهل أمتي حين أعرض عليهم ما أفكّر فيه من تحديث لهويتهم الثقافية والفكرية وتجديد لثقافة التعاون والتوحد بين جسد الأمّة، بدلا من ثقافة التّخاصم والتّشرذم التي برعوا فيها والتي أنهكت ريحهم بين الأمم وجعلتهم هباءا منثورا، وكذلك لبحث بعض المعتقدات الفقهية التي سببت الوبال على الأمّة، ولاحتراف بعض أهلها إنكار الحقيقة القرءانية لحساب بعض المرويّات المنسوبة زورا لرسول الله الذي كان خلقه القرءان.

إن أعضاء الأمّة الإسلامية قد توقّفوا عن الاجتهاد وعن الجهد وعزفوا عن القراءة وتفرّق شملهم، كل أمّة تلعن أختها وخاصة بين العرب منهم، بل أن لفظ عربي أصبح يعنى عند الآخرين (جاهل) فإذا ما أضيف إليه لقب مسلم فهذا يعني عندهم عدوّ للبشريّة والحضارة، أي أننا في نظر الأمم الأخرى جهلاء وأعداء للبشرية والحضارة، ولم يكن هذا المعتقد وليد غرباء عن العروبة والإسلام إنما هو في حقيقته وليد أهله من العرب بل ومن المسلمين بالذات وعلى الأخص وكأن أهل الإسلام تخصصوا في معاداة منهج القرءان الذي يستحثّهم على العلم والتّدبر.

ثم وتسلّط الذين يقرءون . وقليل ما هم . تسلّطوا بتخريجاتهم وتأويلاتهم على باقي أفراد الأمّة، ومع توالى العهود والأزمان أصبح هناك أناس لا تقرأ وأناس تتسلّط على من لا يقرءون، واستبدّ المتسلّطون على العمل والفكر الإسلامي وأصبح الأمر أمرهم والفكر فكرهم وفكر غيرهم هو الفكر الباطل، بل وقد يصل عندهم إلى درجة الكفر.

إن احتكار فئة بعينها للفكر الفقهي هو صورة من صور القمع الفكري، بينما لابد أن يكون الفيصل للحق وحده سواء خرج من عباءة متخصص أو غير متخصص، إن تسلّط فقيه بفكرة معينة أو رأيا واحدا لينشره على عموم المسلمين في الوقت الذي توجد فيه آراء متعدّدة إنّما ينشأ من الدّعاية المذهبية التي فرّقت المسلمين شيعا وأحزابا وأدّت إلى استنبات ثقافة التّخاصم فيما بينهم بدعوى الحق وما كان الحق في الفرقة أبدا.

وفي تصوّري أن هذا الذي نحن فيه من نتاج تراثنا الفكري والثّقافي الذّي لا برعوي ولا يتّعظ، وكيف يتّعظ وهو لا يفكّر أصلا؟؟ بل إن ثقافة توقّف الفكر أصبحت لها من يزكّيها من أساطين السياسة والفقه، وتم تقسيم النّاس إلى رجال دين ورجال بلا دين، عامة /وخاصة، فهؤلاء يفكّرون وهؤلاء يجب عليهم التّقليد لأنهم ناقصين للأهليّة في نظر الذين تمّ تسميتهم بالمتخصصين، وحقيقة الأمر أن أكثر جمهور فئة المتخصّصين لا تفكّر أو على الأحرى لا تبدع مع معطيات وتطور الأزمان والأجيال، وهم كثيرا ما يتنابزون ويتضاربون، وما هذا إلا لانهيار قيم كثيرة أفرزت تلك الشريحة المتنابزة.

إن دين المرء هو أساس حياته ومحور أخلاقه مهما كان عاصيا؛ ولأسفي فإن فكرتنا عن الدّين تلقّاها معظمنا من لقيمات وفتات من المعرفة ألقيت من هنا أوهناك فتلقّاها المرء في وعاء ذهنه الفارغ واعتنق ما تلقّاه من غير وعي أو تفكّر. هذه هي حقيقة معظم المسلمين . ثم تجد ذات هذا المسلم يرفض بعد ذلك الرأي الآخر أو الفكرة الأخرى، وما ذلك إلا لعدم اقتناعه بضرورة التفكّر والتّعلم، ونسي أن سبب تفضيل أبينا آدم على الملائكة هو العلم الذي وهبه الله إياه كما نسى الكثيرون أن شريعتنا بدأت بالأمر الإلهي (اقرأ).

ولينظر المسلم إلى حالنا اليوم، إن الدول المتخلّفة تخضع للدول المتعلّمة رغما عنها لأنها لا تجد حيلة إلاّ الخضوع، وما ذلك إلا لأننا تبنينا الجهل مئات السنين بدلا من أن نتبنى العلم، ولأننا أخذنا من العلم ظلاله ولم نعتن بهذه الظلال فأصبحنا كما ترى، وحصرنا الدين والفقه الديني ورسالة القرءان في شعائر العبادات فأسهبنا فيها ولم يفتنا أيضا أن نتنابز ونتضارب فيها، فلا نحن وعينا رسالة الرسول ولا نفّذنا مراد الله وأصبحنا من شرار الأمم في الناس.

وحتى لا أطيل على قارئي عن سلبيات ثقافتنا وعاداتنا التي أفرزت ترتيبنا بين الدول، فإني سوف أتناول في هذا الكتاب تفصيلات وتساؤلات لابد أن تقف مؤسساتنا الفقهية ـ على مستوى الأمّة ـ منها موقف الجدّ والاجتهاد لتنقية الفكر وتطهيره من رواسب الماضي وإشكالياته، فإن رجال الماضي كانوا عقولا مخلصة لأهل زمانهم ونحن نحتاج اليوم إلى عقول مخلصة لأهل هذا الزّمان الذي تنتشر فيه الحروب الفكرية عبر شبكات الإنترنت والفضائيات وغيرها، ولابد للأمة أن تبلغ رشدها الديني والثقافي قبل أن يدرك أعداء الإسلام شباب الإسلام فيثيرون لهم هذه الإشكاليات التي أصبحت ثوابت مقدّسة على أنها متناقضات داخل شريعتنا وسلوكياتنا، وليس لنا أن نتّبع سياسة الماضي التي تبنت فكرة عدم إثارة هذه الإشكاليات فقد كان هذا مناسبا لزمانهم في ماضيه السحيق ولكنه غير مناسب لحاضرنا الذي بدأ منذ ثلاثمائة عام على الأقل ونحن في سبات، ولابد للمجامع الفقهية والعلمية أن تتعاون وأن تستخدم أدوات العصر في التفسير الموضوعي لكتاب الله وأن تخرج علينا كل خمسة عشر عاما على الأقل بتفسير جديد يتواءم مع معطيات وعلوم العصر التي فتح الله علينا بها.

كما وأن معتقداتنا في الرجال وفي بعض المراجع ومذهب التقديس الذي نحن عليه جعلنا أسرى لرجال من الماضي وفكر محفوظ منذ مئات السنين في الوقت الذي نصيح فيه أن القرءان صالح لكل الأزمنة، وأين صلاح القرءان لكل زمان طالما أننا ملتزمون بآراء الأقدمين وتأويلاتهم في كل ما أتوا به؟؟ لقد ساوينا بين القرءان والتراث بل أصبح جلّ علمنا بالتراث الذي وصلنا بمتناقضاته مع بعضه البعض فلم نكترث، ووصلنا متناقضا مع كتاب الله فلم نهتمّ، فترانا وقد جعلناه (التّراث)حجّة ملازمة لحجية القرءان وتوهمنا له صورة تضارع في بهائها كتاب الله رغم أن رواته من البشر!

*وأضرب لذلك مثلا في معتقداتنا عن ضرورة الدّعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في الوقت الذي نعتقد فيه بثقافة تراثنا بضرورة التضييق على المشركين في الطرقات وعدم المبادرة بالسلام عليهم، بل ويستحسن البعض عدم رد السلام عليهم، فهل تكون مخاصمتهم وعدم ردّ السلام عليهم والتضييق عليهم في الطرقات أحد وسائل الدعوة إلى الله بالحكمة؟؟؟ومتى قمنا بالواجب الإسلامي تجاههم في دعوتهم بالموعظة الحسنة حتّى نتخذ طرق العداء؟؟ .

*ومن أمثلة السنّن المختلة تصوّر إفطار الصائم على تمرة أنه سنّه ـ وهذا أمر عجيب ـ لأن السنّة تعنى في منظوري وحيا سماويا وتعنى شيئا مقدسّا ولا تعنى أبدا تصرفات شخصية، وإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يفطر على التمر أو الماء أو اللبن فذلك لأنها كانت هي الأطعمة المتوفرة في بيئته التي عاش فيها، ولو كان قد تواجد في بيئة زراعية بها نباتات خضراء لأفطر على الخضراوات ولا شأن لهذا الأمر بنبوّته صلّى الله عليه وسلّم، فلا يصح بعد ذلك أن نسمع من يزعم أن الإفطار على التمر سنّه، وإلّا كانت السنّة فوضى يتزعمها كل من تكلّم وكل من تخيّل وكل بائع تمر، وهل كان الأمين جبريل نزل بوحي فيه تمر؟؟ وهل سيدخل الجنة من أكل تمرا أكثر ؟؟وهل صاحب فرشاة الأسنان سيكون أقل قدرا عند الله من صاحب السواك؟؟.

يا أهل الإسلام أفيقوا من غفوة بعض ما تدّعونه سنّه.

أفهم أن تكون تلك الأمور تحبّبا وتذكّرا بمأكله صلّى الله عليه وسلم وطريقة معيشته، لكنها لن تكون أبدا سنّة، فالسّنة هي مما يقرّب إلى الله ودلّنا عليه النبيّ وواظب على عمله، وهى أيضا ما تركه صلّى اله عليه وسلّم مع وجود الداعي والمقتضى وانتفاء المانع فتلكم هي السنّة، فالسنّة أمر مقدّس ولا أعلم للقداسة طريقا يمر عبر الجهاز الهضمي، وإذا أراد من أراد التّوسّع أن بأن تكون كلّ أفعال وكلّ أقوال الرسول سنّة، فليكن له ذلك، لكن على أن تكون الأفعال والأقوال التي تقرّب إلى الله، وليس نوع الطعام المتوفر ولا يتوفر غيره ولا طريقة العلاج المعروفة له صلّى الله عليه وسلّم والتي لا يعرف غيرها بسنن، إنّ هذه ليست بسنن يتقرّب بها العبد إلى الله، ولم يفعلها رسول الله بنيّة التّقرب إلى الله ولكنها أسلوب حياته كبشر وليس كرسول.

إن السنّة ليست العادة الشخصية في طعام أو شراب أو لباس أو معاشره زوجية كما يتصوّر البعض، وحتّى إن كان هناك من يبغى تعريفها بأن السنّة هي العادة فلتكن العادة في العبادة والعادة فيما أمر الله به أن يقدّس، وليست العادة في اللباس أو الغذاء أو الهيئة، فإن ذلك يخرج أمر الدين إلى الأجهزة الهضمية والقوالب البشرية دون رادع من عقل.
وكيف نساوى في القدسية بين قول سبحان ربى العظيم أو سبحان ربى الأعلى داخل الصلاة (وقولهم سنّة)،وكذا صلاة ركعات السنّة وغيرهما من المهمّات، فنساوى بينهم وبين الرّطب من البلح،وطريقة شرب الماء ومقدّمات المجامعة من قبل ونحوه ، فنساوى بينهم جميعا ونطلق عليهم لفظ سنّة بلا تمييز بينهم اللهم إلا إن فقدنا العقل والرشاد، وكيف تكون المصادر الشرعية هي الكتاب والسنّة فيكون من بين المصادر الشرعية البلح والسواك والحبّة السوداء والحجامة.الخ.؟؟؟

كلمة في اللحية

*إنّ اللحية التي تصوّروا أنها سنّة ألم يروا أن القساوسة تطلق اللّحى فهل هم يقيمون سنّه؟؟وإذا ما كان رسول الله قال أنها من سنن الفطرة فيعنى ذلك أنها كشعر الرأس فهو من سنن الفطرة ولا دخل لك فيه إلا هندامه ولا شأن لوحي سماوي أو تقرّب إلى الله في السنة الفطرية في شعر رأسك، وإذا ما كان النبي أمر بإطلاق اللحى وجزّ الشارب إنما جاء أمره للطهارة والهندام وحسن المظهر في بيئة شحّ فيها الماء وليس للتقرّب إلى الله شأن في إطلاقها، فإننا لم يرو لنا فيما روى أنّ المشركين أو أحدهم بالجزيرة العربية كان قد حلق لحيته، وعلى ذلك لا يختصّ الإسلام بشأن اللحية ويكون القول في اللحية من باب العادة وليس من باب العبادة، كما أن الذي جذّ لحيته لن يدخل النّار لأنه غيّر خلق الله ومارس المعصية أربع وعشرون ساعة في اليوم، فليست هناك نصوص تحريم في هذا الأمر، اللهم إلا من تقوّلوا الأمر حلالا وحراما، قال تعالى{.........وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ }الأنعام١١٩، فضلا عن أن الأمر بالحرمة يكون مفصّلا وواضحا وبارزا وعليه شاهدين هما القرءان والسنة لأن الله لا يتربص بعباده الدوائر، فأين الحديث الصريح لرسول الإسلام الذي يحرّم حلقها ويودى بحالقها إلى النّار؟؟وكيف خرج الفقهاء بهذا الحكم الجائر بالحرمة؟؟ وأين ما يفيد أنها(اللحية) مما يقرّب إلى الجنّة ؟؟.

الحق الذي يجب أن ينتهجه النّاس ألاّ تؤخذ الأحاديث الواردة في اللحية على تأويل الحرام والحلال أو السنّة وإنكار السنّة ودعكم من مؤلفات أسهبتم فيها من أجل اللحية بينما الأمة كلّها في أيامنا هذه هي أسوأ أمّة في النّاس، وصرنا بغير عزّه بينما الأصل أنّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

أنتهي في ذلك إلى أن منهج البعض في اللحية والشارب والسواك والحجامة وغيرهم أخرجهم من السنّة إلى الافتئات على الشريعة ورسولها ببعض الزركشات والوسائل التي تصوّرونها أهدافا بينما هي وسائل تتغيّر من آن لآخر وفق المد العلمي أو الحضاري للأمم.

*إن الدعوة الإسلامية تحصد الشوك من أناس قليلي الفقه كثيري النشاط ينطلقون بعقولهم الكليلة فيسيئون ولا يحسنون....ترى ماذا يفيده الإسلام من شبّان يغشون المجتمعات الأوربية والأمريكية يلبسون جلابيب بيضاء ويجلسون على الأرض ليتناولوا الطعام بأيديهم ثم يلعقون أطراف أصابعهم !!وهذا في نظرهم هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في الأكل والسنّة التي يبدأون من عندها عرض الإسلام على الغربيين. هل هذا أدب الإسلام في الطعام؟

وعندما يرى الأوربيون رجلا يبغى الشرب فيتناول الكأس ثم يقعد بعد أن كان واقفا ليتبّع السنّة في الشرب، فهل هذا المنظر الغريب هو الذي يغرى بدخول الإسلام؟؟؟ وألا تكون هذه التصرّفات من الخروقات الفكرية إذا ما زعمنا أنها سنّة تدخل الجنة؟؟.............(راجع: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي للشيخ محمد الغزالي رحمه الله ص٥٩).

ومثال آخر يثبت اهتمامنا بالتراث وبالتوسع في السنّة أكبر من اهتمامنا بكتاب الله والفرائض، حيث ترى الناس يتصارعون من أجل صلاة ركعتين أو عدم صلاتهما حال خطبة خطيب الجمعة بينما لا يهمهم مسألة تأخر هذا المصلى وحضوره إلى الصلاة كل جمعة متأخرا وزاهدا عن سماع الخطبة رغم علمه اليقيني بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الجمعة:٩) ومع علمه بفرضية البكور إلى الجمعة وسنيّه صلاة ركعتين تحية المسجد أو صلاة ركعتي سنّه قبل الجمعة، لكنه يقدّم السنّة على الفريضة في اهتماماته، بل ويفضّل أن يقف منتصبا بين الناس ليصلّى السنّة على أن يكثّر من سواد المسلمين بالبكور في يوم الجمعة كما أمر الله وأوصى بذلك رسوله.

الإسلام والسيف

*ولعل المناهضين للإسلام أخذوا عنا صورة انتشار الإسلام بالسيف وذلك من حديث مزروع في جسم صحيح البخاري ومنسوب إلى رسول الله قوله ـ وما يقوله أبدا رسول الله ـ حيث ذكر وروى قول: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله... فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم) وكان خطباء زمان صباي يخرجون إلى الناس ويصعدون المنابر وبيد كل منهم سيف من حديد أومن خشب، وكان من لم يجد منهم السيف خرج على الناس بهراوة طويلة ، وكانوا يعتبرون ذلك رمزا للجهاد، حتى إذا ما أدانتهم ثقافة الملل الأخرى ونعتتنا بقهر الدول التي دخلها الإسلام تركوا السيوف الحديدية والخشبية ولكنها بقيت في عقولهم وسطور كتاباتهم ، ولست أدري ألم يسمع أحد بقول الله عز وجل (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة:١٩٠).

فهل نقاتل الناس هجوما كما جاء بنص الحديث أم ندافع بلا عدوان كما جاء في الآية ؟؟؟والعجيب أن الشيخان حينما ذكرا الحديث في صحيحيهما قالا عنه أنه صحيح مع غرابته (واللفظ الأخير لابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري ص ٩٥ ج١ طبعة الريان)....فكيف يكون الحديث غريبا أي غير معقول ونتبناه منهاجا وننسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟وكيف يتصوّر عاقل أن رسول الله وصحابته أصحاب سيوف يأخذون بها رقاب العباد وأموالهم أو يسلموا لتوهب لهم الحياة ؟؟ لقد صوّرتهم هذه الرواية على أنهم قطّاع طرق وليسوا أصحاب رسالة ودعوة إلى الله، هذا بالإضافة إلى ما على الحديث من مآخذ من العلماء، لكن من أطلقوا على أنفسهم اسم جمهور العلماء روّجوا لهذه البضاعة الدموية.

بل إنك ترى دولا وأحزابا إسلامية وقد اتخذت من السيف شعارا يعتبرونه إسلاميا بينما رسول الشريعة كان أرق الناس وأرحم الناس.

ثم عودة أخرى إلى واجب الدعوة إلى الله وتوحيده وإلى دين الله الإسلام، هل هذا الذي نراه هو نموذج الحكمة والموعظة الحسنة ؟؟ سواء أكان ما نراه من تفرّق أو ما نراه من تناقض أو ما نراه من معتقدات هي أحطّ عند الله من جرائم الزنا والسحر وغيرها من الكبائر، فإن سقطة الفكر أكبر من سقطة الشخص أو أحد أعضائه، فسقطة الفكر ضحاياها كثيرة أما سقطة الشخص أو أحد أعضائه ففي ذاته أو على من حوله.....ومن حوله قليل، وهل جريمة جحد بعض آيات كتاب الله لمصلحة مرويّات من الأحاديث إلا إحدى الكبر !!!ورغم ذلك يمارسها النّاس يوميا وهم ذاهلون عن كونها من الكبائر وما ذلك إلاّ بفضل الفقه البدوي وفقه البترول الذي انتشر بين أدعياء السّنة.

لذلك كان جلّ همّي أن أجمع بعض تلك المعتقدات والأفكار الهابطة أو المتناقضة أو المدسوسة وغيرها من السلوكيات التي أثّرت على مسيرة الأمة وستؤثر عليها أكثر وأكثر؛ حتى لا يأتي زمان يخرج فيه شبابنا عن دين الإسلام ونكون نحن أحد أسباب ومقوّمات خروجهم عنه ـ أعاذ الله الإسلام وأهله من هذا المنقلب ـ وسوف أحاول جهدي والمخلصون من حولي أن أجمع تلك المعتقدات والأفكار والسلوكيات وأجمع الدليل على سقوطها من كتاب أجمعت الأمة على أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كتاب تعهّد الله بحفظه مهما عبث العابثون وأهمله المهملون، وسوف أستعين بما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قولا وفعلا مما أجمعت الأمة على صحته.... إن كان لها إجماع، وإن كان للإجماع حجة فلن تكون له أية حجية في مواجهة نصوص كتاب الله.

وأجد لزاما عليّ أن أذكر ما قاله شيخ الإسلام محمد الغزالي في كتابه تراثنا الفكري في ميزان الشّرع والعقل(إنني ألفت النظر إلى أن المواريث الشائعة بيننا تتضمن أمورا هي الكفر بعينه) ص٦٠ من المرجع المذكور.

وأجدني صاحب حق إذا ما طلبت من هيئاتنا العاملة في مجال السنّة التدخل بتصحيح هذه المفاهيم وإزالة بعض المعتقدات في المرويات التي أرى أنها مدسوسة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وفي تقديري أنها مدسوسة على أصحاب الصحاح أيضا، كما أرى لهذه الهيئات واجبا آخر هو محاولة تجميع ما صحّ عن الفرق الأخرى وإنشاء جسور الحوار لإخراج مؤلف واحد متفق عليه بين جميع طوائف المسلمين تمهيدا لإزالة هذه الطوائف وجعلها طائفة واحدة كما أراد الله عز وجل في قوله: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء:٩٢)، وكما حذّرنا فقال {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }الأنعام١٥٣. وأوصيهم أن يخرج هذا الأمر إلى النّور قبل يوم القيامة.

وهكذا فإني لا أتصور فقيها سيطول زمانه مهما طال واستطال وهو يتلوى ويتلون كي يبقى على حاله قرونا وقرون، لا أتصوّر فقيها حاله التبرير سيدوم، إنكم تسخّرون الناس لهواكم تحت ما يسمّى جمهور العلماء ولست أدرى هل جمهور العلماء الأحياء أم جمهورهم من الأموات أم مجموع الاثنين معا، وهل جمهورهم من علماء أهل السنة أم من أهل الشيعة أم من الاثنين معا......وهكذا، وأجد الحق كل الحق فيما ذهب إليه شيخنا الجليل /محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق من عدم وجود حجة شرعية اسمها الإجماع.

وأيضا حين تجد خلافا لحديث مع آية يقال لك إن للآية قراءات لأن القرءان نزل على سبعة أحرف، وكأنه يقول أن الله أنزل سبع نسخ مختلفة من كتابه أو تراه يقول لك أن الحديث نسخ وأزال الآية من الوجود وفق مذهب بعضهم في نسخ السنة للقرءان.

وهكذا نشأ علم التبرير وبالتالي تشرذمت ديار الإسلام....... فهذا سلفي يظن نفسه على سنّة الحبيب وينعت من يتشدقون بأنهم أهل السنة بأنهم الأشاعرة، وهذا شيعي تصور السنّة في ذاته فلبس عمامة سوداء، وهذا من مذهب أهل السنّة لبسها بيضاء وهذا صوفي يرى انه ما من أحد يحب رسول الله وعترتة غيره هو، والجميع يظن أنه على سنّة رسول الله، وبينما هم ذاهلون عن قضيتهم الأساسية نسوا أجيالا من الشباب والأطفال لهم زمان غير زماننا يدخل عليهم الغرب بآلات الأقمار الصناعية في كل بيت ومع كل جهاز حاسب آلي يطرق أفكارهم بتناقضاتنا وتفرّقنا حتى يذبل الإسلام في عقول أهله، وها هو قد هلّ علينا هلال الخراب بجماعات عبدة الشيطان ونحن نحارب من يحاول أن يفكّر في تصحيح المسار الثقافي والفكري بتطوير الدّعوة ومضمونها.

وهكذا بدا لى ضرورة اعتناق الفكر الذي يرى أن رفض الرواية لعدم تواؤمها مع كتاب الله هو خلاف فكري وليس خلافا عقائديا وخلافا في فرع وليس في أصل، بينما الذي يختلف ويتمسك بحديث به خلاف مع آية في كتاب الله فهو مختلف في أصل من الأصول وليس في فرع، كما وأن التفكّر مطلوب، وعدم تكفير الناس مطلوب، وعدم رجم المخالف للمذهب مطلوب، وإخلاص أصحاب المناصب في الهيئات الإسلامية لتطوير الدعوة وفق صحيح كتاب الله بلا مسخ ولا نسخ ولا تبرير مطلوب، والالتزام بصحيح السنّة بلا توسع ممجوج أمر مطلوب....وهكذا .

الـهدف

ألتمس من الله العون من أهل الإخلاص حتى تخرج هذه الدّعوة إلى النور في أهدافها التالية:.
١. (هيمنة القرءان على السنّة وتوحيد الأمّة) تحت راية(............ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (الشورى:١٣) وعدم إنشاء تضارب بين القرءان والسنّة باسم فقه السنّة.
٢. وأن تكون إقامة الدين مضمونا مدروسا بعناية من مجامعنا الفقهية على أن تكون أدوات العصر لازمة من لوازم الدّراسة ،ولا تكون إقامة الدين شكلا مفرّغا من المضمون التزاما بمحفوظات العصر القديم مهما اختلفت الأدوات والمفاهيم وذلك حتى يؤتى تطوير الدّعوة ثمرته المرجوّة لأجيال نرجو من الله أن يوفقنا لنمهد لها سبيل حياة فيها عزّة أفضل مما كانت عليه حياتنا وصورتنا بين الأمم.
٣. كما أدعو الهيئات العاملة في مجال الشريعة إلى إعادة دراسة فقه المذاهب والخروج بفقه موحّد ولو لأهل السنّة فقط كمرحله أولى، ولا يقولن قائلهم أن الاختلاف في الفروع فإن هذه المقولة أصبحت من المضحكات المبكيات، ثم توحيد راية الفقه لكل الفرق بعد ذلك للخروج بمذهب موحد لأمّة موحدة غير متشرذمة على أن يتمّ الأمر وفق خطّه زمنية مدروسة وليس على التراخي الأبدي.
٤. إعادة صياغة الشروط اللازمة للالتحاق بمعاهدنا الدينية على أسس علمية ودراسة للمتقدم من الوجهة الإيمانية والشخصية وليس على أساس حفظ عدد من السور، وأن يلتزم المتخرّجون بإصدار بحوث يتم تقييمها على غرار أساتذة الجامعات، ويتم التقييم في الترقي والاشتراط للاستمرارية في الدعوة على أساسها.

(من صور إسلام هذا الزمان)

كثير من المسلمين من يعتز بإسلامه بصورة خاصّة فتراه وكأن كلمة الإسلام آخر هدف من أهداف حياته، وتراه وكأنه يعتزّ بإسلامه وسط الكفّار من قريش وكفّار عاد وثمود رغم كونه يعيش بين جيرانه وأهله من المسلمين، وتصوّر هؤلاء المعتزّون بإسلامهم أنهم قد وصلوا إلى محطّتهم النهائية التي منها يغادرون إلى جنّة الخلد، ونسى هؤلاء في غمرة ما هم فيه من زهو

بإسلامهم تعاليم الإيمان الذي لا يداخله شرك، فتراهم يتشدقون بثقافتهم الدينية بل وترى خريجو المعاهد والجامعات الدينية يصفون أنفسهم بالمتخصصين، وأن هناك آخرين اقتحموا عليهم المجال من غير المتخصصين (يقصدون غير الدارسين دراسة أكاديمية) وكأن الإسلام في نظرهم ونظرياتهم مجموعه من القراءات في كتب أصحاب المذاهب المتناحرة – وكأن هذه الشهادات وتلك القراءات هي التي تميّز أصحاب العمائم عن أصحاب الطواقى – وهكذا وجدت نفسي بين أناس يتناقضون في حالهم مع ما يقولونه بألسنتهم، فبينما تراهم يقولون ما ينسبونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى)، تراهم يتمايزون فيما بينهم بغير التقوى، ولربما ظنوا أن التقوى، هي شهادة من إحدى الجامعات أو المعاهد الدينية.

وعوده إلى المسلمين ومن يزأرون بإسلامهم لأذكّرهم بأن الله تعالى ذمّ أقواما في القرءان لأنهم اكتفوا بإسلامهم فقط حيث قال تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الحجرات:١٤)

ثم قال عن هؤلاء الأعراب في آية أخرى:(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ*وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ*وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٩٧– ٩٩ التوبة).ويقول تعالى في آية أخرى(وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) (التوبة:١٠١)

ومن جماع ما تم سرده من آيات كتاب الله يعلم المسلم أن الإسلام ليس هو المبتغى ولا المنتهى لأننا كأمة إسلامية تدين بالإسلام لسنا منقسمين إلى كفار ومسلمين، بل ننقسم وفق أعمالنا إلى مسلمين ومنافقين ومؤمنين ومتّقين ،وحتى المنافقين منا فإنهم أصحاب نفاق عمل وليسوا أصحاب نفاق عقيدة، لذلك فلابد للمسلم أن يضع همّه في الاستزادة من كافة العلوم ومن التطبيق الواعي لكتاب الله بدلا من استشعاره التمايز لكونه مسلم وهو أمر ممجوج.

لذلك لابد أن يعلم المسلم أن الإنسان يتمايز بالقدر الذي ينفّذه من الدين ولا يتمايز بكونه مسلما، ويجب أن يدرك أصحاب الثقافات الأكاديمية في دين الله أن دين الله ليس دينا يخرج من الكتب إلى الأدمغة وتنطق به الألسنة وتحرز به الشهادات والمناصب دون أن يكون لذلك علامة على صحته في سلوك القائل أو الدّارس، لأنه إن لم يكن له علامة واضحة في سلوك الفرد فإنه يكون بئس الدّارس وبئس القائل، ولن يتمايز الناس في الآخرة بشهاداتهم الأكاديمية ولا مناصبهم الدّينية، ولا يحل لرجل كان أو امرأة أن يستنبط من ذوات نفسه أن في التبرّج حريّة أو أن الأمر بالحجاب فيه فظاظة ولا تتصور إحدى المتبرجات ومن وافقها من محارمها وأولى الأمر عليها أنها مؤمنة، بل هي مسلمة عاصية مارقة عن حدود ما أمر الله ورسوله كذا وليّها الذي وافقها أو انهزم أمام رغباتها في التبرج يلحق بها في الحكم عليه بالمعصية كذلك، وهكذا يجب أن يكون الأمر في كل حياة المسلم.

إن فقها يهتم بتحريم الموسيقى /والتلفاز/ والنرد/ وتحريم صوت المرأة وظهور وجهها وتعطّرها وخروجها من بيتها/ وتحريم قص الأظافر والشعر في العشر الأوائل من شهر ذي الحجة/ وتحريم حلق اللحية/ والصور الشمسية/ والتماثيل في البيوت وخارجها /وتحريم أن تفرح العروس وتحتفل بزواجها إلا بالقرع على الدفّ وحده/ وتحريم لقاء الأقارب من الذكور والإناث في المناسبات وغير المناسبات /وتحريم الصلاة في البيوت للرجال لدرجة أن لديهم فقها يجيز حرق البيوت على من يصلّون فيها/ وتحريم مسّ المصحف إلا بوضوء/ ومن أعظم الذنوب عندهم نسيان الحافظ للقرءان لأي آية /وتحريم الاستلقاء على القفا/ وتكريه تشبيك الأصابع في المسجد/ وتحريم خضب اللحية والشعر باللون الأسود ومن يفعل ذلك لا يشم رائحة الجنة في فقههم /كما أن ترك الجهاد يورث النفاق في فقههم ويوجب العذاب /وعندهم كراهية نتف الشعر الأبيض من الرأس واللحية /ولديهم ولع بالاهتمام بتقصير الجلباب وتأثيم المجتمعات ومعاداتها لأتفه الأسباب/ واستحباب نهش اللحم دون تقطيعه بسكين أو نحوه /ولعق الأصابع

بعد الفراغ من الأكل لإحراز البركة /ولهم دروب في استخدام آيات الله للشفاء ولرحمة الموتى الجدد أو الذي يحتضر منهم،وتراهم لهم ولع وشوق ممزوج بالفخر حين يقومون بتغيير أحكام كتاب الله بل وابتداع أحكام جديدة باسم السّنة النّاسخة لكتاب الله.....الخ.

إن مثل هذا الفقه يكفى لتجميد تقدّم أي أمّة وهو فكر لمنع الحضارة باسم ما يدّعونه أنه دين وما ذلكم إلا للتقليد الأعمى دون تمحيص مع توقف الفكر بسكتة ينسبونها إلى السلف تارة وإلى السنّة تارة وإلى مراجع من صنع بعضهم تارة أخرى.

ولقد اختلّت الأسبقيات في الأدمغة فترى الناس تبادر بالصلاة على رسول الله إذا ما ذكر اسمه في مجلسها بينما هم لا يعظّمون الله إذا ما ذكر اسمه سبحانه وتعالى، وتراهم يبادرون بالاحتجاج بالدليل من الحديث والروايات والقصص بينما تجدهم فقراء في الاستدلال بالقرءان رغم تيسير الله القرءان للذّكر، وتجد كثير من النّاس يتباهون بحبّهم للمدينة المنوّرة عن حبّهم لمدينة مكّة ويتصوّرون بذلك أنهم أهل دين وورع، وترى الحاج منهم يتباهى بأنه لمس شبّاك النبي أكثر من استشعاره الفخر لأنه طاف حول الكعبة أو صلّى عند مقام إبراهيم عليه السّلام.

ناهيك عن بعض الاعتقادات العجيبة المستمدة من كتب الصحاح والتي تخالف كتاب الله من وجود أحاديث يعتقدون فيها أن الله تجلّى على الجبل بعقلة من أنملة إصبعه فنسبوا لله التجلي المادي(مسندأحمد١٢٧٠١&١٢٧٦٦& ١١٨٥١ وسنن الترمذي....الخ)وأن النار لا تنزوي ولا تكتفي إلا إذا وضع الله قدمه فيها (البخاري ٧٤٤٩&٧٣٨٤&٦٦٦١ ومسلم ٢٨٤٦ وغيره) وقال بعض فقهاؤهم أن هذا لإذلال جهنم وقالوا بأن الله يتنكر في صور عديدة (البخارى٤٥٨١ مسلم٢٢٩) وأن لله أصابع وعددها خمسة (رواه البخاري ومسلم وابن حجر).

وأساءوا إلى الأنبياء بزعم أنهم جميعا كذبوا إلا رسول الله محمد صلّى الله عليه وسلّم، وأن سليمان عليه السلام كان مزواجا يروى مغامراته النسائية على من معه ويقسم بالله أنه سيطوف على مائة امرأة في ليله واحدة، وأن نبي الله محمد كان ينظر إلى النساء الأجنبيات فيعجبنه فيأتي إحدى نسائه..... وغيرها من الاتهامات الوضيعة كقتل الأسرى وهم مكتوفي الأيدي واستحلال نسائهم، كلّ ذلك يكفى للتشهير بأي رجل مهما كان قدره، لكنهم استحبّوها لأنها وردت فيما يسمى بالصحاح عندهم ونحن لا نصدقها لأننا نصدق قوله تعالى ({وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }القلم٤ . ونؤمن بأنّ الله اصطفى الرسل والأنبياء على سائر الخلق {إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ }آل عمران٣٣، وأن الله هداهم وأمر النّاس بالإقتداء بهم. ونصدّق في النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه كان يطعم الأسرى ويحسن إليهم لقوله تعالى ({وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً }الإنسان٨.

واعتقدوا أن النبي كان يميّز الرجال على الإناث ، كما يعتقدون بأنّ البرص اشترك مع الكفار في إحراق إبراهيم عليه السلام(البخارى٣٣٥٩ ابن ماجه٣٢٣١ ابن حبان ٥٦٣١)وهم يرون أن الشيطان علّم أبا هريرة فضل آية الكرسي ،وقالوا بأنه علّم معاذ بن جبل وقالوا بأنه علّم أبا بريده وأبا أيوب الانصارى وأبا أسيد الساعدى وزيد بن ثابت (البخاري ومستدرك الحاكم وغيرهما كثير) ،وقال البخاري أن الدخان المبين الوارد ذكره بكتاب الله خيال حدث لقريش ،وقال مسلم أنه حقيقي وسيأتي قبل أن تقوم الساعة، وزعموا بأنّ الرسول أمسك عفريتا وتفلّت منه(البخارى٣٢٩٨ مسلم ٢٢٣٣) وقالوا بأن أبا هريرة هو الذي أمسك العفريت (البخارى٢١٨٧) وقال مسلم وغيره أن المؤمنين سيموتون قبل يوم القيامة بينما يقول تعالى (لا تأتيكم إلا بغتة) فلمن يقول تعالى (لا تأتيكم)؟؟؟ وقالوا بأن رسول الله أخبر الصحابة بما هو كائن ويكون إلى يوم قيام الساعة (البخارى٣١٩٢ مسلم٢٨٩١/٢٣) بينما يقول تعالى {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }الأعراف١٨٨، كذا قوله تعالى ({قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ }الأنعام٥٠، ويقول تعالى (إنما الغيب لله)، وهم

يعتقدون بأن القرود أقامت حد الرجم على قردة وقرد زنيا (البخارى٣٨٤٩) رغم أنّ القرود ليست من المكلّفين الذين حملوا الأمانة، ويعتقدون بالرجم على بنى الإنس رغم سورة النساء(آيه٢٥) التي تبيّن عدم وجود رجم وآية سورة النور التي تقرر بوجوب الجلد(آية٢) مما سيأتي بيانه تفصيلا في الباب الثاني، وبينما قال تعالى {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ }النور٣٠، تجد بعض فقهائهم يقول بجواز نظر الخاطب لكل شيء يريد الإطلاع عليه(راجع المغنى لابن قدامة في الفقه الحنبلى٧/٤٥٤ وصححه الالبانى وقال الاوزاعى ينظر إلى مواطن اللحم)!!!!! ، وعندهم أن الصحابة كانوا يتسابقون لتلقف نخامة رسول الله فيتناوبونها فيدلكون بها وجوههم (البخاري) بل أنّ سند هذا الحديث عندهم فيما يسمّى السلسلة الذهبية للإسناد رغم أنه لا يتنخّم إلاّ المريض فيتخلّص من النخامة لما فيها من الأذى.....الخ.

إن على المسلم واجبا في أن يعلم أنه مسئول عن الأخذ بقوّه بكتاب الله (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً) (مريم:١٢) ويقول تعالى (........خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }البقرة٦٣، ولا يتبع ترّهات القول. وإن أخذ الكتاب بقوّة ليس مقصورا على نبي الله يحيي أو على بنى إسرائيل فقط، ولابد أن يعلم المسلم أنه مأمور بأن يعتصم بحبل الله المتين ودينه القويم وبالاتحاد وعدم التشرذم لخلافات مذهبية لقوله تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران:١٠٣) .

إن الله قد ذمّ الذين تفرّقوا من بعد ما جاءهم العلم فلا يتدابر المسلم أخيه المسلم لاختلاف في الرأي في مسألة فقهيه؛ ولابد للمسلم أن يعلم بضرورة تدبّر القرءان، ولابد له من دراسة سيرة النبي وسنّته الدراسة الحقيقية الواعية وليست دراسة النقل بلا عقل، ثمّ الأخذ بما درسه ووعاه في كل حياته وتلكم هي السنّة الحقيقية التي أفردنا لها موضعا في هذا المؤلّف وليست سنّة الزركشات والسمات الشخصية والشاذ من القول والقصص التي لا علاقة لها بوحي النبوة، فلم ينزل جبريل عليه السلام بسواك، ولم يكن الاختلاف في طريقة الشرب أو الأكل أو اللباس عن رسول الله طريقا للرعونة أو الفسق، ولن تكون الطريقة البدوية في العلاج أو الشراب أو الطعام أو اللباس طرقا لدخول الجنّة ولا للشفاء من الأمراض، وإن كان رسول الله فعل ذلك فإنما كان يتعايش وفق معطيات البدويّة التي نشأ فيها، ولم يكن له خيار آخر ولكن تلبّس على هؤلاء الأمر كلّه، وتداخلت عندهم السنن التي تقرّب إلى الله مع أمور العادات التي تقتضيها ظروف كل مجتمع ونسبوها جميعا إلى ما هو مقدّس وهو السنّة، ثم ما لبثوا إلاّ وتركوا المهمّات وتمسكوا بالزركشات والعادات حتى صار الناس لا يعرفونهم إلاّ بها، بل وتطاولوا في تفسير مرادهم والتفّوا حول عنق الآيات لينشئوا لفقههم المعوج سندا يبهرون به البسطاء.

ومن سوء مظاهر القصور الديني قيام الناس بعقد القرءان بين العروسين في المساجد بل وفى مشيخة الأزهر تأسيّا بالنصارى الذين يفعلونها في كنائسهم (رغم العرى النسائي والفسق الرجالي الذي يصاحب تلك الحفلات في الأماكن المقدّسة ورغم عدم رعاية أغلب تلك الأعراس لدين الله قبل أو بعد الحفل المبارك)....لكنها البركات وكفى، وبهذا يتصوّرون أنهم قد جمعوا الرّحمة والبركة من مشيخة الأزهر أو من المسجد.

وأذكر أنى قرأت عن أنّ أحمد عرابي باشا أقام مع رجاله قبيل موقعة التل الكبير حفل ذكر على الطريقة الصوفية كي ينصره الله على الإنجليز وكانت النتيجة أن انهزم في ثلث ساعة. وما ذاكم إلا لغروب شمس الإخلاص الإيماني قبل وبعد الحفل.

*ومن الرزايا ممّا ابتليت به الأمة.... دعاة قصّاصون يصلون إلى شبق المستمع لهم عبر استجاشة المشاعر بقصص وروايات عن الغابرين أو الصالحين الغرض منها مداعبة المشاعر، وتلك الأقاصيص مما ابتليت به الأمة وأدمنته في منهاج الدعاة والمدعو فيهم، فلست أرى أن إثبات الخشوع في الصلاة يحتاج لقصة ذلك الرجل الذي يصوّرونه صالحا حين أصبح من المحتّم قطع رجله

لمرض أصابها فطلب من أطبائه أن يمهلوه حتى يدخل في الصلاة فإن دخل فيها فليقطعوا رجله، ففعلوا ذلك أثناء صلاته ولم يشعر الرجل، إن في هذه القصّة وغيرها مخالفة للعقل و للقرءان والسنّة إن تدبّرها المسلم بعقل واع وذلك لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ....) (النساء:٤٣).وكلمة سكارى المذكورة في الآية لا يختص بها خمر، وهو ما سيرد ذكره في موضعه عن موضوع (هل نزل تحريم الخمر على التدريج أم نزل دفعة واحدة؟؟).

فإذا كان الرّجل سيعقل ما يقوله في صلاته ويدركه فلا شك أنه سيدرك ما يسببه قطع رجله من آلام، كما أن القصّة فيها تيئيس للمسلم...لأنه لن يمكن لأي مسلم مهما كانت درجة تقواه وخشوعه الوصول بصلاته إلى هذه الدرجة من الخشوع أبدا وهى الدّرجة التي لا يشعر معها بما يفعل به من قطع لرجله.

وما يتناقلونه عن خشية عمر بن الخطاب وخوفه من ربه حتى أنه كانت له في كلتا وجنتيه مجارى من كثرة دموعه وبكائه ولست أرى إلا أنهم يقذفون عمر بأنه لا يغسل وجهه، أو أنه كان يدمع سائلا غير معروف للبشرية حتى يترك مثل هذا الأثر المدّعى به....لكنّها دروب أهل القصص الذين تمادوا في مؤلفاتهم ومؤلفات غيرهم حتى أن هناك زنديقا ألّف كتابا أسماه (الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار) ولم ينس أن يكتب على كتابه أنه من أعيان القرن العاشر الهجري، ولم لا يكتب ذلك والناس مولعون دوما بالأقدمين كأن لسان حالهم يقول أن من مات منذ ألف سنة أفضل من موتانا اليوم، وهذا الفكر من ضمن بلايا الثقافات التي لا أصل لها إلا الظنّ الذي لا يغنى عن الحق شيئا، لقد كتب هذا الزنديق قصص عن كرامات الأولياء أقل ما توصف به أنها انحطاط خلقي وخرق عقلي ولكنّه إدمان القصص الذي يولع به السذّج، كما لم نسمع عن من رجم ذلك الزنديق بإنكار السنّة كما يفعلون مع عقلاء الأمّة الذين يريدون لها توحيدا في طهارة من رجس الشرك الخفي الذي يدسونه للأمة.

*ولقد سمعت خطيبا يحاول أن يحبّب النّاس في سنّة السّواك فقال لهم ما يقصّونه منذ القدم أنّ الرّوم انسحبوا لمّا علموا من رجال الاستطلاع فيهم أنهم رأوا المسلمين في عسكرهم يسنّون أسنانهم ليأكلوا الأعداء من جيش الروم فانسحب جيش الروم قبل الصّباح من شدّة الخوف . مع أنّ المسلمين كانوا يستعملون السّواك ولا يسنّون أسنانهم إنما ينظّفونها وفقا للسنّة . أي عقول هذه التي كانت تقول أو تلك التي كانت تسمع، لكنّه تراثنا الفكري والثقافي المبكى المضحك.

*ومن رزايا السمات في الحقل الإسلامي في هذا العصر (التكبّر الطائفي) فالصوفية يتكبّرون على السنيّة بما في قلوبهم من روحانيات ليست موجودة على الساحة السنيّة ويشمخون بأنهم أحباب آل بيت رسول الله، والسنية يشمخون بالحقيقة العلمية التي في عقولهم على الصوفية الذين لا علم لهم، والصوفية يرون أن عندهم علما لدنيّا اصطفاهم الله له واصطفاه لهم، وجماعة إسلامية هنا حصرت الحق فيما تعلم وتوصم باقي الجماعات بقصر البصيرة، ونساء منتقبات يرون النقيصة في أخواتهن المحجّبات، وترى بين المحجّبات أيضا تشامخ وتمايز فحجاب هذه أفضل من حجاب الأخرى لأن الأولى ترتدي ما أطلقوا عليه اسم (الخمار) أمّا الثانية فترتدي الطرحة لهذا فهي أقلّ إيمانا في زعمهنّ عن صاحبة الخمار؛ وهكذا دوما أنا قريب من الله والباقون بعيدون عن رحمة الله في ذلك الفكر المعتلّ الذي أفرزته ثقافة الرياء بالعلم والرياء بالعصبية وما ذاكم إلاّ من باطن الإثم الذي ملأ قلوب هؤلاء وهؤلاء.

وبينما يموج أهل الإسلام في الخلاف المذهبي والسياسي تجد دولا أوربية اتّحدت من أجل رخائها ونمائها، بينما دولنا ترزح تحت نير التفرّق.........وهكذا، وجميع هذه الأمثلة أذكرها دون أن أتعرّض لمنطقة الفسّاق أو الغير متدينين من أهل السياسة أو الفن وغيرهم.

وإلى من يتشدقون بضرورة تغيير الخطاب الديني لابد أن يعلموا أنه لابد أن يتغيّر المخاطب ويتغير الخطاب حتى يتغير المخاطب، فيما عدا هذا فإن ما تبذلون هو لهو زائل كشأن سائر الأمر في حياة أغلب المسلمين حتى أصبحنا أسوأ الأمم في الناس بعد أن كنا خير أمة أخرجت للناس.

ولن يكون تغيير الخطاب الديني أبدا على يد امرأة متبرجة في برنامجها التليفزيوني ولن تضيف شيئا إلى الرصيد الإيماني لأهل الإسلام، مهما اشتهر ومهما ذاع صيت برنامجها ، وليترفع أصحاب العمائم عن حضور مثل هذه البرامج أمام المذيعات المتبرجات حتى يحفظوا آخر معاقل الشو الديني للزىّ الديني الذي ينتمون إليه، لابد أن يتغير الوجه القبيح للتلفاز فلا يقدم مثل هذه البرامج سواقط القيد الإيماني، بل يجب أن يقدّمها من يتمتعون بقدر مرموق من الإيمان حتى وإن كانوا من غير فئة المذيعين، وأن يكون للإيمان علامة غير القلب الأبيض الذي

يدّعونه دوما، هذا إذا أردنا للأمة الرفعة وكان هدفنا الإصلاح فعلا، وليكن الإعداد لمثل هذه البرامج أكثر دقّه ويخرج من معين علمي وميزان إيماني حتى لا تأتى النتائج وفقا لما يريده أهل الأهواء.

ولا يزأر مسلم بإسلامه فإن الإسلام أول المراتب شريطة أن يكون إسلام القلب مع إسلام القوالب، فإن إسلام اللسان لا خير فيه، وإذا كان الأمر كذلك فليسأل كل مسلم نفسه أين هو من الإيمان وأين هو من التقوى وأين هو من الإحسان ؟؟؟، ولماذا لم ينهل من مناهلهم ؟؟ ولماذا لم يصل إلى درجه من درجاتهم ؟؟

فالمسلم الحقيقي لا يكتفي أبدا بإسلامه، بل تراه ينهل ويلهث ليحصل على الدرجات العلى كل يوم حتى يصل يوما إلى درجة الإيمان ، ثم هو ينهل ويلهث مره أخرى حتى يصل إلى درجة الإحسان.......... وهكذا ولابد لك إن كنت مهندسا أو تاجرا أو ضابطا أو غير ذلك أن تكون السّمة الغالبة عليك وعلى من يتكلّم معك أو يتعامل معك هي التديّن بما عناه الله من قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات:٥٦) وما قاله النبي (أعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وتحاول دوما أن تكون ممن قال الله فيهم{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }آل عمران١٩١ وأن تتبع هدى النبي في ألاّ تصاحب إلاّ مؤمنا ولا يأكل زادك إلاّ تقي وهو أمر لا يدركه التخصص ولا المتخصصين بتخصصاتهم وعلومهم الأكاديمية إنما يدركه أصحاب القلوب المؤمنة سواء أكانوا متخصصين أم غير متخصصين.

وعلى المسلم أن يعلم أنّ كثيرا من الأحاديث تم دسّها على رسول الله وعلى كتب الصّحاح فلا يتّخذ المسلم من المنهاج القصصي الغير موثّق منهاجا لاستدلالاته عن أي مسألة لأنّ من وضعوا الأحاديث يسهل عليهم أكثر تلفيق القصص الذي يأخذ بالعواطف ويلهبها لتوثيق ما وضعوه من أحاديث على النبي، وإن المسلم إن لاحظ في نفسه هوى للقصص فعليه بأن يدرس أحسن القصص وهو القصص الموجود بين دفتي كتاب الله، فلو كانت هناك فائدة أشمل وأعمّ في القصص لرواها لنا الله عبر كتابه الذي لم يفرّط في شيء حيث يقول تعالى{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقرءان وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }يوسف٣.

التخصص وظلال التخصص

لقد تصور كثير من الناس تحت وطأة ما أسموه بالتخصص في دين الله أن المهندس أو المحاسب أو الضابط....الخ لا شأن له بالعلم بدين الله، وإنما هو مهندس تخصص في الهندسة أو محاسب تخصص في المحاسبة.........الخ وما هذا إلا من صيحة أراد بها من أطلقها في أول حين أطلقها فيه أن تكون الهندسة غير الدين وتكون المحاسبة غير الدين ويكون الطب غير الدين.... وهكذا.

وبهذه الصيحة الصغيرة فقط استطاع مطلقها أن يخلع ثوب الدين عن كل تخصص فخربت الذمم والديار، وأصبح منهج ذكر الله بالمساجد والصلوات فقط، فانهدمت بذلك قيما إسلامية كثيرة وأصبح لعلم الدين رجال لا يفقهون في علوم الدنيا، وللدنيا رجال ليس عليهم أن يقربوا الفكر أو البحث في علوم الدين.....وبهذا ترى البسطاء ممن ينفذّون ظلالا أو قشورا من الإسلام يتصوّرون أنهم على الحق المبين ويزهون بأنفسهم لأنهم أطلقوا لحية لم يطلقها غيرهم أو ارتدوا الأبيض من الثياب والجلباب بل وأصبحت هذه الأمور من علامات حسن إسلام المرء عند الغالبية !! ولم لا طالما أن هناك متخصصين وهناك ملتحين وهناك

منتقبات !! وأصبح في عرفهم أن هناك على الجانب الآخر يوجد غير المتخصصين وغير الملتحين وغير المنتقبات ومن لا يستعملون السواك وهم جميعا أهل الردى في زعمهم وتصوّرهم؛ ولكن قد لا يعلم الجميع(علماء الأكاديمية العلمية وأهل الاجتهاد في العبادة) أن الإسلام يشتاق إلى هؤلاء المحبّين للدين جميعا الملتحي وغير الملتحي، المتخصص والعامي، لكنه يطلب منهم أن يعلموا الإسلام حق العلم حيث يقول تعالى (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) (محمد:١٩) كذلك قوله تعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }البينة٥.

وهو الأمر الذي يعنى أن العلم بمقتضيات لا إله إلا الله هو أمر مفروض، والعلم يقتضى الاحاطة بجزئيات الأمر علما يقينيا وليس معرفة لا إله إلا الله التي يتناولها معظم الناس في هذه الأيام والتي كانت سببا فيما هم عليه من استهانة بالذنوب وما هم فيه من اغترار برحمة الله مع طول الأمل وقلة الخوف من لقاء الله، حتى وإن أطلقوا مائة لحية ودرسوا ألف كتاب.إن أهل الأمّة الإسلامية في أغلبها لا يتصورون ولا يعلمون أن شهادة ألاّ إله إلاّ الله محمد رسول الله تعنى التطبيق العملي لما ورد في كتاب الله عقيدة ومنهاجا، ولا يكفى هؤلاء ما يتصوّرونه أنها قولة يرددها كثير من الضالين والفارين من طاعة الله.

فهل من الإخلاص ألاّ يعلم المسلم حدود لا اله إلاّ الله ؟؟وهل من الإخلاص ألاّ يكون قد شهد بها بنية تنفيذ ركن الإسلام الأول؟؟؟.

إنّ المتخصصين أسهبوا في شروح الركن الثاني من أركان الإسلام (الصلاة) دون أن يقدّموا للأمّة من خلال الدعوة الشفوية أو التّحريرية النصيب الواجب للركن الأول وهو مقتضيات الشهادة بألاّ إله إلاّ الله.. وكان من نتاج ذلك استهانة المسلم بالذنوب واستهانته بتنفيذ الطاعات أيضا.بل عمدوا إلى تنصيب الصلاة على أنها عماد الدين رغم احتياجها للشهادتين كشرط أساسي لقبول الصلاة مما يعنى أن عماد الدين هو إقامة مضمون الشهادتين، بل انى لا أكون مجحفا إن ذكرت أن الناس لا تتصور في سورة الصمد:(قل هو الله احد الله الصمد.......الخ) إلا أن الله واحد بمعنى العدد واحد وأن الله لم يلد ولم يولد فقط، ففقدوا بهذا المعنى ومع وجود الدّعاة فيهم معنى العلم بلا اله إلا الله، بل تراهم يعرفون تفصيلات جميع أركان الإسلام (الصلاة – الصوم – الزكاة – الحج) لكنهم لا يعلمون أبدا تفصيلات واجباتهم عن لا اله إلا الله التي هي الركن الأول في الإسلام.

وترى الناس لا يعلمون حد الاقتصاد المستهدف من العلم الديني الذي يجب على كل مسلم أن يصل إليه ولا علموا حد الاجتهاد الواجب، فلا قام المقتصد بواجبه في العلم الديني حتى حدود الاقتصاد ولا انتهى المجتهد إلى التبصّر بمسؤولياته في الاجتهاد والتقوى وعدم اتخاذ الاجتهاد سبيلا لفرقة الأمّة.

ولست أرى علاقة بين التخصص وبين التقوى اللازمة لممارسة أي نشاط إسلامي، إذ أن التقوى تكون لها الأولوية دائما في مجال التقييم ثم يأتي دور التخصص الأكاديمي، إذ على المسلم أن يعلم أن حدود العبادة المطلوبة منه هي الإخلاص فيما ذكرناه من قوله تعالى{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }البينة٥.

من نتاج التقصير في الدعوة

*وقد لا يعلم أصحاب السطحيّة الدينية ومن خلفهم من فقهائهم أن نسبة الارتداد إلى المسيحية في أفريقيا وحدها هي مليون نسمة سنويا باستمرار سواء أكان تنصيرا أصليا أم تحولا إلى النصرانية، وأننا سبب هذا الوبال بما نقدّمه من صور هزليّة وهزيلة عن الإسلام، وبينما أهل السطحية الدينية مشغولون بعيدا عن الإسلام وأهل التخصص مشغولون بالمعترك الوظيفي الهام، فإنك تجد النّاس يتبارون في ترك صلاة الصبح، بل وتصوّر كثير منهم من كثرة تواتر معصيته في ترك صلاة الصبح أن صلاة الفجر شيء وصلاة الصبح شيء آخر، بل تصوّر بعضهم أن صلاة الفجر نفل، وحصر الناس الاهتمام بالعبادة في شهر رمضان فقط، وهذا كله من فرط الجهل وتحت بصر وظلال صيحة التّخصص، وصارت أقسام الشرطة ترصد المحاضر للمؤذنين لصلاة

الفجر، وصار التّطرف والمتطرفين يملأون غياهب السجون والمعتقلات بعد أن أقاموا الفوضى في داخل المجتمعات المدنية بفقههم المعوج حين ذهل أكثر المتخصصين عن ديناميكية ما تخصصوا فيه وتفعيله في واقع الحياة.

*و إليك مثال هام قد يفيدك في ميزان التخصص...هل يرى أحد الناس أن بائع الطماطم يفهم في الطماطم أم لا يفهم فيها ؟؟ لا شك أن الإجابة ستكون نعم يفهم فيها، وهنا أتوجه إليه بالسؤال كيف يفهم فيها وهو لا يعلم أصول زراعتها ولا مواسم حصادها أو الأسمدة اللازمة لها؟؟؟.....الخ، فتلكم هي حجة المتخصصين في مواجهة غير المتخصصين، إنّهم يفتحون نار العلم الأكاديمي في مواجهة المجتهد الذي ارتوى قلبه بنور الهمّة في دين الله وينعتونه بالجهل لأجل علمهم الأكاديمي وقلوبهم التي لم تنهل من تخصص التقوى ـ إلا من رحم الله منهم ـ ولكنها أخذت بحظ وافر من العلوم الأكاديمية والنظرية في دين الله، ولست أرى أهمية للمسلم أن يعلم ما يردده الشافعية مثلا من مبدأ(ترك الاستفصال في مقام الحال مع قيام الاحتمال تنزل منزلة العموم في المقال) أي والله هكذا يرون التخصص...وليس في الجملة خطأ مطبعي... ولا أرى ذلك إلا صيحة من صيحات تحيير وحجر المسلم عن الفكر وأن يموت العلم الإسلامي بالسكتة التخصصية.

وإنه بمفهوم التخصص فإنه يحق للسائقين أن ينادوا بعدم قيادة أحد منا لسيارة وذلك لأننا كثيري المخالفات المرورية، بل ويصل الأمر بنا في الخطأ في القيادة إلى حد قتل المشاة وإتلاف أموال الغير بالحوادث المرورية التي نرتكبها، فهل هذا معقول ؟؟وهل مثل تلك الصيحات يلتفت لها ؟...لا أظن......وإني لأتساءل بعض الأسئلة لمن يريدون احتكار الدين.

١. لماذا لا تفتح المعاهد الدينية أبوابها لرعاية كل من يريد أن يجتهد في دين الله، وما سبب كل هذه الشروط والشرائط التي لا داعي لها كي يلتحق المرء بها ؟؟ وهل هذا من الإسلام أو من رعاية السنّة ؟؟.

٢ ـ وما سبب الصيحة في ضرورة اعتلاء المتخصصين للمنابر وضم المساجد للأوقاف ؟؟أليس هذا احتكارا لأمر الدعوة لدين الله؟؟ أليس ذلك اعتراف ضمني بوجود تطرف ديني وفراغ علمي وفقهي عند الناس وخاصة ممن يعتلون المنابر من المجتهدين؟؟ وماذا لو ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للمجتهدين بعد تأهيل مناسب، ثم يتفرّغ المتخصصون لأمور الدعوة إلى دين الله في أمريكا الجنوبية والهند وأوروبا وأفريقيا؛ ألا تكون هذه الرسالة للمتخصصين أفضل من رسالة الشموخ بالتخصص وحبّ اعتلاء المنابر لوعظ أهل الإسلام، وهو الأمر الذي أورثنا ما نحن فيه وما تم ذكره بعاليه!!!؟؟؟.

٣ ـ وأين هي خطة المجامع الفقهية في نشر الإسلام في العالم وأين نتاجها ؟؟؟ إننا نشعر بتبشير المبشرين بالمسيحية أكثر مما نستشعر نشاط الدعوة إلى الله في العالم، وهو الأمر الذي أجده واجبا أن يكون عين الرسالة الأصليّة لهذه المجامع وللمتخصصين وكان هو الأجدى بالتعريف بالإسلام في ربوع الغرب بدلا من الفكرة العملية التي تلقّاها ذلك الغرب على أيدي السفاحين والقتلة باسم الإسلام، ويا ليتهم توقفوا عن صورة تقديم إسلامهم القاتل لأهل الصليب والقلنسوة فقط، بل تمادوا فقدّموا سلوكهم على أنه الإسلام بل وانتهجوا منهج من يقتل بنى جلدته في كلّ مكان واستباحوا دم المسلمين في الجزائر والعراق وغيرهما وهم يفعلون ذلك تحت قيادة ستار من قيادات جهولة من بعض المتخصصين فيهم.

وحتى الطبيب والمهندس الأزهري الذي نهل من العلوم الدينية ما نهل، نجده في الغالب الأعم من أفقر العاملين تحصيلا في علم الطب والهندسة أو هكذا أشيع عنه، في ذات الوقت لم يصل الكثير منهم إلى أي درجة من درجات الدعاة في العلوم الشرعية، فأي نتاج أزهري هذا ؟؟ وأين الإخلاص في المنهج الذي وضعه المخططون لتخريج الطبيب المسلم الحق والمهندس المسلم الحق ؟؟ وبماذا يتميز هذا الطبيب أو المهندس الأزهري إن كان له تميّز ؟؟ ولماذا لا نرى لهذا التّميز أثرا محسوسا؟؟؟رغم مرور قرابة النصف قرن على تحديث الأزهر وإدخال العلوم الإنسانية به.

التقسيم الأكاديمي لعلوم الدين وأثره على المتخصصين

*ولا شك أن الإسهاب في علم الدين وتقسيمه إلى علم حديث وعلم فقه وعلم تفسير وعلم عقيدة.....الخ حتّى أصبح هذا التقسيم وما تبعه من تقسيم الفقهاء هو أساس التمايز بين الناس عالمهم وجاهلهم عامهم وخواصهم.... فهذا عالم حديث، وهذا في الفلسفة وذاك في الفقه وآخر في العقيدة.....، وأصبح المتخصص في الحديث غير متخصص في العقيدة والمتخصص هنا غير متخصص هناك وهكذا تم تفتيت العلم بعد أن توسعوا فيه بلا ضابط ليصبح فتات من العلم، وهكذا فلا تكاد تجد متخصصا في الدين إنما تجد متخصصا في جزء من فرع من فروع الدين، وعلى ذلك فقدت المسئولية الدينية في العالم الإسلامي وأصبح المسئول الديني الذي ينتظر منه التغيير غير موجود، اللهم إلا ذلك الذي يكون في قبضة الحاكم على رأس قمة هرم التمثيل الديني في كل دولة، و بذلك التقسيم أيضا تم انتهاك الروحانيات المفترض أنها مصاحبة للدين، فأصبحت ترى الدين في أيامنا هذه منزوع الدسم كاللبن الذي نزعت منه القشدة وكل أنواع الدسامة فأصبح لا يغنى من جوع..... أصبح علما بلا روح وعلما في أقل القليل.

ومع وجود كلّ هذه الفروع والتقسيمات العلمية لم يستطيع أي معهد علمي أن يدرّس التقوى أو يصنع ضميرا لطالب علم، فهل يمكن أن تكون قريبا من الله أكثر كلّما كانت لك شهادات عليا أكبر؟؟؟. وطالما أن الأمر أمر تقوى فما بال الناس تتمايز في الدين بكلمة متخصص أو غير متخصص حيث يقول تعالى {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}الشعراء٨٨&٨٩ . فالمعهد العلمي لا يصنع القلب السليم قدر ما يبث العلم الأكاديمي السليم في أدمغة الطلاّب.

كما وأن الإسهاب العلمي الغزير الذي لا داعي له مع وجود المذهبية في دين الله أفرزت مؤلّفات من الغزارة بمكان جعلها من أسوأ ما نال الأمّة، فلست أرى في الصلاة أو الوضوء داعيا لكلّ هذا الكم من المؤلفات التي حررها المتخصصون اللهم إلا الإفلاس المعرفي بحقيقة العلم وحبّ المرء لنفسه، وعدم اقتناعه بما قدّمه غيره، وكان حرى بالمتخصصين أن يقيموا توحيدا علميا في فقه الصلاة طالما أن الاختلاف فيها في فرعيات كما يدّعون وبعد مرور مئات السنين على الاختلافات المدعى بفرعيتها.

إنّ المتخصصين تزعموا فوضى الخلاف قديما وأطلقوا عليها لقب (رحمة) فما بال مجامعنا الفقهية في زماننا تحافظ على هذه الرّحمة المزعومة، فهل من الرحمة أن يبلغ عدد المرويات المنسوبة لرسول الله عند أهل السنّة في مسائل الصلاة وحدها ٤٧٠١ رواية، كما وأنه على وجه آخر من وجوه الإحصاء فقد بلغت الروايات عن الصلاة في كتب(الموطأ/البخاري/مسلم/أبو داوود/النسائي) ١١٤٠ رواية عن الصلاة فقط فهذا يقول بالصّحة وذاك يقول بالضّعف في ذات المسألة.

وإنه لمن المبكيات أنك لا تجد وسط هذا الحشد من الروايات المنسوبة للنبي حديثا واحدا يبيّن عدد الركعات في الصلاة المفروضة، **وهل الاختلاف رحمة حين تكون مبطلات الصلاة عند هذا الفقيه غير مبطلاتها عند الفقيه الآخر؟؟ وهل** رحمة الاختلاف اقتضت رواية٤٧٠١ حديث عن الصلاة كلها منسوبة لرسول الله وبينها خلاف في بعضها وأهدافها ؟؟؟.

وهل من الرحمة وجود أكثر من رواية عن التشهد في الصلاة فهذه عن ابن عباس وتلك عن بن الخطّاب وأخرى عن عائشة رضي الله عنها وآخر لجابر وغيرها لعبد الله بن عمر؟؟؟.

واختلفوا في نواقض الوضوء وحكم النّوم للمتوضئ وغير ذلك كثير فهل هذه خلافات في فروع ؟

هل إذا كان وضوءك صحيح عند متخصص ومنقوضا عند الآخر هل يكون الخلاف في فروع ؟؟

إن الذين يتقوّلون بأنّ اختلاف المذاهب الفكرية رحمة إنما يبررون نكسة فكرية ونفسية تمت في عصور الظلام الفكري لهذه الأمة، أيام كان الدعاة يضعون الأحاديث على رسول الله بدم بارد ولا يهمهم إن تم سباب أهل بيت رسول الله أم سفكت دماؤهم.

*إن أعداء الإسلام يحاولون النيل من كتاب الله القرءان الكريم عن طريق ما دسّه البعض على السنّة القولية لرسول الله فهاهم يختلفون في قراءة سورة (والليل إذا يغشى) (حديث ٤٩٤٤ صحيح البخاري) بما يعنى أن السورة بها كلمة زائدة.. فهل نقرأ بقراءة ابن مسعود ونقول(وما الذكر والأنثى) كما جاء بالبخاري أم ننكر السنّة التي جاء بها كتاب البخاري ونقرأ كما جاء بالقرءان

(وما خلق الذكر والأنثى) ؟؟؟ وهل نصدق كتاب الله أم رواية البخاري، وهل نسمّى هذا خلافا في فرع أم خلافا في أمّ الأصول؟؟؟ فانظر كيف يحاول أعداء الإسلام النيل من كتاب الله عن طريق مقدّس آخر وهو السنّة القولية؛ وأين المتخصصين من هذه الحيرة؟؟؟ بل ومن عجيب تبريراتهم في الاختلاف أن تسمعهم يقولون أنّ في الاختلاف سعة للمسلم كي يختار ولا يحتار.

واجبات على عاتق المجامع الفقهية

١ . فمن واجب القائمين على المؤسسات الفقهية والبحثية العاملة في الوطن الإسلامي إعادة صياغة التراث القولي لرسول الله ليكون منضبطا مع كتاب الله وكفانا قولا بنسخ السنّة النبوية للقرءان فإنها فتنة ما بعدها فتنه أن نساوى بين التراث المدون بأيدي بشريه ومحفوظ بحفظ بشرى وبين كتاب الله المنزّل من الله والمحفوظ بحفظ الله ،ثم لا يقف بنا إبليس عند هذا الحد بل نجد من المتخصصين من يقول بأن السنّة مهيمنة على القرءان .

٢ . ويقع على عاتق المجامع الفقهية بالتعاون مع المجامع العلمية في ديار الإسلام واجب تدوين تفسير عصري للقرءان كل ١٠– ١٥ سنة على الأقل ليساعد الأمة على تدبر آيات مثل

*(أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإبل كَيْفَ خُلِقَتْ)(الغاشية:١٧).

*ومثل قوله تعالى (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ) (الذاريات:٢١)

*وقوله تعالى (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) (الذاريات:٤٧).

*وقوله تعالى {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }العنكبوت٢٠

*وقوله تعالى {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ }يونس١٠١

وإن مجامعنا الفقهية ليس لديها الأدوات العلمية والبحثية للوصول إلى تدبّر تلك الآيات وما شابهها إلا بتعاونها مع المجامع العلمية فإن هي فعلت فإن الناس سيشاهدون ما لم يستطع أهل الزمان الماضي أن يشاهدوه عن المعجزة الإلهية التي تسعى بيننا في بث مباشر يغطّى الكون كله دون أن يدرى أصحاب ملّة الإسلام منه إلاّ الفتات.

وإنّ تقديس التراث مع الكسل الوظيفي المتعمّد في عدم استخدام آليات العصر في تدبّر كتاب الله مع حصر الدّور الذي يقوم به التّفسير في أصحاب العمائم دون غيرهم ينهك فعالية الإيمان في الأمّة وحقا قال تعالى {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }فصلت٥٣، وهو الأمر الذي يعنى تقاطر آيات الله ليعتبر أولوا الألباب وبما يعنى أهمية بذل المجامع الفقهية للهمّة لتبيان العبر والدروس في آيات الله المنظورة للناس.

.٣ . كذا يقع علي أهل المجامع الفقهية واجب الدفاع عن وحدة الأمة بمنع إصدار كتب لتحذير الأمّة من الأمّة، فالشيعي شقيق السّني لا ينقصهما إلاّ فقيه أمّة يوحدهما ونعوذ بالله من فقيه مذهب يفرّق بينهما أو ينشر ذمّا لغيرهما من أهل القبلة والتوحيد. ٤ . كما أرى لهذه الهيئات واجبا آخر هو محاولة تجميع ما صحّ عن الفرق الأخرى وإنشاء جسور الحوار لإخراج مؤلف فقهي واحد متفق عليه بين جميع طوائف المسلمين تمهيدا لإزالة هذه الطوائف وجعلها طائفة واحدة كما أراد الله عز وجل في قوله: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء:٩٢)، وكما حذّرنا فقال {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }الأنعام١٥٣.

٥ . لقد رأيتهم حين يطلب أحد الناس استكمال دراسته ليتخرج من أحد الكليات العسكرية، رأيتهم يعقدون له اختبارا نفسيا معقدا ليقفوا على حقيقة الصحة النفسية للطالب، وهذه الاختبارات التي تكون تحريرية وشفهية وطبية هي من صنع بعض علماء علم النفس مثل (فرويد، ويكسلر، بينيه)؛ فأين فقهاؤنا ومجامعنا الفقهية من وضع اختبارات لقياس إخلاص الإيمان وحقيقة الجدّ

والاجتهاد لمن يطلب الالتحاق بشأن من شئون الدّعوة رغم ما للدّعوة من أهمية ؟؟؟ وأين هم من عقد اختبار للسمات الشخصية حتى يكون الداعي إلى الله ذو شخصية قيادية ومظهر مقنع!!!؟؟؟

إن من يحملون مؤهلات في خلافات الفرق والمذاهب ليسوا بمتخصصين إلاّ في الخلاف والتنابز وفرقة الأمّة فضلا عن الافتقار إلى دراسة علم لا يدرّس في أي معهد وهو علم التقوى وصلاح القلوب إلا من هداه الله وأخلص الأمر كلّه لله.

*** لاشك أن من درسوا بالأزهر وغيره من المعاهد العلمية الدينية يعرفون أكثر ممن لم يلتحقوا بهذه المعاهد في قواعد اللغة العربية وأقسام الحديث وأنواعه وعلوم الفقه والتفسير....الخ؛ ونعلم يقينا أن هذه الأدوات تمكّنهم من يسر التفكّر وصحة الحكم على المسائل التي قد تعنّ للمسلم في حياته وللدولة في مسيرتها، لكن الحقيقة الواقعة أنهم يملكون هذه الأدوات مع تعطّل الإبداع الفكري لدي معظمهم وعدم هيمنة الريادة التخطيطية لمؤسساتهم لنشر الدعوة في صورتها الاستراتيجية ولا حتّى في صورتها المحليّة؛ فهم يملكون الأدوات ولا يهتمّون بالتدبّر ويهتمّون بالنقل ولا يتفاعلون مع الأدوات العلمية للعصر الذي يعيشون فيه ولا يبدعون، بينما هم يصيحون بأن القرءان صالح لكل زمان ومكان دون أن يكون لهم تبيان في التفاعل مع حركة الحياة ليبرهنوا على يسر التطبيق الإسلامي في كل عصر وفق ظروف كل دولة.وهم دوما يشمخون بعلمهم التخصصي دون أن يدركوا أن علم الدين يحتاج الإخلاص وهو أمر لا تحويه الكتب ولا تقدر المعاهد على تلقينه لكنه موجود في حظيرة الإيمان للقلوب التي تعلّقت بالله سواء دخل أصحابها تلك المعاهد الدينية أم لم يدخلوها.**

ولقد استلفت نظري كتاب للشيخ محمد الغزالي اسمه (الدعوة الإسلامية في القرن الحالي) ذكر فيه حال الأزهر في ظل الحكم التركي . وما أظنّ الأمر قد تغيّر منذ عهد الأتراك إلى يومنا هذا . فذكر ما يلي:.(أما الأزهر فقد تقوقعت فيه علوم الدين واللغة العربية كما تدخل السلحفاة جسمها داخل ظهرها الصلب وتبقى مكانها دون حراك) ص٥٠ من المرجع.....وقد كتب في كتاب آخر تحت اسم (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) ما يلي:. (المصيبة أن بعض المتحدثين في الإسلام لديهم مقدار هائل من قصر النظر وقلّة الوعي، والأدهى من ذلك أن يتحول هذا الفكر إلى مبدأ تؤلّف فيه الكتب وتنبني عليه المواقف) ص٦٣.

إن الصحابة لم يكونوا أصحاب دراسات تخصصية مسهبة في أي فرع من فروع العلم الإسلامي ولكنهم أصابوا العالم من حولهم بقناعة منهاجهم وصدق تطبيقاتهم لتعاليم دينهم، وما ذلك إلا لصلاح القلوب وتصالحها مع خالق الأرض والسماوات على منهاج الكتاب المنزّل على النبي صلّى الله عليه وسلّم، فدخل الناس في دين الله أفواجا في الصين وفى أفريقيا وفى أوروبا، وأظن لو طلب أحدهم الالتحاق بالأزهر أو غيره من معاهد العلم الديني في زماننا فسيرسب في أول امتحان وسيتم رفته لانعدام المؤهل وانعدام فقهه التخصصي.

إنّ للدين مفهوما ديناميكيا(متحركا) غير محدد بحدود أوراق القرءان وأروقة المساجد فقط، لأن كلمات الله تسعى في الحياة حين تكون داخل قلب المؤمن الذي يعتبر بما لديه من رحيق قرءانى حين يصادفه من دبيب الحياة ما يصادفه، وذلك هو عمل القلب الذّاكر دوما داخل الوعاء الجسدي للمؤمن.

إن الذين لا يحملون مؤهلات علمية عن السنة النبوية إلاّ الجدل والاختلاف واستحسان التراث مهما كان ما عليه التراث هم أقرب الناس إلى قوله تعالى عن أقوام ضلّوا الطريق(هذا ما ألفينا عليه آباءنا) وهم بذلك يشجّعون توارث الدين بلا عقيدة واعية في نفوس المسلمين.

إنّ ترك الخلاف المذهبى الصغير سيثمر ولا شك فرقة كبيرة مع الأيام والدهور فذلك هو التطوّر الطبيعي لعمل إبليس.إن ظهور الدعوة السلفية والدعوة الصوفية والدعوة السّنية والدعوة الشيعية ...وغيرهم مع ما واكب هذه الجماعات من مذاهب شتى وتناحرهم واختلافهم خرج من ثنايا عباءة المتخصصين.

إن التحرّي عن صحة الحكم الشرعي والأخذ فيه برأي قاطع هو من أخصّ خصائص المجامع الفقهية لتوحيد فكر الأمة وتراثها الضخم المتنابز، حتى أننا رأينا رجال تلك العصور التي أخذ عنها ذلك التراث يتقاتلون من أجل الخلاف حول تفسير آية أو حكم شرعي في مسألة ما، ولا يمكن أن يكون الحق كلّه في جانب والباطل كلّه في الجانب الآخر اللهم إلا إذا ما تمحورت مجامعنا الفقهية حول رأى فقيه ما وتخاذلت هي عن الاجتهاد رغم تخصصها وإمكاناتها العلمية الضخمة في هذا العصر.

والحقيقة أن الحقبة التي نحياها في هذا القرن الواحد والعشرين هي حقبة المؤسسات سواء أكانت مؤسسات فقهية تشريعيه أم كانت مؤسسات تنفيذية أو علمية أو ثقافية، لأن زمان الفقيه الشاطر قد ولّى وانتهى، ولأسفي فان المؤسسات القائمة الآن فضلا عن عدم قيامها بواجباتها في البحث أو تشجيع الباحثين أو توحيد الصف الإسلامي مع عدم وجود خطط استراتيجيه ذات أهداف واضحة ومرتبطة بتوقيت زمني لعمل هذه المؤسسات . فإنها فضلا عن ذلك . لا تنال مصداقية من جموع المسلمين لما أصابها من الروتين وما ابتلي به بعضها من النفاق للحكّام أو السماح لآراء الحكّام بالأولوية على حساب آلام الناس وآرائهم مع تعيين الحكّام لرأس كل هيئة، فكان أن أصبحت تلك المؤسسات في عزلة عن النبض الإسلامي لأهل الإسلام سواء أكان هذا النبض نبضا منحرفا أم نبضا متخاذلا في دين الله، في الوقت الذي يتحتّم فيه أن تكون هذه المؤسسات السبيل الوحيد لعلاج المعتقدات والأفكار، وتهيئة المجتمع للوصول أقرب ما يكون للصورة المثلي التي كان عليها مجتمع الصحابة مع واجبها الحتمي في ضرورة توحيد أشطار مذاهب وفرق الأمّة.

ولقد جنحت تلك المؤسسات فترى هذه وقد اتجهت لأقصى اليمين وتلك إلى أقصى اليسار بما أوجد التباعد بينها ومنع التعاون فلم تستفيد المجامع الفقهية من المجامع العلمية ولم تستفيد العلمية من الفقهية وكان الخسار هو حظّ الأمّة.

وفى المؤتمر الثالث عشر لتجديد الفكر الإسلامي الذي عقد في مايو ٢٠٠١ ذكر الدكتور /أحمد الخمليش رئيس دار الحديث ما يدل على تقاعس أهل التخصص عن مهمتهم الأساسية فيما ذكره فيما يلي:.

(الحديث عن التجديد في الفكر الفقهي، صدر بشأنه خلال أكثر من قرن ما لا يحصى من المقالات والمؤلفات و الأبحاث، ومثل ذلك من الندوات واللقاءات على امتداد العالم الإسلامي وخارجه، فلماذا لم يتحقق هذا التجديد إلى الآن وما نزال نكرر النقاش حوله؟ هنالك دعوات إلى الاجتهاد والى اعتماد مقاصد الشريعة، وتشكيل مجامع فقهية.. لكن كل ذلك لم يغير من الواقع شيئا، وهو بقاء الجدل الفقهي منعزلا في الأوراق والمجلدات عاجزا عن تقديم الحلول الفعلية لمشاكل التنظيم الاجتماعي بمختلف مرافقه مع ما طرأ عليها من تطور وتعقيد. يبدو أن السبب في ذلك راجع إلى الاكتفاء بترديد بعض المصطلحات كالاجتهاد والمجتهد، والحكم الشرعي، ومقاصد الشريعة، وفقه الأولويات.. دون التعمق في النتائج التي تترتب عن التمسك بمفاهيمها كما وضعها الأقدمون. فضلا عن التحليق في سماء التنظير وخيالاته وإغفال أرض الواقع وحقائقه، فنتحدث عن الاجتهاد دون أن نعترف به لأحد ممن يعيش بيننا، وعن المجتهد الفرد الذي يقرر الحكم الشرعي الواجب التطبيق، ونحن نعلم استحالة ذلك في ظل الأنظمة الدستورية والاجتماعية التي نساهم جميعا في تشكيلها وتعهدها بالتطوير والتوجيه إلى الأفضل. ويمكن أن نقول جازمين بأنه لا يوجد من يؤمن بتعطيل هذه الأنظمة وإنهائها وإسلام الأمر كله إلى "المجتهد" يقرر داخل مكتبه في كل جزئية من مرافق الحياة وأنظمة المجتمع مهما تعددت وتنوعت ،إن أزمة "الفكر الفقهي" تكمن في عناصره التي يقوم عليها، وبدون الرجوع إلى هذه العناصر– وتحليلها واستخلاص ما تتسم به من خصوبة وعقم– يبقى الحديث عن التجديد جدلا نظريا لا يغير شيئا من الواقع ولا يقدم حلولا لمشاكل المجتمع الإسلامي وحيرة أبنائه وتساؤلاتهم)**....انتهى**

إن المؤمن سواء أكان متخصصا أم غير متخصص لا تكفيه التلاوة ولا القراءة في كتب المذاهب المتناحرة لأهل التخصص، بل لابد أن يسعى قلبه في الحياة بما لديه من رصيد من كتاب الله ليحققه عمليا وسط ركام الناس الذين لا يفقهون من القرءان إلا أنه كتاب دين للمسلمين أو أنه كتاب تراتيل ،وذلك من قلّة علمهم وقصر نظرهم، ثم تراه يتدبّر القرءان فهو يزداد في صبيحة كل يوم نورا على نوره وما ذلك إلا هداية الله تتنزل على أهل الإخلاص بينما لا يمكن أن تتنزّل على أهل التخصص إلا إذا كانوا من أهل الإخلاص.

إنّنا نرى أناسا ما زالوا يعتلون المنابر ليخرجوا على النّاس بخطبة يذمّون فيها الكذب ويمدحون بها الصدق، أو يشرحون الصّوم في شهر الصّوم ويسهبون في التّعريف بمناسك الحج بمناسبة موسم الحج...وهكذا، ويستشهدون على ذلك بكثير من الآيات والأحاديث فهؤلاء لا يفيدون الأمّة وسبب كبير من أسباب تأخر الناس فقهيا وفكريا، هذا فضلا عن أنه لا يصح أن يتسمى بعالم أو متخصص من يخطب هذه الخطب وأمثالها، وهو الأمر الذي ترعرع منذ أصبحت الدعوة إلى الله من المقتضيات الوظيفية دون أن يكون للتقوى أو الإيمان دور يمكن تحسسه كشرط لدخول المعاهد العلمية الدينية وهو الأمر الأهم لمهمة المعاهد الدعوية فى العالم الإسلامي كمؤسسات دينية تعليمية.

وليعلم أهل التخصص أن الكتب ليس لها أمهات حتى نظلّ أسرى لهم ولتلك الأمهات، بل إنّي أعلم للكتب آباء تخرج الكتب من أصلابهم وهم البشر فى كل زمان، ولكل زمان آباؤه وأبناؤه والجميع من سلالة واحدة وإن تكاثرت الذرية، لكن يبقى الإفراز الفكري عطاءا لا ينضب طالما تركنا للفكر حريته مع مراقبة حركته ووضع ضوابط خفيفة له بدلا من تلك القيود الثّقيلة على الفكر والمعرفة والإبداع.

إننا نؤكد أن الفقه كل الفقه يكون للفقيه المتحرّك في دروب الحياة، شريطة أن يكون له قلب ينبض دوما بذكر الله وله مطالعة متجددة في العلم، ولا يكون أبدا ذلك الفقيه القاعد الذي نهل من الكتب على موائد المعرفة القديمة فذلك إفلاسه الفكري قريب وكلماته لا تصل إلى القلوب لأنّه تمحور في جزئياته المدرسية والأكاديمية، ومثل هذا لا تنهض به أمة؛ وهو الأمر الذي يعنى أنه لا تخصص في دين الله بمعنى مدارسة الكتب، لكن التخصص الذي يتميز به المتخصص يجب أن يكون في حقيقته ديناميكية للسعي بالفريضة والعلم الأكاديمي لتفعيلهما في جنبات الحياة وإبداعا فكريا فى فن الخطاب وحركة التأليف والنشر، حتّى نرى للمصلى أثرا للصلاة في حركته في الحياة ،ونرى للصائم أثرا لصيامه في المعاملات، وللحاج حرصا على غنيمته التي اصطفاه الله لها حين قال(لبيك اللهم لبيك) وما ذلك إلا من آثار المتخصص المخلص.......وهكذا.

وأين أهل التخصص من فقه تكوين وتقنين الدولة المسلمة؟؟ وأين الأسس الفقهية التي وضعوها في هذا الشأن ؟؟والتي كان لابد وأن تترجم لتكون نصوصا قانونية قابلة للتطبيق وفق مقتضيات العصر ليسير على نهجها الحاكم قبل المحكوم، أم أن انعدام هذا البند في الفقه المتداول بين أيدينا والمأخوذ عن الأئمة الأربعة صبغ من بعدهم بهذه الصبغة من انعدام التخطيط للفكر القانوني الدستوري والدولي المستمدين من فقه علوم الدين؛ وأين فقههم المكتوب عن مسئولية الحاكم ؟؟؟وأين أثرهم في تغيير القرار الرئاسي لينضبط مع صحيح الدين؟؟؟ وأين هم من نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء الدنيا ؟؟؟ أم أن الشعار الغربي(لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين) الذى حيّد الكنيسة عن الدخول فى معترك الحياة قد سبقهم قبل أن يطبّقوا هم منهاجهم الاسلامى الذى ينادون به فى منابرهم من أن الإسلام دين ودولة.

كما وأنه كان من الأحرى أن تضم سفارات دول الإسلام ممثلا دبلوماسيا عن الإسلام، فكما لنا ممثلين تجاريين وثقافيين وملحق طبي فى بعض البلدان وملحق حربي وسكرتير أوّل وسكرتير ثان...الخ فكان علينا أن يكون لنا ممثلا دبلوماسيا إسلاميا متخصصا، ولكن اهتمامنا بالتجارة والثقافة والسياسة والطب فاق اهتمامنا بالدين ونشر الدين والتعريف بالدين، لقد فقد الإسلام

الحضور الرسمى فى الدّول الأجنبية لعدم مجاهدة المتخصصين فى سبيل أن يكون لهم ممثلين رسميين يبينون مدى اهتمام الأمّة بدينها، فكان علينا أن نسأل أين الاهتمام بالإسلام والتعريف به ؟؟؟ لا شك أنّ انزواء المتخصصين خارج الإطار الحضاري أدّى إلى فقدان منظومة الدين فى التمثيل الديبلوماسى؛ كما أدى إلى أنّ المشايخ المتخصصين الذين يوفدون إلى البلدان تكون مهمتهم محصورة داخل المركز الإسلامي للدولة الموفد إليها الشيخ المتخصص، بينما كان علينا أن نقوم بالتعريف بالإسلام في هذه البلدان حتى يكون لديننا صورة غير تلك الموجودة فى أذهان أهل الغرب، وحتّى يدخل الناس فى دين الله أفواجا.

لقد كان ذلك وأكثر هو عين واجب المتخصص وهو ما يمكن التعبير عنه بالصورة الاستراتيجية لفكر الدّعوة، وإن الأئمة الأربعة قاموا بجهد عظيم، فلماذا لم يستكمل الفقهاء من بعدهم جهد هؤلاء الأئمة الأفذاذ ليقدّموا للعالم ولو تصوّر عن الصورة المثلي للأمة المسلمة بدلا مما هو موجود على الساحة من شعارات بلا مضمون يذمّها البعض ويراها البعض الآخر تمسّحا في الإسلام بلا منهج، مثل الشعار الذي رفعه البعض (الإسلام هو الحل)....هكذا يقولونها عامة وعلى كلّ منا أن يتخيل هذا الحل من واقع سذاجتنا الإسلامية الغير مؤهلة علميا على إدارة شئون الدولة لانعدام الإبداع الفكري والاتحاد فى دين الله.

إن المتخصصين لم يكونوا على مرّ العصور التي خلفت عصور الأئمة الأربعة بقليل قوّة فاعلة على الساحة الاجتماعية، أو السياسية، أو الثقافية. وإن تركّزت اهتماماتهم وبرزت إلى حد ما داخل المساجد . فكان أن نشأت ثقافات وعادات ومناهج سياسية فى الواقع اليومي لحياة النّاس تستمد أكسير حياتها من دول لا تدين بدين الإسلام.

كما دأب المتخصصون في أمر المحكومين دون الحكّام بالمعروف ونهيهم عن المنكر كأحد عاداتهم في قصره على المحكومين، كذا العمل داخل أروقة المساجد أما في ساحات مجلس الوزراء وداخل البلاط الملكي والسلطاني والرئاسي فجهدهم كليل وديدنهم الصمت، فكان لهذا المنهج أثره في تنحية الانضباط وفق منهج الشريعة لكثير من دروب الوظيفة العامة مما أدّى إلى انتشار تراخيص حانات الخمور واللهو والعبث بأنواعها وقيام جهات الإدارة بالتوسع في هذه التراخيص سواء أكانت حانات خمر أم حانات رقص، وما ذلك إلا لغياب الدور الفاعل للمتخصص ؛ أم ترى أن أهل التخصص اعتبروا التدخل في شأن تراخيص الخمارات والحانات هو من الأمور المحظورة تحت شعار لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين؟؟؟...الخ.

ورأيت مظاهرات صاخبة في بلدي مصر تقف في وجه رموز الدولة لارتكاب امرأة . وفق منطقهم . جريمة التحول من النصرانية إلى الإسلام، ومظاهرات أخرى على الجانب الآخر من أجل إشاعة وجود عرض مسرحي قديم تمّ في إحدى الكنائس يعادى ويزدرى الصادق النبي الخاتم صلّى الله عليه وسلّم؛ كل ذلك تم في ظل وجود المتخصصين والتخصص في دين الله ، فهذه وتلك من صور نتائج التخصص الديني في هذا الزمان.... هياج عاطفي بلا فقه دينى ولا علم دنيوي.

وإنه إذا ما كانت السلطة التشريعية مستقلّة وذات سيادة مطلقة فى أعمالها دون تدخل من السلطة التنفيذية أو القضائية، كذلك السلطة القضائية ذات استقلال وسيادة وبالطبع وعلى الأخص فإن السلطة التنفيذية لها مطلق السيادة والسلطة والاستقلال،فإذا كان ذلك هو واقعنا الدستورى فأين أصحاب الجلالة من المتخصصين لينادوا بسلطة كتلك التى للتنفيذية أو القضائية أو التشريعية ؟؟؟علما بأن الإعلام ينادى ومنذ سنوات بأن يكون سلطة رابعة ويسمّى الصحافة بصاحبة الجلالة وسيصل حتما إلى مبتغاه، فهل يكون الدين ومن يمسكون بزمام الريادة فيه هوامش المجتمع بلا سلطة ولا استقلالية؟؟؟ كما وأنّ وضع الصروح الدينية فى قبضة الحكومات قد يكون أمرا طيبا إذا ما تمّ التمثيل الديبلوماسى لدين الإسلام ضمن بعثاتنا الديبلوماسية فى الخارج كخطوة أولى من خطوات الإصلاح، لكنّ بقاء الوضع على حاله يصيب ويصبّ فى مصلحة الفسق والفاسقين الذين هم ألدّ أعداء المتخصصين ودعوتهم الدينية.

كما إنك لا تكاد تجد الجهاد العام بمعناه الدولي ودفع حركة الأمّة في اتجاه إعداد القوّة كأحد تطبيقات الآية الكريمة (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة.....) من ضمن مفردات واهتمامات أهل التخصص على منابر التخصص السياسية والدعوية الفاعلة، وإني على يقين من أن غالبية أهل التخصص يؤمنون بهذه القضية (الجهاد العام) إيمانا أكاديميا لكنها لم تكن أبدا صورة من الصور الفكرية التنظيمية، ولم تقدّم لمؤسسات الحكم على أنها دين يجب تنفيذه، فكان أن هزلت الأمم الإسلامية وقل الإنفاق على البحث العلمي فيها عموما والعسكريّ منها على سبيل الخصوص، وبرز دور الفرد المنتحر تحت مسمّى الجهاد، وبرزت جماعات الجهاد كإفراز طبيعي للتصور الفردي لفريضة الجهاد. ولقد كان للفكر الفردي في عقيدة الجهاد أثره في إبراز دور الهمجية الجهادية التي تتسمّى باسم الإسلام، وهى الثقافة التي صبغت الفكر الإسلامي بالإرهاب في نظر الأمم والشعوب.

ولقد كان للمتخصصين دور فاعل فى تشويه صورة الإسلام في العالم فيما يخص حقوق المرأة، فبينما كانت هناك المحاكم التى كانوا يسمونها (شرعية) وكان قضاتها يرتدون زىّ رجال الدين، وهناك كانت تقاد المرأة كالعبيد لبيت خرب أسمه (الطاعة) وكانوا يتصورون ويصوّرون للعالم أنهم ينفّذون بذلك شريعة الإسلام من خلال تلك المحاكم التى أطلقوا عليها اسم(شرعية)، وكانوا يباركون زفير سيادة هوجاء للرجل على المرأة، وكانت النساء ترتدين البرقع (وهو أشبه بالنقاب)دون أن يكون للدين مفهوم أو للحجاب دراية فى أذهان النساء ومن خلفهن من الرجال ، حيث حلّت كلمة الحشمة بدلا من الحجاب فى ثقافة الناس، وكانت النساء ينظرن إلى الطرقات وهن فى بيوتهن من خلال حجاب آخر (أسمه المشربية) دون أن يكون للعقيدة دور فى أذهانهن فلم يكنّ ينفّذن ذلك على أنه دين، وكان النّاس يمارسون قطع جزء من أحشاء العضو الأنثوى للبنات بدعوى الطهارة وأنها . وفق زعم المتخصصين . سنّة أمر بها الرسول ويزعمون أنه قال أن هذا الجزء المقطوع يجعلها فى حالة نضارة كما وأنه أحظى لزوجها ،وعانى الرجال والنساء من هذه السّنة المدّعى بها ، ولم يكن للمتخصصين إلا دور المشاهدة لما يجرى بلا تفاعل للدين الذى يمثلونه فى دنيا الحياة التى يحيونها،حتى إذا ما أدانتهم شبكات التلفزيون الأمريكى سمعنا من يقول منهم بأنّ هذه العملية الوحشية ليست بسنّة،وقال بعضهم أن الناس على الخيار لمن شاء أن يفعل .....وهكذا شأن التخصص .

فلما طلّ علينا ميثاق تحرير المرأة طلّ علينا من منظور غربي ومن خلال السيدة الأولى فى كل قطر إسلامي وليس من خلال المتخصصين، فكان تحرّرا لا يرقب فى المرأة الدين قدر ما يرقب الحضارة، ولا ينتسب إلى علوم الدين قدر ما ينتسب إلى أصوله الثقافية الغربيّة،وتغيّر اسم المحاكم الشرعية إلى مسمّى جديد هو(محاكم الأسرة) وبسرعة البرق واكب رجال التخصص فى تونس ومصر والأردن وغيرهم مراد العصر فاكتشفوا أن فى القرءان حقا للمرأة أن تخلع زوجها وكان ذلك الاكتشاف الموجه بتوجيهات عليا فى غضون عام ٢٠٠٠ على ما أذكر، فأين رجال التخصص من قوله تعالى منذ عهد الرسالة الإسلامية {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }يوسف١٠٨، وأين هم فيما رواه حذيفة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)؛ إن وجود الآية والحديث وغيرهما منذ أكثر من ١٤٢٦ سنة مع تفعيل المتخصصين لأجزاء منهما دون أجزاء وفق منظور سياسي أدى إلى بزوغ فجر الجماعات الإسلامية كموقع بديل لتخاذل مشهود على الساحة العملية وأرض الواقع التخصصي ،كما ظهرت فى الآونة الأخيرة ظاهرة الدعاة الجدد كأحد بدائل الارتخاء التخصصي فى الدعوة الفاعلة فى الدين.

ولقد ساهمت كثير من مؤلفات المتخصصين على مرّ العصور فى إذكاء روح الفرقة بين جسد الأمة، فلم نكن نجمع فى نفوسنا كل هذا الكره للشيعة أو للخوارج أو الدروز أو الوهابية إلا بعد أن وجّهتنا تلك المؤلفات إلى تقطيع أوصال الأمة على مرّ الأزمنة، بل لقد حذّرتنا تلك المؤلفات من فرق الأمّة ومذاهبها المتناحرة أكثر مما حذّرتنا من النصرانية أو اليهودية ، لقد كنت

أتصوّر فى الفقيه المتخصص أن يعلم أنّ أهل هذه الفرق هم أقرب أهل الملل إليه وأنّ واجبه فى ضمّهم إليه عبر رسالة فكرية ومساجلات علمية بين المتخصصين هو عين مهمتهم فى لملمة أهل الكتاب إلى الإسلام، وان أسلافنا الذين تفرّقوا ليسوا شعارا نسير خلفه أو نحذوا حذوه، وما أقوله ليس بمنهج جديد فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل ضوابط فى معاملة أهل الكتاب . وهو أعلم منا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم .(الزواج من نسائهم والأكل من طعامهم ومجادلتهم بالتى هى أحسن) كذا وضع ضوابط أخرى لمعاملة أهل الكفر من غير أهل الكتاب فما بالنا لا نفرّق إلاّ إن كنا فقدنا فقه الدعوة مع مرور الأزمان!!!.

إن التباعد العملي المصاحب للتباعد الفكري لدى المتخصصين في أن يكون لهم دور فاعل في حركة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أدّى إلى فرقة الأمة، وإلى الذبول الاقتصادي، وحلول الاقتصاد الربوى محل الاقتصاد الإسلامي، وكذلك حلول نظرية الشطارة السياسية كأحد الحلول التي يقدمها بعض السياسيون وبعض الجماعات كحركة طالبان بأفغانستان وغيرهم ، وتسمع عن شعار الإسلام هو الحل بدلا من الفقه السياسي الإسلامى الغائب والذي لم تتم صياغته يوما كبنود قانونية ملزمة أو حتى كمشروع قانون مرفوض منذ عصر ما بعد الأئمة الأربعة، ولم ينتبه أحد المتخصصين إلى هذه الضرورة الفقهية الغائبة، بل وكان من نتاج هذا أيضا أن ظهرت شعارات في كثير من الدول (لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين) وصدّق أهل الشعارات شعاراتهم كأحد التجارب الغربية مع الكنيسة، وحلّت الصورة الفردية فى الجهاد كأحد أبرز صور عدم تفعيل كتاب الله على المستوى الاستراتيجي، وانحصر المفهوم الغربي عن الإسلام فى الزواج من أربعة ومعاداة الحضارات بأعمال النسف والقتل وهدم الفنون بأنواعها وارتداء المرأة لأكبر قدر من الأقمشة، واكتفى المتخصصون بموقع الرجل الثاني...فلن يكون أحدهم أبدا رئيسا للوزراء أو أميرا للأمراء ولا سفيرا من السفراء لأنهم انهزموا أمام شعار(لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة) وانحصر دورهم في الابتهالات وتصحيح الصلوات وشرح المناسك وإفتاء الضّالين أسريا في الطلاق والنكاح وغيرهما مما لا ترتفع به الدولة سياسيا أو اقتصاديا أوفكريا، بل إنه ينهك ما انتهى إليه البعض من تعليم الناس الصلاة وغيرها من الشعائر فى المساجد.

وترى أهل التخصص في حالة غياب عن التنسيق وفى حالة غياب عن التخطيط مع أجهزة الإعلام، مما جعل من أدعياء الدعوة دعاة، وجعل الفكر الشاذ يتسمّى باسم الإسلام والإسلام منه براء، وأصبح الإسلام في أدمغة النّاس شظايا من الإسلام الغير موجّه، وما ذلك إلا لانعدام عناصر عديدة وهامة أفرزت ما نراه من الهجين المكوّن من التطرف والجمود والتشدد واللامبالاه.

إن الإسلام منهج حياة ويجب على كل مسلم وعلى كل هيئة إسلامية أن يجعله منهاج حياة، ولا يكون الإسلام أبدا والدعوة إليه حكرا على من تمت تسميتهم بالمتخصصين، أو يكون النهج الاسلامى مكوّن من بعض المعتقدات في الكيفيات والسلوك صحت أو أخطأت تتنابز به كل فئة لتنتصر لرأيها المخالف على الفئة الأخرى، أو يكون من مقتضيات وظيفة أحد الموظفين حكوميا الذين أسلموا قيادهم لرؤسائهم أكثر مما أسلموه لله.

وليعلم الجميع أن الفيصل بين الفكر الصحيح والسقيم هو هداية الله، وليعلموا أيضا أن هداية الله تكمن في كتابه وفى السنّة الصحيحة وليس في شهادة متخصصة أو غير متخصصة منحت من هنا أو هناك. وليعلموا أيضا أن رجال الماضي رجالا يجب استكمال مسيرتهم واستكمال ما لم ينهضوا على بذل الجهد فيه لانعدام الآليات لديهم بينما هي متوفرة فى عصرنا، ولابد أن نكون مبدعين بلا ابتداع ولا بد من توحيد صف هذه الأمة مهما كلّفنا ذلك من جهد ولابد من فتح أبواب الأزهر وغيره من المعاهد الدينية فى كافة البلدان للمجتهدين بلا شروط مجحفة.

إن التنابز باسم التخصص أمر ممجوج، والفيصل للحق وحده، حتى وإن صدر عن أعجمي لم يدرس اللغة العربية ولم يرى جدران أي معهد علمي ديني. وليعلم المسلم أن تعليق تصرّفه في رقبة عالم لن يمنع الحساب عنه وعن العالم، وأن الله سيحاسبه على قدر ما أعطاه من عقل وجهد، وسيحاسبك حتما على تقصيرك في عدم بذل الجهد والقراءة في دين الله حتى صرت متكاسلا متخاذلا

في دينه، وحتى صرت تسأل عن توافه الأمور وتظن أنّك تتحرّى عن دينك أو أنّك حريص عليه بينما تترك إهمالا مثاقيل الجبال من الحلال وتقع في الحرام عمدا وبلا مبالاة وتظنّ أنك غير متخصص؛ وصرت تتعمد وتترصد وتداوم على المعصية وتزأر بأن الله يغفر الذنوب جميعا بلا ضابط وما ذلك إلاّ من فرط جهل من بثّ هذا المعتقد فيك، والحقيقة أن أغلب المسلمين في هذا العصر غير معتصمين بحبل الله ولا يأخذون الكتاب بقوّة ولا يتدبرون القرءان ويهملون دين الله تحت سمع وبصر المتخصص.

بين فقه البعض وعقيدة التوحيد

لقد ترصّد كثير من الفقهاء على مر العصور جهل العوام عن البحث والدرس في دين الله فانتهوا إلى تسمية أنفسهم بالمتخصصين ،فضاعت بذلك معانى وقيما كثيرة أفرزتها تلك التسمية ، كما تشبث آخرون برأي أسلافهم ومنعوا العقول والأفهام أن تعمل في إبراز الفقه الذي يمكنه التصدي لمشاكل كل عصر ...مع اختلاف العصور، بل وأنشأوا التقديس لرأى الأسلاف مما أدى إلى انعكاسات خطيرة أشد خطرا على الأمة من منع الديمقراطية السياسية ،وراح الناس يرزحون تحت نير اختلاف الفقهاء مع تقديس كل فئة لرأى فقيهها مما أدى إلى تمزق فكر الأمة وتراثها وكان ذلك إبان زمن التعصب المذهبي الذي مازلنا نجنى آثاره المدمّرة .

ولقد كان من سمات الكلام الفقهي القديم الإنحرف بدرجة شديدة عن منهج القرءان في تنبيه الفطرة وترشيد العقل ،لقد تشوه العقل الإنساني المسلم نتيجة تقييده بأقوال الفقهاء الذين كانوا يعتبرون الفسق لمن تكلم بغير كلامهم ، فنشأ عن ذلك المسلم المغترب عن دينه لأن مشاعره وأحاسيسه في واد وتعاليم فقهائه في واد آخر.

إن القرءان حين يستثير العقل الإنساني للتفكير فيما حوله من المخلوقات(شمس ،قمر ،ارض...الخ) إنما يعني بذلك هدم الحدود بين العقل الإنساني والعالم من حوله، ويجعل من البحث في الأكوان البوابة المثلى لتطور التجربة الإنسانية التي هي عنصر من عناصر الإيمان، وحقا يقول الله تعالى {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }فصلت٥٣.

إن علم الدين الحالي المنبثق من فقه قدامى الفقهاء يمنع التعانق بين الإنسان والطبيعة والواقع المحيط به وبالتالي تتحقق قطيعة مع الواقع يصغر معها كل فعل أو دسيسة لإبليس لوأد الإيمان.

إن القرءان وهو يتدفق عبر الشرايين البشرية يبدأ بالاستفتاح باسم الله وينتهي بحماية الله للإنسان عبر سورة الناس (قل أعوذ برب الناس) مما يدل على أهمية العنصر البشري في الواقع القرءاني وأهمية القرءان للعنصر البشري. وإن تلك الرؤية المذكورة هي السبيل الوحيد للخلاص من الآلهة المزورة، كذلك للتخلص من المراجع البشرية التي كتب على الناس تقديسها؛ وذلك أمر لازم من اجل توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ومن اجل الحصول على الكرامة الفردية في دنيا البشر وعند الله .

كما أن صراخ الفقهاء خوفا على العربية من تعلم أبناءنا للغات الإنجليزية وغيرها التي تقدّم أهلها حضاريا وعلميا إنما هي دعوة جديدة للردة الحضارية التي نهى عنها الإسلام، وهى دعوة للتخلف باسم الحفاظ على اللغة العربية ، أفهم أن تكون دعوتهم مناسبة إذا ما كان للأمة تقدما حضاريا وعلميا ،لكن النظرة القصيرة التي صبغت فكر بعض الفقهاء جعل صياحهم وصراخهم غير مناسب للأمّة بل وغير مواكب لتفعيل كتاب الله الذى بدأ بالأمر الإلهى (إقرأ) وحثّ على التّدبر وأمر بالتّعقل والتّفكر وطلب منا أن ندعوه أن يزيدنا علما.

إن الحقيقة العملية للهدف القرءاني هو خدمة البشرية ،وان كل عمل من أجل الله هو في حقيقته لخدمة عباد وخلق الله، ومن رحمته سبحانه انه يثيب عليه؛ وأيضا فإن من الحقيقة المجردة للهدف القرءانى ترسيخ عقيدة التوحيد في وجدان الإنسان وأن يطبع التوحيد كل شيء في حياته ، نعم قد تفسد فطرته أحيانا لكنه جبل على التوحيد والوقوع في غرام الخضوع للإله في جل حياته ، فيكون فساده ثم أوبته عنوانا لحظيرة الإيمان التي نبع منها وفطر عليها وإن زنى وإن سرق ورغم انف أبي ذر .

يعني ذلك في خلاصته أنه لا يصحّ أن نفكك بين التوحيد والإنسان ولا بين الإنسان وطبيعة وعناصر الحياة، فالإنسان هو الموضوع الذي يجسّد التوحيد ويحقق مصداقيته من خلال الفعالية الحياتية للبشرية فى الدنيا التي يحيا الناس فيها متفاعلين مع كل ما أحلّ الله لهم من عناصرها؛ وإن أي محاولة لبناء فكر عقائدي يغيب فيه مبحث الإنسان لن يقدّر لها وصل العقيدة بالواقع إنما تكون حقيقتها أنها تختصر الفكر بمجموعه مفاهيم محنّطة لا حيوية فيها .

***ان عدم اهتمام الفقهاء بمبحث الإنسان وتطوره مع محاولة تجميد فكره عند حدود ومقدّسات من صنع هؤلاء الفقهاء جعل من الإسلام مسخا حجريا منذ عقود، وشدّ القاطرة الإيمانية الإسلامية إلى الوراء حين تصوّر الفقهاء أن العقل البشري لا علاقة له بالوحي إلا الطاعة التعبدية القحّة ،وضربوا لذلك أمثلة من كبار العباد كنماذج استرشادية تعجيزية بينما تركوا بشرية النموذج الإلهي (محمد رسول الله) الذي كان يهوي عائشة في حياته ،وخديجة في مماتها، ويحمل الحسن والحسين حال صلاته ،ويصارع (ركامه...**وهو أحد المصارعين الأشداء فى الجاهلية**) في السوق ،ويحرّم على نفسه أكل العسل فيعاتبه الله، ويقع في غرام جمال السيدة جويرية فيتزوجها بما له من رصيد كان مفتوحا وقتها ليتزوج من يشاء بل ومن تشاء {تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً }الأحزاب٥١.**

إن قول المولى عز وجل للمسلمين {وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ...... }النساء٢٠ . كذا قوله تعالى:ـ (.... فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ .... }النساء٣ . إنما تعنى تلك الآيات عدم تحريم الوقوع في الحب بين الناس من أهل ملّة الإسلام، لكن على أن يكون ذلك من خلال ضوابط قرءانية حاسمة في هذا الشأن، لكن تأولت مجتمعاتنا وفقهاؤنا الأمر فجعلوا منه حراما فى الأعم وحلالا لمن لم يتزوج فقط.

إن الحب ليس ردّة في دنيا العبودية لله كما يرمي إلى ذلك فقهاء الماضي وإن عشق الله لا يمنع الوقوع في غرام حواء التي خلقها الله لآدم حين وجد فراغا في حياته رغم وجود الله مالك كل شيء {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }الملك١٤ .

إن عقيدة التوحيد تتآكل حين نترسمها ونحددها صومعة سجود أو تراتيل كتاب ،فإن السعي في الحياة بضوابط السجود وتراتيل الكتاب هو أعظم برهان لحقيقة السجود والترتيل، كذا فإن الوقوع في الخطيئة أثناء ذلك السعي هو من مقومات إبراز وتفعيل الاسم الأعظم (الغفار والتواب والرحيم ......الخ) وإلا فمتى تعمل هذه الأسماء وتلك الصفات الإلهية؟؟ .

إن ضرورة صبغ حركة الحياة بعقيدة التوحيد لا يعني ما هو موجود من فصل للتوحيد في براثن الأبراج العاجية مع إلقاء النظرة بتأفف بين الحين والحين على الحياة إن الاندماج بينهما(مقتضيات التوحيد ومقتضيات الحياة) يجب أن يكون على الأرض حتى وإن تم الانشطار أحيانا بفعل السقوط البشري فإن ذلك لا يبرر الجنوح بعقيدة التوحيد لتوضع في أبراج عاجية أو جعلها من المسائل المستحيلة أو الحجرية غير المتطورة.

إن العمل الصالح هو روح الإيمان وإن الدنيا والآخرة يكتسيان بزينة العمل الصالح، والعمل الصالح يغذّي الإيمان والإيمان يغذّي العمل الصالح {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزيدُهُم مِّن فَضْلِهِ.... }النساء١٧٣.ويقول تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً }مريم٩٦ ،والآيات كثيرة في ازدواج وتلازم العمل الصالح مع الإيمان ،لكن لا يمكن إغفال أن صاحب العمل الصالح هو النموذج البشري الذي زيّن الله له حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وأن هناك فارق لازم وحتمي بين دنيا الملائكة وبين دنيا البشر.

إن ضرورة التمازج بين الحياة والإنسان ثم تمازج الإنسان المنطلق حياتيا مع الإيمان ثم تمازج الإيمان داخل القالب البشرى مع العمل الصالح هي منظومة التوحيد التي عناها القرءان ، وليست تلك العقيدة المنعزلة الكسيرة العين التي تتلمس الثواب في الآخرة وتسعى للفقر بدعوى أن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائها بأربعين سنة ،أو بدعوى فقر النبي ، إن تلك الصيحات الآثمة هي من أكبر الطعنات التي توجه للإسلام من أهل العمائم .

إن التلقين الطقوسى للعقيدة أفرز مسلم يهوي (بعمد أوغير عمد) الإشراك بالله بقدر أكبر من قدر الإيمان الذي يستوعبه قلبه ،إن خطاب العقل في شئون الإسلام مع إهمال شئون القلب يمثل انحرافا بالدعوة الإسلامية، كما أن خطاب القلب دون العقل يمثل ذات الانحراف ،وهو ما يمثّله القصص غير الموثّق الذي يستهوى الكثير من الدعاة مثل :.

وصف المسيخ الدجال أو قصة العفريت الذي أمسكه أبو هريرة أو الرجل الذي قتل تسع وتسعين نفسا وأكملهم بمائة ثم رحمه الله لمجرد نيته في التوبة ....مثل هذه الترّهات تتكشف بها صورة إهدار الحقيقة القرءانية وإهدار قيمة ازدواج وتلازم العمل الصالح مع الإيمان وذلك بلفت الانتباه إلى مسائل فرعية اعتبرها الناس بعد ذلك عقائد وأهداف، فصاروا ينتظرون حظهم الوافر في الرحمة والمغفرة دون أن يحركوا ساكنا في مسائل الطاعة.

كما وأن تحديد التوحيد في دائرة العقل فقط ينجم عنه إفقار شديد للروح وانقطاع الصلة بين الإيمان والحياة ، فحين يكون الإيمان أساسا لكافة المناشط الاجتماعية يكون العمل الصالح هو البناء الذي شيد على أساس ما له ميل، ويكون ذلك مع تصور وقوع خطأ في البناء وذلك لأن القائم بالبناء عقل وقلب بشر .

إن حصر واقع المسلم في مجموعه طقوس لها سلبية امتصاص فعالية الإيمان الثورية داخله ، ومن شأنها أن تحيل المسلم إلى تجربة باطنية ذاتية لا تمتد إلى علاقته بالطبيعة ولا إلى الجنس الآخر بل ولا حتى بالجنس ذاته إلا من خلال تلك الطقوس ،لقد جعل هذا المنهج من الأمة الإسلامية مجموعة من المقلدين دون معطيات إيمانية، ومجموعة أخرى من المرضى إما بالاكتئاب أو أمراض وعلل نفسية ما لها حدّ ،وقليل منهم من أنجاه الله من تلك العلل .

إن الغدر الفقهي صنع أهل إشراك بالله يقومون ويصومون ويظنون أنهم موحّدون، وصنع على ضفّة أخرى من يقومون ويصومون ويرتكبون كل ما يحلو لهم ويظنون أنهم معذورون،وما تلك الفئات وغيرها إلا صنيعة انعدام مخاطبة الروح إلا بالقصص والرتابة الدعوية وانعدام التذوق القلبي بين ما تم صياغته أو نقله من الفقهاء القدامى وبين الحياة العملية فى عصرنا.

كما وأن العداء بين الفرق الإسلامية (ممثلا في فقهائها) أنشأ جنوحا وتشددا وتقديسا لغير مقدّس داخل كل مذهب، فترى أهل السّنة يقدّسون كل ما نقل لهم على أنه حديث قولي لرسول الله حتّى وإن خالف القرءان ،وتجد أهل الشيعة وقد غالوا في تقديس كل ما هو من تراب على بن أبى طالب ورفضوا ما عداهم حتى وإن خالفوا كتاب الله ، وتجد الخوارج وقد تصوّروا التقوى في تأويلاتهم التى غالوا فيها...الخ، ولقد نسى الجميع أن تراث النّبوّة(أي نبوّة) يتهدم مع الشهور والدهور التي تمر عليه ومع زيغ قلوب كثير من أهل السلطة ومن واكبهم من علماء،ولولا أن الله قد حفظ وحى السماء إلى الأرض لكنا في أمس الحاجة إلى نبي يعيد الأمور إلى نصابها والشريعة إلى حقيقتها.(المرجع:موجز أصول الدين لمحمد باقر الصّدر)

الخلاصة

إن الدين الإسلامى ليس عقيده لاهوتيه تقوم بعملها طالما استقرت عقيدة فى القلوب وتم تنظيم شعائرها ،لكن لابد لفقهائنا من الاهتمام بجانب الواقع الذى يعيش فيه الانسان وهو واقع متجدد لابد ان يتجدد فقههم ليواجهه، ولابد من كسر الحواجز القديمة والفقه القديم لمواجهة متطلبات إنسان العصر الحديث بما لا يغير من نظم ونظام الشريعة.

كما يقع على عاتق الفقهاء مسئولية هدم الصروح المذهبية أو التقريب بينها بأسس قابله للتطبيق مع الترويج لما اتفقوا عليه حتى تتوحد الأمّة بدلا من تكريس المذهبية التى أذهبت ريحها.

إن العبادات تعبير تطبيقي لغريزة الإيمان ،فكلما قوى الإيمان قويت شوكة العبادة،فلابدّ لأهل الفقه من اللجوء إلى تدعيم الرواج الإيماني في القلوب البشرية وذلك ببذل الجهد فى التعانق بين الدعوة وبين الآيات المنظورة فى كون الله حتّى يصلوا بالعباد إلى كينونة الإخلاص الملازمة لكل عبادة وحتى يصلوا إلى المجتمع المثالي الذي يبغون.

من منهاج الدعاة

لقد اتخذ بعض الدعاة منهاجا في اللّين يتصورونه منبثقا من قوله تعالى ({ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }النحل١٢٥ – ولست أدرى ما علاقة الموعظة الحسنة أو الحكمة بما هم عليه من لين زائد حتى انك إذا ما رأيت واعظا آخر ينذر الناس بعظائم الأمور فإنهم يبادرونه أيضا بذات الآية ويقولون له ({ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ... }النحل١٢٥. وكأن الحكمة والموعظة الحسنة هي اللّين.....وهكذا أصبح مفهوم الآية لديهم.

إنّ كلمه حكمة تعنى الرشاد فى الأمور(سيأتىتفصيل شرحها فيما بعد)، أما عن الموعظة الحسنة فليست هناك موعظة حسنة أفضل من كتاب الله، وهو كتاب فيه نذارة وفيه بشارة، بل لقد خصّ الله عز وجل أهل الإسلام بالإنذار فقال تعالى ({إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ }١١يس

بينما على الجانب الآخر – جانب أهل الكفر يقول تعالى عنهم ({وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ }يس١٠ . ويقول تعالى ({قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ }الأنبياء٤٥

ولا يعنى ذلك ترك إنذار أهل الكفر ،لكن دوما تكون النتيجة فيه ترجى للمؤمن أكثر مما ترجى للكافر ، والتبشير أيضا من الموعظة الحسنة ، لكن على الداعي إلى الله أن يعلم شاكلة من يدعوهم ،فإن كانوا من أهل استدامة المعصية الذين يهتمّون بتكريس حديث (كل بن آدم خطّاء) في حياتهم، فهؤلاء تفسدهم البشارة وهم غالبية أهل الاسلام فى هذا العصر ،فالتبشير والنذارة جناحا الدعوة..... والداعي إلى الله يميل إلى جانب الجناح الذي يصلح الناس وفق طبيعة الناس.

إن الدّعوة إلى الله قبل أن تكون نبراسها الموعظة الحسنة فلابد لها من الحكمة أولا ؛فليكن الداعي إلى الله حكيما بأهل زمانه، وليعلم أنهم يصطادون من كلماته ما يشفى صدورهم العليلة مما يقوله عن المغفرة وعن الرحمات والجنات ويتركون ما عدا ذلك ، كذا يتركون ما أراده هو بين ثنايا الكلام أو خلف سياج ما ظنّ انه الموعظة الحسنة .

ان توضيح الرؤيا بحدود ملموسة للكافة هي مهمة الداعي، وليست مهمته فى الدعوة مهمة سياسية يجاهد فيها ليرضى الأذواق، إن الله سبحانه وتعالى أمرنا بأن نستبين سبيل المجرمين وذلك من قوله تعالى ({وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ }الأنعام٥٥ . كما أمرنا بعدم اتباع خطوات الشيطان أى الطريق الذي يؤدى إلى أهداف إبليس فى إقعاد صراط الله المستقيم للناس ،وذلك من قولة تعالى ({يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }النور٢١ .

ويأمرنا المولى عز وجل بأن نتخذ الشيطان عدوا وذلك من قولة ({إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ }فاطر٦ ، فأنّى للمسلم في ظل كل هذا التمييع أن يستطيع المفاصلة بين الحق والباطل وبين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان في ظل ما تصوّر البعض انه الموعظة الحسنة!!! وأين نحن من قول المولى عز وجل ({يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً }مريم١٢، أم أن الأمر بأخذ الكتاب بقوّة كان ليحيى فقط كما تصور البعض؟؟.

وأين نحن من قول المولى عز وجل ({وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }البقرة٦٣ . أم أن هذا كان لبنى إسرائيل فقط كما فهم آخرون.

أما مسلمو عصرنا فهم يأخذون كتابهم وشريعتهم برخاوة ونداوة وطراوة يحسدها عليهم ملمس الحرير ورذاذ الماء العذب، ولست أدرى لماذا لا تلتزم المذيعات الحجاب فى برامج الدين ومع رجال الدين بالذّات كما يلتزم مرتادو الأوبرا لباس بدلة السهرة في دار الأوبرا ؟؟ ولماذا تنتشر بين المحجبات منهن رذيلة وضع الاصباغ والمساحيق حتى صار أمر وضع المساحيق من مقتنيات المرأة دون خجل من الآية الكريمة التي تأمرهن بعدم إبداء الزينة إلا للمحارم .

ان السبب الرئيسي وراء انتشار رذيلة الغناء بين الشباب .....وكثرة الفنانين والفنانات والراسبون فى الشريعة .... وكثرة اللاهيين واللاهيات..... ورذائل أخرى كثيرة ، وتدافع أمواج الجهل المتقاطر من البشر التي تدفعها أرحام أسرة المستقبل إنما يكمن فى غموض المفاصلة بين الحق والباطل وبين منهاج أولياء الرحمن وأولياء الشيطان واليك برهانا على ذلك فيما يلي:-

* انك إن أحصيت عدد المرتادين للحانات والمقاهي والنواصي ودور اللهو وتمضية أوقات الفراغ وعددت على الجانب الآخر عدد المرتادين للمساجد فى ذات الحي عن ذات اليوم ستجد النسبة مخزية لمن أراد الرفعة لدين الله ، ثم نجد بعد ذلك من يقول ان الدين بخير والإسلام هنا (سواء كانت كلمة هنا هذه مصر أم السعودية أم قطر أم سوريا أم السودان أم غيرهم) فالجميع يحصر الحق فى فئته وقومه، والجميع يريدون أن يغمطوا الحق فكما غمطوه في الشريعة فهم يغمطونه في البيان.

ويقول أحد أفاضل الدعاة(الشيخ سيد قطب رحمه الله) يجب أن تبدأ كل دعوة إسلامية بتحديد سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين مع التعريف الدقيق لكل من السبيلين مع وضع العنوان المميز للمؤمنين والعنوان المميز للمجرمين فى عالم الواقع لا فى عالم النظريات حتى يعرف الناس من هم المؤمنون ومن هم المجرمون بعد تحديد منهج كل فئة.

إن أشق ما يعانيه المسلم وخاصة الشباب الغبش والغموض واللبس الذي أحاط بمدلول لا إله إلا الله.

إن الدعوة إلى الله يجب ان ترسم الحدود الفاصلة فى استبانة سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، وإن تمييع هذه المفاصلة يدفع أعداء الاسلام إلى توسيع ثغرة الغبش والغموض ومنطقة الحدود الآمنة بين ما هو حلال وبين ما هو حرام فيما يسمى المباح فكان من نتاج ذلك أن كثر أهل الحانات والتسكع فى الأسواق وإضاعة الوقت فى مقاهي الانترنت بدعوى المباح، ثم تطور الأمر حتى هجر الناس المساجد حتى فى أيام الجمع حيث يحضرون إلى المساجد ذرّا للرماد في عيون أهل الالتزام ،لذلك فإن تحديد ملامح كل فئة قد يجعل الناس تستحي المعصية كما كانت قبل سنوات ،وان الله عز وجل أمرنا باستبيان سبيل المجرمين حيث يقول {وَكَذَٰلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ }الأنعام٥٥ ....كما وان قاعدة الحكم على الناس لا يجب ان تكون قاعدة عامة تكمن فيما يقولونه أن كتاب الله هو الحكم بين الناس، فإنك لن تجد فى كتاب الله شيئا عن تسكّع الكثير من الشباب والشابات في الأسواق أياما وساعات مع ما يصاحب ذلك من رذائل للمجتمع .

فيجب أن يتصدّى الدعاة للمصطلحات المتقلبة للمجتمع ،فإن المجتمع ومقوماته المادية أو الاجتماعية لا تعنى أبدا تغيّر قيمه وأحكامه ولا تعنى تمييع المفاصلة بين ما هو حق وما هو باطل تحت مسمى الحكمة والموعظة الحسنة.

ان كلال البصر والبصيرة عن رؤية واقع الناس وقيام بعض الدعاة بترك قيادهم لأجهزة سياسية أو تنفيذية أو غير ذلك أفسد المجتمع وأضاع القيم ، لقد صنع هؤلاء الدعاة الصمم والعمى لدى المسلمين بتبنيهم قضايا دعوية لا تنفع الناس فى حياتهم وإن اهتمام الدعاة بقصص غير موثق عن أبي ذر وعمر بن الخطاب وغيرهم أفقد المسلمين حاسة المذاق لواقع الحياة التي يعيشونها وأضاع منهم وضوح الصورة التي يجب على المسلم تطبيقها.

إن الذين يدّعون العلم الشرعي دون ان تتكيف قلوبهم به يخرجون على الناس برذاذ قديم يملّ الناس سماعه، إن على هؤلاء الدّعاة أن يفهموا أن لكل زمان شفره تصلح للدخول على عقل أهل الزمان، فقصص الماضي ورجال الماضي شفره تصلح لرجال الماضي ويملّ أهل الحاضر من ترديدها والدخول عليها بل ويتصورون أن هؤلاء الصحابة بشر مخصوص لزمان مخصوص،لقد حوى كتاب الله أحسن القصص فإنه ومع وجود قلب يحسن التدبر نهتدى إلى كنوز تصلح للدخول على شفرة كل عصر.

ثقافة التخاصم وتقطيع أوصال الأمة

لقد تبنّى المسلمون في مسيرتهم في الحياة أسلوبا فريدا في الاختلاف؛ فهم لا يذعنون لتعاليم كتاب الله حال اختلافهم، وترى كثيرا من مسلمي هذا العصر الحديث وقد رجموا مسلما آخر لا لشيء إلا لأنه انتقد مذهبهم، وترى الطرفان وهم يزكّون روح الفرقة بين جسد الأمة المنهك ما بين سني وشيعي وما بين سني وسلفي وبين الصوفية والسنيّة، ناهيك عن الاختلاف بين الفرق الأخرى، وترى العداء والبغضاء يبرزان من بين أنياب الخلاف الفقهي، ولست أدرى إلى أي مذهب ينتمي هؤلاء وإلى أي دين يحتكمون ؟؟؟ أخشى أن يكون الشرك المصاحب للإيمان هو نصيب أكثر مسلمي هذه الأمّة واقرأ إن شئت قول اللطيف الخبير(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ)يوسف١٠٦

إن الله عز وجل أنزل لنا قرءانا يذمّ فيه أهل الكتاب الذين اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم، فهل نمارس نحن ما ذمّه الله فيهم؟؟.والآيات القرءانية الدالة على مجادلة المخالف بالتي هي أحسن ـ حتى وإن كان مخالفا في العقيدة ـ كثيرة لكنها معطّلة في ديار الإسلام حيث يقول تعالى:-

*{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ }آل عمران١٩ .

*ويقول تعالى (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (العنكبوت:٤٦).

*ويقول تعالى (........... وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل:١٢٥).

*ويقول تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران:١٠٣) .

فعلى المسلم أن يتدبّر كيف يكون الجدال وأنه لابد أن يكون بالتي هي أحسن، أنه يجب ألا يترتّب على استمرار الخلاف عداء، وإن تدبّر المسلم الآية الأخيرة سيجد فيما بين طيّاتها ما يفيد أن أمّتنا ستختلف في الرأي ـ وإلا ما نهاهم ربهم عن التفرق ـ فالاختلاف سيكون أبدا ولكن التّفرق هو المذموم ـ فصوابك يحتمل الخطأ وخطأ غيرك قد يحتمل الصواب، ولكن لا يجب أن يصل الخلاف في الرأي إلى مرحلة الخصام والتباغض بين أعضاء الملّة الواحدة شريطة ألا يمسّ هذا الخلاف أساس العقيدة أو حجيّة القرءان الكريم.

وان التأليف بين قلوب المسلمين من أخصّ الشئون الإسلامية لأهل الدعوة، وليعلم الجميع أن الله أيّد رسوله باجتماع المؤمنين حوله ({وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ }الأنفال٦٢ ويقول تعالى ({وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }الأنفال٦٣

كل ذلك يعنى أن التآلف من سنن الله في مباشرة المسلم لإسلامه، فلا بد أن يعمل لأجل هذا التآلف والترابط خاصة إن كان من أهل الدعوة ومن أهل المجامع الفقهية، ولكي يكون لهدف التآلف حقيقة فلابد أن يكون الإخلاص لله رائدها.

وإنّك إذا ما اطّلعت على أسباب الخلاف تجد معظمها في التأويل والتخريجات الفقهية والفرعيات وأقلّها في الأصول (مثل الاختلاف في وجود ناسخ ومنسوخ داخل دفتي كتاب الله من عدمه)، وتجد الدهماء وقد ساووا في ردود أفعالهم بين الحميّة الواجبة حين انتهاك العقيدة وبين الخلاف في الرأي الفقهي الاجتهادي، وياليت الأمر يقف عند حد الاختلاف في الرأي أو التخريج الفقهي، لكنك تجد هؤلاء بكل ما أوتوا من قوة من سهام التكفير يرجمون المخالف في الرأي الفقهي وكأنه خرج من الملّة، وقد تابع هذا المنهج كثير من دعاة هذا العصر حيث نشأت جفوة بين كتب الحديث وكتب الفقه ولم يسلم أصحابها من أن يمتدّ الجفاء إليهم كلّ ينتصر لفقهه، بل وأصبح الشغل الشاغل لبعض المشتغلين بالحديث الطعن على أئمة الفقه، وانتشر في عصرنا الغباء في فهم السنّة.

إن التعصب لرأى أحد الفقهاء غباء، فليعمل به من أراد التمسك ولكن لا يستحمق إن رأى غيره يعمل بخلافه، إن وجهة النظر لا عصمة ولا قداسة لها إنما القداسة للوحي السماوي المنزّل من الله والمتمثّل في القرءان الكريم. ....(راجع دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين للشيخ محمد الغزالي).

وإن التحيز لجزئيات تثير البلبلة (مثل حديث رضاع الكبير) في عقول أهل الحاضر هو الذي يهدم وحدة الناس، إنّ إلغاء هذه الجزئيات وحذفها من مراجعها أمر لا يهدم الدين، ولا يكون من ألغاها أو من أنكرها إلى حين حذفها منكرا للسنّة، وإن هذه الأمور لم تكن لتثار في الماضي إلا لقلّة الثقافة وضيق الأفق العقلي هناك؛ أما اليوم فقد أصبح العقل أكثر تفتحا عن ذي قبل، ولذلك فإن استمرار وضع هذه الغرانيق يثير الكثير من الجدل حول مصداقية مصادرها، كما وأنها لا يجب أن تكون سببا للتخاصم بين أهل الإسلام.وعيب كبير أن نجد من يتزعم هذه الثقافة ويوغل في الخصام من فقهاء الأمة وأهل الريادة فيها، فهل حين يقوم أحد أفاضل الفقهاء المجاهدين وهو الدكتور/محمد سعيد رمضان البوطى بتأليف كتاب أسمه (فقه السيرة) وتمت طباعة ما يقرب من عشرة طبعات من ذلك الكتاب، فهل يصح أن نجد أحد أكبر محدثي العصر الحديث يرد علي الكتاب المذكور بكتاب أسماه(دفاع عن الحديث

النبوي والسيرة في الرد على جهالات الدكتور البوطى في كتابه فقه السيرة) ويكتب ذلك العنوان على غلاف الكتاب؟؟؟ أي إسفاف وغلظة يرتوي منها مثل هذا الرجل؟؟.

وإنه تطبيقا للتحضّر وتوحيدا لفكر الأمة وعدم تنابزها وتغليبا للعقل على المجون وللإصلاح على الإفساد، فإني لست أجد سببا للتخاصم فيما انتهجه الشيعة من منهاج الإمامة أو ولاية الفقيه وما يصرّون على فعله من ضرورة السجود حال الصلاة على شيء من تربة مدينة كربلاء وما يتناقلونه من وجود مصحف أسمه مصحف فاطمة... وغير ذلك مما يتصوّرونه، ولماذا يفترق أهل السنّة عنهم لأجل هذه الترّهات؟؟؟في الوقت الذي أجدهم يتّفقون ويتلاطفون مع قتلة الأنبياء ومن أهدروا القيم والأديان وسفكوا دماء أهل الإسلام في أكثر الدول الإسلامية.

ولست أدرى لماذا يكون التنابز بين أهل السنّة وبين الصوفية لأجل طوافهم بالمساجد ذات الأضرحة وغيرها من أفاعيلهم الخاطئة، وليس بالضرورة أن يكون كلّ فقه الخوارج باطل ولا كلّ علم الشيعة كفر ولا كل نهج الصوفية شرك، لا شك أن من بعض فقههم ما نحتاجه ومن فقهنا ما يحتاجون إليه، لكن الشقاق منع وصول الزاد الفكري إلى عناصر الأمة التي أمرها الله بعدم التّفرق.

ولماذا قبل أهل كل فرقة من فرق الإسلام خلافات أئمتهم في أصول الأصول بينما هم يدّعون أنها في الفروع؟؟ ثم رفضوا كل ما كان من فقه الفرق الأخرى بالجملة، !! أليست هناك على الضفة الأخرى فكرة واحدة رشيدة؟ وهل مناطق الخلاف لابد وحتما أن تكون كفر بالله ؟؟؟ إني أرى أن الكفر منطقة محظورة لأن يرجم بها فرد أو هيئة واحدة مهما كان شأنها؛ إن للناس حقا في استئناف أحكام القضاء فهم ينقضونها، وفى كثير من القضايا نجد الناس على حق والقاضي المتخصص على باطل، و إلا ما سبب كل هذه الأحكام بالبراءة ؟؟؟ لاشك انه إن كان الأمر كذلك في أمور الدنيا ففي الدين يكون الحرص أوجب على حق المسلم في الدفاع عن نفسه أكثر من مرة قبل أن يحكم معتلّ واه شاحب الفكر بكفر هذا أو ذاك.

وترى الخلاف بين كلّ فئة وقد أوصل الفئة الأخرى أن ترجم أختها بالكفر والضلال، وكيف بالمجامع الفقهية لم تتحد على رأى واحد في مسألة هامه من المسائل ولتكن مسألة الناسخ والمنسوخ من حيث ماهيته تحديدا إن كان له وجود في كتاب الله، أو في إنشاء مرجع جامع للسنّة النبوية، إنهم مختلفون وغير متّفقون منذ أكثر من ألف سنة بينما تراهم يطنطنون بأن الخلاف في الفروع وحقيقته أنه في أصول الأصول ـ بل في أمّ الأصول ـ القرءان الكريم وحجيّة آياته، وهل بعد ألف سنة من استمرار الخلاف نسميه خلافا في فروع؟؟؟.

ولكنها ذات السياسة التي أفرزت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الذي قام بقتل الإمام الحسين والعبث برأسه بعد أن قطعها جلاّدوه ووضعوها بين يديه الآثمة، كما قام بأسر أحفاد رسول الله..... وبينما وهو على هذه الحال يصيح بأنّه على السنّة وأنه من أنصار الحق..... والذين قذفوا الكعبة بالمنجنيق كانوا يصوّرون للناس أنهم يدافعون عن السنّة ضد الزيادة التي أحدثها عبد الله بن الزبير في طبيعة بنائها الذي كان يجتهد في أن يكون على قوائم إبراهيم، بينما قالوا هم: بل على ما تركنا عليه النبي، وحقيقة الأمر أنهم كانوا يحاربون من أجل ألا تكون لابن الزبير زعامة في مكّة....الخ.

وإلى الذين يتصوّرون أنّ الخلاف في فروع، بينما تكتوى الأمّة بنار تلك الفروع المزعومة، لأنه ما كان الخلاف في فروع بل في الأصول وفى الحرام والحلال، فمن ضمن خلافهم في الحلال والحرام ما انتهت إليه المالكية من جواز تربية الكلاب بل وأكل لحومها بينما اختلف معهم من اختلف حتّى انتهى أحدهم إلى أنّ ظلّ الكلب ينقض الوضوء إن سقط على أحد المسلمين ولا يرى بعضهم الاختلاط بالكلب إلاّ لضرورة ملحّة وانتهى الكثير إلى نجاسة الكلب، أفلا يكون ذلك اختلافا في الحرام والحلال؟؟؟

ومن بين بلايا الاختلاف أنك ترى نواقض الوضوء عند فقيه غير منقوضة عند الآخر... وغير ذلك كثير مما لا يقع تحت حصر بما يعنى أنه خلاف في أصول لأنه خلاف فيما تصحّ به الصّلاة أو لا تصحّ. بما يثبت للقارئ أن الخلاف في الحلال والحرام وكذا في

الأصول وليس الأمر كما يدّعون ويبسّطون، فنحن نرزح بين نارين..نار تهويل الخلاف ونار تهوين الاختلاف، وما ذاكم إلاّ من ثقافة التّخاصم التي يزكّونها تارة ويطفئونها تارة وفق مزاج من يستحسنون أو يعادون بلا انضباط.

وبينما تم توحيد أقطار أوروبا داخل منظومة الاتحاد الاوربى الذي كانت بين الدول من أعضائه حربين عالميتين ولم يكن بينهم عوامل مشتركة من الدين أو اللغة، تجد على الجانب الآخر ـ جانبنا نحن ـ نكرّس الخصام الفقهي الديني ليصير مقاطعة سياسية واقتصادية واجتماعية بل وخلافات في ترسيم الحدود بين دول الإسلام.

إن الاختلاف حول تأويل ما أو مذهب فقهي ـ أو الاختلاف حول دور العقل في ممارسة الشعائر ـ لا يجب أن يكون سببا في تفرّق الأمة وذهاب ريحها بين الأمم فهناك دوما نقاط قوّة يجب تدعيمها مع استمرار وجود نقاط الخلاف كما سبق التنويه في شرح آية سورة آل عمران التي تشير إلى الاعتصام بحبل الله جميعا مع عدم التّفرق لأجل الاختلاف طالما أننا نمارس أركان الإسلام ونتجه إلى قبلة واحدة ونعبد إلها واحدا ونؤمن بنبي واحد حتى وإن سمعنا من يقول بخطأ جبريل حين تنزّله بالوحي، فهذه كلها ترّهات يمكن السيطرة عليها إن اتحدنا ويمكن أن تستفحل إذا ما رويناها بثقافة التخاصم التي ورثناها جيلا بعد جيل (المرجع:ـ التطرف المنسوب إلى الإسلام ـ مظاهره وتفسير ظهوره وعلاجه ـ مجلّة الأزهر جمادى الأولى عام ١٤٠٨ هـ).

وإذا كان الله يأمرنا ألا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن فكيف بنا نتجادل فيما بيننا بالتي هي أسوأ، إن بذور الشقاق واستخدام سلاح التكفير بدأه المعتزلة مع بن حنبل رحمه الله، فوشوا به عند الحاكم وتم سجنه وتعذيبه في أحد القضايا الخلافية، ولا تزال ترى هذا الفكر بين المحدثين الآن (فرض الفكر بالقوّة وعدم المجادلة بالتي هي أحسن) بل لا أكون مبالغا إن صرّحت بأنه الفكر العملي لكثير من الدعاة المتخصصين في هذا الزمان وإن كانوا يرفعون رايات التسامح والحكمة والموعظة الحسنة، وتحت يدي بعض من نماذج هذا الفكر في العصر الحديث، بل أنهم يكفّ ّ ّر بعضهم بعضا على صفحات الكتب من مؤلّفاتهم حتّى يفرزوا لأنفسهم أنصارا من العامة؛ ويمكنني أن أسهب في هذا الأمر بشكل أكثر وضوحا لكن السّتر على المسلم من مناهج الحكمة في هذا الشأن.

ولقد رأيت أحد أساتذة علم الحديث على قناة (روتانا سينما) أيام ٣&٤&٥ من ديسمبر ٢٠٠٥ وهو يشطح بالقول أن رئيس الجامعة الإسلامية بإسلام آباد(مدينة في باكستان) قد حصل على الدكتوراه من إسلام آباد ولم يحصل عليها من الأزهر، وخلص من ذلك أنّ قوله لا يحتجّ به، ومن آرائه المسجّلة عليه أن حجة الإسلام الشيخ محمد الغزالي ليس بمحدّث ولا فقيه، وأن أصحاب المذاهب الأربعة لم يكونوا رجال حديث ولكن كانوا فقهاء فقط......وهل يتصور أحد أن هذا التقسيم المرعب والثقافة المدمرة التي كان يقذف بها الشيخ كالحمم كانت من أجل دفاعه عن وجود حديث رضاع الكبير (بما يعنى أن أية أنثى يمكنها أن ترضع من تشاء من الكبار فيكون ابنا لها من الرضاعة فيحق له أن يراها بدون حجاب) ومن أنه حديث صحيح ـ وذلكم مثل مما أعنيه عن ثقافة التخاصم.

وعلى المسلم أن يسأل نفسه متى نبتت عنده فكرة كرهه للشيعة، ومتى عرف بتشدد الوهابية وجمودهم، ومن أعلمه بشطحات الصّوفية.... لقد غرست فينا أهداب الكراهية بين بعضنا البعض حتّى صرنا نتوارث ثقافة البغضاء جيلا بعد جيل، وما من طبيب من أهل التّخصص يهتمّ بنا قدر اهتمامه بالاحتفال بليلة النّصف من شعبان وغيرها وتراه يتصدّر جموع المحتفلين بهذه الليالي، فهل هذا هو منتهى علم المتخصصين ؟؟؟؟؟.

من أسباب انتشار الفضائح الفكرية في بعض مراجعنا

١. إن المسلم لا يجب عليه أبدا إغفال التاريخ، بل يجب عليه وصله بما يليه والاعتبار بما فيه، وإننا نعلم يقينا أن التتار حين قاموا بغزو العراق قاموا بإلقاء مخطوطاتها وكتبها في نهر دجله حتى أن النهر قد تلوّن بألوان شتى من أحبار هذه الكتب والمخطوطات، وروى أن التتار صنعوا جسرا تعبر عليه خيولهم عبر النهر.وإن هذه الواقعة وغير ذلك من الأباطيل لا يجب أن تغيب أبدا عن الباحث الإسلامي في تقييم ما ظهر بعد ذلك من مطبوعات بعد تدمير الأصول.

كما لا يغيب عن المسلم الواعي إفساد(أحمد بن بويه) لتراث الأمّة الإسلامية حين استولى على السلطة عام ٣٣٠ هجرية، وهو الذي أفسد الإفتاء والقضاء وجعلهما مزادا لصالح خزانته، فتنافس الفاسدون لنيل مناصب الإفتاء والقضاء، وهو أوّل من حرّض

على نشر المنشورات التي تلعن الصّحابة في المساجد وأوّل من أدخل عادة النّواح على شهداء كربلاء وقد وصفه السيوطى في كتابه(تاريخ الخلفاء) ووصف أفعاله بأنها ملعونة.

ويقول الدكتور عبد الله سلامة نصر (أستاذ الحديث بالأزهر في جريدة العربي النّاصرى في ٢٠٠٤/٩/١٩ (إنّ الذين أعادوا نسخ كتب السّنة كالبخاري ومسلم والتاريخ الإسلامي كانوا من الزّنادقة وأعداء الإسلام ودسّوا فيها أحقادهم كما دلّسوا في أحاديث رسول الله)، كذا نضيف ما أورده الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) فيما انتهى إليه من ذكر من أفسدوا التّاريخ بقولهم أنّ رسول الله سجد للأصنام.

٢. إنّ التدوين المنظّم للسنة النبوية بدأ بعد أكثر من مائة وخمسين سنه من وفاة رسول الله، فلم يكن هناك صحابي واحد ولا تابعي واحد على قيد الحياة، أضف إلى ذلك معتقد ظهر في ذلك الوقت (عصر التدوين) ألا وهو معتقد عدالة الصحابي، وليعلم المسلم أن بعض رجال الحديث من أهل السنّة قد اتهم أبا هريرة بالتدليس وغيرها من الاتهامات رغم كثرة ما روى عنه في الصحيحين، وعموما هو أمر يحتاج إلى رويّة إذ ليس كل الصحابة عدول وآية ذلك نشوب القتال بينهم في معارك على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان بما يعنى اختلافهم في الرأي واضطرابه إلى درجة إسالة الدماء وإزهاق الأرواح، فضلا عن أنه إذا ما كان علم الرجال المسمّى بالجرح والتعديل يقدح في أحد تابعي التابعين لكونه ممن ينسى فإن داء النسيان ولابد أن يكون قد مرّ على بعض الصحابة بما يعنى أن نظرية عدالة الصحابي يجب أن تكون محل نظر.

*كما يظل قول النبي لأصحابه (من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) برهانا مؤكدا عن عدم جواز الاعتماد على قول الصحابي فقط لأنه صحابي إذ كان منهم من يكذب متعمدا وإلاّ ما قال رسول الله لهم ذلك القول.

٣ . كما وأن الله قد قرر لتأكيد أي أمر من أمور الدنيا ضرورة إشهاد شاهدين من الذكور أو رجل وامرأتان حتى وإن كانا من الصّحابةَ (.....واسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى.....)٢٨٢ البقرة، فما بالنا في أمور الدين نرتضى بشاهد واحد منهم ونجعل للمقولة المنسوبة إليه تقديسا يضارع كتاب الله؟؟؟.

٤. فإذا أضفنا أن من يضع الحديث على رسول الله يسهل عليه أكثر أن يضع الحديث على أبى هريرة وغيره من الصحابة في الوقت الذي زعم فيه جامعو الأحاديث بعدالة الصحابي، ناهيك عن وضع أسماء لصحابه لم تكن من الصحابة ونسبها الوضّاعون للأحاديث لهذه الأسماء الموضوعة أيضا وجعلوها سندا لأحاديثهم عن رسول الله.

٥. استمرار إعادة طبع هذه المراجع كما هي رغم اليقين لدى المتخصصين في علم الحديث بما تحويه بعض الأحاديث من مخالفة كتاب الله أو مخالفة العقل أو الثوابت الكونية.

٦. وإننا حين برّأنا الإمامين البخاري ومسلم وغيرهما من نيّة جمع أحاديث غير صحيحة في مزيج من كتبهم المتداولة باسمهم بين أيدينا كانت تلك البراءة مبنية على أسس علميه، وكان الزّيف مبنى على دخول أحاديث تم دسّها على هذه الصحاح، وآية ذلك ما حمله لنا كتاب (أقدم المخطوطات العربية حتى القرن الخامس الهجري) للدكتور/سركيس عواد والذي يؤكد وجود فجوه زمنيه بين المخطوطات الموجودة حاليا وبين مؤلفيها الذين تنسب لهم تلك المخطوطات لا تقل عن قرن من الزمان، لقد تم جمع الحديث في القرنين الثاني والثالث الهجريين بينما تعود أقدم المخطوطات المتوافرة عن السنّة لأواخر القرن الرابع الهجري وتفصيل ذلك فيما يلي:-

أ – صحيح البخاري تعود أقدم مخطوطه له موجودة في العالم إلى عام ٤٩٥ أي بعد وفاة البخاري في (٢٥٦ هجري) بحوالى ٢٤٠ عاما.

ب – صحيح مسلم تعود أقدم مخطوطه له بين أيدينا إلى عام ٣٦٨ أي بعد وفاة مسلم في(٢٦١ هجري) بما يزيد عن قرن من الزمان.
ج – سنن أبى داوود ليس للكتاب نسخة متكاملة بل أجزاء متفرقة في تواريخ متفرقة تعود جميعها إلى القرن الرابع الهجري أي بعد وفاته بحوالى قرن حيث توفى رحمه الله في عام (٢٧٥ هجري).
د – أما بقية الكتب الثلاثة الأخرى من كتب صحاح السنّة وهى جامع الترمذي (متوفى ٢٧١ هجري) وسنن بن ماجه (متوفى ٢٧٣ هجري) وسنن النسائي (متوفى ٣٠٣ هجري) فليس لها وجود حتى نهاية القرن الخامس الهجري بما يعنى أن الموجود بين أيدينا منها يفصله فجوه زمنيه غير معروف ما تم فيها وهذه الفجوة تقدّر بمئات السنين بعد تاريخ وفاة الجامعين لأحاديث رسول الله.
وكذلك هناك أكثر من قرنين من الزمان يفصلان بين مخطوطه موطأ مالك التي أخذ عنها موطأ الإمام مالك المطبوع والمتداول بين أيدينا وبين وفاته حيث توفى رحمه الله في عام (١٧٩ هجري).

*ومن الجدير بالبيان أنه مع علوّ قدر صحيح البخاري عند خواص المسلمين وعوامهم إلا أن هذا العمل الفذّ لم يخل من العلل فلقد أصدر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر كتيبا في عام١٩٧٥ تحت عنوان (الحديث النبوي . رواية ودراية) وقد ذكر عللا بصحيح البخاري نلخصها فيما يلي:.

حيث ذكر في ص٤٨ ما نصه:. (ومع ما للجامع الصحيح من منزلة رفيعة بين كتب الحديث وشهرة ذائعة فقد تعقّبه علماء الحديث في رجاله وفى أحاديثه وفى طريقة تأليفه وأخذوا عليه بعض المآخذ، أمّا الرجال فقد ضعّفوا منهم نحو ثمانين رجلا وأمّا الأحاديث فقد ضعّفوا منها نحو مائة عابوا بشذوذها وما فيها من علل وقف أو قطع فقالوا أن فيها أحاديث موقوفة وأخرى مقطوعة وأخرى شاذة).

* وقد جاء في علم مصطلح الحديث ما نصّه:.(إن الرّجال الذين تكلّم فيهم بالضّعف من رجال مسلم مائة وستّون والذين تكلّم فيهم من رجال البخاري ثمانون.....الخ.

* ولقد اتّهم الإمام ابن حجر الإمامين البخاري ومسلم رحمهما الله وغيرهما أنهم من المدلّسين وذلك في كتابه طبقات المدلّسين(ص١٦&١٧ من المرجع المذكور رقم الإيداع بدار الكتب١٩٩٢/٢٦٧٠)وذلك رغم شرح بن حجر لصحيح البخاري في كتابه الشهير فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

*ولقد اتهم الإمام البخاري الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بأنه تارك ضعيف........الخ.

*و قد لا أكون قد أرويت ظمأ القارئ عن تلك المرويات التي أعنيها والتي امتلأت بها كتب الحديث عموما وهى في ذات الوقت بها مقاطع مخالفة للقرءان لكن علىّ أن أورد بعض الأمثلة فيما يلي: .

*هناك أحاديث تطعن في ألفاظ كتاب الله مثل ما روى عن ابن مسعود أنه قال أن الرسول لم يقل(وما خلق الذكر والأنثى) حين تلاوته لسورة الليل إنما كان يقول (وما الذكر والأنثى) بدون كلمة خلق (راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري الجزء ٨ ص٥٧٧ الأحاديث ٤٩٤٣&٤٩٤٤ .

* وقولهم في حديث عندهم بجواز أن ترضع المرأة الرجل الكبير المحرّم عليها بل لم يستح أحد حين قالوا أن السيدة عائشة كانت تأمر بذلك (راجع صحيح مسلم باب الرضاع ح رقم٢٦٣٦ & ٢٦٣٧ & ٢٦٣٨ & ٢٦٤٠).

وقد كتب أحد أشهر الفقهاء كتابا يدعى فقه السّنة الذي دخل بيوت كثير من أهل الإسلام وبه باب يحوى جواز هذا الإرضاع المحرّم وكأن لسان حال المؤلف يقول أن رضاعة الأنثى للكبار سنّة محمودة وذلك رغم رفض الأئمة الأربعة لهذا الحديث، وما ذلك إلاّ من نتاج استمرار طبع هذه الكتب على ما هي عليه دون تصويب أو مراجعة.

* وقولهم بفقر رسول الله وأنه مات ودرعه مرهونة لدى يهودي بينما كتاب الله يقرر (ووجدك عائلا فأغنى) ومات صلّى الله عليه وسلّم غنيا بنص كتاب الله.

وحيث قال الله تعالى (.......... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المائدة:٣). فمن كمال الدين أن تعتقد بغنى رسول الله تصديقا منك لقوله تعالى ووجدك عائلا فأغنى ولا تتخذ معتقدا بفقره أو بغنى نفسه لتنكر الآية وتضيق إطلاقها ومنطلقها.

فمن تمام الإيمان أن تعتقد وتؤمن بأنه صلى الله عليه وسلّم كان غنيا بمعنى الغنى وليس غنيا غنى نسبى بما يعنى أن القائلين بفقره صلى الله عليه وسلّم ينكرون الحقيقة القرءانية لمصلحة روايات بشرية.......وهو ما سيأتي تفصيله في موضعه.

*وقولهم بنسخ حكم الجلد الموجود بالقرءان ورفعه عن الزناة المحصنين والمحصنات واستبداله بحد الرّجم الموجود عند اليهود والذي نسبوه زورا لرسول الله كسنّة نبوية ناسخة لكتاب الله وفق فقههم المختل (أفردنا لهذا الأمر موضعا خاصا في هذا المؤلف فيتم الرجوع إليه).

*وقولهم بأن المعوذتين ليستا من القرءان وقيل بأنهما آخر ما نزل من القرءان.

وغير ذلك كثير من الروايات التي تهدم أصول الدين بينما الناس مستمسكون بها كثوابت أشدّ من تمسكهم بالقرءان.

وإنني لا أتصوّر أن البخاري أو مسلم أو غيرهما يكتب حديثا في صحيحه يشكك في كتاب الله وكلماته أو في نصوصه الثابتة ويستبدلها بأحكام أخرى غير أحكام القرءان ثم يقال لمنكرها أنه منكر للسنّة، بل إني أعتبر من يقول هذا أنه هو الذي ينكر الحقيقة القرءانية مهما ذاع صيته ومهما كثر أتباعه وأشياعه، وعيب كبير أن نسمّى أمثال من يعتقد بهذا عالما فإن للعلم شروط وللعالم علامة أوّلية هي ألاّ يحيد عن كتاب الله وعن صحيح السنّة الحقيقيّة وليست السنّة التي يطلق عليها هؤلاء أنها سنّة.

فلم يأت رسول الله بسنّة قولية تهدم كتاب الله المنزّل عليه من لدن الله بل ولم يدوّنها أهل الصحاح إنما دسّت علي مراجعهم وتلاقفتها الأيدي بلا وعى، ومن أراد أن يثبت غير ذلك فليأت بدليل يقبله العقل ولا يستنتج تأويلا من عنده لآية أو حديث.

والملاحظة الجديرة بالتأمل لمن أراد أن يعقل هي أنه بينما كان السلف من علماء الحديث لا يقبلون إسنادا منقطعا لراو واحد نجد أن الخلف– أي نحن – نقبل انقطاعا في الإسناد يصل لعدة قرون بين ما خطّه المخلصون من جامعي الأحاديث وبين المخطوطات التي نقلت عنها الكتب الموجودة بأيدينا والتي تسمّى بكتب الحديث التي يتعصّب لها المتعصّبون.

**** والخلاصة أن أصحاب الصحاح أبرياء إلى حد كبير مما ينسب إليهم من فريه تناقض ما جمع من الأحاديث في صحاحهم وما تصادم منه مع أحكام كتاب الله، وإن وجود مراجع بشرية وأقوام يتعصبون بلا ضابط ولا عقل لهذه الأحاديث المتناقضة مع كتاب الله تناقضا صارخا أمر لا يقبله أهل السوية العقلية ولا يقبله أحد على رسول الله ولا على دينه ناهيك عن أنّه ليس بحجّه على القرءان ؛ ومما يؤسف له أنها قد أصبحت مرتعا للطاعنين في دين الإسلام.**

*ومن بلايا الفضائح الفكرية مؤلفات تناقلتها أيدي الجهّال فذاع صيتها على حساب الإسلام والإسلام منها براء مثل:.
أ . كتاب الفتوحات المكية لابن عربي الذي كتب فيه عن التثليث والتوحيد وجمع بينهما في قراب واحد وأرشد الضّالين من أتباعه أنهما صنوان متلازمان فلا عجب أن معهد الدراسات الإسلامية بجامعة السوربون يناصر بن عربي ويتفق مع إحدى العواصم العربية على طبع كتابه وتوزيعه بثمن زهيد.
ب . كما وأن مؤلفات عن الشعراني لا تقل خطورة وانحطاطا في فضائحها؛ وتجد من يسكت عنها من الذين يفترض أنهم يذودون عن العلوم الدينية بينما أتباعه وإلى اليوم بالملايين على مر الأزمان.
*ومن أهم ما أصابنا أنّ الأئمة الأربعة وهم رجال وقد يكون الزمان لم يجد بمثلهم، لكنهم التزموا واستفاضوا في فروع الفقه وشروح العبادات والمعاملات الشخصية واهتم المحدّثون برواية السنن في ذلك، ولكن قد لم يسعفهم الوقت والجهد لاستكمال العمل . ومع التزام الفقهاء المحدثين من بعدهم بما قدّمه الأئمة الأربعة فقط . فكان من نتاج هذا المنهج خروج الفقه السياسي والدستوري ونظم الدولة والجهاد بمعناه الدولي من منظومة تفكير الفقهاء لعدم وجود مؤلّف للأئمة الأربعة فيه، فاتّسع المجال لأهل الانحراف السياسي للعبث..... وما جماعات الجهاد والتكفير والهجرة وغيرهما إلا من نتاج ذلك المنهج.
لقد نشأ الأئمة الأربعة في عصر ما قبل البخاري ومسلم، وكانت الأمّة منقسمة إلى سنّة وشيعة وخوارج ومعتزلة فانغلق كلّ فريق وحبس فقهه داخل أمور لا تغضب الطرف الآخر ولا تغضب الحاكم أو تعكّر صفوه، فكان من نصيب أهل السنّة الاهتمام باللحية ووضع اليدين حال الصلاة وعدد التسبيحات وهل التّعوذ من الشيطان قبل القراءة واجب أم سنّة وهل دعاء الاستفتاح سنّة أم لا وهل صلاة الضحى بدعة كما قال عبد الله بن عمر أم لا، وهل اعتمر رسول الله في شهر رجب كما قال بذلك عبد الله بن عمر أم لم يعتمر في رجب كما أكّدت ذلك عائشة، وهل يقتل المسلم إذا قتل كافر أم لا... وهل دية المرأة على النّصف من ديّة الرجل أم تتساوى معه في الدية....الخ.
وما زالت هذه الاختلافات قائمة إلى يومنا هذا وتدور حلقات العلم في فلاة خلافاتهم التي لا تروى إسلاما قدر ما تروى رضاء إبليس، وهكذا خرج التنظيم السياسي الاسلامى ومدى فرضيته ومدى تأثيم الحاكم الذي لا ينفّذ تعاليم وحدود القرءان وهل يحكم بكفره أم بفسقه؟؟ وهل تقبل شهادة من يسانده أم لا ؟؟؟...... وتم استبدال ذلك كلّه بحديث وضعوه (عليكم بالسمع والطّاعة وإن ولّى عليكم عبد حبشي) وهكذا انهارت الأمّة الإسلامية كتنظيم سياسي نابع من فقه يرتوي بكتاب الله، فذبل العمل الجماعي وتوالت المصائب تترى على رأس أمّة الإسلام.. ومع ذلك لم تأت الفكرة لعلماء كلّ العصور منذ أكثر من ألف سنة أن يصدروا كتاب فقه موحد لأهل السنّة ولم يستكملوا ما نقص من عمل الأجداد في تنظيم الفقه السياسي ومدى المسئولية الشرعية للحاكم المارق عن تنفيذ الشريعة، بل وانصرف همّهم إلى نصح المحكومين دون الحكّام، وقد يكون منشأ منهاجهم مخالفة أهل الشّيعة الذين يقولون بولاية الفقيه وهو المنهج الذي أراه أفضل مما نحن عليه من منهج الفقيه قليل الحيلة.
* وحين نرى دعاة كلّ مؤهلاتهم في الدّعوة أنّهم حفظوا من القصص ما حفظوا وصار نهجهم القصصي محببا لدى الناس وسببا في شهرتهم وذيوع صيتهم المعتلّ، فمن بين ما يقصّونه على الناس ما يزعمونه من أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتركون تسع وتسعون بابا من الحلال خشية أن يقعوا في باب واحد من الحرام، وهم يقدّمون هذا الهراء على أنه تقوى !!! بينما أن هذا المسلك مخالف لكتاب الله القائل ({قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }الأعراف٣٢.ومخالف لقوله تعالى للنبي معاتبا (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{١}التحريم.
وما كان الصحابة رجال تهوّك أو لا يعلمون الحلال من الحرام لدرجة أخذ الحيطة بلا عقل بينما بين أظهرهم رسول الله معلّما وهاديا، وكيف يتركون ٩٩ بابا من الحلال خشية أن يقعوا في باب واحد من الحرام بينما يظلّون يشربون الخمر (وفق منهج من

قالوا بالتدرج في التحريم) بينما نزل فيهم قوله تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ..... }البقرة٢١٩. فكيف يجرؤون على غشيان الخمر وفيها إثم كبير وينتظرون التحريم القاطع الذي بزعمه من زعم أنه حين نزلت آية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }المائدة٩٠، في الوقت الذي يحكى عنهم دعاة القصص الغير موثق أنهم كانوا يتركون الحلال خوفا من الوقوع في الحرام!!! وهو الأمر الذي سيأتي بيانه في هذه الدراسة في موضعها بالكتاب.

وتراهم يقصّون الخبالات عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ومن أنّه كانت له مجارى سوداء على كلتا وجنتيه من كثرة الدمع من خشية الله وقصة ذلك الرجل الذي أرادوا بتر قدمه فاستأذنهم أن يقطعوها بعد الدخول في الصلاة لأنه لا يشعر بشيء إذا ما دخل في الصلاة، وقصّة رحيل عمر بن الخطاب وخادمه ببغلة واحدة من المدينة المنوّرة إلى بيت المقدس وعدالة توزيعه لجهد البغلة، وقصّة أن أبا هريرة وأبا بريدة وغيرهم أمسكوا بالشيطان وأنّ الشيطان نصحهم بأسرار من عنده ـ بدلا من أن يغويهم ـ كي يطلقوا سراحه، وكلها خبالات قد تنطلي في عهود سابقة على رجال طمست عقولهم واستدرجتهم عواطفهم فلم يبصروا الحقائق بنور العقل، وكل هذه القصص لا يمكن أن تقبل من سامعي الزمان الحاضر إلا من التزم بقلّة العقل وطغيان العواطف.

وعلى من كان يريد القصص منهاجا في دعوته فعليه بأحسن القصص وهو متوفر في كتاب الله، ولا تكن عينه كليلة عن قصص القرءان، وليدع القصص المدخول على الإسلام والغير موثّق لأن أضراره أكبر من نفعه.

كانت هذه بعض أسباب انتشار الفضائح الفكرية في بعض مراجعنا والتي انتشرت مصيبتها بين الناس على أنه علم ولقد ذكرتها دون توسع وعلى القارئ أن يسعى لينقّى معتقداته من الخرافات ومن تقديس مالا يجوز تقديسه إلاّ الله وكتابه القرءان وما كان موائما معه من سنّة الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

دفاع عن السنّة النبوية

أمتنا الإسلامية أضاعت نفسها حين فرّطت في فهم كتاب الله ولم تعلم ولم تحاول أن تتعامل معه في دنياها ودينها. فأهملها الله كما أهملت كتابه ثم تكلّست عقول الناس فيها فمن يأمرهم بمعروف يرجموه ومن ينههم عن منكر يسخروا منه، وصارت ثقافة التخاصم والتنافر والمقاطعة هي اللغة التي يتقنها أهلي وجيراني ومعارفي، وصار الحذر من الناس في حسد أو خلافه أهم من الحذر من إبليس ومكايده، وصارت الأمراض النفسية الناشئة عن الفقر والبطالة وغيرها يعبّرون عنها بأنها مسّ من الجان ووساوس شيطان، وصار كتاب الله (قطعا) لمناسبات المسلم يتحرك وينتقي من الآيات ما يرى أنه مناسبا لحالته؛ فهذه آية تقرأ لمن فقد متاعه، وهذه

آية ضد الحسد وتلك لإخراج الجان وطرد الشياطين وهذه لتسهيل خروج الروح.... وهذه وهذه، وهكذا أهبطنا كتاب الله لمآرينا ولم نرتفع نحن لمآربه.

وظننا الدين عبادة في صومعة أو صومعة عبادة فانقطعنا عن الدنيا وعمارتها وكأن الله أمرنا بالابتعاد عن الصيدلة والطب والهندسة والأدب والفنون واللغات والتاريخ وعلوم المحاسبة وغيرها، بل واعتبرناها علوما غير علم الدين، وصوّرها البعض أنها لا علاقة لها بذكر الله، فكان التخلف الحضاري نصيبنا فأصبحنا عبيدا بعد أن كنا أسيادا ونظر إلينا أصحاب الحضارة على أننا الغجر وتصوروا أن ديننا هو الدين الخطأ - ولم لا - وعندهم البرهان العملي من تخلّفنا بينما نحن نزعم أننا خير أمّة أخرجت للناس ! فهل تكون الخيرية في التخلّف وفى فصل الدين عن معترك الحياة، وانعزال وانغلاق المسلم عن الآيات الكونية والعلوم الإنسانية والتجريبية بدعوى أنها غير علم الدين.

*لقد لفت نظري مقالة رئيس الجمهورية الفرنسية حين قال عن الحجاب والصليب والقلنسوة أنهم من الرموز الدينية، وأحسست بتقصيرنا في الدعوة لدين الله حتى أن هذا(الشيراك) لم يعلم أن الحجاب فريضة شرعية وليس رمزا طائفيا، وما ذاكم إلا لسببين أوّلهما أنه لم تصله دعوة الله، وكأن دعوة الله ماتت حين ارتحل عنا رسولنا العظيم وصحابته الأجلاء، والثاني هو في النهج العملي لغالبية نساء المسلمين اللاتي لا يرتدين الحجاب، ولا يعلمن أنهن أحد أسباب القرار الفرنسي بمنع الحجاب، كما لا يعلمن أن على كل منهن وزرا بقدر سطوتها وتبرّجها.

فكان أن رأيت الدين وقد انتهك من كل حدب، ونظرت إلى سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت جماعات وجمعيات وضعت لنفسها لافتات تعنى أنّها راعية للسنّة، بينما هي في دربها العملي تراها وقد قامت على إهدار حقيقة سنّة رسول الله مع إنكار الحقيقة القرءانية وذلك بحصر السنّة في زركشات من السنّة، ولم ينته بهم الأمر عند هذا الحد، بل انتهى كل منهم إلى محاربة ومخاصمة الجماعة الأخرى التي تتسمى بالسنّة، وعلى أقل تقدير يجد بعضهم أنه مميز عن الجماعة الأخرى لا لشيء إلا لأنها ليست على منهاجهم - وما ذلك إلا فقه التنابز - والعجيب أن أولئك وهؤلاء من المتحمسين لا يعلمون أنهم أساؤوا إلى السنّة بحصرهم السنّة في مقصدهم وفعلهم، وأساءوا إلى السنّة بالتعصب ومناصبة العداء بين بعضهم البعض وبين بعضهم من جانب وبين الآخرين من الجانب الآخر، وحصر الجميع للحق كلّ في فئته الخاطئة، ولم يدركوا أنّ مجرد قيام جماعتين لرعاية السنّة ببلد واحد يمثّل الفرقة بعينها وهو بداية النهاية للفكر الصحيح عن السنّة النّبوية.

لذلك رأيت من واجبي أن أفيق من إغماءة المخدر الذي حقنه هؤلاء فينا باسم السنّة وأنوه عن مكايد إبليس وتصيده لجهلنا ونحن نتصور أننا نرتدي عباءة السنة ولكن حقيقتها أنها زركشات من السنة.

إنه لئن كان الإيمان بضع وسبعون شعبة أولها لا إله إلا الله وآخرها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان، فإذا كان للإيمان أن يقسّم في هيئة شعب فلا بد من تقسيم السنّة لنعلم أولها من آخرها وواجبنا تجاهها.

وان من صوروا لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الصّادق الأمين وأنه النبّي الأمّي حتى أصبحت هاتان الصفتان هما الصورة الوردية لرسول الله التي يرسمها الأساتذة لتلاميذ المرحلة الابتدائية حتى شبنا بعد شبابنا عليها، فإني أعرف فلّاحا مسيحيا في بلدنا صادق وأمين ويجهل القراءة والكتابة، وأعلم آخر مسلما صادقا وأمينا وأميا ولكنه يصوم ولا يصلي، فهل هو بذلك يتمتع بصفة من الصفات التي يجب الالتزام بها في إتباع رسول الله؟؟؟.

وإلى أصحاب الزركشات الذين حصروا السنّة وعلامات الأخوّه في اللحية والسواك وقصر الجلباب والسواك والطيب والنوم على الشق الأيمن ودخول الخلاء بقدم ودخول المسجد بالقدم الأخرى والدعاء بالمأثور من دعائه صلى الله عليه وسلم، فلابد لهم أن يعلموا أن كل ذلك جميل ولكنه خلاف الأولى، لأن المسلم لم ولن يدخل الجنّة لإطلاقه اللحية ولن يدخل النار لحلقها، وسوف يجد المسلم في آخرته أنّ المعتبر من السنّة هو الشق العملي وما كان من ضميره وقصده الذي دأب على السير في منواله حال حياته وإن نام مليون مرة على شقه الأيمن، كما وأنك لن تكون من فئة المتّقين لأنك دخلت المسجد بالقدم اليمنى، إذ لا بد من القلب السليم والعلم

السليم والمعتقد السليم، وماذا تنفع القدم اليمنى في دخول المسجد مع مسلم يزكّى روح الفرقة بين جسد الأمّة فيذم هذا لأنه شيعي ويلعن ذاك لأنه صوفي ثم ينتهي يومه فينام على شقّه الأيمن؛ وإن كان كافة ما يفعله المسلم من هذه الأعمال هو مما كان عليه رسول الله إلا أن فعاليات هذه الأعمال لا تؤتى ثمرتها إلا إذا كان المسلم على جادة السنّة ولم يفرّق بين الأمّة وسعى في وحدتها وتوحيدها وترك التنابز في العقيدة بين أبناء الإسلام مهما اختلفت توجهاتهم.

وإني أعلم كثير من أهل السنّة الذين أطلقوا لحاهم وخاصموا بإطلاقها ذويهم واعتبروهم من المارقين عن جادة الدين، فهل هذه سنّة الرسول الأعظم ؟؟؟وهو الذي ظل يراود عمّه عن الإسلام حتى آخر رمق في حياة عمه!!! وماذا يرى صاحب اللحية المخاصم لأهله في سيدنا أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي كان يراود أباه عن الإسلام رغم كفره ومن قبله نوح عليه السلام مع ابنه حال حياتهما وحتى فار التّنور و حال بينهما الموج فكان الابن من المغرقين.

إن سنتك التي تحياها يجب أن تكون سنّة موضوعية تملأ بها الحياة كما كان الحبيب يحيا وليست زركشات تفعلها أو تحصر القربى إلى الله فيها وتحكم على الناس من خلالها. لذا كان من المهم أولا الاجتهاد للتعريف بما هو سنّة وما هو غير ذلك.

فقد اختلفنا فيما هو سنّة وما هو ليس بسنّه، وسواء أكنا أحق من الفرق الأخرى حول مفهوم السنّة أم كانوا هم الأحق فلابد من عدم التشرذم باسم الدفاع عن السنّة، لذلك رأيت من واجبي إبداء تصوّر مبسّط عن السنّة يمكن أن نتفق عليه لأنه متّفق مع الكتاب والسنّة الحقّة وذلك إلى أن تضع مجامعنا الفقهية حدا لهذا الصراع بتوحيد مفهوم السنة وفقا لحوار علماء ليسوا بغرماء.

عناصر وأقسام السنّة

لن أتعرّض لتعريف للسنّة حتى لا أكون أسيره، لكن السنّة التي أعنيها هي تلك التي تقرّب إلى الله والتي هي من صميم الدين وعلامة من علاماته وسنّة التأسي بحقيقة ما كان عليه رسول الله من خلق القرءان، وليست سنّة حب رسول الله وتقليده في مشربه ومأكله....الخ، بينما مهمّات ما جاء به رسول الله مفقودة، وأيضا أعنى سنّة الأولويات وسنّة حب الخير للأمّة وحب تماسكها وليس حب المصلحة الخاصة دون المصلحة العامة....الخ.

فلا سنّة أسبق من سنّة الدّعوة ثم بعد ذلك تأتى سنّة تجميع الصف الإسلامي ثم سنة التبيين ثم سنة الطبائع والسمات الشخصية.....وهكذا...لا بد من أولويات يدرك أهميتها أصحاب العقول، ولابد أيضا عدم انتظار الأولوية الأولى حتى نفعل الثانية بل يتم الأمر جميعا دفعة واحدة تستمد فعاليتها من إيمان المؤمن المحب لله ورسوله.

ولقد وجدت انه من الواجب تقسيم السنة بدلا من تركها على حالها الذي يدّعى فيه كل مدّع بأهمية ما يقوله وازدراء من لا يقول بمثل ما يقول، وتناحر البعض كل يحصر الحق في قوله وفعله؛ ولعل في التقسيم المقترح الذي قسّمته يجد القارئ منهاج كتاب الله واضحا وسلوك الحبيب باديا في أرجائه.

<u>أولا. العمود الفقري لسنة رسول الله وذروة سنام السنّة:</u>

إن العمود الفقري لسنة رسول الله وذروة سنام السنّة كان يجب أن يكون هو عين منهاج أهل السنّة كبيرهم وصغيرهم ذكرهم وأنثاهم، لكنهم كما ذكرت حصروا السنّة فيما اشتاقت إليه أنفسهم التي واكبت مراد إبليس حتى رأيتهم وقد طعنوا القرءان وطعنوا السنّة وإن صح القول أقول طعنوا الدين فإنه لا فرق بين قرءان وسنة.

***إن المهمة الأساسية لكل رسول هي الدعوة لدين الله**، وبذلك فإن من أراد سنّته وله الإمكانية فليكن على المنوال الأساسي لما كان عليه رسول الله من أدائه لفريضة الدعوة إلى الله، ومن لم تكن لديه الإمكانية فعليه أن يحاول الوصول إليها،

فمن أراد أن يقيم هذا العماد الفقري للسنّة (الدّعوة) فهو ولا شك يحتاج إلى العلم، وتأمل رحمك الله إلى المهمة الأساسية للرسول وأتباعه من محبيه حيث يقول تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف:١٠٨)

*هذه هي طريق رسول الله (الدّعوة إلى الله) وهذا هو الذي عناه الله بقوله (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران:٣١) وهو الأسبقية الأولى في السنّة النبوية لمن أراد رشادا أمّا أن أجد جمعيّات ولها أتباع بالملايين تقوم على اللحية والسواك والطيب والدعاء المأثور وشكل الآذان للصلاة وعدد درجات المنبر....الخ فهؤلاء هم أسرى الزركشات ولم تمس السنّة الحقيقية شغاف قلوبهم.

فمن أراد أن يغفر الله ذنبه ومن كانت صبوته وشيبته في حبه فليتبع رسول الله، وهو منهاج الاتّباع المنشور والمسطور بكتاب الله في صراحة ووضوح لا لبس فيه وهو الدعوة إلى الله على بصيرة، وقد كان الحبيب يتصدى للدعوة بأن يعرض نفسه على القبائل حتى يعلموا حقيقة الدين وحتى انتشر الدين دعوة فكرية مست شغاف قلوب الناس فدخلوا فيه أفواجا وسبّح الجميع بحمد ربهم حين أخلصوا وأحسنوا الإتّباع ففتح الله عليهم الدنيا والدين.

*والدعوة إلى الله لها هدف هو نشر عبادة الله الواحد الأحد على قوائم إبراهيم عليه السلام وكما جاء بها محمد صلّى الله عليه وسلّم ومنها ينبثق الهدف الثاني وهو الاتحاد في دين الله لأن الشيطان لن يترك أمّة تعبد ربها حقّ العبادة دون أن يتدخّل في الأمر ليفسد عليها الاجتماع في العبادة فيدخل من الباب الذي يدعم قناعة كلّ فريق بأنّ ما يأتونه هو فقه السّنة وما عداه بدعة يظنون بوجوب محاربتها وما ذلك إلا فقه الشيطان يبثه بين أهل الإسلام.

*والدعوة إلى الله يجب أن تكون على بصيرة، والبصيرة هي العلم مع اليقين وذلك من قوله تعالى (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) (الأنعام:١٠٤)

وقال تعالى:(..... وقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً }طه١١٤، وقوله تعالى (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (صّ:٢٩)

واعلم أنه ما من نبي إلا وآتاه الله علما؛ فالعلم هو الأساس الذي أسجد الله سبحانه وتعالى الملائكة من أجله لآدم عليه السلام فإن تبيان التفوق العلمي لآدم عليه السلام قبل الأمر بالسجود (وهو ما حصرته الآيات من ٣١ ـ ٣٤ من سورة البقرة)كان من أهداف البيان القرءاني حيث يقول تعالى(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ....الآيات) البقرة.

فالدعوة إلى الله يجب أن تكون على بصيرة وليس عن بصر، إذ أن المبصر يدرك ما أمامه فقط أما المتبصر فهو يدرك ما أمامه وعواقب الأمر فيما بعد الأمر الذي أمامه ، وهذا هو الإبداع والاجتهاد والهمّة التي فقدها الكثير ممن يتشدقون بالدعوة في هذه الأيام وهم خواء من البصيرة وما يغني عنهم بصرهم شيئا (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (لأعراف:١٧٩).

فهناك الكثير ممن يفترون على الله بأقوال لا يعلمون مداها ويعلم مفترى على كتاب الله وهم في ذلك ينسبون الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطعنون في سنّة رسول الله باسم أنهم حماه وحرّاس السنّة المطهرة ومن أمثلة هؤلاء يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فقد كان يدّعى السنّة وهو قاتل الحسين وآسر حفيدات رسول الله.

ولا يتصور أحد أن الدعوة إلى الله هي ذاتها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإن هذا خلط معيب إذ أن الدعوة إلى الله هي تأسيس العقيدة والمنهج.......... أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو تهذيب السالكين في المنهج ليكونوا دوما داخل الإطار، وما أحوج المسلمين اليوم إلى تأسيس العقيدة والمنهج حيث فقدوا صحة التعامل مع كتاب الله وفقدوا الصورة الواجبة في التعامل مع الله فأنساهم الله أنفسهم وصاروا كما

ترى لا يؤثر فيهم أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر.وما أحوج الدول الغربية إلى جهد المتخصصين ليقوموا بالدعوة بالمنهج الذي أرسل به النبي بدلا من تفرّغهم لخطب المناسبات وتهذيب اللحية وفضل السواك وضرورة النّقاب وفقه الجنائز...الخ.

واعلم أن البلاغ عن الله ومهمة الدعوة هي المهمة الأصلية الرئيسية لرسول الله . بل ومهمة كل رسول وكل نبي (........سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً*الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً) (الأحزاب:٣٩) (الأحزاب:٣٨).

ولست هنا من المروجين لجماعة التبليغ ولكني مروّج للدين بلا مذهبية وبلا فئة وبلا تحزّب إلا حزبا واحدا هو حزب الله وليس حزب الله اللبناني أيضا وإن كنت أرى من ذكرت أنهم على خير لا أعيبه.

وعلى كل مسلم متبع لسنّة رسول الله أن يكون له دور في البلاغ والدعوة لدين الله كلّ على قدر علمه وكلّ عليه الازدياد في الانتهال من العلم، حتى تكون الدّعوة على بصيرة كما أمر الله في كتابه المبين وحتى يكون المسلم على سنّة من أرسله الله رحمة للعالمين، وهكذا تكون الدّعوة إلى الله في إخلاص ويكون الإخلاص هو الدعوة إلى الله ويكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على علم.

أما أصحاب القيادات الدينية والسياسية فعليهم يقع واجبا إضافيا بشأن سنّة الرسول وهو توحيد الكلمة والصف الاسلامى كما قام بذلك الحبيب حين آخى بين المهاجرين والأنصار وصالح بين الأوس والخزرج، وهكذا يجب عليهم حماية الدولة بصفتها دار إسلام وأن يمكّنوا لدين الله داخل الدّولة كذا التخطيط والمساعدة في نشره بالخارج لأنه واجبهم الأساسي وهو بالنسبة لهم ضمن منظومة العمود الفقري لسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ثانيا- غلاف العمود الفقري للسنة

بعد أن انتهينا من التّعرف على ضرورة الدعوة والتبليغ عن الله ومن أنها العمود الفقري للسنّة وذروة سنامها لمن أراد أن يتبّع، كان لا بد أن يعلم المسلم أن هناك حصنا يجب أن يتحصّن به المسلم الداعي إلى الله ومن أراد أن يكون من السالكين في محبته وعلى طريقه وطريقته، وهذا الحصن من الصفات اللازمة للمسلم قبل أن يتصدّى لسنّة الدعوة إلى الله والتي هي العمود الفقري للسنّة، وهذا الغلاف الهام هو الغلاف المبطّن للمهمة (مهمّة الدّعوة) حتى لا يتم اختراقها أو الذّم فيها، وهو ما قال الله فيه (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:٤)، كذا ما صح عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضوان الله عليها من قولها عن النبي صلّى الله عليه وسلّم(أنه كان خلقه القرءان)، فإن المسلم يجب أن يتحلّى بأخلاق القرءان ويجب أن يكون قرءانا يمشي على الأرض، ولقد رأيت أناسا يمضون جلّ وقتهم في قراءة كتاب الله لا يجاوز حناجرهم فهم لا يتدبّرونه ولا ينفّذونه عملا إنما هم كالببغاوات اللائي يكررن ما يقوله القائل، لكن المسلم يجب أن يكون تعامله مع كتاب الله تعاملا تطبيقيا فضلا عن ضرورة القراءة مع التدبر، وهو ما سيتم تفصيله لاحقا.

يقول الله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) (الأحزاب:٢١).

وإن الصورة البشرية والبرهان على يسر القرءان تجده في السلوك العملي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجاته وصحابته فهؤلاء هم أصحاب الحقبة المثالية في الإسلام وهم منارات الهدى وعلى رأسهم رسول الله هاديا ومبشّرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

وإن الخلق القرءاني مطبّق في البشرية في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أراد الأسوة فعلية بالخلق العظيم الذي كان عليه النبي الخاتم . فليس الأمر أمر دعوة وعلم بلا خلق، كما أن الدعوة والعلم والخلق يحتاجون أيضا لاكتمال شخصية المسلم وذلك بحسن الانقياد لله وهو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . إذ لا ينحصر الأمر في سمات خلقية بعيدة عن تنفيذ تعاليم الله وعن الصورة التي يجب على المسلم أن يكون عليها مع الله ومع الناس ومع الحيوانات والطيور ومع الزروع والأشجار،

لأنّ تعامل المسلم وخلق المسلم يجب أن يشمل جميع علاقاته مع نفسه ومع كل ما سبق، وأن يحاول أن يسمو بخلقه في التعامل والانقياد ليعلو دائما في سمو ورفعة وعظمة ولا يرضى في خلقه إلا بما هو أعظم، وفى الحديث(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

كانت هذه هي البطانة اللازمة للعمود الفقري للسنّة وهى البطانة اللازمة للمسلم حتى يمكن أن يؤدى الدّعوة إلى الله بشكل يوحى بالارتياح والثقة وأن يكون خير ممثل لخير أمّة أخرجت للناس.

ولقد كان التطبيق العملي لكتاب الله هو شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشغله الشاغل وهو أصل شأن كل رسول في كل حال إذ أنه المذكرة العملية لكتاب الله المسطور الذي يؤكد إمكانية التطبيق البشرى ومثالية السلوك حين يتبع العبد كتاب الله منهاجا حياتيا.

وحيث أن رسول الله كان قرءانا يمشي على الأرض فإنه وبالتبعية لمن أراد السير على هداه والالتزام بسنته فعليه الاهتمام بتطبيق القرءان في سلوكيات حياته، وهو الشق الثاني من السنّة النبوية المطهّرة، ولا يقولن قائل أن التطبيق العملي لكتاب الله يعني الصدق أو الأمانة أو عدم ارتكاب المعاصي أو جماعهم جميعا فليس هذا ما تعنيه سطوري في التخلق وانتهاج سنة رسول الله؛ إنما كلمة الغلاف المبطن للعمود الفقري للسنة هو أمر تجمعه عناصر هي:

* استدامة قراءة القرءان.

*التدبر حال القراءة ـ ولا يعني ذلك الوقوف على المعاني كما لا يعني قراءة التفاسير بشأن أي آية محل القراءة فقط ـ إنما يعني إعمال الفكر والتأمل وسؤال العلماء وقراءة التفاسير مع الوقوف على المعاني ثم التأثر الفاعل الذي ينتج أثره في عقل وسلوكيات القارئ لكتاب الله (راجع لماذا نقرأ القرءان).

*التخلق العضوي وإعادة هيكلة الأفكار والمعتقدات والأفعال وفق ما تم تدبره من كتاب الله.

*عدم تعظيم كتاب غير كتاب الله والامتناع عن وأد الحقيقة القرءانية لحساب مرويات بشرية منسوبة للنبي الأعظم.

إنه اليقين الذي ما بعده يقين في كتاب الله هكذا يجب أن يكون المسلم المترسّم خطى النبي، وهكذا يدوّن المسلم بسلوكه الإسلامي الطّاهر بمدونة عملية السنّة العملية لرسول الله صل الله عليه وسلم، يتم القرءان تلاوة ويتم القرءان تطبيقا واعيا مستندا إلى فقه الفقهاء وعلم العلماء مع فكر وتأمل صادر من قلب سليم بعيد عن اللهو والمجون والفسق العملي، وسوف نفرد لأمر السنة في القرءان فصلا خاصا في هذا الباب.

جماع ما سبق كان تفصيل مقترح للغلاف المبطّن للعمود الفقري للسنّة، وهو من السنّة الحقيقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم التي عناها الله بقوله وسلم. (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران:٣١) وهو يعنى الصورة التطبيقية لكتاب الله في حياة المسلم. أما ما يتحلى به المسلم من سمات شخصية كان عليها الرسول الأعظم فهو شيء آخر يأتي في العنصر الثالث من عناصر حقيقة سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثالثا ـ زركشات السنّة

علمنا أن للسنّة عمودا فقريا ولحاء مبطّنا لها ولكن لكل شئ زينة ولكل صنعة علامة، وتلكم هي ما أطلقت عليه زركشات السنّة، وقد لا أكون منصفا في تسميتها بالزركشات فإني أجدها وللحق هامة لكن ما فعله المنتسبين لهذه الزركشات وحصرهم وتصويرهم لسنّة رسول الله فيها جعلني أسميها زركشات ، بينما بعضها من المهمّات ولكن في المرتبة الثالثة والأخيرة من الصورة المثلي للسنّة، وبعضها ليس بسنّة تقرّب إلى الله، لكن المتنطعين لم يتركوا شاردة ولا واردة إلاّ وعظّموها وأطلقوا عليها مسمّى أنها سنّة.

إن اللحية والسواك والتعطّر والدّعاء بالمأثور وصورة استحمام المسلم وارتشاف الماء على ثلاث دفعات ودخول المسجد بالقدم اليمنى والنوم على الشق الأيمن..... وغيرها.... وحين أذكر هذه الأمور ومثلها فإني لا أعنى بذلك الذين يبتغون العيش فى

الصحراء أو الجلوس على الحصير ويحرّمون أقمشة الستائر على النوافذ والتصوير والتلفاز وغيرهم ومن على شاكلتهم، فهؤلاء ليسوا على سنّة مختلف فى كينونتها أو ترتيبها، لأنهم ليسوا على سنّة إنما هم يتصوّرون السنّة من حيث لا سنّة.
إنما أعنى المسلم السّني الذي حصر اهتمامه وتحدد مظهره في تلك الشكليات بينما كلّ من حوله إمّا غاضبون منه أو غاضبون عليه،في الوقت الذي تراه دوما يتلمّظ الغلظة في التعامل معهم فذلك هو الذي يمكن أن ينصلح حاله.
وعودة مرة أخرى إلى المرتبة الثالثة من المراتب و التقسيم المقترح للسنّة، فأبدأ بالإقرار بوجوب ما يمكن وجوبها منها لمن علم بها ويحب أن يقتدي متمثلا بالنبى وذلك بتنفيذها ، مع الأخذ فى الاعتبار أن أكثرها ليس بسنّة تقرّب إلى الله أو تدخل المسلم الجنّة،فحلق اللحية لا يدخل النار عند الإمام الشافعى وغيره من الأئمة وذلك لأن إطلاق اللحية ليس بسنّة عندهم إنما هى من العادات البدوية لأهل زمان رسول الله سواء أكانوا مسلمين أم مشركين.
فما يمكن التحقق منه أنه سنة فإنه يقع على المسلم العمل بها ،أما من لا يعلمها فإن عليه وجوب السعي للعلم ثم العمل بها وهى كذلك واجبه فى حق العالم بها، وإن من تركها عمدا استصغارا لشأنها أو إهمالا متعمدا لها فيجب تنبيهه أن منهاجه يعبّر عن بداية للغفلة.
أما أصحاب الفئة الثانية الذين لا يعلمون بها أو لم تصلهم قناعة كونها سنّة عن رسول الله فهؤلاء لاشيء عليهم مهما كانت حجة الناصح لهم. وذلك فيما يخص المرتبة الثالثة من مراتب السنّة وهى الزركشات، **وذلك بالنظر إلى أن السنّة النبوية التى وردت لنا عن طريق أحاديث الآحاد لا يكفر منكرها**، مع الأخذ فى الاعتبار أن أكثر ما جاء فى الكتاب المنسوب للبخاري أو مسلم (رحمهما الله وجزاهما عن الإسلام خيرا) هي أحاديث آحاد ، وذلك وفق ما جاء بفتوى دار الإفتاء فى هذا الصدد وسبق حسمه أيضا من مشايخ أجلّاء منهم الإمام محمد عبده ومحمد رشيد رضا ومحمود شلتوت ومحمد أبو زهره ومحمد الغزالي وغيرهم كثير.

الخلاصة

انه يجب تصحيح مفهوم السنّة فى عقول ملايين البشر الذين يدّعون أنهم على سنّة رسول الله ، ويجب التحلي بالعلم والدّعوة والخلق الحسن حتى يكونوا على مراد الله من محبته لمن كان على سنته صلى الله عليه وسلم(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران:٣١).

كما يجب تغليب القرءان على السنّة فى حال وجود تضارب أو تزاحم بينهما بدلا من إنشاء التبريرات للقضاء على النصّ القرءانى باسم النسخ المزعوم، وعلى الهيئات العاملة فى الشأن الإسلامي تقع مسؤولية تنقيح التراث الفكري وتوحيد الصف الإسلامي، ولنترك ثقافة التخاصم والتباغض وتكفير المخالف للرأي حتى نكون ممّن عناهم الله بقوله(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (الفتح:٢٩).

(السّنة النبوية الأولى بالإتباع فيما يخص الجماعة)

بعد أن بيّنا أن العمود الفقري للسنّة هو الدعوة إلى الله، فلا بد أن نعلم أن المرحلة التالية للدعوة حينما ينتشر الإسلام ويزداد عدد المسلمين هو العمل على اتحاد الأمّة، لأنه لابد من الخوف عليهم من ذئب الإنسان وهو الشيطان، لذلك كان من الأولى عدم اتّباع عقائد ومناهج تفرّق الأمه دون أن نكترث أو نلقى لها بالا، ولقد ورثت الأمّة هذا التّفرق فتجد المسلم يولد ويكبر معه الصراع الطائفي فتجد السنّى يكره الشيعي ويكره السلفي ويكره الصوفي ويكره الخوارج ويكره اليهود ويكره النّصارى ويكره العصاة....الخ، وهم أيضا يبادلونه الكره بالكره منذ الصّغر أيضا ، فذلكم دين الأجداد الذي ورثناه وتمّ بثّه فينا بطرق خفيّه أحيانا وعلنية أحيانا أخرى، وساعدت غفلة رجال من الأمّة وقصورهم الفكري فى الريادة فى انتشار الكراهية بين أهلها، وذلك السلوك ليس هو الدين الذي جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم الذي قال الله فيه:. (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)١٣الشورى وقوله تعالى {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ}١٠٣ آل عمران . وترانا ونحن على تلك الحال لا يفوتنا أن نردد كالببغاوات أن الرسول قال (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا) ونردد (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى) بينما حقيقة العلاقة العملية على أرض الواقع الذي يعيشه أهل الإسلام أنما هو عين الحمّى وعين الفرقة ، لذلك كان من أهداف السنّة مع نشر وبعد نشر الدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكرأن تكون هناك خطّه للدعوة للإتحاد فى دين الله ويتم تنفيذها عمليا والتأكد من عدم حدوث بلبلة تقوّضها.

سنة الجماعة هى (الإتحاد فى دين الله على أسسه الصحيحة)

إن تواتر العمل بين الأجيال على شيء محدد أو تواتر عقيدة الأمم على منهج بعينه ليس دليلا على صحة العمل أو صدق المنهج، فاليهود اجتمعت على أن سيدنا عزير ابن الله بينما نجد النصارى وقد اجتمعت على أن المسيح ابن الله، وتخاصمت الفئتان فى نسبة كل منهما إلى إبراهيم عليه السلام، ولقد بيّن الله فساد عقيدتهم المتواترة وزيفها بما يعنى أن التواتر لا قداسة له إلا بالتحقق.

ومن ينظر إلى الساحة الثقافية الإسلامية فى شأن الحضارة يجد المسلمون وقد انتهجوا مفاهيم ليس لها سند إلا أنها ميراث الآباء، ولم يكلّف أحدهم خاطره لكشف زيف بعض تلك المناهج التى لا أصل لها فى الإسلام، بل إن أهل المناهج غير الموثقة ابتدعوا علوما توثيقية لمناهجهم ثم صعدوا بتلك المناهج يحاولون هدم كتاب الله باسم سنّة رسول الله، بينما تراهم يتشدّقون ويصيحون بأن السنّة هي المصدر الثاني للتشريع، لكن حقيقة ثقافتهم وعلمهم فى منهج السنّة أنها المصدر الأول، وياليتهم أوفوا السنّة حقها الواجب فى التمحيص بلا غلو ولا تطرّف، بينما تراهم فقراء قرءانيا، فتراهم وقد رجموا القرءان بالنقص حين ابتدعوا ما أسموه السنّة المكمّلة لأحكام القرءان، ورجموا القرءان بالتأرجح وهم يزعمون بالناسخ والمنسوخ فى كتاب الله، بل جعلوا الناسخ والمنسوخ علما ويشترطون لمن يتصدّى للفكر في الدين سواء أكان بالإفتاء أو بالتفسير أن يعلم ناسخهم ومنسوخهم الذي ابتدعوه، ومن عجيب الأمر إنهم لم يتفقوا على مقدار وتحديد الناسخ أو المنسوخ، ولكنهم اتفقوا على وجود النسخ فى القرءان وأن آياته تنسخ بعضها البعض الآخر، وأن السنّة تنسخ القرءان وتقضى عليه وكأنهم بذلك لا يدرون بأنهم فتحوا الباب على مصراعيه لكل من أراد أن يعطّل بعض آيات كتاب الله، بل وفتحوا الباب على مصراعيه لكل من تسوّل له نفسه الطعن في دين الإسلام بأنّه غير محكم.

وترى هؤلاء ولهم أتباع لا يعلمون شيئا عن العقل أو التعقل ولا عن صور الحوار بين الآدميين، فهم يطلقون هؤلاء الأتباع الذين ارتووا بثقافة التخاصم والفجور فيها إلى أقصى الحدود، ويدعمهم في ذلك إبليس يزيّن لهم ما هم فيه على إنهم أتباع ومحبي رسول الله.

بل لقد ذهبوا إلى أبعد من هذا فرجموا من يحاول إظهار القرءان على السنّة بأنهم المنكرين للسنّة، وكأن أهل القرءان ومن يتشيعّ للقرءان فهو على أعتاب الخروج من الملّة أو قد خرج منها فعلا فى نظرهم المعتل، ولست هنا ممن يدافعون عن القرءانيين

المنكرين لكل حديث قولى للنبى لأنهم فى نظري قد انحرفوا عن جادة المنهج وزادوا من فرقة الأمة ولكن ليس هذا مقصودنا الآن، وترى من يزعمون أنهم على السنّة وقد خلطوا بين التواتر العملي وبين الحديث القولى وبين منظومة التواصل المعرفي فى دين الله فهم لا يعرفون هذا من ذاك ولا هذه من تلك، ومع هذا فهم فرسان منطق التخاصم وأسود التكفير لكل من تسوّل له نفسه القول بغير قولهم أو الرأي بغير رأيهم.

وترى المتعقل منهم وهو يحاول أن يدفن الفكر المخالف حال ميلاد هذا الفكر فيقول إن هذا الأمر يؤدى إلى فتنة... وهذا يؤدى إلى بلبلة... وذاك يثير الناس... فهو ينتهي بمنهجه إلى وأد الفكر المخالف...... فهذا باحث فى الاقتصاد الاسلامى يقال له إن هذه المرحلة ليست مناسبة لإظهار هذا الفكر......وآخر بحث حسابيا فى تعديل توقيت صلاة الفجر وفق أصول فلكية ومحاسبية فيقال له إن هذا سيحدث فتنة......وذاك يحاول تصحيح السنّة النبوية وحجّيتها فى التشريع فيرجم بإنكار السنّة بالكلية ويجد من يتهمونه بازدراء الدين وما ذاكم إلا إنه أراد التصحيح فقط، بينما هم لا يرجمون تاركى الحكم بما أنزل الله في حياتهم بترك القرءان أوالشريعة أو إستنكار منهاجه، بل وتراهم يصفّقون لمن يزعم بأنه لا سياسة في الدّين ولا دين في السياسة بمعنى إقصاء الدين عن الريادة فى الحياة.

ثم إنك ترى أن المسلمين ليس لهم ضابط شرعي من البشر يلتفون حوله ، فكلهم وفق منهج التخاصم صاروا فرقا وأحزابا وشيعا كل حزب بما لديهم فرحون، حتى ذهب ريحهم بين الأمم واستولى السياسيون بما يملكون من وسائل البطش على زمام الأمور وانزوى بعض الفقهاء فى أمان الكسل ودفء إرضاء الحاكم بينما تم إقصاء أو إهمال أهل الإخلاص من الفقهاء.

*وعوده إلى جموع الساحة الإسلامية من الناشطين المتخصصين فيما سبق، فإني أتعجّب ولست أدرى كيف بهؤلاء يصيحون بأن القرءان صالح لكل زمان بينما هم لا يريدون سماع كلمة أصحاب هذا الزمان سواء أكانوا من المعضدين لكتاب الله أو من المخالفين له!!! وأي منطق أو منهج فكرى يرتوي منه هؤلاء ؟؟؟ إنه بمجرد أن يسمع منك طعنا فى حديث قولي وارد فى البخاري مثلا لتعارضه مع كتاب الله إلا وتجده وقد انبرى بكل سياط التكفير يرجمك ،وترى أشياعهم من الذين آمنوا بالوراثة يقولون في صوت واحد (يعنى كنا حانعرف عدد الصلوات إزاى إلا عن النبي) وسؤالهم فى حد ذاته ينبىءعن عصبيه بلا علم، فهم لم يفرّقوا بين السنّة القولية والسنّة العملية، ولا يعلمون الفرق بين أحاديث الآحاد وبين المتواتر ولم يعرفوا محتويات صحيح البخاري بل هم يتعصّبون له حتى دون أن يكون لديهم نسخة من صحيح البخاري بل ولا عند آباءهم، ذلك أنه لا يوجد حديث واحد بصحيح البخاري يشير إلى أن العصر أربعا أو أن العشاء أربع ركعات..... الخ ولكنه الجهل مع حبّ التخاصم بدعوى الدفاع عن الدين، ولماذا لم يسأل هؤلاء أنفسهم ولماذا الطواف حول الكعبة وهى على يسارك ؟ولماذا تكن مرات الطواف سبع مرات ؟ ومن الذي أعلمك إن الذبح غير القتل؟ ومن الذي وحّدنا على مصطلح الشمس والقمر والفرق بينهما ؟ وهل هناك من لا يعرف الفرق بينهما؟ وهل لابد أن تكون قد كتبت له فى كتاب أم أنه عرفها قبل أن يدرك السن المدرسي؟؟. وفى ذات الوقت تجدهم وهم لا يستعينون بأهل المدارسة العلمية من علماء الطب والهندسة والفلك وغيرهم لتفسير كتاب الله وفق أدوات العصر الذى يعيشون فيه، وهم دائما مولعون بكتب الأقدمين مهما كانت أدوات هؤلاء الأقدمين ضعيفة، وهم يصنّفونها تراثا ولا يقدّموا لهذا التراث تصحيحا مهما قيل عن احتواء تلك المراجع على إسرائيليات أو سذاجات فكرية فى بعض أجزائها.

والحقيقة أن الحقبة التى نحياها فى هذا القرن الواحد والعشرين هي حقبة المؤسسات سواء أكانت مؤسسات فقهية تشريعيه أم كانت مؤسسات تنفيذيه أوعلمية ،ولأسفي فان المؤسسات الفقهية القائمة الآن فضلا عن عدم قيامها بواجباتها فى البحث أو تشجيع الباحثين أو توحيد الصف الاسلامى مع عدم وجود خطط استراتيجيه ذات أهداف واضحة ومرتبطة بتوقيت زمني لعمل هذه المؤسسات، فإنها فضلا عن ذلك لا تنال مصداقية من جموع المسلمين لما ابتليت به من النفاق للحاكم أو السماح لآراء الحكّام

بالأولوية على حساب آلام الناس وآرائهم فضلا عن الأداء الوظيفي المتّسم بالروتينية ،وتعيين الحاكم لرأس كل هيئة، وعدم تعاونها مع باقى المؤسسات العلمية لخدمة دين الله، واحتكارها للعمل الاسلامى تحت شعار مغلوط اسمه التخصص ،فكان أن أصبحت تلك المؤسسات فى عزلة عن الإسلام والمسلمين فى الوقت التى يتحتّم فيه أن تكون هذه المؤسسات السبيل الوحيد لخروج أي فكر إلى النور.

وأضرب لذلك مثلا فقد ولدت منذ أكثر من ستين عاما خلت وأنا أعلم أن هناك خلافا بين أهل السنّة وأهل الشيعة فهل كان للمجامع الفقهية فى أي من الفرقتين أي دور فى توحيد الصف ؟؟؟وما هو؟؟؟ولماذا لم نسمع عن خطوه للأمام بدلا من الهتافات المذهبية البغيضة، والله تعالى يقول:(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (الأنعام:١٥٩) إنّ الذين يزكّون الفرقة بين أهل الإسلام بتأليف كتب وكتابات لتحذير الأمّة من الأمّة يحتاجون إلى استتابة فورية قبل أن ينقضي أجلهم وهم على ذلك الحال.

لقد مرّ أكثر من ألف سنة وهذه المؤسسات لا نتاج لها فى توحيد الصف الإسلامى؛ فأين تدبّر هذه الآية عند هذه المجامع الدينية والقائمين عليها هنا وهناك على مر العصور وأين هم من المذهبية وتزكية الفرقة بين كيان الأمّة الواحد !!؟؟ لقد اختلفت هاتان الفرقتان(السنة والشيعة) حول السنّة ولم تختلفا على القرءان ،ومع هذا فإن فقهاء التخاصم يزكّون روح الفرقة منذ أكثر من ألف سنة بدلا من الحوار فى طريق الاتفاق؛وترى دولا إسلامية تنفق الملايين من أجل طبع كتاب يقدح في هؤلاء أو هؤلاء من أهل القبلة دون الالتفات لما يحمله هذا المنهج من إضعاف للأمّة الواحدة.

ومن عجائب المجامع الفقهية أن أنشأت في عام١٩٦٢ جماعة التقريب بين المذاهب وشحذ لها العدّة من أشياخ الأزهر السابقين والشيخ الذى كان موجودا وقتها ، كما شحذ لها من أساطين علماء الشيعة، ولكن حتى اليوم وبعد مرور قرابة نصف قرن نجد الفرقة البغيضة تطل بقرونها وأظلافها بعد أن كانت في الماضى تطل بقرونها فقط ،فأى نتاج يمكن أن نصنّفه لتلك الجمعية التى ضمّت أساطين العلماء في الفرقتين ؟ فهل شرف المحاولة للتقريب يمكن أن يستغرق نصف قرن؟ وهل هذا هو الجهاد في سبيل الله ؟ ولماذا لم نسمع عن صياح جهادهم مع الحكّام قبل المحكومين؟؟ لا شك أن هناك عوامل كثيرة ألخصها في أن أهل الضلال تغلبوا على أهل العلم وقد أجد ذلك راجعا لقلّة الهمة في الجهاد لتوحيد الصف الإسلامى.

ولماذا لم يتم إخراج مؤلف فقهي موحّد لهذه الأمّة ؟؟؟وأين دار الإفتاء الموحدة لجميع فرق الإسلام ومذاهبه التى تحكم برأي الجمهور من العلماء (سنّة وشيعه وغيرهما)؛ ثم بعد ذلك نجد تلك المؤسسات الدينية هي الأشد ضربا على يد المجتهدين من أمّة محمد، ففي الوقت الذي يجيزون فيه نشر كتاب لوالد الرئيس الأمريكي عن الإسلام فهم لا يجيزون كتب الباحثين من المسلمين فهل هم يقيمون اتحادا مع أصحاب السلطة والسلطان، فى الوقت الذي لا يتلطفون مع الباحثين من المجتهدين؟.

وهم يتصوّرون أنفسهم علماء فوق العلوم فلا يريدون الانتفاع بما قدّمه العلم الحديث المرتكز إلى تعليم الله عزّ وجلّ لآدم عليه السلام ويرتكز على ما يهبه الله للبشرية من المعرفة فتجد بينهم وبين علماء الفيزياء والفلك والكيمياء وغيرهم غربة علمية وتفرّق ثقافي، وهم دوما يرددون أنّ العلم يخضع للقرءان ولا يخضع القرءان للعلم، وهى كلمة حق أريد بها باطل وهو انزواء أهل فقه الشّعائر عن أهل العلوم الأخرى.لاشك أن العلم مثل تجريبى يتأكد به النص ولكنه في ذات الوقت لا يخضع القرءان للعلوم التجريبية إنما تلك العلوم مجرد تابع أو خادم عملى يؤكد قول الله وفقه الفقهاء وهو ما لا أجده منافيا لكتاب الله القائل (وقل ربّ زدنى علما) وقوله تعالى فى سورة إبراهيم (اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ{٣٢} وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ{٣٣} وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ{٣٤}) فتسخيره لنا بعضا ممايملك من ملكوت السماوات والارض هو الذى جعل من البترول وقودا لمركباتنا وهو الذى هدانا للمخترعات الحديثة مثل الحاسب الآلى وغيره.

** وسؤال أسأله لأولى الألباب – هل الآية الكريمة من سورة آل عمران التى قال الله فيها: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران:١٤٤) – هل كانت هذه الآية فيما يقصه القصاص عن حالة الذعر والفوضى والجزع التى ألمّت بالصحابة أو ببعضهم حال وفاة رسول الله وحزنهم لفراقه أو لحاله أصابتهم يوم أحد أو يوم حنين ؟ أم إنها قرءانا يتلى إلى يوم الدين ويخاطب كل الأجيال، وهل حالة الانقلاب على العقب التى أوردها القرءان فى الآية المذكورة يخص واقعة بعينها أم تخص الرسالة التى أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم وتحذر الناس من هذا المنقلب؟.

إن الخوارج كانوا يظنون انهم الأكثر ورعا، وعليا وأصحابه كانوا يظنون أنهم الأكثر حقا، ومعاوية ومن معه كانوا يظنون أنهم أهل التطبيق الواعي لكتاب الله، وكذلك أهل الدولة الأموية، وأهل الدولة العباسية، وكذلك نحن فى عصرنا هذا، لقد مورس الصدّ عن سبيل الله بتفريق الأمّة ممن يتصورون إنهم دعاة لله وماذاكم إلا لتوقف الفكر عندهم.

ومن عجيب الأمر أن المتشيعين لكل ما تم تدوينه على أنّه السنة القولية يدركون تماما إن كتابتها كانت فى عصر التدوين، ذلك العصر الذي كانت الحكومات قد دان لها الأمر، فتمّ التدوين تحت إمرة لعن لأهل بيت رسول الله، حيث كان دأب دولة التدوين لعن ابن عم رسول الله وزوج ابنته وأولاده على مآذنهم ومنابرهم، ونشأ علم الجرح والتعديل فى ظلال سياسية مذهبية، فكيف بهؤلاء أن يتصوروا العدل الضابط فى راوي هذا العصر ؟؟؟لذلك لا تعجب إذا ما دعوتك لترى المذهبية تطل من تدوين هؤلاء وإن تأصيل الفرقة بين المسلمين وتزكيتها هو منهاجهم وإليك الدليل من كتاباتهم أنهم كانوا يكتبون الملاحظات الآتية عن بعض رواة الأحاديث فيهم:

١- ضعّفة بحر ابن معين لأنه يروى أحاديث فى فضائل أهل البيت تأمل سبب الضعف تجده مذهبيا بحتا ولا علاقة له بحق أو حقيقة فى شريعة الله أو قول رسول الله.
٢- قد عيّب بالتشيع – يعنى التشيّع لعلى بن أبى طالب.
٣- كثير العبادة والغزو لكنه شيعي.

إن هذه الملاحظات وأمثالها تدل على الوجه السياسي العابس ومنظومة دعم الفرقة الذي نبتت منه الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لمّا دان النصر لمعاوية رفض كل ماهو من ظلال علىّ، وهى رؤية مذهبية دعّمتها دماء الآلاف من المسلمين، وقد تم تدوين السنة القولية على هذا الحال حتى يتم تدعيم الفرقة بين أهل الإسلام، فهل حين يناديكم صوتي أن تصحح المجامع الفقهية كل حديث يخالف كتاب الله أو يقوم المسلم قدر استطاعته بهذا الأمر حتى ينتهي الفقهاء من تلك المهمة التي كان ينبغي الانتهاء منها قبل أن يولد جد جدي الأكبر!! هل فى ذلك عند أهل السنة أو الشيعة ما يدعوهم للهجوم الكاسح أو القذف بإنكار السنة؟! أم أنه إنكار للبحث والدّرس ولا أجد فى ذلك إلا حبّ اصطناع أصنام ثقافية والوقوف عند جهد أصحابها.

والرأي عندي وعند العقلاء بأن كتابي البخاري ومسلم وإن كانا صحيحين فى مجوعيهما إلا أنهما لا يسلمان من العلل فى جزئيات فى كلّ منهما وذلك شأن كل عمل بشرى . ويقول تعالى{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقرءان وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً }النساء٨٢.

ثم وهناك لفتة أخرى وهى أن مهمّة السنّة هي تفسير ما أجمله القرءان وتبيانه، فكيف بفقهائها يختلفون فيها كل وفق مذهبه فى الأخذ بأحاديث تخالف صريح نصوص القرءان؟!! وهل تحتاج السنّة الشارحة لمن يشرحها ويختلف فيها ويسمى اختلافه أنه فى الفروع والهيئات ليهوّن على الناس ماهم فيه من مصيبة الاختلاف بسبب ما تعصّب له أصحاب كل مذهب ؟؟حتى أنّ الشافعي مات متأثرا بجراحة من ضرب المالكية له، وحتى يتعذّب ابن حنبل ويسجن من أجل رأيه فى مسألة خلق القرءان الذي ما أفاد أحدا من عموم المسلمين.

ولكنها دروب بعض الدعاة فى الجبروت والقهر وهم يتشدّقون (.......ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل:١٢٥).

وهل تعلم أن العلم الذي اتّخذوه سندا و سببا في ادعائهم بصحة نسبة الأحاديث القولية لرسول الله – وهو علم الجرح والتعديل . هو علم اختلفوا فيه أيضا"، حتى لقد اختلفوا حول من هو الصحابي، ؟؟ هل من عاصر رسول الله ساعة ؟؟أم من غزا معه غزوة؟؟ أم من صاحب النبي سنه؟؟ وهل علمت أن الإمام مسلم لم يقبل روايات قبل بها البخاري رغم أستاذية الإمام البخاري له؟؟؟.

وهل عجزت المجامع الفقهية في الأمة الإسلامية عن توحيد فقه تلك المذاهب واستصدار فقه متوازن موحد يعتمد على أصح الأقوال فى كل مسألة سواء خرجت من معين المالكية أو من إبط الشافعية أو غيرهما ؟! هل اكتفت تلك المجامع وقنعت بتبريرها الغير مقبول فى أن اختلاف الفقهاء رحمة؟؟؟؟؟ فأي رحمة فى الاختلاف فى الحلال والحرام وأي رحمة فى الاختلاف فى ضبط ما يقوم به ركن الإسلام ،هل هذا خلاف فى فروع أم أنه تهوين للمصيبة واستغلال لجهل الشعوب الإسلامية؟؟؟؟.

إن حديث الآحاد قرينه بسيطة وليس دليل بل هو قرينة ما لم يوجد دليل فالدليل أولى من القرينة فى القبول كما إننا لا يمكن أن نستبدل أحاديث الآحاد بالقرءان.

*ولا يفوتنا أن نذكر النسخ فهو احد أسباب تفرق الأمة؛ إنّ أكثر المتحدثين بالنّسخ فى الأزمان الأولى كانوا من اليهود الذين دخلوا الإسلام وبعضهم مطعون فى دينه مشكوك فى ولائه للإسلام، ويمكنك أن تعرف ذلك إذا ما رجعت إلى كتب التّفاسير وطبقات المحدّثين وكتب التّاريخ.وإن التلازم بين الأحاديث الموضوعة للتشكيك وبين القول بالنّسخ تلازم محكم يؤدّى إلى الطعن فى الدّين والانسلاخ منه. (المرجع:. لا نسخ فى القرءان للدكتور أحمد حجازي السقا ص ١٤).

*ثم هم يصدّون مرة أخرى عن سبيل الله حين يقررون بوجود ما أسموه السنّة المكمّلة يعنون بذلك السنّة المكملة لكتاب الله أو المكمّلة للشريعة) وهم يستندون فى ذلك إلى قوله تعالى(..........وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر:٧) وهذا الأمر أفردنا له عنوانا خاصا يتم الرجوع له فى موضعه فى هذا المؤلف.

والناظر إلى الساحة الإسلامية عبر القرون يجد أن الخلاف بين المسلمين أساسه السنّة القولية التي تصح عند هؤلاء ولا تصح عند الآخرين والتي بنيت كما بينا على مذاهب متشعبة ورؤى سياسية لكن المسلمين يتوارث بعضهم بعضا فيما هم فيه ولا يعملون العقل، ولا يتدبّرون القرءان، وهم يؤمنون بدين الأجداد حتى وإن أصاب علم الأجداد ما أصابه وكأنهم يتحدّون العقل ويتحدّون الدين الصحيح.

ولقد تم إنشاء جمعيات تخصصت فى السنّة وكل جماعة حصرت الحق عن سنّة رسول الله فى منهاجها وظنت بأنها هي الفرقة الناجية وأن باقي الجماعات والجمعيات إما أنها إطلالة سنّة أو أنها مخالفة للسنّة وتراهم غلاظ شداد بينما هم يتصورون بتزعمهم للسنّة وكأن الغلظة والشدة هي سنّة رسول الله عندهم، وتراهم وهم يتنفّسون روح التّحدى فكلّ ينسّب نفسه لصحيح السّنة ويطعن فى منهاج الآخرين بلا موضوعية.

وعودة إلى أحاديث الآحاد التي لا يمكن إن تثبت بها عقائد، ولكن يمكن الأخذ بها في الفروع، وإن الذين يحاولون وضعها لاستكمال الشريعة أو استبدال أحكامها فإنهم بذلك يفرقون الأمة لا محالة وهم الذين لا يقتنعون بما جاء به الأئمة الأربعة، فعلماؤنا على أن حديث الآحاد يهمل إذا كان هناك دليل أقوى منه؛ فيرى الأحناف أن الأقوى هو ظاهر القرءان أو القياس القطعي ويرى المالكية أن عمل أهل المدينة دليل أقوى من حديث الآحاد، والأحاديث التي نسميها نحن صحيحة ترك الأئمة عدد لا حصر له منها، وقال الشيخ رشيد رضا (لا بد من إعادة النظر فى كل أحاديث الفتن).وانه إذا ما كان حديث الآحاد لا يفيد حكما بطريق اليقين فانه لا يفيد عقيدة ولا يتبدّل به قرءان.

وهكذا إن علم المسلم الأمر فانه بلا شك سيتعقّل قبل أن يشارك فى تفتيت وحدة الأمة.

وسوف أتناول فى هذا المصنف حقي في الدفاع عن سنّة الحبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبحث عنها فى ثنايا كتاب الله الذي جمع فأوعى ولم يفرّط فى شيء. وحيث أن السنّة أفضل شيء بعد كتاب الله أو قل هما فرعان لجسد واحد وهو الدين الإسلامي فلا شك أن الكتاب (القرءان الكريم) لم يفرّط فيها. وإن كان بعض من يتصوّرون أنهم على السنّة يقول بأن الكتاب الذي لم يفرّط فى شئ هو اللوح المحفوظ . يريدون بذلك أن يخرجوا بأحقية رسول الله أن يكمل النقص المزعوم عندهم بأنه حادث في القرءان باسم السنّة المكمّلة.

وإن التعرف على سنة رسول الله من خلال كتاب الله أفضل من التعرف عليها وسط الجماعات المتصارعة والمذهبيات السياسية وإن التعرف عليها فى المرحلة الثانية يكون بالتعرف على السنّة العملية العبادية لرسول الله، ثم وفى المرحلة الثالثة التعرف على السنّة العملية الخلقية لرسول الله ثم وفى المرحلة الأخيرة التعرف على السنّة القولية لرسول الله وجميعه اعتبارا من المرحلة الثانية سيكون له مؤلّف خاص بإذن الله حيث يتم عرض هذا جميعه على مجامعنا الفقهية لإجازته أو نقضه أو تعديله وفقا لرؤيتنا فى أهمية المجامع الفقهية الرسمية ورسالتها ومسئوليتها أمام الله فى يوم تشخص فيه الأبصار.

مما تقدّم نرى أن أصل اختلاف الأمة هو عند فقهائها، وعلّته عندهم أساسها السنّة النبوية، وعليهم يقع واجب توحيد الفكر الديني للأمة أو محاولة ذلك إلى أقصى حد ممكن وقد كان لديهم فرصة لأكثر من ألف سنه قبل أن أولد ومع ذلك لم ينتهوا إلى شيء فى توحيد صف الأمّة بل على العكس هم سبب ما يرثه المسلم من علل تجاه المسلم الآخر لخلاف مذهبي بغيض، وإن قول المولى عز وجلّ{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ....}١٠٣آل عمران . يحمل في طيّاته ضرورة وضوح حبل الله أولا ثم وفى المرحلة الثانية عدم التفرق بعد التّعرف على حبل الله، لذلك فإن ما أراه من ضرورة قيام المجامع الفقهية بتوحيد الأشطار الفقهية للأمّة هو رأى نادى به كتاب الله.

السنّة القولية ليست مكمّلة للقرءان ولا مكمّلة للشريعة

(معنى ما آتاكم الرسول فخذوه)

إن الصورة البشرية والعملية التطبيقية لكتالخفاء.التي كان يمارسها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن بحال تشريعا موازيا لكتاب الله، فضلا عن أن رسول الله يتبرأ أن تكون سنّته مناهضة لكتاب الله لكن الذين أرادوا بالأمّة ما أرادوا وأدخلوا فى الدين ما ليس من الدين كان يستحيل عليهم أن يصلوا إلى مراميهم عبر القرءان الكريم الذي تكفّل الله بحفظه، ولكن كان لهم ما أرادوا عبر منظومة تدوين السنّة، ثم ساعدهم فى ذلك بعض الحكام الذين تاقوا للخروج على بعض من النصوص القرءانية فنادوا بما يسمى بالسنّة المكمّلة لأحكام القرءان– وهل كان القرءان ناقصا؟؟؟– هل كان الوحي غير أمين ؟؟؟– هل احتاج الله معاونة فى وضع شرائعه؟ أم أن الله أنزل شريعة فى العلن وأخرى فى الخفاء.....شريعة تعهد بحفظها وأخرى تركها للناس إن شاءوا حفظوها وإن شاءوا فعلوا بها ما فعلوا؟؟ وعلى القارئ أن يرتحل معي في دنيا التنظير وخيالاتهم عن السنة النبوية فيما يلي:.

أ . **النظرة الموضعية . وليست النظرة الموضوعية . فى كتاب الله** إنك ترى هؤلاء الأقوام أحلّوا لفقههم المعوج من تأويلاتهم عمّا جاء فى كتاب الله عز وجل من الآيات ومنها تأويلهم للآية التالية (........ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر:٧).

فترسّموا أن ما وضعوه من دخائل على رسول الله . وانطلى على كثير من الدّعاة فى الأزمان البسيطة القديمة– تصوّروه أنه هو السنّة المكمّلة، إذ أن الآية لها أصول ولها مقدمات انتهت معها بقوله تعالى (وما أتاكم الرسول فخذوه) وليس من بينها ما تعارف عليه هؤلاء الزاعمين أنهم حرّاس السنّة، وإليك شرح الأمر مبسطا فى السطور التالية:.

إن الله جل وعلا يقول فى الآية فى مبتدئها (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر:٧).

*الأمر الأول:. أن الآية تمثل حاله من حالات تقسيم المال، وكيفية التأدب مع النظم الاقتصادية التي يضعها الله لرسوله كي ينفذّها ويطبّقها وهى قاعدة (كي لا يكون المال دوله بين الأغنياء) وفى الآية هدف من أهداف التنظيم الاجتماعي فى المجتمع الإسلامي فليس فى الإسلام نظام رأسمالي وليس فيه نظاما اشتراكيا ولكن نظام إلهي متقن وينفذّه رسول الله، وليس فى الأمر تشريع جديد يبيح للرسول إضافة أحكام شرعيه على الناس يكون مصدرها الاساسى رسول الله بلا ضابط أو قاعدة قرءانية أمره.

** الأمر الثاني:– إن (ما آتاكم الرسول) هو كتاب الله ولا شيء غيره، ما آتاكم به من أوامر فيه فنفذّوها، وما نهاكم عنه مما نهى القرءان عنه فانتهوا، ذلك أننا سبق وتبينّا أنه صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرءان ولا شيء غير القرءان، ولم يكن خلقه القرءان والسنّة حيث لا سنّة إلا سنّة التبليغ والتطبيق، ويندرج تحت بند التطبيق لكتاب الله جميع سلوكيات رسول الله من اعتصام بحبل الله، والحكم بما أنزل الله والخوف من معصية الله، وإحسان الظن بالله، والتطهر والاستعانة بالصبر والصلاة، والثبات على الحق........ الخ.

فهنا وهكذا فقط يكون لكلمة (ما آتاكم) معنى ومبنى، ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.

ب . القرءان كامل مكمّل لا يحتاج إلى تكميله

وتدبّر قوله تعالى:–(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى **وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف:١١١) .**

*فانظر وتدبر قوله تعالى وتفصيل كل شيء فهل بعد أن يفصل الكتاب كل شيء نحتاج إلى من يقول بالسنّة المكمّلة.ويقول تعالى (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل:٨٩)

*فانظر وتدبر قوله تعالى(.......... **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ).**

وماذا تعنى كلمة **تبيانا لكل شيء** – هل تعنى عندهم النقصان وأين هم من قوله تعالى (........ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (الأنعام:٣٨) .**

ج . القرءان أقوم وأهدى من أي حكمة

إن الحقيقة التي تبزغ لتعارض ما أتى به هؤلاء الذين وضعوا مقاييس ليحبسوا فيها نور القرءان لصالح بعض حكّام عصر التدوين رغم مجاهدة من جاهد لينقّى السنّة القوليّة لرسول الله، تستصرخ أهل العقول العودة إلى النص القرءانى عن معاني(تبيانا لكل

شيء/ما فرطنا فى الكتاب من شيء/ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين /الله نزّل أحسن الحديث كتابا/إن هذا القرءان يهدى للتي هي أقوم...الخ) .

ولكن لنا أن نتساءل أين مخطوطة صحيح البخاري التي هي بخط يده وأين هي مخطوطة صحيح مسلم التي هي بخط يده ؟؟إنني اعلم أن عندنا فى مصر مصحف أرسله عثمان بن عفان إلى مصر وموجود حاليا فى مسجد مولانا سيدنا الحسين رضي الله عنه وأرضاه، فأين مخطوطات الأحاديث النبوية التي جمعت بعد تاريخ تدوين مصحف عثمان بقرون ؟؟ .... إن عليك أن تعلم إنه لا توجد مخطوطه واحدة من هؤلاء؛ وأضاع جهدهم أحفاد من رجموا فراش رسول الله ونالوا منه فعلا حين قرروا ما أسموه السنة المكمّلة لأحكام القرءان.

وإذا كانت هناك تشريعات قرءانية وكانت هناك تشريعات من السنّة فأين هؤلاء من قوله تعالى (إِنَّ هَذَا الْقرءان يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) (الإسراء:٩).

وإذا كانت السنّة مكمّله لكتاب الله فلماذا نهى رسول الله عن كتابتها، ثم لماذا واظب الخلفاء الأربعة الراشدون على عدم تدوينها رغم انقطاع وحى القرءان وعدم وجود خوف من اختلاط مدونات صحف القرءان بمدونات أحاديث رسول الله ؟؟إن مهمتها التي يزوّرها البعض على الأمّة إن صحت عند هؤلاء فإنها لم تصح عند الخلفاء الراشدين، إذ لو كانت مكمّله لأحكام القرءان لدوّنوها خشية ضياع الأحكام المكمّلة لكتاب الله فتضعف الأمّة، لكن الأمر كان على خلاف ذلك ليكون تبيانا للمزوّرين وأصحاب الكراسي والأطماع في زيف ما هم عليه من فتنة الأمة.

فليس هناك معنى لآية(وما آتاكم الرسول فخذوه) إلاّ أنه القرءان وليس القرءان ومعه صحيح البخاري وصحيح مسلم وكتب الصحاح جميعا.وكيف ينفّذ المسلم الإنجليزي أو الصيني وغيرهم الإسلام وكيف يدرك ويتدبر دينه هل يموج مع هذه الصحاح بغرائبها ومتناقضاتها؟؟.

*معنى الحكمة

ثم دعونا نتجول فى فكر الذين قالوا بأن السنّة المكمّلة التي عناها الله تعالى بقوله:-(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (الجمعة:٢)

لقد ظن هؤلاء أن الكتاب هو القرءان وظنّوا أن الحكمة هي السنة وأن الرسول يعلّم الناس القرءان والحكمة أي السنّة ولكن ما قول هؤلاء أن ما انتهوا إليه عن معنى الحكمة أنه السنة وأن مصدره رسول الله هو خطأ بحت يعاقب فاعله ولا يذمّ تاركه ذلك أن الله تعالى علّم رسوله الكتاب وعلّمه الحكمة وتبيان ذلك فيما يلي:..

أ . **فالكتاب والحكمة مصدرهما واحد هو الله** حيث يقول تعالى:- (..........وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) (النساء:١١٣)

*ويقول تعالى{كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ }البقرة١٥١.

*ويقول تعالى {.......... وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }البقرة٢٣١ . فبيّن سبحانه أن الله يعظ بالكتاب والحكمة وأنهما شيء واحد فلم يقل يعظكم بهما.

ب . وكلمة الحكمة قال فيها بن عبّاس هي القرءان وقال مجاهد الحكمة تعنى الإصابة في القول وقال إبراهيم النخعى الحكمة هي الفهم أما الإمام مالك فقال أنها تعنى الفقه في دين الله.......وقال غيرهم الكثير في معنى كلمة الحكمة لكن لم يكن هناك حق لرسول الله في تشريع يسمّى الحكمة أو أن الحكمة منعزلة عن القرءان كما صوّر لنا بعض من تخيلوا الفقه فخالوا واختالوا.

ج . وإنه ما من رسول إلا وأرسله الله برسالة وبحكمة وهناك من آتاهم الله الملك والحكمة وهناك من آتاهم الله الحكمة فقط بغير رسالة كما أن الحكمة قد يهبها الله لغير الأنبياء وإليك البرهان:-

(١) يقول تعالى عن آل أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام عن الأنبياء من ذريته: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) (النساء:٥٤)

(٢) وقال تعالى عن نبي الله لقمان: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (لقمان:١٢)

فهل كانت الحكمة هنا تعنى السنّه وأي سنّه تلك التي أوتيها لقمان بينما هو لم يكن صاحب رسالة إنما كان نبيا فقط وبلا رسالة!!!.

(٣) وقال تعالى عن سيدنا عيسى عليه السلام: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً **وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ** وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) (المائدة:١١٠).

(٤) وقال تعالى عن داود عليه السلام: (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ **وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ** وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة:٢٥١)

د . ولقد دعا سيدنا إبراهيم ربه أن يبعث فى الأميين رسولا منهم ليتلو عليهم آيات الله ويعلّمهم الكتاب والحكمة فهل كان سيدنا إبراهيم يدعو الله أن يبعث رسولا بحكمة ليكمل به ما انتقص من كتاب الله – لا حاش وكلا – حيث يقول تعالى (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (البقرة:١٢٩) .

هـ . والحكمة قد يؤتاها أحد الناس بغير رسالة ولا نبوة ولا ملك حيث يقول تعالى (**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ** وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (البقرة:٢٦٩)

وكانت هذه الآية بمناسبة سياق فى آية قبلها عن مقارنة بين أتباع الشيطان وأتباع الله، وأجاب الله عليها بأن من يتّبع الله فقد أوتى الحكمة ومن أوتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا، بما يعنى أن الحكمة هي الرشد والرشاد الذي علّمه الله لرسوله كي يعلّمه للناس.

و . ولو كانت السنّة مكمّلة ولو كان لرسول الله أن يفتى من عنده ما قال المولى عز وجل (يسألونك عن الخمر والميسر – يسألونك عن الاهلّة- يسألونك عن الكلالة- يسألونك عن المحيض- وإذا سألك عبادي عنى... وغيرها) وفى جميعها كان الله هو الذي يحدد للناس الشرائع المجيبة على هذه التساؤلات وما كان رسول الله ليفتى فى احدها، وآية ذلك العظمى ما جاء فى قوله تعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ{٣٨} وَمَا لَا تُبْصِرُونَ{٣٩} إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ{٤٠} وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ{٤١} وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ{٤٢} تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ{٤٣} وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ{٤٤} لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ{٤٥} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ{٤٦} فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ{٤٧} وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ{٤٨} (٣٨-٤٨ الحاقة ٦٩).

بما يعنى أن جميع ما يقوله رسول الله هو البلاغ عن ربه، وأنه لا يستطيع أن يقول من عند نفسه و إلا إن فعل ذلك لقطع الله عروق رقبته ولن يستطيع أحد أن يمنع عنه العذاب الذي سيلاقيه جزاء ما تقدم على الله بالقول، فأين هذه المعاني ممن يقولون بالسنّة المكمّلة لكتاب الله وأحكام الدين.

وهكذا فإن الحكمة ليست هي السنّة ولكنها علم علّمه الله للأنبياء والرسل والصالحين كي يصلحوا للمهمة التي تم اختيارهم لها، وتكمن هذه الحكمة فى حسن اختيار الطريق المؤدى إلى رضوان الله وهى الرشد والرشاد وليس من بينها صناعة تشريع جديد موازى لشريعة الله ولا مضاد لشريعة الله ولا مكمّل لشريعة الله، كما أنّ الله لم ينزل شريعة علنية هي القرءان وشريعة أخرى من تحت المنضدة وهبها لرسول الله ومخالفة للشريعة المعلنة.

فعلى سبيل المثال عدد ركعات الصبح وعدد ركعات الظهر... الخ إذا كان لنا مناقشة دلالتها فإننا ننتهي إلى أن الصلاة فريضة، وهى فريضة من الله، وليست من رسول الله، وهى ليست بتشريع من رسول الله فى عدد ركعاتها ولكنها فريضة من الله أوحى بها ربنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا نستطيع القول بأن عدد ركعات الصلاة هو سنّة مكمّلة لكتاب الله لأن الله أنزل الأمين جبريل فعلّم النبي الصلاة عمليا ونقل النبيّ ذلك إلى الأمة عمليا وليس قوليا.

وحيث أن عدد الركعات وعدد مرات الطواف حول الكعبة (وغيرهما مما لا يتناقص مع كتاب الله) هي من غير القرءان فإنها تكون من الحكمة- أي من الرشاد- الذي علمه الله لنبيه أو أوحى به إليه كي يعلّمه للأمة ولا يمكن فى هذه الحالة أن نطلق عليه اسم السنّة المكمّلة بل هي السنّة المبيّنة – إذ أن السنّة لا تأتى بفريضة . والسنّة هي الطريقة وليست ابتداع ما لم يكن فى مراد الله أو ما لم يأت به الله، كما وأنّ هذه السنن نقلت إلينا بطريق التواتر العملي عبر الأجيال ولم ينقلها خبر واحد عن آخر الله أعلم به وبمن زكّاه.

أما التشريعات التي وردت فى السنّة والتي أطلقوا عليها اسم المكمّلة والتي هي مخالفة لنصوص القرءان فلم تكن بحال إلا تشريعات مبتدعه ومنسوبة زورا وبهتانا لرسول الله وهؤلاء هم أصحاب البدع.

نقد فكر ومنطق التوسع في معنى(وما ينطق عن الهوى)

قد تقلّد بعض أصحاب الغلوّ فى مقام رسول الله والغلوّ فى سنّته تقلدوا مفاهيم خاصة عن معاني بعض آيات كتاب الله والأحاديث النبوية ـ فمن ضمن ما انتهى إليه فكرهم فى معنى قوله تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إن هو إلا وحي يوحي علّمه شديد القوى....الخ)٥.٣ النجم.فتصوّروا أن كل ما ورد فى كتب الصحاح . وخاصة البخاري ومسلم عند أهل السنّة ـ تصوروه وحيا من السماء، ثم غالوا إلى أن تصوّر كل فريق أن ما ورد في كتابه هو نصّ وفى مخالفته ترك للنصّ، فخلطوا في العقيدة بين القرءان المنزّل من الله . والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وبين المرويات من الأحاديث النبوية التي رواها البشر الذين ينسحب عليهم الخطأ كما ينسحب عليهم الصواب، واعتبر هؤلاء أن الجميع (القرءان والأحاديث) هما وحيا من السماء لأهل الأرض، وذلك رغم اعترافهم بظنية الثبوت فى الأحاديث وقطعية الثبوت فى آيات القرءان، ولكن الغلوّ فى الحب لكل ما هو تحت عنوان رسول الله أو تسمّى باسمه حتى وإن خالف كتاب الله هو الذي أوردهم ذلك المورد.

هذا فضلا عن أنّ كلمة (ينطق) لا تعنى الكلام لأنّ النطق يعنى الترديد ولو كان بغير إدراك أمّا الكلام فيعنى الإدراك، بما يعنى أنّ آية(وما ينطق عن الهوى) ترمى إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان ينطق بغير هوى أو تأليف من عنده.

والحقيقة التي يجب أن ترسخ فى الأذهان أن السنة منها متواتر وهو السّنة العملية، ومنها آحاد وهو معظم السنّة القولية، وأن السنّه القولية وإن كان مقطوع بصحتها في مجملها إلا أن ذلك لا يمنع ظنيّة ثبوت معظمها، وعلى ذلك لا يمكن الخلط بين القرءان و السنّه بشأن من شئون العقيدة أو التشريع ـ إذا ما تضاربا أو تضادا ـ إذ أن المرجعية الأصلية تكون دوما للقرءان ويكون التبيين للسنة.

وإن ما انتهي إليه هؤلاء البعض عن معنى قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى) ليشمل في زعمهم كلّ ما نطق به رسول الله بلسانه قد أضروا بالرسالة النبوية أيما ضرر؛ بل وضاق بهم أفقهم عن إتباع التفسير الموضوعي لسورة النجم التي وردت بها الآية التي يخطئون في تفسير معناها ليقوموا بالإبحار فى ملذّات التفسير الموضعي للآية فخرجوا بها عن مدلولها الذي وردت فى سياقه وشذّوا عن مراد الخطاب القرءاني؛ وذلك لأن سورة النجم تقصّ نبأ المشركين المكذبين بوحي السماء الذي يتلوه عليهم الرسول، وكان ذلك الأمر في مهد الرسالة، فإن الله أقسم بالنجوم التي يعظّمها المشركون بأن محمدا لا ينطق فيما ينطق به عن وحي السماء عن هوى بل عن وحي مرسل إليه عبر أمين الوحي جبريل (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى{١} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى{٢} وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى{٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى{٤} عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى{٥} ٥.١ النجم.

فهكذا ومن خلال مجموع وموضوع السياق للخطاب القرءاني يتم التعرّف على المعنى المراد فضلا عن أسباب التنزيل بما يعنى أن الرسول لا ينطق عن الهوى فيما يبلّغ الناس به من قرءان موحى إليه به، وذلكم هو التفسير الموضوعي، أما أصحاب فكرة التفسير الموضعي فلعلّهم يجدون تفسيرا موضعيا لمعنى قوله تعالى (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً) (مريم:٧١)، فيجعلون مصيرنا جميعا إلى النار بتفسيراتهم الموضعية !!.

وسؤال أسأله لأصحاب فكر تعميم وشمولية معنى قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى) من أنه كل ما خرج من فم رسول الله:ـ

أ ـ أين أنتم من حديث (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة) فلو أنه كان صاحب عصمه ولا ينطق في جميع الأمور إلا بوحي من السماء ما عدل عن رأيه السابق.

ب ـ وأين أصحاب هذا الفكر من قول الرسول (كل ابن آدم خطّاء وخير الخطاءين التوابون) أليس الرسول من ضمن كلمة (كل بن آدم) أم أن هناك بعضيّه مستثناة؟؟؟ إنّ الدليل على بشرية الرسول وأنّ ما يخرج من فمه من غير القرءان إنما يخرج من معين بشر يصيب ويخطئ هو ما قاله تعالى فى سورة الفتح (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً{١} لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً{٢}) فبيّن الله أن للرسول ذنوبا فى الماضي وفى المستقبل ولكنه سبحانه غفرها له جميعا وفى ذلك البرهان الكافي لقفل أفواه من يقولون بأنه لا ينطق عن الهوى فى كلّ شيء.

ج ـ وأين تدبر هؤلاء لتفهم نبي الله سليمان ـ على صغر سنّه ـ لأمر لم يفهمه داود ـ على كبر سنّه ـ وحكمته التي آوتيها من ربه حيث يقول تعالى ({فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ }الأنبياء٧٩ ـ ألا يدل ذلك على عدم عصمة الأنبياء؟؟ ويدلّ على أنّ داوود عليه السلام تصرّف خلاف الأولى، فالتصرف خلاف الأولى قد يكون مقبولا عند العوام، لكنه لا يكون مقبولا من الأنبياء، وصدق الصوفية في مقولتهم الشهيرة (حسنات الأبرار سيئات المقربين). فلا يصح من نبي تصرف أو قول خلاف الأولى.

د ـ وأين العقل من تدبّر قوله تعالى مؤدبا رسوله ومعاتبا(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (لأنفال:٦٧).

وذلك حين قام رسول الله بالاحتفاظ ببعض الأسرى بعد غزوة بدر، فلو كان رسول الله ما ينطق عن الهوى فى كلّ الأمور ما أمر أصحابه بأسر الأسرى من المشركين، ولا يقولن قائل بأن هذا لتشريع أو لتبيان أنه بشر، والرد على ذلك من أنه للتشريع فهو غير مناسب لأنّه ليس هناك نبي بعده والأمر خاص بالأنبياء.

هـ . أما بخصوص مقولة أنه لتبيان أنه بشر فنحن نناصر هذا الفكر بما يعنى أنه يصيب ويخطئ ويحب ويكره في الأمور البشرية أما في أمور تنزيل وحي القرءان فالأمر مختلف تماما لأنه لا يحتمل الخطأ ولا المراجعة أبدا. وكذلك الأمر في آية:.

*(عبس وتولّى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعلّه يزّكى........أما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهّى......)١٠.١ عبس.

* . قوله تعالى:. (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التحريم:١).

وهكذا نجد معاتبة ومتابعة الله لرسوله حتى تخرج الرسالة للعالمين في بشرية رسول ومثاليه ربآنية.

الخ.ن بشرية رسول الله ليست كبشريتنا، وأن الله علّمه وأدبه فأحسن تأديبه وآتاه الحكمة وعلّمه ما لم يكن يعلم، وأوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام، ومع هذا فكان بشر يميل قلبه لحب عائشة رضي الله عنها ويحب خديجة وذكراها ويحب الطيب...الخ .

وهكذا فلا بد من فراسة في العقل (اجتهاد مرتكز على أساس فقهي) حتى يتم إدراك الأمور من القرءان والسنّة الصحيحة فلا يكفى أن تكون ناقلا؛ فإنه لو تسمّرت الدنيا عند فقه السابقين ما اجتهد الصحابة وما اجتهد المجتهدون لكنه نهج الكسالى يبثّه الناس فى النّاس حتى تتقوّض الهمم ويذبل العلماء ويقل عددهم جيلا بعد جيل ويتم الصدّ عن سبيل الله الذي أمر بزيادة التحصيل العلمي للجميع بلا تمييز حتى لا نرتمي فى أحضان الجمود الفقهي والفكري (ولا يستوعب فقهنا أمور دنيانا فنتجه إلى هناك وفكر هناك المتطوّر فتتطور الدنيا بعيدا عن فقه الفقهاء إلا من فقه القرن الثالث والرابع الهجري وذلك رغم توافر أدوات البحث والمعرفة في عصرنا عن أي عصر سلف).

خاتمة

قد يتصوّر البعض أن فى منهاجي هدم للتراث وهؤلاء أتوجه لهم بسؤال:ـ إذا كنت من أهل السنّه أليس عليك واجب فى توحيد الصف الإسلامي كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؟؟؟ وهل إذا كان الثمن هو تخلّيك عن كل ما يخالف كتاب الله حتى وإن تسمى باسم أنه ورد فى أعظم الصحاح ألا يكون ذلك المنهج هو أزهد ثمن لأعظم هدف ؟؟!!.

ويقول تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران:١٤٤).

ويقول النبي صلّى الله عليه وسلّم (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى) فأين أنت من تفعيل هذا الحديث فى حياتك ؟؟ أم أنك تصوّرت الأمّة أنها الأمّة العربية وتركت المسلمين فى تركمنستان وفى إيران وأفغانستان......وغيرهم من البلدان التي تتمذهب بمذهب الشيعة!!! وأنه إن كان لهم شطحات فإن لبعض المذاهب(ومنها مذاهب سنيّه) شطحات، وكفانا تمزيقا للأمة ومقاتله لموضوعية القرءان باسم سنّة ارتضيناها هنا ولم تثبت هناك أو تصادمت مع نصوص الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولسنا بصدد إلغاء لتراث ولكننا بصدد إحياء لتراث أولى بأن يحيا.

<u>لطائف قرءانية عن مهمة رسول الله</u>

إن الاحتكام إلى كتاب الله حال الاختلاف هو أساس من الأسس الإيمانية حيث يقول تعالى {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً }النساء٦٥، فإذا كان هناك من يزعم بوجود السنّة المكمّلة وكنا نحن نقرر أن سنّة رسول الله لم تكن إلا مبيّنة فقط فإن الاحتكام إلى العواطف وأن يلوذ كل فريق بمشجعيه يستلهم منهم النصر على الفريق الآخر هو أمر من جنس ما عمله فرعون حينما واجهه موسى عليه السلام بالحجة، فما كان منه إلا أن لاذ

بأهل مجلسه ومجالسيه يستلهم منهم النصر على موسى ويحضّهم على مؤازرته ضد موسى عليه السلام، حيث قال تعالى فى ذلك الشأن مما تنزّل من سورة الشعراء الآيات من (٢٥ – ٣٥) (قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ{٢٥} قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ{٢٦} قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ{٢٧} قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ{٢٨} قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ{٢٩} قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ{٣٠} قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ{٣١} فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ{٣٢} وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ{٣٣} قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ{٣٤} يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ{٣٥})، فلما قرعه موسى بالحجة وآتاه بآية الثعبان وآية بياض اليد فما كان من فرعون إلا أن استنجد للمرة الثانية بمن حوله (قَالَ لِلْمَلأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ* يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) (الشعراء:٣٤&٣٥) .

تأمل رحمك الله كيف بفرعون وهو يتضاءل أولا مع خطاب موسى بوجود إله خالق ثم يتضاءل ثانية مع وجود آية العصا وآية بياض اليد وكيف أنه استنجد بمن حوله وأعمل بالوقيعة بين موسى وبينهم فقال لهم أنه يريد أن يخرجهم من أرضهم بسحره، ثم انظر كيف تضاءل ثالثا وهو الفرعون فيسأل من حوله ماذا تأمرون، ينتظر الأمر منهم وهو الجبّار المتسلط الذي نصّب نفسه إلها يقول لمن حوله حينما تضاءل (ماذا تأمرون).

لقد كانت هذه المقدمة السابقة عن قصة فرعون آية لمن يحاولون أن يدركوا تراثهم الفكري بتشجيعات من هنا أو هناك دون أن يسمحوا لأنفسهم بالرّوية والتّفكير فيما يخالف منهجهم وكأن الشك فى مناهج الآخرين هو المنهج الذي يجب أن يفوز به الناس حتى يصبحوا من أهل السنّة، وهم بذلك المنهج يحبطون كل محاولة فكر أو تدبّر، ويقفون بالفكر الإسلامي عند حدود اجتهاد علماء القرن الرابع الهجري رحمهم الله، وجزاهم خيرا على ما قدّموا من عمل وتجاوز عن سيئاتهم.

إن ما انتهينا إليه من عدم وجود سنّة مكمّلة للقرءان أو للشريعة هو أصل من الأصول الإيمانية إذ يجب على المسلم الوقوف على أصل وأساس مهمة رسول الله التي بينها الله فى كتابه . ومن أصدق من الله قيلا. أفنترك قول الله عن مهمة رسوله ونتبنّى أفكار من هم من دون الله...!!!، وهل إذا فعلنا ذلك، هل نتصور إننا نعظّم رسول الله أم أننا نحطّ من قدر رسول الله وقدرنا بفلسفات ما أنزل الله بها من سلطان؟، وسوف نتناول الأمر من جهتين:

الأولى:هي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو إلا متبع وليس مبتَدِع.

الثانية: هي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو إلا مبلّغ عن ربه فقط وإليك البيان فيما يلي:..

وهكذا. كلّ مسلم أن يعي ويتدبّر معنى كلمة (إلّا) فى القرءان التي سترد فى النصوص الدّالة على عدم وجود سنّة مكمّلة، إذ أن كلمة (إلاّ) إذا دخلت على موسع ضيّقته وحصرته واستثنت ما بعده فقط، فإذا قيل (نجح الجميع إلا فلان) فقد حصرت كلمة (إلاّ) اسم الراسب.... وهكذا .

<u>وعلى ذلك فإنه للوقوف على مهمة اتّباع رسول الله للمنهج الموحى إليه بلا ابتداع منه يقول تعالى فى شأن مهمة الإتباع:</u>

١ – (قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ) (الأنعام:٥٠)

٢ – (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) (الاحقاف:٩) .

٣- (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (لأعراف:٢٠٣) .

٤. (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقرءان غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (يونس:١٥) .

فإذا كان الله قد بين فى الآيات السابقات مهمّة رسول الله وانه متّبع فقط وإنه لا يستطيع تبديل القرءان- (ولا يشترط هنا تبديل القرءان بقرءان- إنما ينصرف المعنى أيضا إلى إنه ممنوع من تبديل القرءان بالسنّة أو بأي قول آخر) فإن ما انتهى إليه الآخرون من وجود سنّة مكمّلة هو عين الخطأ وهل بعد قول المولى عز وجل.

**** (إن اتبع إلا ما يوحى إلي) (ذكرت فى ٥٠ الأنعام، ٢٠٣ الأعراف، ٩ الاحقاف)**

**** (قل إنما اتبع ما يوحى إلي) (ذكرت فى ١٥ يونس)**

هل بعدها نسمع من يصيح بأن لرسول الله حق التشريع أو محو أو استبدال شرائع ؟؟؟؟اللهم إن قام بوضع كتب الصّحاح في كفّة واحدة لتتساوى مع كتاب الله ليعلى ما يشاء منهما وقتما يريد وبالكيفية التي يريدها.

ومما قاله تعالى فى شأن مهمة البلاغ:

١** (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقرءان لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) (الأنعام:١٩).

٢** (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (المائدة:٦٧) .

٣** (............وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (آل عمران:٢٠).

٤** (... وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (المائدة:٩٢).

٥** (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) (المائدة:٩٩).

٦** (........ ....فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (النحل:٣٥).

٧** (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (النحل:٨٢) .

وإن أمانة البلاغ عن الله تقتضى عدم الزيادة، وإنه كما وسبق أن أشرنا أن رسول الله كان أمينا فى بلاغه عن ربه وأن قول رسول الله في أمور التشريع ما هو إلا قول الله يبلّغه الرسول للناس دون تدخل منه أبدا حيث يقول تعالى فى سورة الحاقة:(فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ{٣٨} وَمَا لَا تُبْصِرُونَ{٣٩} إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ{٤٠} وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ{٤١} وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ{٤٢} تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ{٤٣} وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ{٤٤} لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ{٤٥} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ{٤٦} فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ{٤٧} وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ{٤٨}.

الخلاصة العامة فى(ما ينطق عن الهوى/معنى الحكمة / هل السّنة مكملة)

فإذا كانت مهمّة الرسول هي الإبلاغ عن ربّه وهى إتّباع ما أوحى إليه فأين ما أسموه السنّة المكمّلة، إن نسبة التكملة إلى السنّة خطأ فادح، وإن ابتداع مسائل لها لم ترد فى القرءان (مثل رجم الزّناه المحصنين وغيرها) هو تزيّد لا سند له بل جاء بكتاب الله ما

يخالفها . وهو أمر سنفرد له مبحثا خاصا . بل أن البخاري رحمه الله وضعها فى كتابه وهو فى شك منها، وهو الأمر الذي يبيّن كم كان هذا التّزيد منتشرا فى عصره (راجع فصل عدم وجود حد الرجم المزعوم).

ثم لكي ينتصر أهل بدعة السنّة المكمّلة لرأيهم فإنهم يقومون بإلغاء أجزاء وآيات من كتاب الله باسم الناسخ والمنسوخ فى القرءان حتى يتواءم ما انتهوا إليه في مرادهم مع القرءان بعد حذف وتعديل ما أرادوا، إن ما يفعلونه هو عين الإفك وعلى أصحاب ثقافة التخاصم أن يعلموا أن هذا ليس إنكارا لسنة رسول الله إنما هو بيان وتطهير لها مما أدخل عليها من أغلاط البشر وبدعهم، فضلا عن أنه مراجعه لإيمان المسلم وعقيدته التي أنهكها فكر بعض الرجال.

ولا يحتجّ محتجّ حين يهدد بقول المولى عز وجل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول....... وإن تطيعوه تهتدوا) ويهددون بقوله تعالى (لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور:٦٣).

*ويتعللون بقول المولى عز وجل (........ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر:٧) فإلى هؤلاء جميعا يتم توجيه هذه الآيات.

*وسوف يتشدقون بما رواه البخاري (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى...... من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) وغيرها مما رواه أبو داوود وابن ماجه بسند صحيح عن ابن أبى رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندرى ما وجدنا فى كتاب الله أتبعناه)..وغيرها.. .

كل ما سبق وما يتأوّل به المتأوّلون فيه ليّ لعنق الآيات ويؤكد أن الأقدمين ابتدعوا ما أسموه بالسنّة المكمّلة وتابعهم فى ذلك من لا يبذلون الجهد الكافي حتى يتسنّى لهم حسن الفهم.

ومما أود ذكره والتأكيد عليه فى هذا المقام أن كتب الصحاح رواتها من البشر، وحفظت بعوامل بشرية، وكتبت في عصر التدوين حيث لم يكن هناك صحابي واحد ولا تابعي واحد على قيد الحياة، كما وأن أهل الحديث اتخذوا في مناهجهم منهج تحقيق السند، ولم يهتموا بتحقيق المتون وعرضها على كتاب الله ومدى تناقضها قدر اهتمامهم بالسند، فكان ما كان من ظهور أناس لا عقل لهم إلا عقل أسلافهم، فعاشوا هم بعقل الأسلاف وانتهى علمهم عند ما انتهى عنده الأسلاف ولم يبذلوا جهدا فى دين إلا ما طبّقوه بلا وعى فنجد عندهم فى السنّة القولية المنسوبة بهتانا على رسول الله ما يلي:.

- باب عن جواز إرضاع المرأة لرجل كبير بحجة كي يصبح لها ابنا من الرضاعة فيستطيع الدخول عليها بدون حجاب والأحاديث فيه كثيرة.........
- وباب عن جواز سرقة المرأة من مال زوجها بالمعروف...... وإني لأتعجب من معنى السرقة بالمعروف وما هي حدود السرقة بالمعروف وحدود السرقات الأخرى التي بغير معروف........
- وباب عن تكلّم البقر واعتراضها على من يركبها وتقول له أنها مخصصة للحراثة فقط.
- وباب عن التداوى بأبوال الإبل وألبانها ...
- وباب عن رجم القرود لقرد وقردة زنيا.
- وباب عن تعليم الشيطان للصحابة فضل آية الكرسي بدلا من إغوائهم..... الخ.

وهم بهذا يأمروننا أن نكون أمّة من فاقدي البصيرة والعقل وإلا أصبحنا من منكري السنّة، وهم لا يقولون لك موقف دار الإفتاء والأزهر من أحاديث الآحاد التي لا يكفّر منكرها، **فضلا عن أن الإنكار الذي نتبناه يكون فقط حينما تتضارب نصوص الروايات مع نصوص كتاب الله**، وهم لا يقولون لك إن الأحاديث المتواترة الواجب الإيمان بها هي أقل من عشرة، ولا يقولون لك أن أبا حنيفة النعمان أنكر كل ما تم عرضه عليه من أحاديث وأسس مذهبه على عشرة أحاديث (على ما

أذكر) وكان الأحناف لا يأخذون بحديث أبى هريرة إذا ما خالف القياس.....الخ.لا يقولون لك كل ذلك حتى يشيع فكرهم وتأويلاتهم وتخريجاتهم دون باقي الأفكار، وذلك بالإرهاب الفكري الذي برعوا فيه ولا يهمهم إلا الجمود رغم أنف تطور الأجيال والعقول والثقافات.

إنهم يطلبون من الشباب الجمود عند حدود ما روى عندهم من أحوال وأقوال توقف تاريخها عند القرن السابع أو الثامن الميلادي وهم بعد ذلك يطلبون من عقول اليوم التكيف وفق عقول الأمس، ويطلبون من عقول اليوم التوقف وعدم التدبّر وعدم التّفكر حتى لا تقع هذه العقول فى البدعة، وهم بهذا أيضا يهددون أصحاب الفكر بالوقوع فى البدعة، وأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار، يقولون هذا وهم يتصوّرون أنهم يريدون بالأمة خيرا – جزاهم الله خيرا– وهم لا يدركون أنّ بذور البدعة وضعت منذ مئات السنين وهم يروون هذه البذور، كما أنّهم وضعوا بذور وجذور تخلف الأمة وضياع عقولها وجفاف ثقافتها وفكرها الديني فى الوقت الذي يصيحون فيه أن القرءان صالح لكل زمان ومكان.

*وهم لا يرون فى السنّة إلا التقليد لما وصلهم من أخبار مغلوطة مدعمة بتأويلات وتبريرات ممن شاخت عقولهم ثم ارتمى من بعدهم عند حدود فكر هؤلاء السّابقين، وفاتهم أن سنّة رسول الله كانت الاستفادة من الحضارات – كل الحضارات– حيث حفر الخندق حول المدينة نقلا عن ثقافة الفرس (وكانوا من المشركين) بينما نجد عندنا من يصيح ويفتعل المشكلات وهو يحارب الصور الشمسية وينبري علماء وفقهاء ودعاه بين مؤيد ومناهض!! ذلك لأن هؤلاء تصوروا أن رسول الله نهى عن هذه الصور لأنهم تصوروه صاحب تشريع وتصوروا أن الصور الشمسية هي من عمل الجان أو لعلهم خافوا أن يشرك بعض هذه الأمة فيسجد لأصحاب هذه الصور من العظماء– وكل هذا وهم وسخف وضياع وقت سببه أناس أصحاب خرق عقلي واتبعهم أناس بلا عقل.

*وليعلم المسلم أن الله قال لرسوله فى الكتاب (....بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل:٤٤) فتلكم هي عملّ ومهمة الرسول وكل رسول (التبيين) بينما من مهماتنا نحن التفكّر وليس الجمود.

وترى من أشياعهم من حرّم التلفاز وحرّم الموسيقى وحرّم قيادة المرأة للسيارات وحرّم وجه المرأة وحرّم قول الأطفال كلمة بابا وماما وحرّموا الزوج على زوجته إن قال لها (ياماما) وتحرم هي عليه إن قالت له (يا بابا)، وهكذا تقعّر الخبل وازداد الهبل وتم الجمود بعيدا عن حضارة الكمبيوتر والتقنيات مع تحريم دراسة اللغات وحبّهم للدراسات الأزهرية فى وقت أصبح للعلوم وطنا بالإنجليزية حتّى يتمكّن التخلّف العلمي من شبابنا، كلّ ذلك تمّ باسم السنّة وحبّ السنّة بينما السنّة بريئة من عمل هؤلاء.

*وإن هؤلاء لا يعلمون عدم شرعية تطبيق كلّ أحاديث الرسول وذلك لكونها محكومة بالظروف والبيئة التي كانت فيها مما ألزم النبي أن يتصرّف تصرّفا معينا وفق مقتضيات الحكمة (الرّشاد) التي أوتيها....بينما القرءان يمكن تطبيقه لكونه صالح لكلّ الأزمنة، فحين يقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (خير طعامكم الثّريد) أو يقول (ما اغبّرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النّار. رواه البخاري) فالغبار والثريد هما من ظروف البيئة التي تواجد فيها النبي، ووفقا لأمزجة العرب وطرقهم وخططهم الحربية على عهده ولا يمكن تطبيق ذلك ليشمل جميع أهل الإسلام في كلّ الأزمان وفى كلّ بقاع الأرض، إذ يمكن للمسلم أن يطلق صاروخا من غرفة عمليات مكيفة الهواء ولا تغبرّ قدماه ويمكن أن يكون أفضل الطعام في بعض البلدان الخضراوات وليس الثريد فلا يمكن إجبارهم على الثّريد لاعتبارات مزعومة عن السنّة النبوية.

إن الذين يبغون تجفيف عقول أهل الإسلام وحفظها في ثلاّجات القرون الأولى بينما يظنّون التلف في عقولنا إن قمنا بالتفكير أو التطوير الفقهي وفق معطيات الزمان الذي نعيشه، وتجدهم يصرخون تارة باسم انعدام التخصص وتارة باسم كسر قواعد اللغة العربية وتارة باسم نكران السنّة...الخ.وتراهم يطرون كلّ ما نسب إلى النبيّ من قول أو فعل مهما كان مصدره ويعتبرون السنّة نصوصا تضارع كتاب الله بل ويقومون بتغليب السنّة إن تعارضت مرويّاتها مع كتاب الله، ولا يقبلون إلاّ بوضع القرءان بالدرجة الثانية وإن كانت أقوالهم غير ذلك حتّى لا يعلم أحد خبيئة نفوسهم تجاه كتاب الله، بل وتجدهم في كثير من دروبهم وقد أشركوا بالله

رسول الله، فهؤلاء إنما يشدّون القاطرة الإسلامية إلى الخلف ويشدّون الأمّ!ة إلى التّخلف والجمود ويتسببون فى تفلّت الكثيرين عن دين الإسلام، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

مهمة الرسول فى تزكية المؤمنين

لقد أسند المغالين بلا ضوابط لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم مهاما ووظائف ليست من مهامه ولا من وظائفه كرسول ونبي مرسل من لدن الله، وهم يتصوّرون ماهم فيه تديّنا أو حبّا للرسول، وقد قاموا بما قاموا به ثمّ نشروه بين النّاس بينما هم لم يراجعوا القرءان قبل أن يسترسلوا فى معتقداتهم وخيالاتهم.وكان من نتاج لهفتهم على التنافس فى ابتداع الحب بلا ضابط أن فاتهم كثير من العلم الذي كان يجب أن ينتفعوا به أو ينفعوا به النّاس بل أفسدوا عقول أهل الإسلام وأفسدوا عليهم حياتهم بين مجتمع البشر.

إن مهمة الرسول من الأهمية بمكان بحيث يستحيل أن يغفل عن ذكرها القرءان، ولقد حددها الكتاب الكريم فى مهام محددة حيث ورد ذكر المهمة فى آيات ثلاثة مواضع فى القرءان حيث يقول تعالى:.

١. ({رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ }البقرة١٢٩ .

٢. ({لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ }آل عمران١٦٤ .

٣. ({هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }الجمعة٢ .

لقد كانت الآيات الثلاث تبيّن فى ألفاظ محكمة و دقيقة مهمة الرسول صلى الله عليه و سلم فهو أولا نتاج استجابة الله لدعاء خليله إبراهيم و ذلك مما تشير إليه الآية ١٢٩ من سورة البقرة وهى الاستجابة التي جاءت ملبّية لكل كلمة وردت فى الدعاء لكن فى الوقت الذي يقدّره الله.

و هو ثانيا له مهام محددة حددها الدعاء و حددتها الآيات الأخرى و تنحصر تلك المهام فيما يلي:

١- يتلو عليهم آيات الله.   ٢. يعلمهم الكتاب و الحكمة.   ٣. يزكيهم.

وبتلك المهام الثلاثة وبممارستها سواء من الرسول أو من العبد مقتديا بنبيه يتم إزالة الضلال، فلا شيء فى مهمة رسول الله غير هذا، و من تصوّر أن للرسول مهمة البشارة والنذارة متكئا على قوله تعالى (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ }فاطر٢٤ . فلابد أن يعلم أن البشارة و النذاره ليستا من مهام الرسول، إنما هي من وسائله فى تحقيق الأهداف والمهام المذكورة، كما و أنّ القرءان الكريم فيه البشارة و النذاره، فعلى ذلك فإن قيام الرسول بمنهج و مهمة تعليم الكتاب ستدخل فيه البشارة و النذاره التي أرادها الله ليراود بها عباده لطاعته. أما وظيفة البلاغ {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ.....الخ الآية٦٧ المائدة) فليست أيضا من المهام (الأهداف) و لكنها الوظيفة التي يؤدى بها النبي المهمة.

* و عودة مره أخرى إلى المهام المحددة لرسول الله صلى الله عليه و سلم لنتبينها الواحدة تلو الأخرى، فعلى ذلك فإنّ كلّ من استمع إلى تلاوة من آيات كتاب الله فهو بذلك يحقق حقيقة من حقائق منّة الله عليه كمؤمن (لقد منّ الله على المؤمنين.......الخ الآية١٦٤ آل عمران)؛ وكلمة تلاوة تعنى تكرار السماع وتكرار القراءة ولا تعنى بحال تلاوة مرّة واحدة لا يعقبها مرات ومرّات، وبذلك السّماع وتلك التلاوة يتم إزالة ثلث الضلال عند كلّ مسلم.

* أمّا تعلّم الكتاب والحكمة فهو يزيل الثلث الآخر من الضلال، ولا عجب إذ حضّ ربّ القرءان على تعلّم القرءان وتدبّره({أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقرءان أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }محمد٢٤   وقوله تعالى ({كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }ص٢٩ .   كذلك حضّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على تعلّم القرءان وعلومه فقال فى أكثر من موضع ما يعنى (خيركم من تعلّم العلم وعلّمه).

أمّا الحكمة فقد سبق ونوهنا أنها هي الرشاد فى اختيار أفضل السبل ويصاحبها دوما توفيق الله للمؤمن وفق درجة إيمانه وإخلاصه وتدبّره لمرامي ومقاصد الشريعة، ووفق ما قدّره الله له من خير.

*أمّا مهمة تزكية المؤمنين فتعنى تطهير قلوبهم وصدورهم من براثن الضغينة ووحشة الفرقة وقسوة الكراهية والغل والحسد فكلّ ذلك من أمراض القلوب، مع عدم الانصياع للحق أو صعوبة الرجوع إليه، مع تهيئة تلك القلوب إلى حسن استقبال تعاليم كتاب الله وحسن الانقياد لما تعلّمه العبد من الصالحين من العلماء، وأن يصل العلم ليكون عقيدة فى نفس المؤمن لا ليكون علما لا ينتفع العبد به وأن يصل العبد إلى مرامي القدوة الحسنة والمآثر الطيبة التي تعود عليه بالنفع وعلى المجتمع فى الدنيا والآخرة، وهى تعنى النماء المستمر فى اتجاه الخير، وبذلك ينجلي العنصر الثالث من عناصر الضلال.

وحقيقة غالب أهل الإسلام فى عصرنا الذي نعيشه بعيدة كل البعد عن منهج التزكية، فسماع القرءان قد يكون سهلا لمن يسّر الله له السماع والتلاوة، وتعلّم العلوم الشرعية والحصول على أعلى الدرجات العلمية فيها أمر ميسور لمن بذل بعض الجهد، لكن الجهد كلّ الجهد فى مقاومة آفات النفس البشرية التي لا تستقيم للمسلم على حال وما ذلك إلا لأنّ الشيطان يجرى منها كمجرى الدم فى العروق، وأطماعها وشهواتها لا تقف عند حد، لذلك فإنّ مهمة التزكية كانت على عهد رسول الله بثّا مباشرا من سلوكه صلّى الله عليه وسلّم كذا تعاليمه للصحابة الأجلاّء كانت منارة الهدى لتلك النفوس، أمّا بعد مماته فتكمن فى الانقياد لصحيح سنّته، وحينما أذكر كلمة (صحيح سنته) لا أعنى بها كتب الصحاح وإن كنت لا أعيبها في مجملها، ولا أعنى التوارث الفقهي الغير منضبط على حقيقة النبوّة، إنما أعنى الانضباط فى السنّة لتكون متوائمة مع الكتاب وغير متصادمة مع نصوصه ولا نتأوّل نصوص الكتاب لنصنع شرائع وتشريعات وننسبها لرسول الله صلى الله عليه وسلّم.

والتزكية التي يقوم بها المسلم لنفسه تكون عبر تطبيق كتاب الله ودراسة سيرة سيد الأوّلين والآخرين والبحث فى ثناياها وحسن التفرقة بين أهدافها وبين الوسائل التي كانت متاحة لرسول الله فى زمانه ليصل إلى تلك الأهداف، كذا معرفة ما تقدّم من فعله صلّى الله عليه وسلّم وما تأخر حتى نستظهر السنّة الحقيقية، فقد جمع البخاري ومسلم وغيرهما من رجال الصحاح كلّ ما كان عن رسول الله تقديما وتأخيرا، فلا بد من الاعتماد أيضا على علم العلماء فى هذا الشأن حتّى نصل إلى حقيقة السنّة، فاللباس والتداوى وتصفيف شعره صلّى الله عليه وسلّم ليس مما يقرّب إلى الجنّة قيد أنملة، ولبس البنطال وحلق اللحية ليسا مما يقرّب إلى النّار قيد أنملة، وإن كنت أرى أن من يفعلون تلك الأمور(اللحية والسواك وما شابه) هم الأقرب إلى تزكية النفس لكن عليهم أن يخرجوا معتقداتهم المظهرية من منهاج القرب أو البعد عن الله وحتى لا يزكوا أنفسهم على بعض ممن هم أفضل منهم ممن لا ينتهجون بنهجهم فى المظهر واللباس.

لكن تزكية النفس التي توصل إلى درجه التقوى تكون فى طريقته صلى الله عليه و سلم للتّقرب من ربه و إصابة هدف رضاه، وهى على سبيل المثال فيما روى أنه كان خلقه القرءان، وما كان يواظب عليه من الدعوة إلى الله، ومن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، ومن صور الحياة الدينية الخاشعة التي كان يحياها صلى الله عليه وسلّم من التزام بصوم نوافل و كثرة الصدقة و صلاة الليل و إعانة الملهوف و عيادة المريض و كفالة اليتيم و مصادقة أهل الخير و العدل فى الرضا و الغضب وإيتاء ذي القربى......... الخ

فإن المسلم إن تحلى بتلك الصفات وواظب على هذه الوسائل فإن نفسه ستسمو وسيصل حتما إلى درجة التقوى حيث يقول تعالى (........فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى }النجم٣٢ . فدلّ هذا على أنّ تزكية النفس تكون بما نهج عليه النبي من منهاج القرب إلى الله فقط دون غيره من المناهج التّصوّرية، والعبد المسلم الذي يلتزم بهذا المنهاج سيصل حتما إلى درجة التقوى حتّى وإن كان حليق اللحية أو يرتدى البنطال فلا قربى لله فى لحية ولا فى سروال ولا مهمة لرسول الله ولا هدف فيهما يبعث على التقوى إنما هي عادة قومه الذين نشأ فيهم وكانوا فيها سواء بسواء ولا شأن لقرب من الله أو بعد فى تلك الترّهات.

وتزكية النفس هي تلك التي نطلق عليه فى زماننا لفظ التربية لكننا نمارسها بغير هدف ديني وبلا هدف فى رضي الله عزّ وجلّ ولا نبع لها من قاعدة علمية أو تربوية معتمدة، فكان أن أصبحت تربية الأجيال للأجيال غير مرتبطة بمنهاج تربوي نابع من دين الله، بل أصبحت أمرا اجتهاديا يشكر كلّ منا نفسه على ما قدّمه من تربية لأولاده بلا مقياس يقاس عليه جهده، وأصبحنا جميعا عبيدا للميراث بلا سند وبلا سبب؛ فكان أن قمنا بإنزال الضرر بأبنائنا دون دراية منّا، وإليك مثال على الإضرار.....فإن ربّ البيت الذي ينام ومعه أهله فى وقت صلاة الفجر إنما ينشئ قاعدة الإهمال والتفريط فى الفرائض والواجبات وعدم الاكتراث لما يفوت من طاعة كذا عدم الاكتراث لما يحصّله العبد من ذنوب، وهو ينشئ قاعدة صلبة من الجحود على شعائر الله، فما بالك بما هو أقل من شعائر الله؟؟إن هذا الأب ينطبق عليه قول المولى عز وجلّ ({وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا }الشمس١٠ . فهو لم يزكّ نفسه ولم يزكّ أولاده بل أوردهم مورد التهلكة بينما هو يصيح(أنا ربّيت عيالي أحسن تربية) وأين هو من قوله تعالى({وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى }طه١٣٢!!!!

(السنّة في القرءان والقرءان في السّنة)

المسلمون من أصحاب رسول الله لهم قبلة واحده وكتاب واحد وفهم واحد لنصوص الكتاب وتعاليم النبي، فلماذا وبعد وفاة رسول الله تفرّق خلفهم شيعا وأحزابا متناحرة . كلّ بمنهج وكلّ بأتباع . وترى أصحاب كل مذهب يرجم بعضهم أتباع المذهب الآخر.

إن أغلب الظن في أن هؤلاء الخلف فقدوا تعريف معنى كلمة مذهب فلم يعلموا أنه(مفهوم اجتهادي اتفق عليه بعض المجتهدين في حقبه زمنيه معيّنة) بما يعنى أن اجتهاد هؤلاء المجتهدين من الفقهاء لم يكن بحال نصّا من النصوص الملزمة على مرّ العصور حتى يتناحر أصحاب كل رأى لينتصر لرأيه ويمارس هواية التكفير والرجم بالفسق لمن على خلاف مذهبه.

فهل يصح التقاتل و التباغض تحت راية الرأي ؟؟!! قد نجد بعض السبب و ليس كله لمن يتباغضون تحت راية مخالفة النصوص القرءانية – لكن المسلمين لم يختلفوا على نص قرءاني و لا على ركن من أركان الإسلام، و لكن كان معظم اختلافهم في تأويل النص القرءاني و في طريقة أداء الركن الإسلامي وفى السّنن، و تلكم هي المصيبة الكبرى التي أذهبت ريحنا بين الأمم، و أضف إليها مصيبة توحد المسلمين في تعطيل بعض آيات كتاب الله التي تدعو إلى عدم التّفرق وعدم التنابز بالألقاب، و تركهم القراءة و البحث العلمي.

إن المسلمين قد اختلفوا في سنّة رسول الله و اختلفوا أيضا في فاعليتها في دينهم ففريق يقول بأن السنة مبيّنة فقط، و فريق يقول بأنها مبيّنة و مكمّلة كما اختلفوا فيمن ينقل عنه نص حديث رسول الله ففريق كذّبوا هؤلاء و جرّحوهم و فريق اعتمد المجروحين و صدّقوهم، و أنشأ كل فريق مرجع لتوثيق الرجال و اعتبارهم مرجعيّة تعنى أن ما خرج من فم هذه المرجعية هو تماما ما خرج من فم رسول الله، ثم جرت العقود و الأزمان على الاعتقاد بأن هؤلاء الناقلين للتراث النبوي هم الحق و قولهم الحق بل و أصبحت أقوالهم نصوصا تضاهى نصوص آيات كتاب الله في مصداقيتها عند كثير من المسلمين و مع تواتر الأزمان مرة أخرى اختلف المسلمون كل ينتصر لرجاله و مرجعياته و تقاطروا وفودا شيطانية يدعمون نار الفرقة بين جسد الأمة التي كان جلّ همّ رسولها توحيد صفّها و تدعيم الحب بين أطرافها.

إن من حقيقة السنّة طريقة تفاعل رسول الله مع النّص القرءاني تطبيقا و تنفيذا، و ليست السنّة تعنى أن رسول الله قد أتى بتشريعان أحدهما يسمى قرءان والآخر يسمى سنّة، وبين التشريعين صراع في بعض النصوص انتهى فقهاء المذهبية فيه إلى تغليب تشريع السنّة على تشريع القرءان كتغليبهم حكم الرجم الوارد بكتب الحديث على حكم الجلد الوارد بكتاب الله وذلك حين وقوع جريمة الزنا فى حالة الإحصان؛ أو تغليب حكم قتل المرتد الوارد بكتب الحديث على حكم اللعنة ثم ترك المرتد لحال سبيله عسى أن يتوب وهو الحكم الوارد بكتاب الله من منطلق (لا إكراه في الدين........) أي دين.... حتى و إن كان دين الإسلام فلا إكراه في الدخول إليه، ولا إكراه في استبقاء الناس فيه تحت رهبة تشريعات تنسب نفسها إلى سنّة تبيح قتل المرتد وقتل الزّناه المحصنين وقتل الساحر وقتل اللوطى وقتل شارب الخمر إذا شربها لثالث مره وقتل اللص إذا سرق لرابع مره، وقتل تارك الصلاة لأكثر من ثلاثة أيام بعد استتابته وحرق المنازل على من لا يصلّون الصبح في المساجد حتّى وإن صلّوا في منازلهم، وذلك على خلاف صريح مع كتاب الله و هو ما سنقف عليه تفصيلا في موضعه.

إن طريقة الأداء العملي للفرائض(و التي يتخذها أصحاب منهج السنة المذهبية المكملة لكتاب الله سندا لمنهاجهم) – ليست ذريعة لنشاط بشري يضع السنّة في موضع التشريع تحت تأويل مذهبي لآية (و ما ينطق عن الهوى......الخ)

فكيفيه الأداء ليست نصا تشريعيا مستقلا عن كتاب الله، ذلك لأن الرسول و كتاب الله هما رحمة واحدة أنزلها الله للبشرية فالكتاب بالتشريع و الرسول بطريقة الأداء التي علّمها إياه شديد القوى، فليست طريقة الأداء تشريعا قدر ما هي تبيينا من الله لعباده عن طريق نموذج بشري يبرهن علي سهولة ومرونة تطبيق التشريعات السماوية في دنيا البشر فالركوع و السجود كانا قبل الرسالة في تشريعات الأمم السابقة من أهل الكتاب بل وكانا من أهداف تكليف إبراهيم عليه السلام بتطهير الكعبة، وتدبر قوله تعالى (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) (آل عمران:٤٣).

لكن أمة محمد لم تر مريم حال سجودها و لا حال ركوعها في الوقت الذي أمرت به الأمة بالركوع و السجود و القيام (و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و اركعوا مع الراكعين) ٤٣ البقرة، لذلك كان لابد من معلم بشرى يعلّم الأمّة الركوع والسجود عمليا.

(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) (الحجر:٩٨).

(وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً) (الفرقان:٦٤).

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْأِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (الفتح:٢٩).

و هكذا ينسحب الأمر الإلهي على عدد ركعات كل صلاة بما يعنى إنه ليس أمرا و لا تشريعا من رسول الله، ولكنه أمر من الله علّمه لرسوله ليبيّنه للناس، وقد بيّنه رسول الله تطبيقا بشريا نموذجيا، فكما قصّ الله على رسوله نبأ الأمم السابقة فقد علّمه أيضا طريقة السجود والركوع على ذات ملّة إبراهيم عليه السلام والتي أمر رسولنا بإتباعها.

و لقد غالى أصحاب معتقد السنة المكمّلة حتى انتهوا إلى أن السنّة تكمل الشريعة ليس في الأركان والحدود فقط إنما في شتى مناحي تشريعات الدين و كان دليلهم وعلّتهم في هذا المفهوم عدم و جود الكيفية في كتاب الله و بهذا ولد سفاحا من هذا المفهوم تشريعات قتل المسلم المرتد و الزاني و الساحر واللوطي وتارك الصلاة وغيرهم..... و هكذا.

ثم كيف بالمسلم الذي يطبق كتاب الله حين يسأله الله عن مدى تطبيقه أو مخالفته للآية التالية:.

(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) (آل عمران:٧٩).

أليس تنفيذ الناس للتشريعات المخالفة لكتاب الله بدعوى إنها شريعة من رسول الله نوع من أنواع العبادة لرسول الله الذي شرع التشريع المزعوم نسبته إليه.

و هل يمكن لكي يخرج المسلم من هذا المأزق أن يزعم بأن التشريع النبوي المزعوم هو وحيا من السماء من باب (و ما ينطق عن الهوى)؟؟.

إن حقيقة هذا الزّعم (التشريع النبوي وحيا من السماء) يعنى أن كل من لا يؤمن بحديث آمن به البعض فهو كافر عند البعض الآخر، و هو الأمر الذي لا تستقيم به حال الدنيا إلا بعد سفك دماء المخالفين و انتصار أصحاب التشريع النبوي المزعوم.

إن السنة النبوية أبسط بكثير من تعقيد أو غلوّ أراده البعض و تصوروا أنه قربي إلى الله، إن اتّباع رسول الله لا يعنى إلا تطبيق كتاب الله و تفعيله في واقع الحياة و ليس تطبيق منهج آخر حتى وإن خالف القرءان.

وإن أصحاب مدرسة (السنّه كلّها تشريع) خرجوا بغلوّهم عن حقيقة الرسالة بعدم فهمهم لمهمّة الرسول، و إن مصيبة هؤلاء تكمن في عدم تدبّرهم و تبصّرهم لكتاب الله التبصر الواجب، فلو أنهم استفاضوا في تأمل كتاب الله و آياته لعلموا أن الله قد حفظ السنّة من غلوّهم أو فهمهم اللاواعي لموضوعية الحب لرسول الله، فقد أحبّ من قبلهم و غالوا في الحب حتى صار عظماءهم و أنبياءهم آلهة تعبد من دون الله.

كيفية تدوين القرءان للسنّة

إن القرءان الكريم حينما بدأ بقوله تعالي بسم الله الرحمن الرحيم، وذلك وفق ما هو مسطور بين أيدينا من مصاحف، أو حين بدأ نزول الوحي بالأمر الإلهي (اقرأ بسم ربك) فإن اسم الله الرحمن الرحيم هو البداية التي أراد الله أن يستفتح بها الدين الخاتم، و بهذا جرى العمل على كافة دروب الحياة، فإن المسلم إن تدبّر الأمر فسيجد نفسه يبدأ كل عمل و كل قول باسم الله، وعلى ذلك أيضا فإن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل عمل لا يبدأ باسم الله فهو أبتر) هو حديث مما يجب الأخذ به من أقوال الآحاد لأنه يصادق ويبيّن مراد الله من الاستفتاح ببسم الله الرحمن الرّحيم.

و حيث أنه من المتّفق علية بين سائر مذاهب أهل الإسلام أن رسول الله صلّى الله عليه و سلّم كان خلقه القرءان، الأمر الذي يعنى أن رسول الله ما كان يبدأ فعله أو مقاله إلا بعد (بسم الله) و ما كان يفعل شيئا إلا و فيه رضا مولاه، لأن قوله و فعله باسم الله ولله...وهكذا فان سلوك النبي بأن يبدأ بسم الله حين يقول أو يفعل أمر مستمد من تطبيقه لتعاليم كتاب الله، و من رؤيته الواضحة لترتيب الخطاب الديني المنزّل من الله، و هكذا أيضا فإن رسول الله بعد أن طبّق بسم الله فقد طبّق أيضا قول المولى عز وجلّ (الرحمن الرحيم) في حياته فكان بالمؤمنين رءوف رحيم، وكان يحمل الكلّ و يعين على نوائب الدهر و يرحم النساء و يوصي بالرفق بالحيوان، و ما ذلك إلا لأنه رحمة من الله و سراج منير، يطبّق ما يوحى إليه به من ضرورة التخلّق بالقرءان، و هكذا نجد

السنّة النبوية قرءانا يمشي على الأرض و هي رسول الله، وتجد القرءان صحائف مكتوبة إن شئت القراءة و تجده مرة أخرى بيانا عمليا يترسّم في سلوك الرسول إن شئت المشاهدة.

وإنه من خطورة "مذهب أن السّنة تشريع موازى أو تشريع على عمومه" أن ينحصر دور القرءان في تنفيذ بعض آياته مع إهمال الباقي وأن ينتهي الأمر بأن يشك المسلم ويحتار أي المرجعيّتين أوجب في التطبيق وهكذا تنزوي قدسية القرءان تحت مسمّى السنّة كلّها تشريع.

ولقد انتحى كثير من مجتهدى السنّة في تقليد السمات الشّخصية لرسول الله دون السمات الموضوعية والتي من أهمّها أن خلقه القرءان وهؤلاء أدعوهم أن يستخرجوا السنّة العملية لإحسان الظن بالله من منهاجهم أو سنّة الجّدال بالتي هي أحسن (١٢٥ النحل) أو سنّة الحذر من قسوة القلب (١٣ المائدة) أو سنة التّفكر فى آيات الله (٤٥ـ٥٠ الفرقان).........وسنّة طريقة دخول المساكن الغير مأهولة بالسكان.......وهكذا ـ فإنهم وإن استخرجوها (وهذا مستحيل إلا إذا وضعت أحاديث لخدمة هذه الأغراض) فإنهم لن يستطيعوا استخراج السنّة الاعتقادية في أن الرّزاق هو الله... ...وغير ذلك كثير لذلك فإن من أراد أن يكون من أهل السنّه فعليه بتدبّر القرءان وتطبيق كلّ آية فيه في حياته كما كان يفعل سيد الثّقلين صلى الله عليه وسلّم.

واعلم أن السّنة القولية محفوظة أيضا في كل ما جاء في القرءان ويبدأ بكلمة (قل) يسألونك عن المحيض قل هو أذى........ ـ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما........... ـ يسألونك عن الكلالة......يسألونك عن الأهلة قل هي........ وهكذا.

من البيان السابق وعلى بساطته نجد أن السنّة النبوية المدونة حفظها الله داخل دفتي كتابه الكريم وهي السّنة المبينة لكتاب الله و التي تجعل من المسلم قرءانا يمشي على الأرض ذلك لأن رسول الله لم تنته مهمّته عند كلمة قل فقط بل كان أيضا ينهض بتنفيذها وتطبيقها أو الحكم بها عمليا.

أما السنّة الأخرى المكمّلة فليس لها وجود إلا في فكر صانعيها وإنهم وإن طبّقوها فلن يكون خلقهم القرءان بل يكون خلقهم الغلو المفسد للحقيقة القرءانية خاصة إذا ما انتهوا بتشريعاتهم المكمّلة إلى إجهاض الأحكام الإلهية في كتاب الله و ذلك فيما انتهوا إلية من أحكام مخالفة تحت زعم تأويل فاسد و فهم قاصر لمعنى قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى).

نعم من أطاع الرسول فقد أطاع الله و لكن هل إذا ما أطعت رسول الله فيما جاء به صحيح مسلم هل أكون قد خالفت رسول الله فيما جاء بصحيح البخاري و لم يرد في صحيح مسلم؟؟.

و هل كفر الإمام مسلم بأستاذه البخاري حين أصدر كتابه صحيح مسلم؟؟ و هل لم يرتض الإمام احمد بن حنبل بالاثنين معا حينما اعتمد بعض أحاديث لم يعتمدها الآخرون وترك أحاديث أخرى، وهل حينما اجتهد الشيخ الألباني رحمه الله وخالف الجميع وأصدر تصحيحا لكتابي مسلم والبخاري وغيرهما في سلسله كتب أسماها سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وسلسلة الأحاديث الصحيحة هل يكون خالف أو ترك السّنة؟؟؟ وهل يمكن أن يكون دينا محكما ما يترك للنّاس تضعيفه أو استحسانه ؟؟؟.

إن المرجعية الأساسية لمعنى طاعة رسول الله تكون في إتباع كتاب الله و هو الخلق الذي كان يتخلق به رسول الله حال حياته و هو الذي وصّى به رسول الله أمته حيث قال (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا..كتاب الله) و لم يقل وسنتي – و لم يقل وعترتى أهل بيتي.(راجع البيان الإحصائي المرفق عن كلّ روايات وطرق هذا الحديث في الملاحق المرفقة بآخر الكتاب).

فهل من أضاف إلى إيمانه بأن النبي أوصى بكتاب الله....فأضاف سنّة رسول الله فهل يكون مبتدعا؟؟؟ أو أضاف عترة رسول الله و أهل بيته فهل يكون شيعيا كافرا ؟؟؟ وهل من ترك الاثنين (العترة و السنّة) في الإيمان بوصية رسول الله وآمن بأنه لم يوص إلا بكتاب الله فقط، فهل يكون تاركا للسنّة ؟؟؟فما ذاكم إلا إرهابا فكريا في دين الله.

وإليك تأمّلا آخر عن هؤلاء الثلاثة (المؤمن بالوصية بالكتاب و المؤمن بوصية الكتاب و السنّة و المؤمن بوصية الكتاب و العترة) كل منهم يتصور الضلال في الآخر بينما يقول في نفسه (و ما ينطق عن الهوى) فأي المنطوقات الثلاثة نطقها رسول الله علما

بأن الاختلاف فيها ليس خلافا في فروع بل هو خلاف في أصول........ فإن الشيعة ترى أنه أوصي بكتاب الله وعترته أهل بيته – و بعض أهل السنّة يرون أنة أوصى بكتاب الله و سنّته – وأكثر فقهاء أهل السنّة يرون أنه أوصى بكتاب الله فقط– لكن المشهور عند عوام أهل السنّة انه أوصى (بكتاب الله و سنته) رغم أن هذا الأمر لم يذكره البخاري و لا مسلم و لا......... و لا............. إنما تفرّد بذكره الإمام مالك في موطئه.

و من الجدير بالنظر شهرة الوصيّة بكتاب الله و سنّة نبيه عند العوام رغم مخالفة فقهاء السنّة و محدّثيهم لهذا الأمر و ما ذلك إلا نتيجة التدين الوراثي و العزوف عن القراءة، و هو سلوك تواترت عليه الأمّة التي نزل كتابها أول ما نزل يحضّ على القراءة (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق:١).

كما حضّ على العلم (و قل ربّ زدني علما) و مع هذا فغالبيتهم لا يقرؤون ولا يريدون التعلّم، بل إن دولهم هي من أدنى دول العالم إنفاقا على البحث العلمي، وكان من الأجدر بهم تطبيقا لسنّة رسول الله . التي يظنون أنهم تحت رايتها بقولهم (أنه كان خلقه القرءان) . أن يكونوا أكثر الأمم قراءة وأعظم الأمم في البحث العلمي.

و هكذا خرجت السنّة (بفضل الخلاف) من مضمار البحث الموضوعي الجاد إلى مضمار البحث العاطفي، وخرج المسلمون فرقا متناحرة كل يزعم لنفسه سنّه يتقرب بها إلى الله على أنها الدين الواجب الاتّباع في الوقت الذي كان عليهم . و منذ عقود طويلة خلت . أن يبحثوا في القرءان عن التأسي الحقيقي برسول الله الذي كان خلقه القرءان و يعلموا بإيمان و يقين أن الله قال (......مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)الأنعام٣٨ فالسنّة في القرءان لمن آمن بآية ما فرطنا في الكتاب من شيء.

و إلى أصحاب مدرسة أن السنّة مكمّلة لكتاب الله سؤال هام:. هل إذا ما آمن حاكم مسلم بالله ربا و الإسلام دينا و محمد رسولا و أقام الصلاة و آتى الزكاة و صام رمضان و حج البيت إن استطاع إليه سبيلا و قام بتفعيل كل آية في كتاب الله في حياته الشخصية و استغفر لذنبه حين يذنب، بينما امتنع عن تطبيق سنة قتل المرتد و رجم الزاني و لم يؤمن بهما هل يعد حاكما جائرا رفض الحكم بما أنزل الله من منطلق المفهوم الموسّع لآية(ما ينطق عن الهوى)؟؟؟ أو بمفهوم أصحاب من يفهمون بالهوى معنى (و ما ينطق عن الهوى) أو بمفهوم أن الرجم و قتل المرتد مدوّنين في كتب الحديث و كفر الحاكم بالإيمان بهما يعد كفرا أو ظلما أو فسقا بمفهوم و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم.الكافرون. ....الظالمون..........الفاسقون......؟؟؟.

هل يمنع هذا الحاكم من دخول الجنّة بهذه الصورة التأويلية المختلف فيها . حتى يحاسب عن ذنبه العظيم في أنه تعالى على كتاب صحيح البخاري رحمه الله – و هل سيدخل كافة فرقة الشّيعة النّار لعدم إيمانهم بكتابي البخاري ومسلم ؟ .....وهل سيدخل أهل السنّة النّار لعدم إيمانهم بكتاب الكافي (كتاب الأحاديث الصحيحة عند الشيعة).

إن دين الإسلام دين التوحيد و الاعتصام بحبل الله و عدم الفرقة، و إن ما ورد فى الحديث من أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر بعرض الحديث على كتاب الله فما وافقه أخذنا به وما خالفه رددناه فيه كفاية لحسم الجدل حول السنّة النبوية هل هي مبيّنة أم أنها مبيّنه و مكمّلة ؟؟؟ و هل بيّنها كتاب الله أم أنّ كتاب الله أهملها و أمر بالبحث عنها في ثنايا كتيبات أخرى رغم قوله تعالى ({..... مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ }الأنعام٣٨ ؟؟ ورغم قوله (....وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }النحل٨٩!!!.

سنّة فى مستوى القرءان فى قوّة الحكم

إن السّنة النبوية الخاصة بشكل الركوع والسجود مبينة في كتاب الله في قولة تعالى (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً) (النساء:٨٠) وليس الأمر أمر طاعة كل ما نقل عنه صلّى الله عليه وسلّم بلا وعى وبلا تدبّر.

لكن تبقى إشكالية التأكد من أن الأمر المختلف فيه كان يفعله رسول الله أو تم التثبّت من أنه أمر به، وهو الأمر الذي لا ينفرد أحد ولا مؤلف بالاستئثار به، **لذلك وجب التفريق بين السنّه العملية والمتواترة وبين السنّة القولية الأحادية مهما كان**

مصدرها إلا إذا ما كان القرءان الكريم المحفوظ بحفظ الله يعضدها ويدعمها، فإن حديث الآحاد إذا صح (تطابق مع مراد كتاب الله) يجب العمل به فورا، بينما هو مشكوك في صحة نسبته إلى رسول الله إلى أن تثبت مجامعنا الفقهية أنه صحيح بأدوات العصر وليس بأدوات السابقين.

وعن مثل السنن التي فى قوة القرءان، السنة العملية (شكل الركوع والسجود وكيفية الطواف وترتيب فرائض الصلاة...الخ)حيث كان الصحابة رضوان الله عليهم يركعون و يسجدون خلف رسول الله بالهيئة التي كان رسول الله يفعلها طاعة له ثم تناقلت الأجيال الركوع و السجود و عدد الركعات الموحى به من الله عبر قرون جيلا بعد جيل، فهذه السنة وغيرها من عدد مرات الطواف حول الكعبة وما كان يقوله صلّى الله عليه وسلّم فى كل ركعة، وكيف كانت صلاة العيدين وشكل صلاة الجنازة وغيرهم من الواجبات والفروض التي حوتها السنّة العملية المتواترة لرسول الله ولصحابته من بعده ثم تناولتها الأجيال، هي أمور في مستوى القرءان فى الحجيّة، ومن غير المتصوّر أن يباشر مسلم إسلامه بغيرها إلا إن كان ضالا، ولا يمكن لمسلم أن يشكك فى السنة العملية والمتواترة، **يعنى ذلك أن من أفعال الرسول ماهو مباشره للأركان ومنها ماهو فرض ومنها ماهو سنّة، وليس كل ما صدر عن رسول الله سنّة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، فلذلك تختلف حجية السنّة باختلاف ورودها فإن ورد الأمر على الصلاة بأنواعها والحج والصوم وغيرهم مما له دلالة من القرءان وتواتر عملي من سنة رسول الله فهي مما علم من الدين بالضرورة ويعد تركها إنكارا لمعلوم من الدين بالضرورة يخرج بها المعترض من الملّة.**

ولا بد للمسلم أن يفرّق بين السنّة العملية المتواترة كعدد ركعات الصلاة و شكل الركوع و عدد مرات الطواف........ الخ و بين السنة القولية الأحادية التي و إن كانت مقطوع بصحتها في مجملها إلا أنها ظنية الثبوت في بعض مروياتها بما يعنى أن كتابي البخاري و مسلم و غيرهما مقطوع بصحتهما فى مجملهما لكن قد تكون فيهما أحاديث يأخذ بها أحد و يتركها آخر لعدم ثبوتها عنده – تماما كما فعل مسلم مع أستاذه البخاري فترك أحاديث صحت عند أستاذه الإمام و كما فعل النسائي مع الاثنين........ و غيرهما . و هو ما لا يعد خروجا على نص كما يظن الدهماء و العامة، و ليتحد الجميع حول كتاب الله فهو الكتاب الذي لا ريب فيه هدى للمتقين و هو أحسن الحديث ويشير إلى السنّة العملية لرسول الله و منه نستدل على حجية السنة التطبيقية لرسول الله، وبهما (الكتاب ثم السنّة)ندخل في منظومة الرضا الموصل إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

وعلى المسلم أن يعلم أن عدد ركعات الصلاة غير موجود بالقرءان و غير موجود أيضا بكتابي البخاري و مسلم أو غيرهما من كتب الصّحاح وليس هناك حديث يبيّن عدد ركعات كل فريضة لكنة المعتقد الوراثي الذي يجعل من المسلم أسيرا لمعتقدات ما لها اصل إلا أصل تصوري انتهى بصنع أصناما لمرجعيات صحيحة في أصلها ومجموعها وإن كانت لا تسلم من العلل.كما أنى أضيف لمنهج الفارين من تدبّر فقه الدين بينما منهاجهم معارضة كل فكر فقهي مخالف لفكرهم وما ورثوه فأولئك عليهم أن يسألوا أنفسهم ما يلي:.

- كيف كان سيعلم المسلم أن الطواف حول الكعبة سبع مرات؟؟؟
- كيف يعلم المسلم أن يطوف والكعبة على يساره ؟؟؟
- كيف يدرك المسلم أن كلّ ركعة من ركعات الصلاة لها ركوع واحد وسجودان؟؟؟ .....الخ ،

إن كل ما سبق وغيره بينته السّنة العملية المتواترة والتي لم ينقطع العمل بها منذ عهد رسول الله إلى اليوم وهى فى ذات قوة القرءان فى الحكم وكانت بوحي من الله حيث علّم جبريل النبىّ وتولىّ النبيّ تعليم الأمة بالبلاغ.

و قد يتصور بعض ممن لم يفرّق بين القرءان وبين السّنة العملية وبين السنّة القولية الموجودة بالصحاح فانتهوا إلى دمج السنة العملية مع السنة القولية فى الحكم وهو خطأ معيب وهؤلاء لابد أن يعلموا أن القرءان في السنة و السنة الحقيقية في القرءان، أمّا السنة القولية التي جمعت بعد قرن ونصف من رحيل النبي ودخل فيها ما دخل فليست بسنة تستقى منها الأحكام، فتلك حقيقة لكن لا بد لها من تمييز حتى لا نقع في خلط معيب و قد كان صلى الله عليه وسلم قرءانا يمشي على الأرض وكان كما قالت أم المؤمنين رضي الله عنها (كان خلقه القرءان) فما أعظم اختصار السنّه فى القرءان فى قولها كان خلقه القرءان.

الفصل الثاني

إجتهادات فقهية تناهض كتاب الله

لا ناسخ ولا منسوخ بداخل دفتي كتاب الله

يحلو للبعض خاصة وهو يراوغ الآخرين في مسألة لا يفهم أبعادها خاصة بعد أن يواجه بحجيّة آية من كتاب الله أن يقول (هذه الآية منسوخة) – وكأن الناسخ والمنسوخ محفور ومحفوظ في رأسه ويعلم أبعاده، وهؤلاء البعض يتأولون بلا ضابط الآية الكريمة التي قال الله فيها:(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة:١٠٦) .

والحقيقة أن الكثيرين لا ينضبطون مع معنى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها فيتصورونه في القرءان بينما أن الله يذكر أنه ينسخ الشرائع بعضها ببعض فرسالة محمد ناسخة لرسالة التوراة وإن كان فيها تعاليم مثل التي في التوراة..وهكذا في قوله تعالى: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) (النحل:١٠١) تعنى أيضا تبديل الشرائع والتشريعات، فتشريع التوبة كان على عهد اليهود بقتل النفس، ولكنه في شريعة محمد باللجوء بصدق التوبة إلى الله، وشريعة محمد ناسخه لشريعة موسى، كذا فقد نسخ الله قبلة الصلاة عند اليهود والنصارى فجعلها إلى البيت العتيق.. وهكذا.والعلّة عندهم تكمن فى معنى كلمة (آية) فظنوا أنّ كلمة آية هى إحدى آياتكتاب الله فخاب مرادهم عن تدبر مراد القرءان.

ولقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية في مصر في اجتماعه في ٢٥ محرم ١٣٩٥ الموافق ٦/٢/ ١٩٧٥ حين كان ينظر الأحداث الدموية في الصومال وأصدر ما نصه:.

(إن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ليهولنه أن يوجد فيمن انتسب إلى الإسلام من يطعن في كتابه فيزعم في خطبه علنية أن نصفه منسوخ أو متناقض أو بطل العمل به، تلك هي الصيحة الآثمة الباطلة التي رمى بها الإسلام وكتابه؛ وهو الكتاب الذي يقول الله فيه (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) (البقرة:١٧٦).

وهو الكتاب الذي أحكم بيانه وفصلت أحكامه (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (هود:١) .
وإنه الحق الذي لا مريه في صدقه ولا اعتراض عليه (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة:٢).

إن هذه الدعوة كفر بكتاب الله.وإن مشيخة الأزهر لتهيب بالعالم الإسلامي بل بكل مسلم أن ينصب نفسه لاتقاء هذه الآثام ومدافعة هذه الشرور....المرجع مجلة الأزهر الصادرة عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر جزء ٣ السنة ٤٧ ربيع الأول ١٣٩٥ هـ ابريل ١٩٧٥ (ص ٢٦٥ إلى ص ٢٦٨).

وإنّ كثيرا من العلماء ذهبوا إلى عدم جواز النّسخ في القرءان من بينهم العلاّمة عبد المتعال الجابري والشيخ/محمد الغزالي والدكتور /محمد البهي وزير الأوقاف الأسّبق بمصر والدكتور/ مصطفى زيد والأستاذ /عبد الكريم الخطيب الذي قال (يرى عدد غير قليل من العلماء أنّ النّسخ في القرءان ليس نسخا بمعنى إزالة الحكم كما ذهب إلى ذلك القائلون بالنسخ وإنما هو نسيء وتأخير أو مجمل أخّر بيانه أو خطاب قد حال بينه وبين أوّله خطاب غيره أو مخصوص من عموم أو حكم عام لخاص أو لمداخلة معنى في معنى.
وأنواع الخطاب كثيرة فظنوا ـ أي القائلون بالنسخ ـ أن هذا نسخ وليس به وأنّه ـ أي القرءان ـ الكتاب المهيمن على غيره وهو نفسه متعاضد ولا نسخ فيه..........انتهى.

وإن عدم وجود همّة لدى المجامع الفقهية، في توحيد الصف الإسلامي والرأي الإسلامي خاصة في مسألة شائكة مثل تلك المسألة التي بأيدينا، وعدم وجود جهاز إعلامي يعلّم المسلمين بما اتفق عليه علماؤهم، يجعل المسلمين يجرّون أذيال الرجعية الفكرية مئات السنين قبل أن يعلموا بما انتهى إليه علماؤهم، فإذا ما أضيف لذلك قلّة إقبالهم على القراءة والبحث فإننا سنعلم سبب ما نحن فيه من تردّى في الفكر الديني.

ولقد اشترك واضعو الأحاديث في هذه الفتنه (فتنه ما يسمى بالناسخ والمنسوخ في كتاب الله) خاصة في حديث الغرانيق وحديث الشيخ والشيخة فارجموهما....... الخ.ولست أدرى كيف بكثير من الدعاة يتشدّق ويقول عن عمر بن الخطّاب أنه قال(لولا أن خشيت أن يقولوا أزاد عمر في كتاب الله لأمرت بوضع آية الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ؟؟؟) كيف بخطباء الفتة هؤلاء يتقوّلون على عمر مالم يتم التحقق أنه صدر عن عمر ؟؟؟ أم أنهم سيخرجون علينا بتبريراتهم وحججهم التي لا تنضب، أم تراها منافسة بين أهل السنّة وبين الشيعة فهم يعظّمون عليا ونحن نعظّم عمر!!.

إن المسلمين في عصور التّابعين وضعوا الأحاديث على النبي صلّى الله عليه وسلّم، أفلا يضعونها على عمر بن الخطّاب وأبى هريرة وعلى بن أبى طالب؟؟؟؟ وإن من بين ما وضعوه على عمر بن الخطّاب في أقاصيصهم أنّه عطّل الحدود في عام المجاعة، وهذا من قلّة أدب القائل وسوء فقه السامع المطيع إذ أن عمر قد طبّق تعاليم الإسلام، فما يكون له شرعا أن يقطع يد السارق الجائع حينما يسرق من غنى يمنع عنه زادا حتى يموت، ولكنها كلمة باطل أريد بها باطل فينسبون لعمر بن الخطّاب أنه عطّل الحدود كي يعطّل الحكّام أحكام الحدود على هواهم.

وإن الله تعالى حين قال:- (وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً) (الكهف:٢٧) ـ إنما يعنى أن كلمات الله وأحكامه لا يمكن أن تبدّل بنصوص بشريّه حتى لو كان هذا البشر رسول الله صلى الله عليه وسلم.فيقول تعالى (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ*لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ*ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) (الحاقة:٤٦:٤٤)

والغريب والعجيب أن علماء الناسخ والمنسوخ وضعوا ضوابط ولم ينفّذونها فقالوا من شروطهم ثلاثة شروط:.

١. أن يكون النص الناسخ فى قوّة النص المنسوخ أو أقوى منه.
٢. أن يكون النص النّاسخ متأخرا عن النص المنسوخ وأن نعلم ذلك بيقين.
٣. أن يتعذّر الجمع بين النصين.

بل تجدهم وقد قالوا أجمل من ذلك فقالوا عن تعريف النسخ:.

*النسخ .: إبداء من الله وليس بداء عليه.

*النسخ .: إظهار من الله وليس ظهور له .

*النسخ .: كشف من الله وليس انكشافا له.

فتدبّر رحمك الله جمال كلماتهم وقوّة نظمهم لمبادئ البدعة فى علومهم ، أليسوا هؤلاء هم الذين استبدلوا نصّ الجلد للزناة المحصنين الوارد في كتاب الله بنص وارد في أحاديث نسبوها لرسول الله؟؟؟!!! وهل ووفق ما ذكرناه من مبادئهم السابقة ألا تكون السنّة أقوى من القرءان في الحكم لأنها نسخت آياته؟؟!!؛ وكيف بالمرأة التي كانت قد زنت وحدّها عندهم الرجم ؟؟ فكيف بالأمة المحصنة إذا زنت؟؟؟ إن الله قد بيّن عقوبتها في كتابه في الآية ٢٥ من سورة النساء وهى نصف ما على المحصنات الحرائر من العذاب فكيف سنحدد ذلك النّصف وننفذه هل سنقوم بخربشتها أم نقوم بقتلها نصف قتلة أم سنتركها بلا عقاب حتى يستريح أهل النسخ في القرءان !؟، إن رزايا التناقض والسقوط تكون حينما يعمل الفكر البشرى بمعاوله في كتاب الله بضوابط بشريه بينما يظنّها ضوابط علميه.

ومن بين من تزعّموا منهج الناسخ والمنسوخ في داخل دفتي القرءان الشيخ الشهير قديما /جلال الدين السيوطى ولكن عارضه الشيخ الشهير حديثا/ محمد الغزالي حيث ذكر في كتابه "دستور الوحدة الثقافية للمسلمين ص٥٠" ما نصّه.: (ونحن نستغرب من بعض المفسّرين ولوعهم بذكر النسخ حتّى ليكاد يكون ذلك مرضا عند السيوطى غفر الله له، فقد حكم بنسخ عدّة مئات من الآيات متعلقا بآراء ومرويّات تافهة..انتهى).

وإني أرى أن يستتاب أصحاب منهج الناسخ والمنسوخ داخل القرءان وخاصة من يزعمون بنسخ السنّة للقرءان ، وذلك توحيدا للصف الإسلامى وصيانة للقرءان من اجتهادات تودى بدستور الأمة بلا ضابط ولا هدى ولا كتاب منير.

إن النسخ من شرائع اليهود وهو ليس موضوعنا، أما القرءان الكريم فلا يوجد به ناسخ ولا منسوخ، فكل آياته مفروضة وكلها ناسخة لما قبلها من الشرائع؛ وإن أول القائلين بالنسخ في القرءان هم الذين دخلوا الإسلام وفى قلوبهم مرض ، ثم جاء من بعدهم أناس ممن ينقلون بلا وعى، وإذا كان هناك من برعوا في وضع الأحاديث على النبي ،فإن هناك من تأبّطوا بالقرءان شرا عن طريق لعبة الناسخ والمنسوخ، وقد ذاد المخلصون عن كتاب الله فهناك مئات المؤلفات التي تبعد وجود شبهة منسوخ فى كتاب الله، والذين قالوا بالنسخ اختلفوا في عدد الآيات المنسوخة في كل سوره بل واختلفوا في بعض السور هل بها نسخ أم لا ؟ وإن الأمة الإسلامية إن تركت كتاب الله نهبا لهذا الهراء الشيطاني فإنها خاسرة لا محالة.

وقد ذهب كثير من الأصوليين إلى أن القرءان لا تنسخه السنّة ولا تزيد فيه مطلقا ، وإن للرسول أن يبين ويفصّل ما أجمل في القرءان واستدلوا بما جاء في الحديث (**إذا روى عنى الحديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوا وما خالفه فردّوه**).

كما وان قولهم فى معنى أن ينسخ القرءان نفسه يعنى وجود آيات بطل العمل بها ومسطورة في كتاب الله، وحاش لله أن تكون هذه عقيدة مسلم، خاصة إذا علم هذا المسلم أن علماء النسخ في القرءان لم يتّفقوا في عدد الآيات المنسوخة ولا في مكانها في السّور!!!! وأستعرض للقارئ الكريم بعضا من مفاهيمهم واختلافهم في قضايا الناسخ والمنسوخ عن العلماء السابقين وقد سطّرها ابن الجوزى فى كتابه نواسخ القرءان وهى:.

* عند ابن حزم الأنصاري ٢١٤ قضية.

*وعند أبى جعفر النحاس ١٣٤ قضية.

*وعند ابن سلامة٢١٣ قضية.

* وعند مكي بن أبى طالب ٢٠٠ قضية.

*وعند عبد القاهر البغدادي ٦٦ قضية فقط.

* وعند بن بركات ٢١٠ قضية.

*وهى عند ابن الجو زى ٢٤٧ قضية في ٦٢ سورة.

(المرجع نواسخ القرءان للعلامة ابن الجو زى ص ٥١٥ الصادر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).

وقد أرفقت بهذا الأمر دراسة في هيئة جداول قام بها أحد الباحثين بهذه الجامعة في أحد الرسالات البحثية العليا وهو الشيخ/ محمد أشرف على الملبارى.وذلك حتى يقف المسلم على حجم الكارثة العقائدية التي تصيبه من جرّاء الإيمان بوجود ناسخ ومنسوخ داخل كتاب الله،(راجع ملحق النّسخ والمنسوخ عند ابن الجوزى بآخر الكتاب).

كذا فإن السنة لا تنسخ القرءان، فكتاب الله كلّه من أوّل آية بسم الله الرحمن الرحيم الموجودة في سورة الفاتحة وحتى آية (من الجنّة والنّاس)الموجودة في سورة الناس كلّها معمول بها، وسنسأل عن كل حرف فيه.

وإن القائلين بالنسخ تعطّلت عندهم حاسة التدبّر لآيات كتاب الله ، كما وأن جمع من القائلين بالنسخ ممن قالوا أن الله تدرّج في التشريع القرءانى واتخذوا لذلك مثالا في موضوع الخمر وموضوع رجم الزناة الذين أحصنوا (سبق أو كانوا متزوّجين) كانوا مخطئين.

ومثال آخر على ما يدّعون به النّسخ في القرءان وذلك في سورة الأنفال في الآيات ٦٥&٦٦ حيث يتصوّرون النّسخ في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ }الأنفال٦٥ فقالوا بأنها منسوخة بالآية التي تليها في قوله تعالى {الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ }الأنفال٦٦.

فحقيقة الآيتين ليس فيهما نسخ لأن الآية الأولى تتحدّث عن المؤمن القويّ الصّابر بأنّه يغلب عشرة وحده، أمّا الآية الثّانية فتعنى بالمسلم الصّابر الضعيف (وعلم أنّ فيكم ضعفا) بأنه يغلب فردين اثنين وهو أمر من أمور التخفيف في حال الضّعف ولا نسخ في ذلك، ويترتّب على الآية الثّانية جواز فرار المؤمن من الزّحف إذا تكاثر عليه الأعداء في حدود الأعداد المذكورة ولا يكون قد ارتكب بفراره ذنبا من الكبائر وهو الفرار من الزّحف.....وهكذا فإن جميع تأويلات أصحاب الرأي بالنسخ لا تنهض إلى مستوى الفقه الجيّد بأحكام وأسرار التّنزيل، بل أنها دعوة للكفر ببعض آيات كتاب الله تحت مظلّة الاجتهاد، وأظنّها الدعوة الحقيقية للتبديل والتحريف باسم الفقه ويما رآه البعض أنّه سنّة، وسمحوا لسنّتهم المزعومة بالاعتداء على كتاب الله باسم الناسخ والمنسوخ.وما هو إلا كهنوت جديد يجعل من الدين حكرا على كل مبتدع، نعم مبتدع وأكتبها بكلّ الثّقة لأن المسلم إن سأل أحد فقهاء النسخ فى القرءان فسيجد هذا يجيبه بمنهاج الناسخ وذلك يجيبه بمنهاج المنسوخ، ولا أذكر ذلك افتراءا عليهم بل هي حقيقتهم لأنهم لم يتّفقوا ما هو الناسخ ولا ماهو المنسوخ ولكن اتفقوا على العبث بكتاب الله وأسموه علما تمنح فيه الشهادات، وهم لا يدركون حجم المصيبة طالما أنهم متمسّكون بالناسخ والمنسوخ ويسمّونه التمسك بالثوابت ولست أدرى لماذا لم تكن آيات كتاب الله هي الأولى بأن يطلق عليها لفظ ثوابت؟؟؟!!! بل ومن تدفق الضلال فى عقولهم يعتبرون أنّ من شروط من يتصدّى لتفسير القرءان أن يعلم ناسخه ومنسوخه الذى ابتدعوه ولم يتّفقوا فيه.

وسوف أخوض معهم فيما انتهوا إليه لإثبات عدم نسخ الشرائع داخل القرءان فيما يخصّ الخمر ثم فيما يخصّ الرجم.

هل نزل تشريع تحريم الخمر على التدريج أم حرّمت دفعة واحدة؟

من الواجب أن يعلم المسلم أن كتاب الله القرءان جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل ومهيمنا عليهما
ولقد نزلت تعاليم الإسلام وكانت الخمر محرّمه في الديانة اليهودية والنصرانية، فلا يمكن أن نكون مصدّقين لما بين يدينا من التوراة والإنجيل ثم نسمح بالخمر مرة أخرى فى القرءان حماية لمجتمع السكارى من أن يصيبهم شوق إلى الخمر إذا ما منعت عنهم دفعة واحدة؟؟؟؟ ولم يكن المشركين على عهد الرسالة يحبّذونها أو يعتبرونها فضيلة حتّى يأخذ القرءان بخاطرهم ويعمل لأجلهم.كما وأنّه في هذه الحالة لا نكون مصدّقين لما بين يدي الرسالة الإسلامية من شرائع.

وإنه يحلو لبعض الدعاة أن يذكر أن الله تدرّج في تحريم الخمر، وهم يتّكئون على ما يقولونه ويزعمونه فيما انتهوا إليه عن دروب التدرج في الحجاب ،والتدرج في الصوم والصلاة وغيرها ، ويتصورون ذلك من الحكمة والموعظة الحسنة،ويتّكئون أيضا على فقه النّاسخ والمنسوخ الذى نقدناه في المبحث السابق.

وإن ما انتهى إليه هؤلاء فى منطق التدرج لا أصل له ولا سند من كتاب الله، وذلك لكون أن الخمر محرّمة فى الكتب السماوية السابقة ثم وبنزول القرءان الذي جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل ومهيمنا عليهما حيث يقول تعالى (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ*مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ) (آل عمران:٤&٣) .

* ويقول تعالى (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (الأنعام:٩٢).

*ويقول تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (آل عمران:٨١) .

والآيات كثيرة في أنّ الله طلب من أهل الكتاب التّقوى ،وطلب منهم التّعقل والتّفكر وكذلك طلب منا ذلك في القرءان الذي نزل على محمد مصدقا لما بين يديه من الكتب.

وما كان الله ليحرّم الخمر ثم يعيد السماح بها في غير أوقات الصلاة، كما ذهب البعض في أفكارهم عن معنى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ......) (النساء:٤٣) .

ولست أدرى لماذا خلطوا أو ربطوا في فكرهم بين الخمر وبين السكر ، إذ أن الآية لا تشير إلى الخمر البتة إنما هى تذكر السّكر، وذلك كسكر من يغالب النعاس مثلا وهو من باب تعظيم الصّلاة والخشوع فيها ،وليس في الآية أية إباحة مؤقتة للخمر كما ذهب إلى ذلك أصحاب مبدأ التّدرج في تحريم الخمر ،وهل يعقل أن تكون الدعوة الإسلامية دعوة للناس كافة ودعوة مصدقة لما جاء في التوراة والإنجيل ثم إذا ما دخل أحد من أهل الكتاب في الإسلام (في زمن رسول الله) وكانت الخمر محرّمه في شريعته فهل يشربها حين يدخل في الإسلام بمنطق التدرّج مع أحوال السكارى وشاربي الخمر من المشركين....أين العقل في هذا؟؟؟.

إن القرءان أمر بما أمرت به التوراة والإنجيل من تحريم الخمر، ولا يمكن أن يكون قد أباحها ثم منعها على التدريج كما يقول البعض.

وإليك أولا الدلائل الموجودة والمتداولة بين الأيدي من أهل الكتاب فيما يخص تحريم الخمر عندهم:-

١- في سفر العدد إصحاح ٦ آية ٣ من العهد القديم ما يلي:-

(في الخمر والمسكر يفترز ولا يشرب خل الخمر ولا خل المسكر ولا يشرب من نقيع العنب)

٢- في الأصحاح٥ آية ١٨ من العهد الجديد(لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل أقبلوا بالروح) كذا ذات الأمر فى لاوس إصحاح ١٠ أية ٩ من العهد القديم .

والناظر إلى الشأن الإسلامي في القرءان فيما يخصّ تحريم الخمر يجد أن الخمر والسكر نزلت بشأنهما أربع آيات.وإن الذين تصوروا التّحريم على التّدريج وتصوروا بذلك أن هناك ناسخا ومنسوخا؛ أي أن آية من القرءان تنسخ آية أخرى من ذات القرءان، أي أن هناك آيات تعطّل العمل بها وانتهى أثرها، فهؤلاء غبنوا الاهداف القرءانية بقصورهم في تأويل مراد الله الذى حرّم الخمر منذ مهد الدعوة حين قرر في سورة مكية بتحريم الإثم والفواحش على الإطلاق حيث يقول تعالى (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) (لأعراف:٣٣) وهى سورة مكّية، ولاشك فى أن الخمر من الفواحش ومن الآثام فى كلّ ملّة منذ مهد البشرية.

والذين يتصورون أنّ الإسلام إذا ما دخل في بلد بعد ذلك فهو يتدرّج في تحريم الخمر، ويكون ذلك من السّنن الإلهية والنّاموس الإلهي عندهم، هؤلاء جميعا قد أضرّوا بالمفهوم القرءانى وموضوعيته، ولكن كي لا نخرج عن أساس موضوعنا فإن الأربع آيات

التي نزلت في شأن الخمر وفى شأن السكر والتي خلط بعض الفقهاء في تأويلها وربطوا بينها في المعنى حتى انتهوا إلى ما انتهوا إليه على أن الخمر قد حرّمت بالتدريج – هذه الآيات الأربع هي:–

<u>*الآية الأولى</u> آية رقم (٦٧ من سورة النحل) وقد نزلت في آخر سنة فى العهد المكي.

(وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (النحل:٦٧) .

<u>*الآية الثانية</u> الآية رقم (٢١٩ من سورة البقرة) نزلت عام ٢ هجرية بالمدينة المنوّرة.

(يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (البقرة:٢١٩).

<u>*الآية الثالثة</u> الآية(٤٣ من سورة النساء) نزلت عام ٤ هجرية بالمدينة المنوّرة.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً) (النساء:٤٣) .

<u>*الآية الرابعة</u> آية (٩٠ من سورة المائدة) نزلت عام ٩ هجرية بالمدينة المنوّرة.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

فمن غير المتصوّر عقلا أن يظل المسلمون يشربون الخمر حتّى قبل وفاة النبي بعام واحد بينما أهل الكتاب على فضيلة عدم شرب الخمر فى ذات الوقت الذى يحض دين الإسلام على تصديق القرءان للشرائع السابقة.

إنّ هذه الآيات الأربع لا تضاد بينها ولا تدرّج ولا ناسخ فيها ولا منسوخ ؛ إنما الذّين تصوّروا التّدرج . وتصوّروا بناءا على ذلك أن هناك ناسخا ومنسوخا في كتاب الله الذي بين أيدينا. نشأ هذا الأمر عندهم كنتيجة لخلطهم المعيب بين كلمة سكر (بفتح السين والكاف) وبين كلمة خمر وتلازم الأمرين في عقل المفسّر. وذلك بغير داع . كذلك حصرهم منتهى كلمة السكر إنما تعنى الخمر... بينما أن السكر(بضم السين) ليس بالضرورة أن يكون الخمر هو أساسها ،إذ أنّ الخمر حرام حتى ولو لم تسكر والسكر من غيرها حرام حتى وإن كان حلالا، أمّا السّكر(بضم حرف السين) بمعنى ذهاب العقل فقد يكون السكر من غير الخمر كالسكر الحادث عند بداية اليقظة للنائم المتعب حين يستيقظ ، والسكر الحادث لمن يتعذّب (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) (الحج:٢) وسكر الخائف والمرتاع....الخ.

وعلى ذلك فالله ينهى العبد أن يصلّى وهو غير قادر على التركيز الفكري لإجهاد أو نعاس أو نحوه، وليس في الأمر تحديد خمر إذ أنّ الخمر محرّمة قبل نزول هذه الآية وهو ما سيتم تفنيده في هذا المبحث.

وسوف نسوق بالتفصيل ما كتب في شأن كل آية:.

<u>*الآية الأولى</u>: (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (النحل:٦٧) في تفسير القرطبى أقوال كثيرة في تفسير (سكرا ورزقا حسنا)، قيل إن السكر: العصير الحلو الحلال، وسمي سكرا لأنه قد يكون مسكرا إذا بقى فإذا بلغ الاسكار حرّم. وقيل أن قوله تعالى (تتخذون منه سكرا) خبر معناه الاستفهام بمعنى الإنكار أي أتتخذون منه سكرا وتدعون رزقا حسنا الخل الزبيب والتمر كقوله تعالى (... أفهم الخالدون) ٣٤ الأنبياء. وقال أبو عبيده السكر: الطعم، وهذا اختيار الطبري .أن السكر ما يطعم من الطعام وحلّ شربه من ثمار النخيل والأعناب، وهو الرزق الحسن فاللفظ مختلف والمعنى واحد، مثل (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) (يوسف:٨٦) ،و يقول فيما تقدم (وهذا حسن ولا نسخ) و يقول القرطبى.. يقول الحنفيون: المراد بقوله " سكرا " مالا يسكر من الأنبذة، والدليل عليه أن الله سبحانه وتعالى أمتن على عباده بما

خلق لهم من ذلك، ولا يقع الامتنان إلا بما يحل لا بمحرّم فيكون ذلك دليلا على جواز شرب ما دون المسكر من النبيذ فإذا انتهى إلى السكر لم يجز، وعضدوا هذا من السنة بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (حرم الله الخمر بعينها والسكر من غيرها) فهو مما يدل على حرمة الهروين والأفيون ...الخ مما يذهب العقل ولو جزئيا.

*وبما رواه عبد الملك عن نافع عن بن عمر قال رأيت رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند الرّكن، ودفع إليه القدح فرفعه إلى فيه، فوجده شديدا فرده إلى صاحبه، فقال له حينئذ رجل من القوم يا رسول الله، أحرام هو؟ فقال: عليّ بالرجل فأتى به فأخذ منه القدح، ثم دعا بماء فصبه فيه، ثم قال: إذا اغتلّت عليكم هذه الأوعية فاكسروا متونها بالماء(أي إذا كثرت المادة السكّرية فيمكنكم تقليل نسبة السكّر بإضافة الماء). وروى إنه عليه السلام كان ينبذ له(أي يعصر له)، فيشربه ذلك اليوم. فإذا كان من اليوم الثاني أو الثالث سقاه الخادم إذا تغير، ولو كان حراما ما سقاه إيّاه، وهو ما يعنى أن عصير العنب وعصير البلح حلال وهو غير الخمر.

*قال الطحاوى: وقد روى أبو عون الثقفي عن عبد الله ابن شداد عن ابن عباس قال: حرّمت الخمر بعينها القليل منها والكثير. والسكر من كل شراب. خرجه الدار القطني أيضا". ففي هذا الحديث وما كان مثله أن غير الخمر لم تحرم عينه، كما حرمت الخمر بعينها قالوا: والخمر شراب العنب المخمّر لا خلاف فيها. ومن حجته أيضا ما رواه شريك ابن عبد الله. حدثنا أبو إسحاق الهمدانى عن عمر بن ميمون قال: قال عمر بن الخطاب: إنا نأكل لحوم هذه الإبل. وليس يقطعه في بطوننا إلا النبيذ(عصير العنب) قال الشريك: ورأيت الثوري يشرب النبيذ(أي عصير العنب أو البلح وليس ما تخمّر منه) في بيت حبر أهل زمانه مالك بن معول.

وبما قدمنا نفهم أن الآية ليست نصّا يخصّ تحريم شرب المسكر ، ولكنّه يخصّ أمر عصير العنب أو البلح أو منقوعهما الذى لم يتخمّر ويستند العلماء في ذلك بما امتن الله على عباده وذكر أنها رزقا حسنا ،والأحاديث التي رويناها تفيد الشرب إلاّ ما كان منها مسكرا، وأن العلماء ومنهم القرطبى قالوا في هذه الآية بعدم وجود النّسخ فيها.أمّا الذين يصرفون كلمة نبذ إلى أنها خمر فإن هذا قصور منهم فى فهم كلمة (نبذ) وعلى أية حال فأى مسكر حرام وهذه الآية الأولى التى بين أيدينا ليس فها تحريم ولا تخص الخمر.

*<u>الآية الثانية</u>:(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (البقرة:٢١٩) وهى سورة مدنية.

وهى تنص على تحريم الخمر بعينه سواء سكرت أم لم تسكر لأن المتبادر إلى الذّهن أن الخمر معدة للسكر ودليل التحريم (فيهما إثم كبير) ولا يغرنّك قوله تعالى (ومنافع للناس) لأن الله ذكر قبلها في القرءان الكريم في سورة مكية:

(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) (لأعراف:٣٣) وهى سورة مكّية.

فإذا كان الله عز وجل قد حرّم الإثم أيا كان حظّه من الصغر أو الكبر في سورة الأعراف وهى مكية ،فإن تحريمه للخمر ذات الإثم الكبير في المدينة المنوّرة يكون من باب أولى، فلا يعتد بأي مقالة تتصور التدريج في التحريم بما يعنى الإباحة الجزئية.

*<u>الآية الثالثة</u>:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ ....) (النساء:٤٣) .

يقول القرطبى اختلف العلماء في المراد بالصلاة هنا وقالت طائفة هي العبادة المعروفة نفسها وهو قول أبو حنيفة ولذلك قال(حتى تعلموا ما تقولون) وقالت طائفة: المراد مواضع الصلاة وهو قول الشافعي فحذف المضاف وقال تعالى(لهدمت صوامع وبيع وصلوات) فسمي مواضع الصلاة صلاة، وقالت طائفة: المراد الموضع والصلاة معا، ثم يقول وقال قوم: السّكر محرم في العقل وما

أبيح في شيء من الأديان، وحملوا السّكر في هذه الآية على أنه النّوم. والحق إن هذا من باب تعظيم الصلاة والدعوة إلى السّكينة فيها والخشوع وليس في الأمر ما يدل على أنّ الخمر كانت مباحة بعد الصلاة لأن الذين قالوا بمنع الصّلاة في حال السّكر من تأثير الخمر إنّما هم يزعمون بإباحتها من طرف خفي بعد الانتهاء من الصّلاة، وهذا فيه افتئات على الشريعة ومناقضه لكتاب الله بشأن أنّ الخمر محرّمة في الرسالات السّابقة، ولم يكن الإسلام ليبيحها للمسلمين بعد الصلاة أو قبلها بينما هي محرّمة على المعاصرين من أهل لكتاب ومن بعدهم، والقرءان نزل مصدّقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل ومهيمنا عليهما، فتكون الهيمنة في فضيلة وليست الهيمنة في إباحة شرب الخمر إلاّ في أوقات الصلاة؛فالآية على هذا النحو لا تشر البتة إلى الخمر.

*الآيـة الرابعـة:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة:٩٠) .

يقول القرطبى في تفسيرها حاكيا عن الأصوليين(إن السكر حرام في كل شريعة، لأن الشرائع مصالح العباد لا مفاسدهم، وأصل المصالح العقل كما أن أصل المفاسد ذهابه فيجب المنع من كل ما يذهبه أو يوشوشه). والحق أن هذا تأكيد على حرمة الخمر وليس التحريم لها ابتداءا.

راجع كتاب لا نسخ في القرءان للدكتور أحمد حجازي السقا طبعة دار الفكر العربي ص٧٣&٧٤&٧٥.

ومن عجيب ما جاء به الأقدمون عن الآية السّابقة التي هي عندهم في تأويلاتهم أنها أتت بالقطع في تحريم الخمر، وذلك وفق زعمهم من كلمة (فاجتنبوه) ممّا يعنى أنّ الصحابة رضوان الله عليهم جميعا كانوا يتناولون الخمر ،ويذهبون ويصاحبون رسول الله وهم يعاقرونها، ومن عجيب ما انتهوا إليه في أقوالهم أنّه حينما نزلت هذه الآية كسر الصحابة أواني الخمر فصارت طرقات المدينة أنهارا من الخمر بما يعنى وفق روايتهم أنّ الصحابة كانوا جميعا ندماء للخمر وكانت من الكثرة بحيث صار سكبها كهيئة نهر جار !! وهذا من سوء أدب القائلين بهذه القصص الممجوجة ،إذ أنّ الصحابة لم يكونوا جميعا على قلب رجل واحد متواجدين عند رسول الله حين نزلت هذه الآية ،وثانيا أن القائلين بهذه القصّة السخيفة تصوّروا المدينة المنوّرة ذات طرقات من أسفلت أو بلّور حتى تجرى عليها عصائر الخمر المسكوب أنهارا ، ويبدو أنهم لم يتصوّروا أنّ طرقات المدينة كانت من رمال أو تراب من خصائصه أن يمتصّ كلّ ما يسكب عليه!!! وكيف بهؤلاء الدّعاة وقد صوّروا الصحابة يدّخرون الكثير من الخمر بينما نبيهم جوعان ولا يجد إلاّ التّمر والماء يسد بهما رمق جوعه ويرهن درعه لدى يهودى وفق زعم من زعم، أليس ذلك طعنا فى الصّحابة؟؟.

ومما تقدم تعلم أن حرمة الخمر ليست على التدريج وإنما على القطع للمرة الأولى من تحريم الإثم في الآية ٣٣ من سورة الأعراف المكيّة، وهو الأمر المصدّق لما نزل من التّوراة والإنجيل، وما اختلط على البعض في وجود تلازم بين السّكر والخمر فهو أمر لم يصادف توفيقا في التأويل، وأمّا ما اختلط عليهم بين كلمة سكر(بفتح السين والكاف)وبين كلمة سكر(بضم السين وسكون الكاف) فما كان ليقع ذلك الأمر منهم إلاّ بتحريفات من أعداء الإسلام، وأما ما ورد من الآيات الكثيرة في شأنها في المدينة فهو زيادة في التشنيع عليها، وتأكيدا لذوى العقول السليمة للبعد عنها.وهذا فضلا عن أن شريعة محمد إنما جاءت متبعة لملّة إبراهيم ولم تكن ملّة إبراهيم تبيح الخمر جزئيا ولا كليا ،وهو الأمر الذى يجب على أصحاب العقول إرشاد الضّالين إليه.

الخمر فى قصص الدّعاة

* وحين نرى دعاة كلّ مؤهلاتهم فى الدّعوة أنّهم حفظوا من القصص ما حفظوا وصار نهجهم القصصي محببا لدى الناس وسببا فى شهرتهم وذيوع صيتهم المعتلّ ، فمن بين ما يقصّونه على الناس ما يزعمونه من أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتركون تسع وتسعون بابا من الحلال خشية أن يقعوا فى باب واحد من الحرام ، وهم يقدّمون هذا الهراء على أنه تقوى !!! بينما أن هذا المسلك

مخالف لكتاب الله القائل ({قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }الأعراف٣٢ .ومخالف لقوله تعالى للنبي معاتبا (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{١}التحريم.

وما كان الصحابة رجال تهوّك أو لا يعلمون الحلال من الحرام لدرجة أخذ الحيطة بلا عقل بينما بين أظهرهم رسول الله معلّما وهاديا، وكيف يتركون ٩٩ بابا من الحلال خشية أن يقعوا فى باب واحد من الحرام بينما يظلّون يشربون الخمر (وفق منهج من قالوا بالتدرج فى التحريم) طوال فترة الدعوة بمكّة وقد استغرقت ثلاث عشر سنة ثم بعد ذلك طوال فترة الدّعوة بالمدينة المنوّرة وحتى نزول آية سورة المائدة بينما نزل فيهم قوله تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ..... }البقرة٢١٩. فكيف يجرؤون على غشيان الخمر وفيها إثم كبير وينتظرون التحريم القاطع الذى يزعمه من زعم أنه حين نزلت آية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }المائدة٩٠ ،فى الوقت الذى يحكى عنهم دعاة القصص الغير موثق أنهم كانوا يتركون الحلال خوفا من الوقوع فى الحرام!!! إنّ الصّحابة كانوا رجال تقوى ويقين ولا يمكن تصويرهم أنهم كانوا لا ينتهون عن شرب الخمر رغم ما نزّل لهم فى كتاب الله أنّ فيها أثم كبير.

وكيف يتم الطعن على الصّحابة فى أنهم كانوا ندماء خمر بينما يقصّون عن النبي أنه كان يعانى شظف العيش والفقر المدقع ،فأى تكافل كان بين من يرتعون فى الخمر ونبيهم فقير إلى درجة العدم، وكيف يقصّون عن الصّحابة أنهم كسروا أوانى الخمر حين نزلت سورة المائدة فصارت طرقات المدينة أنهارا من سيول الخمر عليها فياترى هل كانت طرقات المدينة المنوّرة من السيراميك ؟؟؟ وما حاجة الصّحابة لكل هذه الكميات من الخمر ؟؟ لابدّ للدعاة أن يتّقوا الله فى الصحابة رضوان الله عليهم.

الرجم ليس من الشريعة الإسلامية

سألني أحد تلامذتي فقال إذا كانت عدد ركعات الصلاة وعدد مرات الطواف لم تكن في القرءان وهى في ذات الوقت وحى من الله لرسوله فلماذا لا يكون حد الرجم للزاني المحصن والزانية المحصنة وحى من الله لرسوله وغير موجود في القرءان ؟؟ وقد أجبت على سائلي بأن حدّ الرجم المزعوم ليس كفريضة الصلاة أو الطواف إذ أن للصلاة والطواف أصول من كتاب الله ونعلم أن الله شرع لنا الصلاة والسجود والركوع والطواف حول البيت (وليس الوقوف بجواره مثلا) ولرسول الله مهمة التبيين، لذلك فقد بيّن لنا عدد ركعات الصلاة وعدد مرّات الطواف حول الكعبة ومقدار الزكاة الواجبة فيما يجب فيه زكاة....وهذا مما علّمه الله إيّاه؛ لكن حدّ الرّجم مناقض ومناهض لما جاء في كتاب الله القرءان الكريم الذي لا منسوخ فيه ولا ناسخ، لذلك فمن غير المقبول أن ينسب البعض لرسول الله صلى الله عليه وسلم تشريعه أو فعله أو الأمر به وكذلك لوجود عقوبة محدده في كتاب الله للزناة سواء أكانوا محصنين أو غير محصنين وسواء أكان هناك شهود..... أم لم يكن هناك شهود(بالنسبة لاتهام الزوج لزوجته).وإن أمر حد الرجم المزعوم المناهض لكتاب الله يكمن دليل نقضه فيما يلي:.

*دلائل نقض حد الرّجم من القرءان

أولا:. فيما قاله تعالى وبيّنه من مهمة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى(بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل:٤٤).

قال تعالى (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (النحل:٦٤)

وليعلم الناس أن مهمة التبيين هذه بوحي وإرادة من الله فإن الله تعالى قال(........انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (المائدة:٧٥).
وقد قال تعالى هذه الآية الأخيرة عن سيدنا عيسى عليه السلام فهل كان لسيدنا عيسى مهمة تكميلية لشريعة الله كما زعموا لخاتم الأنبياء هذه المهمة؟.

ثانيا:. أما ما جاء به حد الرجم المزعوم من مناقضة صريحة لكتاب الله فهو يكمن في قوله تعالى:.

(وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النساء:٢٥)

إن الله تعالى يقرر على الإماء المحصنات نصف العقوبة المقررة على الحرائر من المحصنات اللائي يأتين بجريمة الزنا ، فإذا افترضنا أن حد الرجم حتى الموت هو العقوبة المقررة للمحصنات من الحرائر كما يقول أهل الرّجم .... فما هو حد النصف المقرر بمقتضى الآية السابقة؟؟؟ حتى نستطيع تنفيذ كلام الله على الأمة المحصنة الزانية.
هل يقتل المحصنات من الإماء نصف قتلة ؟؟وكيف تكون؟؟ ؛ إنه للهروب من هذا الفخ فإنك ستجد علماء علم التبرير يقولون أن هذه الآية منسوخة وبهذا يخرجون من فخ تفسيرها ويبقى حالهم في وجود حد الرجم- وهو الأمر الذي تم شرحه في وجود أو عدم وجود ناسخ ومنسوخ في القرءان . ولكن إذا ما كانت كما سيدّعون منسوخة فهل يتم العفو عن زنا الإماء المحصنات ؟؟أليس في هذا إفساد للمجتمع بأسره فضلا عن تعطيل حد مقرر بمقتضى القرءان ؟؟؟.

لكن عودة مرة أخرى إلى الآية نجدها تقرر أن **على المحصنات من الحرائر عذاب والعذاب غير القتل** كما بيّن بذلك كتاب الله حيث قال سيدنا سليمان حين تغيّب الهدهد (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) (النمل:٢١) فدل سياق الآية على أنّ الذّبح غير العذاب وإلا لما كان هناك داعي أن يبين الخيارات الثلاث لما سيفعله سليمان عليه السلام بالهدهد (عذاب شديد أو ذبح أو سلطان مبين) والقرءان الكريم وحده متماسكة لا تناقض بين أحرفها ولا كلماتها بل كلّها متعاضدة.

ثانيا:. وبتطبيق ذلك على آية سورة النساء نجد أن على الزانيات المحصنات من الحرائر عذاب هو حد الجلد المقرر بنص آية سورة النور كما أن الله أسماه في هذه السورة بأنه عذاب(**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**) (النور:٢).
ويقول تعالى في أن هذه العقوبة عذاب (**وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ**) (النور:٨) .
وفى عجالة في الرد على القائلين بالناسخ والمنسوخ نردّ عليهم بأن الله تعالى قرر أن هذه السورة (سورة النور) هي من السور ذات الأحكام المفروضة حيث قال تعالى(سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النور: ١) وما كان الله ليذكرها إنها مفروضة ثم ينسخها في الخفاء .
وعودة إلى أمر عقوبة الزوانى من المحصنات والمحصنين في أن عليهم عذابا ،وأن العذاب غير الذبح أي غير الموت ،وأن هذا العذاب هو مائة جلدة، وأن المحصنات من الإماء عليهن خمسين جلدة، وهو نصف الحد المقرر للزوانى من المحصنين الأحرار، فهذا ما يستقيم به المعنى بلا انحراف، أو إنشاء علوم من أجل خاطر من لم يدرك معاني القرءان

***أمّا فيما يخصّ واقعة الرّجم المزعومة فقد تعرّض الشيخ محمد أبو زهرة فى ندوة التشريع الإسلامي التي انعقدت بالبيضاء بليبيا فى١٩٧٢/٥/٦ إلى أن أحاديث الرجم أحاديث آحاد وأنها مشكوك فيها ووافقه على ذلك الأستاذ مصطفى الزرقا وفضيلة الشيخ على الخفيف والشيخ عبد الوهاب خلاّف.**

وليعلم المسلم أنه ما من آية قرءانية قيل أنها منسوخة إلا وفى كتب التفاسير عن ثقات العلماء الآخرين من المفسرين الأقدمين أنها غير منسوخة، مما يعنى أن القول بالنسخ ظهر بلا ضابط بعد وفاة رسول الله بسنوات عديدة.

وإنه من العار على المسلم أن يكون إسلامه مكوّن من بعض كلمات من هنا ومن هناك يكوّن بها عقيدته ويترك نفسه نهبا للثراء الشيطاني وهو يتصوّر أنه يتحدث ويعتقد باسم الإسلام حتى وإن كانت مرجعيته كتب الصحاح، فليس ما فيها تشريع ولا كل ما فيها صحيح وحتى ولو قال به من ذاع صيته.

وأن القائلين بدليل الرّجم من علماء فن التبرير قالوا فيما برروه على أن دليل الرّجم كان في الأصل قرءانا ثم نسخت تلاوته وبقى حكمه فهؤلاء وكأنّهم يقولون بأنّ هناك قرءانا في العلن وقرءانا في الخفاء ، بينما يعيبون على بعض الشيعة الذين قالوا بمصحف علّى أو لربّما قالوا فاطمة، والمصحف المزعوم الذي سيأتي به المهدي...وهكذا ففي الوقت الذي يعيبون فيه على الشيعة فإنهم يقولون بمثل قولهم ولا يستحون.

وإنّ الرّجم من تشريعات التّوراة التي نسخها الله وخفف الحكم على الزّناة في القرءان الكريم ، ففي الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التّثنية خمس حالات شرع عندهم الرّجم فيها لا داعي لذكرها ولمن يريد التّعرّف عليها فليرجع إلى مصادرهم المذكورة.

* دلائل بطلان حد الرّجم من كتب الصحاح

وإنه من أدلة بطلان حدّ الرّجم من السنّة ما رواه النسائي وابن ماجه أن سعد بن عباده ذكر لرسول الله رويجلا ضعيفا في أبياتهم زنا بامرأة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اضربوه حدّه) فقال سعد إنه اضعف من ذلك يا رسول الله فقال (خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة واحدة). وليلاحظ القارئ إن الذي زنا رجل وليس فتى من الفتيان ،وأن المزني بها امرأة وليست فتاة بما يعنى إن الأمر تم مع الإحصان.كما لا يمكن الاحتجاج بان ذلك كان قبل ان يقول رسول الله بالرجم لان هذا مردود عليه بان الأصل التشريعي في التوراة كان هو الرجم وكان القرءان مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل فكان أن خفف الله الحكم فجعله جلدا بدلا من الرجم وليس العكس.

ويلاحظ أن الأصل في الحد تفريق الضربات لكن الرفق الذي كان عليه رسول الله جعله يفتى بذلك الحل لرجل ضعيف حتى لا يموت، فدل ذلك على انعدام ثبوت حد الرجم المزعوم ،وان الحد هو الجلد مائة جلدة كما جاء بالقرءان الكريم وليس الرجم، فكيف بفقهاء الرجم الذين استبدلوا النصوص القرءانية بنصوص من هواهم في القتل والغلظة؟؟؟.

دلائل الخرافة في الرّجم من كتب الصحاح

إن من عجب العجاب فيما انتهت إليه كتب الصّحاح في مسألة الرجم وتأكيدها المبنى على الزيف حيث أضرب له مثلا بما ورد في صحيح البخاري بما جاء بالحديث رقم [٣٦٣٦] وله أرقام أخرى في طبعات أخرى، كتاب المناقب باب القسامة في الجاهلية؛ حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون قال (رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة قد زنت فرجموها فرجمتها معهم) فهل يستقبل عاقل مثل هذا الحديث ؟؟؟ وإنك إذا ما قرأت تبريراتهم وجدت العجب العجاب أيضا حيث برر البعض من فقهاء التبرير أن الزنا حدث يخص القردة الممسوخين من اليهود ورد عليهم المخالفين بأن الممسوخين لا نسل لهم بنص حديث لرسول الله، وقال البعض أن القردة هم من الجن الذين تحوروا في شكل قردة وقال آخرون لا يجوز أن يكونوا من الجن وقال ميمون راوي الحديث أنه رأى القردة وهى تترك يد زوجها وتزني مع قرد آخر فلما اشتمّ زوجها رائحتها صار يصرخ حتى اجتمعت قبيلة القردة ورجمتها ثم قام

الصحابي ميمون برجمها معهم لأنه شاهد على الزنا ...وهكذا تجدنا في لفائف من فكر عقيم أهبل ومطلوب منا الإيمان به وتصديقه.

ولست أدرى هل القردة مكلّفة حتى تقوم بعملية الرجم؟؟ وكيف يرجم إنسيا مع القرود دون أن يصيبه أذى من هياجها ؟؟؟ وهل نحن مأمورون بأن نشهد على القرود وأن ننفذ الحدود معهم ؟؟؟ وهل هذا الحديث هو السبب في شهرة القرود بأن أغلبها أسمه ميمون ؟؟؟أترك أمر الإجابة على تساؤلاتي للقارئ الذي يؤمن بكل حرف في البخاري دون وجل ويرجم أخاه المسلم الذي ينكر أمثال هذا الحديث .

الخلاصة

والحقيقة أن السنّة لم تكن أبدا تشريعا يضاهى تشريع الله ولم تكن بحال تحتاج لعلماء التبرير كي تتكىء على تبريراتهم كما بيّنا ، وإنه وإن ثبت أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نفّذ حدّ الرجم فسيكون ذلك قبل نزول آيات سورة النور، بل أن **<u>في صحيح البخاري ما يدل على عدم وجود حد الرجم حيث روى (حدثني إسحاق حدثنا خالد عن الشيباني، سألت عبد الله ابن أبى أوفى هل رجم رسول الله؟ قال نعم قلت قبل سورة النور أم بعدها قال لا أدرى)</u>** (كتاب الحدود باب رجم المحصن).

فهل يتصور آحاد الناس أن الصحابي لا يعلم عن توقيت الحدود؟؟وهل كان الرجم قبل أم بعد سورة النور ؟؟ وهل مع وجود كلمة لا ادري في حد من حدود الله من أحد مثل عبد الله بن أبى أوفى ،ومع وجود نص قرءانى محكم في سورة نزل أولها يأمر الله الناس فيها (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النور:١) . هل بعد ذلك نتبع الشك بدلا من اليقين ؟؟؟.

إن وجود الرّجم قبل سورة النور أمر مقبول لأن القرءان نزل مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل لكن وبناموس الله في تخفيف الشرائع ونسخ الرسالات لبعضها البعض فإن حكم القرءان يكون الأظهر في تنفيذ العقاب على الزناة.

وأين أصحاب فكرة الرجم مما يروى عن النبيّ(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) ؟؟أم أنهم تصوّروا ذلك واستعملوه في إشكالية نسيان وضوء أو نسيان ركعة ولكنهم يتجرءون في إهدار الدم بالرغم من الشك، وأين هم من حديث رسول الله الذي قال فيه بأن الحديث إذا ما تعارض مع كتاب الله فإن علينا بترك الحديث وتنفيذ كتاب الله وذلك لأنّ رسول الله لا يقول ما يتضاد مع القرءان أبدا؛ وليترفع المسلم عن أحاديث تحضّه على ترك القرءان مثل حديث (ألا إني أوتيت القرءان ومثله معه).

وعودة إلى حكم الرجم فلا شك أن المنهج الشرعي الذي يقوم عليه الرجم واه، وتنفيذه فيه شك، ولا يصح لآمر بالمعروف أو ناه عن المنكر أن يستحثّ الحاكم لتنفيذه، وكفانا ثقافة التقتيل والتخريب والخصام التي أوجعت عقولنا وأذهبت ريحنا بين الأمم المتحضرة، فإنه إن كان لأصحاب المذاهب أن يتّحدوا في شأن عقوبة الزاني المحصن فليتّحدوا على عدم الرّجم وعلى وجوب الجلد، وهنا اجتهاد الأمان أما غير ذلك فهلاك لا محالة وقلّة فقه وسوء أدب مع كتاب الله وإنكار المعلوم من الدين بالضرورة وإنكار للحقيقة القرءانية المحفوظة بحفظ الله لصالح ثقافة روائية بشريّة واجتهادات فقهية متضادة مع النّص القرءانى.

إن المعاندين وأهل الكفر لمّا لم يستطيعوا سبيلا إلى كتاب الله لأن الله تكفّل بحفظه، فإنهم قد وجدوا مسلكا من خلال فقهاء التأويل وفقهاء التبرير فابتدعوا الناسخ والمنسوخ في أيام خلت كان الناس فيها لا يهمهم إن وضعوا الحديث على رسول الله أم دسوا التأويل الفاسد على كتاب الله، وجاء الخلف ليعظموا أولئك السلف، لكن ليس كل السلف أهل صلاح فقد خرجت الفتنة الكبرى من إبط أهل سلف كان يشار إليهم بالبنان تعظيما وإجلالا لكنهم صنعوا فتنة لا تزال الأمة ترزح تحت نيرها ونيرانها.

ومما قد ذكر نخلص أيضا إلى أن الدعوة لوجود ناسخ ومنسوخ في القرءان هي دعوة للفسق باسم الدين ودعوة للاختلاف حول التفسير ودعوة لرفع درجة الحديث على درجة الآية ويتصوّر أصحاب هذه الدّعوة أنها باسم الدين وتعظيم الرسول وهى كلمة باطل أريد بها حق فانحرفت لتثبت أصلها الباطل.

(لم يسن رسول الله شرعا يسمح بقتل المرتد)

من بين ما ابتلى به الإسلام من تشريعات الروايات المنسوبة زورا و بهتانا للرّسول فيما قيل عن انـه شرع شرعا يبيح قتل المرتد عن دين الإسلام وذلك على خلاف كتاب الله الذى يبيح لـه التوبـة والذي يتركه إذا لـم يتوب حتى يقضى أجلـه الذى أجّلـه الله لـه فيحاسبه عمّا قدّمت يداه.

أسانيد أهل الرواية رغم أنف الآية فى قتل المرتد

نسب أصحاب كتب الصحاح من طرق متعددة ليس بينها طريق واحد إلا وفيه مدلّس أو كذّاب ومع هذا فقد وضع الحديث التالي بألفاظ متعددة فى جميع كتب الصحاح ونذكر منها رواية البخارى حديث رقم ٦٣٧٠ (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا بإحدى ثلاث:-النفس بالنفس والثيب الزان والمارق من الدين التارك للجماعة).

*وقد رواة البخارى أيضا فى حديثه رقم(٦٤١١) ذات المعنى**(من بدّل دينه فاقتلوه).**

وقد روى الإمام مسلم فى صحيحه الأحاديث أرقام(٣١٧٥، ٣١٧٦) بذات المعنى.

*وقد روى الإمام الترمذي فى صحيحه الأحاديث أرقام(١٣٢٢، ١٣٧٨) بذات المعنى.

*وقد روى الإمام النسائي فى صحيحه الأحاديث أرقام(٣٩٥١، ٣٩٥٢، ٤٦٤٢، ٣٩٩٧، ٣٩٩٦، ٣٩٩٥، ٣٩٩٤، ٣٩٩٣، ٣٩٩١) بذات المعنى.

*وقد روى الإمام أبو داود فى صحيحه الأحاديث أرقام(٣٧٨٧، ٣٧٨٨).

و كذلك الإمام احمد بن حنبل فقد عدد فى صحيحه الأحاديث أرقام(١٧٧٥، ٢٤٢٠، ٢٨١٣، ٢٨١٣، ٣٤٣٨، ٣٨٥٩، ٤٠٢٤، ٤١٩٧، ٢٣١٦٩، ٢٤٣٠١، ٢٤٦١١).

وغيرهم أيضا تبارى وتفانى فى نقل ما زعم انه صحيح عن هذا الأمر.

النصوص الإلهية الدالة على عدم قتل المرتد وعدم إجبار الناس أو إرهابهم للبقاء فى الإسلام

١. يقول تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (يونس:٩٩)

٢. ويقول تعالى:(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ....الآية) (الكهف:٢٩)

٣. ويقول تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ *وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ)الايه٧٣-٧٧التوبة.

٤. يقول تعالى فى سورة آل عمران:(كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ{٨٦} أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ{٨٧} خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ{٨٨} إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ{٨٩} إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ{٩٠} إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ{٩١} .

٥. ويقول تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً) (النساء:١٣٧).

* فالآية بالمسلسل رقم٤ هى نصّ صريح فى كيفية التعامل مع المرتد وهو أن يترك عسى أن يتوب ويصلح ما أفسده ولا تكون التوبة بالقهر على التوبة التى ماهى إلاّ محاكمة تتم باسم ما يسمّونه استتابة ، والآية بهذا تكون صريحة فى عدم وجود قتل للمرتد اللهم إلا إذا بادرنا أهل النسخ فيقولون بأن التوبة من الردّة منسوخة وفق منهاجهم الدموي ، كما وأن الآيه٨٧ تحدد العقوبة للمرتد وذلك من قوله تعالى (أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) فاللعنة هى الجزاء فى الدنيا والآخرة طالما بقى الارتداد ورغم اللعنات فإنّ الآية تفتح باب التوبة وتغلق معها باب اللعنة حيث يقول تعالى(إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ولم يحدد الله موعدا محددا للتوبة لكنه قرن المغفرة بتوقيت توبة العبد.

* وانظر رحمك الله للآية بالمسلسل رقم٥ إنها تقرر أيضا انه لا عقوبة على المرتد، ودليل ذلك أنه ترك ليؤمن ثم ترك ليكفر ثم ترك ليؤمن مرة أخرى ثم ترك ليكفر مرة أخرى، فلو كان عليه قتل فلا يترك ليدخل ويخرج المرة بعد المرة، والله جعل الإيمان والكفر عقيدة فى حرية و ليست أغلالا تمسكه بها الناس.

*وتأمّل قوله تعالى فى الآية بالمسلسل ٢ (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)هل هي تساوى في نظر المعتلّين (من شاء فليؤمن لمرة واحدة ولا يكفر بعدها)؟؟؟.

فالمسلم الواعي يجد من النصوص السابقة انه لا إكراه في دخول الدين الاسلامى ولا إكراه على البقاء فيه، وان الله قد شرع التوبة للمرتد بل ووفرها أيضا وبسخاء للمنافق، ولكن أهل الرواية رغم أنف الآية يجعلون فرصة المرتد في التّوبة مقرونة بموته فإما أن

يتوب أو يقتل، لذلك فهم فضلا عن إنكارهم للحقيقة القرءانية عمدا ،فإنهم يساعدون بهذا الفقه فى انتشار فئة داخل صفوف المسلمين، وهى فئة المرغمين على البقاء فى الدين خوفا من القتل، فيكون ضرر وجودهم في الصف الإسلامي أكبر من تركهم وكفرهم الذى أرادوه.

ورسول الله الذى لا ينطق عن الهوى والذي أوتى الحكمة، والحكمة هي الرشاد، فليس من الحكمة ولا من التطبيق الواعي للقرءان القنوط من رحمة الله والحكم بعدم إمكان توبة المرتد بينما نتشدّق بأنّ رحمة الله تدرك الفارين من دين الله إلى ما قبل الغرغرة، ولا تكون الحكمة أيضا في إلحاق العار بالأبرياء من عائلة المرتد ،لتولد فكر داخل المجتمع من أنه لن يضمن ولاؤهم لأحد طالما أن والدهم لم يكن مواليا لربّه ولا لرسول الله ، ولا يقاس على ذلك قطع يد السارق فى تأثير قطع يده على عائلته وسمعتها لأن أمن الجماعة المسلمة على مالها ومتاعها فى ألاّ تنهب أو تسرق أولى بالرعاية والحماية من أمن الفرد وحمايته فى سلامة جسده ؛ أما فى حالة الارتداد عن الدين فإن أمن الامّة يقتضى عدم انتهاج منهج قتل المرتد حتى لا يكون المرتدّ شوكة من داخل الامّة فى بطن الأمّة وظهرها ، فضلا عن أن السارق الذى قطعت يده لا ينتفي عنه الإسلام وهو الركيزة الرئيسية المعتبرة لجموع الناس، لأنّ السرقة واقعة عرضية تتم خلسة من خلف ظهر الأمّة الإسلامية فى الوقت الذى يظهر فيه السارق نفسه على أنه أمين ، بينما الردّة واقعة مستديمة وعلنية فى مواجهة الأمّة، كما وأنّ قطع اليد عندى ليس بترا كما يراه البعض إنما هو قطع للحم ولو أراد الله البتر لصرّح به أنه بتر.

كما وإن قياس حروب الرّدة على حد الردّة فيه إجحاف بالامّة وذلك لأنّ حروب الردة كانت لإرتداد قبائل بأسرها ويخشى من الارتداد الجماعي على محق دين الإسلام وعلى دار الإسلام فضلا عن تجهيز المرتدّين للسلاح لقتال المسلمين، فالعصيان الجماعي يشكّل خطرا سياسيا واقتصاديا وعسكريا وإجتماعيا على دار الإسلام، وذلك هو سبب ودافع للحرب لدى خليفة رسول الله ، وليس الأمر أمر دفاع عن عقيدة بقوّة السلاح، وإنّ من قاموا بتسميتها (حروب الردة) هم المسئولين عن تلك التسمية البغيضة، لكن الفرد المرتد له شأن ضعيف ومخالف فالجماعة المرتدّة تقوى شوكتها بفعل دعم أعضائها بعضهم لبعض أمّا الفرد المرتد فسيكون غريبا فى دار الإسلام، كما وأن فى عمل الجماعة المرتدة خروج على الحاكم ونظام الحكم بما يعنى الحرابة ضد دار الإسلام، والأمر ليس كذلك بشأن الفرد المرتد.

ولابد لمن يمارس أمرا من أمور الإسلام أن يفرّق بين حكم الفرد وبين حكم الجماعة فيما يخص تطبيق الحدود، فحيث يكون تطبيق حد التعزير مناسبا لمن اعتدى على مسلم، فإن حد القتل هو الواجب إذا ما اعتدت جماعة مسلمة على ديار الإسلام ولم تنصاع إلى صوت المصالحة الذى يجب أن يسبق قتالها.

إن رسول الله كان منهاجه وهواه تبعا لما جاء به القرءان وليس مخالفا له، ومنهاجه دوما الإصلاح للأمة وليس الإفساد من حيث يظن الإصلاح كما يفعل البعض، بما يجعل هذه الرواية مخالفة للدين الذى جاء به الرسول كما نصّ عليه القرءان الكريم الذى أنزل عليه، وحاشاه أن يقول أو يفعل ماهو مخالف لما جاء به أو ما يؤدّى إلى فساد الأمة.

كما وأن إفتاء الأئمة الأربعة بشأن عقوبة المرتد ليس بحجّة على كتاب الله الذي جعل له توبة وكفل له حرية العقيدة؛ كما وأن تصرفات بعينها قد تصدر من الفرد لا تعطينا الحق أبدا للحكم عليه بالارتداد.

هذا فضلا عن أن المنهج العملي لرسول الله الذى سطّره عمليا في صلح الحديبية. بعد قيام دولة الإسلام بالمدينة المنورة . كان يبيح للناس ترك دين الإسلام دون عقوبة، في الوقت الذي كانت فيه القلوب غضّه فى ريعان الإيمان ويخشى عليها الفتنة من أي فرد يرتد، فعلى ذلك وبالقياس الصحيح فى حال وجود أمّة إسلامية فإن السنّة العملية تحتّم علينا ألا يقتل الفرد المرتد حتى لا يكون البقاء فى الإسلام إرهابا من حد القتل المزعوم ودعوة لممارسة النفاق خوفا من سيف الإسلام، وإنه لو حذت الشرائع التي قبلنا (اليهودية والنصرانية) حذونا ما وجدنا مسيحيا يدخل في دين الإسلام..... فهل هذا

لأنهم يطبّقون دينهم السمح فى عدم قتل المرتد عن النصرانية!!! وكيف نعيب عليهم إجبارهم من يسلم منهم . بواسطة الضغط الاجتماعي . العودة إلى النصرانية أو اليهودية ؟؟؟ ولابد لأهل الإسلام من مراجعة دقيقة لحكم المرتد ومراجعة دقيقة أكثر في الحكم على من لم يصرّح علنا بالارتداد رغما عن ظاهر ما يبدو من أعماله التي تبدو لنا ارتدادا، وألا نقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأن نعلم أن الحق قبل أن يكون تنفيذا لحكم شرعي فإن له مقتضيات بحثية للوصول إلى تأكيد للتأثيم، وأن يكون ذلك على يد دارسين لأدلة الإثبات الشرعية من الكتاب والسنة، فإن من خرج من الدين يكون قد خرج من ولاية أحكام الاسلام فلا ينفّذ فيه حكم باسم الإسلام.

السلبيات التى حاقت بالامّة من منهج رواية (من بدل دينه فاقتلوه)

لقد استحلّ الأفراد والجماعات دم الأبرياء خارج إطار تنظيم الدولة، وباسم الإسلام المزعوم عقدت المحاكمات فى رؤوس أصحاب الروايات ومدمني مخالفة كتاب الله باسم السنّة لكل من تصرّف تصرفا لا يكون على هوى تلك الجماعات المسمّاة بالإسلامية، فسالت دماء المسلمين انهارا بعلّة الردة وتبديل الدين ،وذلك بمباركة أدعياء السنة النبوية الذين يظنون انهم علماء السنّة فى هذه الأمة ولا علماء سواهم، ولقد اتخذ الأزهر موقفه من هذا الحديث (سيأتي مباشرة في هذا المبحث) لما جرّه على الأمّة من وبال بعد أن تفرغ مبتدعو السنّة فى تنصيب أنفسهم قضاة وجلّادين، ولقد بذل المفكّرون الكثير فى جمع المادة التطبيقية لهذا الخطب الجلل وسوف نوردها فيما يلي:.

نماذج من أعمال القتل التي تمّت بهذه الروايات!

وعلى سبيل المثال نذكر بعض الأحداث التي وقعت بمصر فى نصف قرن (بداية من ١٩٤٥م)، (وانتهاءا بنهاية عام ١٩٩٦م)واليك نماذج من هذه الأحداث الدامية التى تمت بفتوى برواية (من بدل دينه فاقتلوه).

(١)– تم قتل (١١٨ مواطنا) منهم(٩٦ مجندا) من شباب الأمن المركزي وخمسة من الشرطة أثناء تأديتهم مهام وظيفتهم والباقي (١٧ فردا) من الاهالى كانوا فى طريقهم إلى المسجد لتأدية صلاة عيد الأضحى بمحافظة أسيوط فى صباح أول أيام العيد يوم ٨ أكتوبر ١٩٨١م والذي قام بهذا العمل بعض الجماعات الإسلامية معتمدين على (فتوى برواية من بدل دينه فاقتلوه).!؟. وهم ابعد الناس عن إسلام الآية لأنهم من أتباع دين الرواية المخالف لكتاب الله.!!؟

(٢)– وقتل الرئيس السادات فى يوم ٦/١٠ / ١٩٨١م تمّ بفتوى برواية:(من بدل دينه فاقتلوه) .!؟

(٣)– و المحاولة الفاشلة لقتل الرئيس محمد حسنى مبارك فى أديس أبابا عام ١٩٩٦م كانت بفتوى برواية:(من بدل دينه فاقتلوه) ولكن الله سلّم.

(٤)– وأبشع جرائم العصر قتل الدكتور محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف الأسبق.. بفتوى برواية: (من بدل دينه فاقتلوه).!!!؟.

(٥)– و قتل الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب، على كورنيش النيل أمام فندق سميراميس ..بفتوى برواية:(من بدل دينه فاقتلوه).!!!؟.

***وكذلك المحاولات الفاشلة لقتل كل من:

(٦)– اللواء حسن أبو باشا وزير الداخلية الأسبق... تجاوز الله عن سيئاته وأدخله مدخل المغفور لهم !!!؟.

(٧)– والدكتور عاطف صدقي رئيس الوزراء الأسبق رئيس المجالس القومية المتخصصة السابق..

(٨)– ومحمد صفوت الشريف وزير الإعلام السابق ورئيس مجلس الشورى الآن.

(٩)- والنبوي اسماعيل وزير الداخلية الأسبق!!!؟.

(١٠)- والكاتب الصحفي مكرم محمد احمد رئيس مجلس إدارة دار الهلال!!!!؟.

(١١)- واللواء حسن الالفى وزير الداخلية الأسبق.!!؟. كل ذلك تم بفتوى برواية:(من بدل دينه فاقتلوه) كل ذلك كان تحت لواء رواية من بدل دينه فاقتلوه.

(١٢)- ومحاولة قتل الكاتب العالمي الكبير نجيب محفوظ، (ذبحا) على كورنيش النيل بالعجوزة يوم الجمعة ١٤/١٠/ ١٩٩٤م =٩ من جمادى الأولى ١٤١٥هجرى، كان بفتوى برواية:(من بدل دينه فاقتلوه)!!!!؟.

(١٣)- وقتل الكاتب و المفكر فرج فودة، أمام مكتبة بمدينة نصر.. بفتوى برواية: (من بدل دينه فاقتلوه)!!؟.

(١٤)- وقتل القاضي احمد الخازندار، أمام منزلة بحلوان فى٢٢/٣/ ١٩٤٨م بفتوى برواية: (من بدل دينه فاقتلوه).

(١٥)- وخططوا لنسف كباري القناطر الخيرية عام ١٩٦٥م لإغراق نصف قرى مصر ومدن الدلتا ـ وجميع هذه الخطط تتم..بفتوى برواية: (من بدل دينه فاقتلوه.)).؟! والإسلام منها بريء ولا علاقة لها بدين الله..؟!.((راجع ملف القضية رقم (١٢) أمن دولة عليا لسنة ١٩٦٥م)).؟!.

(١٦)- ونسف منزل مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر الأسبق ورئيس حزب الوفد، بجاردن سيتى فى ٢٥/٤/١٩٤٨م بفتوى برواية(من بدل دينه فاقتلوه.) ولكن الله كتب له السلامة والنجاة.!؟..

(١٧)- وقتل سليم زكى حكمدار القاهرة فى ٤/١٢/١٩٤٨م. تمّ بفتوى برواية:(من بدل دينه فاقتلوه.)).؟!.

(١٨)- وقتل أحد شباب حزب مصر الفتاة فى قرية كوم النور فى مارس ١٩٤٨م. وهتف القتلة بعد قتله: الله أكبر ولله الحمد بفتوى برواية:(من بدل دينه فاقتلوه.)).؟!.

(١٩)- وقتل النقراشى باشا رئيس وزراء مصر فى ٢٨/١٢/١٩٤٨م. (بفتوى بذات الرواية).

(٢٠)- ونسفت دار وكالة حكومة السودان بشارع توفيق بوسط القاهرة فى يوليو ١٩٤٨م.

(٢١)- ومحاولة قتل /جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية بالإسكندرية فى ١٠/٢٦ عام ١٩٥٤م. كانت (بفتوى برواية:(من بدل دينه فاقتلوه.)).!؟.

***وهناك ثلاث محاولات أخرى لقتل/ جمال عبد الناصر:**

(٢٢)- <u>الأولى</u>: قام بها أحد عناصر شرطة رئاسة الجمهورية واسمه اسماعيل الفيومي، وكانت سوف تتم فى مطار القاهرة عند عودة الرئيس من موسكو، ولكن يقظة رجال أمن الدولة حالت دون التنفيذ وتم القبض عليه متلبسا" ومعه السلاح قبل وصول الرئيس بنصف ساعة !!!؟.

(٢٣)- <u>والثانية</u>: هى محاولة تفجير القطار الذى يقل عبد الناصر من القاهرة إلى الإسكندرية بواسطة شحنات يتم تفجيرها من بعد باستخدام أجهزة اللاسلكي من على بعد أكثر من كيلو متر، ولكن يقظة رجال الأمن حالت دون التنفيذ وضبطت المتفجرات والجناة قبل قيامهم بتنفيذ العمل الإجرامي.!!!؟.

(٢٤)- <u>والثالثة</u>: هى محاولة اغتيال عبد الناصر أثناء مرور ركبه من استراحة المعمورة إلى قصر رأس التين للاحتفال بذكرى خروج الملك يوم ٢٦ يوليو..بفتوى برواية:(من بدل دينه فاقتلوه.)).!؟.

(٢٥)- قتل الوزير أمين عثمان فى يناير ١٩٤٦ ـ وحدث ذلك...بفتوى برواية: (من بدل دينه فاقتلوه.)).!؟.

(٢٦)- وفى يناير ١٩٤٩م نسفت محكمة بباب الخلق لإحراق المستندات التي ضبطت في إحدى جرائم الفكر الديني المؤثّم، كل ذلك الإرهاب تم فى عام ١٩٤٨م ونفذها مسلمين. بفتوى برواية: (من بدل دينه فاقتلوه).

(٢٧)- قتل أحمد باشا ماهر فى ٢٤/٢/١٩٤٥م ......بفتوى برواية: (من بدل دينه فاقتلوه.)).!؟.

(٢٨)- وقتل ضيوف السياحة فى مجزرة الأقصر، ومجزرة شارع الهرم أمام فندق أوربا. ومذبحة ميدان التحرير.!!؟. للمصريين والأجانب كانت......بفتوى برواية: (من بدل دينه فاقتلوه.).

(٢٩)- تم قتل (٤٩٤) فى حوادث الإرهاب وذلك خلال السنوات: ١٩٩٣، ١٩٩٤، ١٩٩٥، ١٩٩٦، فقط !!!!؟. وبيانها كالاتى:

عدد (٢٨٩) من الشرطة، عدد (١٧٨) مواطنا"، عدد(٢٧) من السائحين من جنسيات مختلفة.

تم قتلهم فى حوادث الإرهاب، وذلك خلال السنوات: من ١٩٩٣ حتى ١٩٩٦، فقط !!!؟.

وإليك بيان عدد المصابين فى تلك الحوادث الإرهابية فى السنوات الأربع المذكورة:

- عدد (٢٦٠) مائتان وستين مصابا" من رجال الشرطة.
- عدد(٣٠٢) ثلاثمائة واثنين من المواطنين.
- عدد(٦٥) خمسة وستين من ضيوف السياحة على مصر من جنسيات مختلفة.

وفى خلال تلك السنوات الأربع فقط تم ضبط :

- عدد(٣٩٤٥٠) فقط تسع وثلاثون ألفا وأربعمائة قطعة سلاح!!!؟. منها (٤٨٩) مدفعا.
- عدد(٨٦٨٣) ثمانية آلاف وستمائة وثلاثة وثمانين كيلو جراما من مادة أل : (tnt) شديدة الانفجار .
- عدد(٣٨٣) ثلاثمائة ثلاث وثمانين قنبلة يدوية.
- عدد(١٥٩٩) الف وخمسمائة وتسع وتسعون مفجر قنابل.
- عدد(١٩٨٥٢٥٣) مليون وتسعمائة وثمانين الفا ومائتين وثلاثة وخمسين كيلوجراما من البارود.!!!؟.

كل هذا تم ضبطه في أربع سنوات فقط: ١٩٩٣، ١٩٩٤، ١٩٩٥، ١٩٩٦، فقط... !!!؟. لدى جماعات مثقفة ثقافة هابطه وتدّعى السنّة والعمل باسم الإسلام والإسلام منها بريء.!!!؟.

كل ذلك كان فى مصر فقط ولكن حدّث ولا حرج عن الأحداث الدموية اليومية بالعراق الشقيق تحت ما يسمى جماعة أنصار السنة وغيرها، وما يعتبرونه خيانة واستحلالهم لدماء مسلمي العراق، كذلك عمليات الذّبح اليومية بالجزائر على يد جماعة الإنقاذ الإسلامي (ولست أدرى أهناك إسلام يبيح كل هذه الدماء ؟؟؟) وغيرهم من الدول الكثير والكثير باسم الإسلام وباسم دين الرواية .

<u>موقف مجمع البحوث الإسلامية من وقف العمل بروايات قتل المرتد:</u>

فى يوم ٢٠٠١/٩/٤ بمبنى مشيخة الأزهر انعقد مؤتمر للجنة العقيدة والفلسفة بمجمع البحوث الإسلامية حيث قرر بعده عدم قتل المرتد وإنما يستتاب ويترك أمر استتابته وتحديد زمانها لولى الأمر يقدّرها بحسب ما يراه، وقد صدر هذا القرار بالدورة رقم ٣٨ متناغما" مع كتاب الله ورافضا" وشاجبا" عصمة وتقديس كتب الأقدمين حتى وإن خالفت كتاب الله.

ولكن ما يؤذيني أن مثل هذه القرارات والفتاوى فضلا عن كونها تأتى متأخرة (وبعد خراب مالطة وجيرانها) إلا أنها أيضا لا تحظى بطنين إعلامي يدرك الضّالين والفارين من عدالة كتاب الله إلى خراب من صنع وأقوال بشر ينسبون قولهم للنبي محمد صلّى الله عليه وسلّم و يناهضون به كتاب الله ... وإنا لله وإنا إليه راجعون.....

من جماع ما سبق يتبين أن من يدّعى أن تارك الإسلام يقتل فهو منكر للحقيقة القرءانية التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، ينكرها لحساب مرويّات ظنيّة الثبوت مخالفة لحكم القرءان بل ومخالفة لنهج رسول الله الذى قرر بإنكار أي حديث مخالف لكتاب الله...... المرجع(وزارة الداخلية ـ بحث للأستاذ عبد الفتاح عساكر)

إنّ الدمويين الذين ينتسبون لأهل الإسلام شرّعوا أيضا رجم الزناة حتّى الموت ،فتراهم ينكرون القرءان وهم مؤمنون بتنفيذ حديث مدرج في صحيح البخاري الذى يفضّلونه على كتاب الله، وقد قال فيه الصّحابي بن أبى أوفى (راوي الحديث)حينما سؤل هل رجم رسول الله قبل سورة النور أم بعدها فقال(لا أدرى)، فهل يتم إراقة الدماء للبشر تحت راية لا أدرى ؟؟ وهل يعتقد المسلم ويتناحر مع المخالفين له من أجل كلمة لا أدرى ذكرت في البخاري؟؟؟

كما وأن ترك الأمر لجماعات ليست مؤهلة على أعمال القضاء في استنباط الأدلة والقرائن...ومدى تساند القرائن...وهل يمكن لقرينة أن تهدم دليلا؟؟ ...وهل يكفّر الإنسان وهو لم يعلن إلا الإسلام؟؟ ...وهل يمكن لتصّرف صدر من أحد الناس على خلاف تعاليم الإسلام(كأن يصدر رجل بمقتضى عمله كقاض أمر اعتقال لأحد أو يحكم على شخص ما بالإعدام) أن يخلع عنه الإيمان ؟؟ كل ما سبق من عناصر وغيرها هم على غير دراية به وفقراء علميا فيه ومع ذلك يقتلون النفس التى حرّم الله إلا بالحق، ثم تلبس مفهومهم فأرداهم فقتلوا الأجانب في دار الإسلام رغم أن للأجانب حكم المستجير الذي توجب له الحماية بنص كتاب الله (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ) (التوبة:٦) . فهل ثبت لهذه الجماعات المسمّاة بالإسلامية أن دعوة محمد صلّى الله عليه وسلّم قد وصلت إلى هذه الدول وهل قامت هذه الجماعات بواجب الدعوة قبل سفك الدماء البشرية.

والحق الذي يعنيه الله فى القتل بالحق بقوله{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً }الفرقان٦٨ ـ هو المذكور فى كتابه تفصيلا وليس من بينها تأويلاتهم العرجاء وفقههم المعوج؛ إن هذه السلوكيات تمثل الإفساد فى الأرض باسم الإصلاح، ورغم كلّ ذلك نجد جماعات تنفّذ أحكاما بالإعدام على من يحافظون على أمن البلاد وما ذلك إلا من فقههم الذى نشر الرعب والإرهاب باسم الإسلام ثم هم يحكمون على هذا بأنه بدّل دينه أو ذاك أنه رجل صالح من أجل كتاب قرأوه أو فكر اتخذوه فذلك من الزندقة باسم الإسلام.

ولقد ناقشت أحد أئمة القتل باسم الإسلام بشأن جواز أو عدم جواز قتل الأجنبى غير المسلم الوافد إلى بلادنا لأي غرض سواء أكان سائحا أم تاجرا أم غير ذلك، وكان من رأى إمام القتل أنه لابد من قتل ذلك الأمريكي متأوّلا في ذلك قوله تعالى {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }البقرة١٩٤

فهكذا وبمنتهى السطحية ينفّذون القتل، وبمنتهى قصر النظر يعملون فكرهم القاصر في تأويل آيات كتاب الله؛ ولكني حاججته ونبهته أن كلمة من اعتدى تعنى الفرد المعتدى ـ أيّ فرد ـ ولكن القرءان جعل لهذا الاعتداء مواجهة جماعية على مستوى الدولة كافة بنظامها القانوني أو قرارها العسكري، ولم يكن هدف التشريع أن يكون الرد ردّا فرديا ،ولا أن تكون الجماعة التى ترد الاعتداء تشكيل قبلى من إحدى الجماعات قلّ عدد أفرادها أم كثر طالما أنهم لا يملكون زمام الحكم في الدّولة فليس الشأن شأنهم، لكن عليهم نصح الحاكم عن طريق القنوات الشرعية والإدارية....فهل تدرون بماذا رد الشيخ وهو إمام لأحد المساجد بالقاهرة قال:ـ (مش مهم المهم أننا نجتهد)، ولست أدرى هل يكون الاجتهاد في قتل النفس بلا تقوى ؟؟ وعلى الفور بادرته بأن الآية تحثنا في نهايتها بتقوى الله أي بتحسس الطريق لرضاه سبحانه وتعالى وليس بالتجرؤ في الاجتهاد مهما كانت النتائج وخيمة وفيها إهدار للدم.

إنّ الله عز وجل أمرنا بالجهاد ـ نعم أمرنا بالجهاد ـ ولكن أمرنا بإعداد العدّة لهذا الجهاد حتّى لا يكون جهادا أخرق ، بل أنه بيّن الصورة التى يجب أن يتّسم بها الإعداد للجهاد فقال أنه المستوى من التسليح والاتحاد الذى يصل إلى درجة إرهاب أعداء الله، لكن ماذا يفيد شابا نسف نفسه فقتل خمسة يهود فقام جيش الاحتلال بقتل خمسمائة من المسلمين وهدم مئات المنازل وقبض على أهل الشهيد وذويه ؟؟؟ إن التطبيق الواعي لكتاب الله يجب أن يكون موضوعيا فلا يمكن لعاقل أن يطبّق آية (وجاهدوا فى الله حق جهاده)٧٨ الحج ولا يطبّق معها آية (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) (الأنفال:٦٠) .

فإن تطبيقه للآية الأولى وحدها دون تطبيق الآية الثانية معها هو خرق في التطبيق القرءانى ،وعدم تدبّر للآيات وأسأل الله أن يغفر

لهؤلاء الشباب والشابات الذين تم إضلالهم بفكر قاصر ؛ ألم يرى هؤلاء كيف يكون الجهاد بإعداد العدّة كما فعل حزب الله في لبنان؟؟؟ إن هذا الحزب تسانده عدّة دول (لبنان - إيران - سوريا) فضلا عن دول أخرى قد لا نعلمها وهو منظّم تنظيما دقيقا، ولذلك فقد خرج اليهود من لبنان بفضل الاتحاد والإعداد وهكذا يكون الجهاد، ولم يكن الجهاد قرارات يتخذّها أصحاب المذاهب كلّ وفق هواه ثم يقوم بتنفيذ الحكم بنفسه خارج إطار الدّولة فهذا هو عين الإفك. ولا يقولن قائل أن حزب الله يعتبر تنظيم خارج إطار الدولة اللبنانية فإن هذه مغالطة إذ أن الحكومة اللبنانية فوضت الحزب في الجهاد والمقاومة بل وترك الجيش اللبنانى جنوب لبنان لرجال حزب الله .

ألم تعتبر تلك الشراذم المسمّاة بالإسلامية من كافة التصرّفات الخرقاء التى تمت خارج إطار الدولة الأم ومصير المنحرفين فيها ؟.

ألم تكن المافيا الإيطالية أكثر عددا وعدّة من جماعات البطش باسم الإسلام ؟؟ وأين هم من دراسة حركات التمرّد فى شيكاغو وكولومبيا وأسبانيا وإنجلترا وغيرهم من الدول وما كان من مصير هذه الحركات التمردية أيا كان هدفها.

والخلاصة التى يجب أن ترعاها العقول المسلمة أن رسول الله كان صاحب دعوة عقائدية حضارية تخاطب الفكر ولم يكن أبدا زعيم عصابة تقتل باسم الله وتبطش باسم الإسلام.

حدود الله في كتابه الكريم هل هى (عقوبة أم شريعة)؟؟

١- ان من ضمن الفتن التى رزقنا بها على يد أدعياء السنّة الغلاظ تفسيرهم لبعض الكلمات والآيات تفسيرا خاصا يغيّر مدلولها ومعناها مثل معنى كلمة نسخ ومعنى كلمة حدود وكلمة أميّ وغيرهم. ولقد صار فكرهم هو الفكر السائد نتيجة التدين الوراثى الذى يمارسه عموم المسلمين .

وإليك نسوق البيان بشأن معنى كلمة حدود أو الحدّ - ذلك أن أصحاب دين الرواية رغم أنف الآية ومن واكبهم ممن اتخذوا دينهم من سماع هذا أو ذاك دون تثبت فارتووا بغلظة أهل الزيف ممن ينسبون منهاجهم قهرا ورغما عن رسول الله الذي كان خلقه القرءان.

٢- إن حدود الله هى كلمة وردت فى كتاب الله بمعنى شريعة الله وأوامر الله حيث يقول تعالى:-

أ - (الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة:٢٢٩) .

ب - (........وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً) (الطلاق:١)

ج - ويقول تعالى (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) (النساء:١٤)

د - ويقول تعالى (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة:٩٧) .

فهكذا جميع الآيات التي وردت فيها كلمة حدود إنما وردت بمعنى شريعة الله أو أوامر الله.

٣- ولكن على الوجه المقابل – الوجه العابس- الغليظ تجد عندهم معنى آخر لكلمة حدود الله فهي تعنى عندهم العقوبة وليست الشريعة لأن عندهم رواية فهموها كما يفهمون بغلظتهم كل شيء وهى (حد يقام فى الأرض خيرا من ان تمطروا أربعين). ولست أدرى لماذا فهموا كلمة حد على أنها عقوبة ولم تفهم عندهم على أنها أمر الله وشريعته ولكنها حقيقة قلوبهم القاسية.

كيف يكون هؤلاء على سنّة من أرسله الله رحمة للعالمين ،إنهم على سنة من سنّوا لهم هذه الفظاظة و تلك الغلظة ، الذين حرفوا لهم الكلم من بعد مواضعه، والله تعالى يقول: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) (البقرة:١٥٩) .
...ويقول تعالى: (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ) (لأعراف:٣) .
و غيرهما من الآيات، والحقيقة ان ثقافة العنف تجدها فى أصحاب هذه العقائد المنحرفة عن كتاب الله وهم يرفعون لها عنوانا محببا وهو السنّة؛ فالصوفي يكلّمك انه على السنّة والسني يكلّمك على انه على السنّة والسلفي والشيعي كلهم على السنّة، بينما صاحب السنّة شاهد علينا جميعا يوم القيامة أننا لم نبحث عن صحيح سنّته وانحرفنا بها، وتركنا كتاب الله وراء ظهورنا واستبدلناه بنصوص بشريه ظنا منا إننا نحب رسول الله وزين لنا البعض واستحسن لنا هذا المنهج الهابط.. الم يسمع هؤلاء كتاب الله يتلى عليهم فى قوله تعالى(وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقرءان مَهْجُوراً*وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً) (الفرقان:٣٠&٣١).

إن السنّة شيء عظيم ولابد من اتباعه لكن ليست هناك سنّة تضارب وتزاحم الله وكتابه وتلغى بعضا من آياته بل وتترصد آياته لتبتدع أحكاما غير أحكامه ويراعى فيها الغلظة والعنف بكل صنوفه من قتل وحرق ومنع للحضارة أن تمتد وقتل للعمران باسم السنّة – وها أنت قد عاصرت حركة طالبان فى أفغانستان وما فعلته فى البلاد من تخلّف، فبينما منعت الموسيقى والغناء تراها ،وقد توسعت في زراعة الأفيون حتى صارت البلاد اكبر مصّدر أفيون في العالم قبل كولومبيا وكان من نتاج ذلك أن من جاء بعدهم أفسد الأمّة الأفغانية وتوسع أكثر في زراعة المخدّرات بأنواعها وأباح الإثم بأنواعه.

وها هم مجاهدوا العراق باسم السنّة يقتلون من أهل العراق أضعاف أضعاف ما يصيبون من جنود أمريكا باسم الجهاد والسنّة، ويستحلون دماء مسلمي العراق لاعتبارات ونصوص فى أدمغة شيوخهم حتى صارت البلاد فى حالة ذعر باسم السنة......وفى الجزائر....والمغرب.... وغيرهما حتّى عمّ الخراب وركد الفقه الصحيح.

وهاهم فحاحيل السنّة فى السعودية ينشرون متفجراتهم لتصيب السعودي والاجنبى بلا تمييز باسم السنة والتوحيد والسلفية ورفض البدع .

ان التسلط على الناس وترويع الآمنين باسم السنّة فضلا عن جنوحه عن السوية وتطرفه فانه تزوير فى دين الله، فما كان رسول الله صاحب متفجرات يبعثرها هنا وهناك ولا كان يرسل أصحابه كفريق اغتيالات باسم جبهة الإنقاذ الاسلامى كما فى الجزائر ولم نسمع عن صحابي انتحر وسط جمهره من كفّار مكة وهو ممسك بسيفه بينهم ليقتلهم.ولم يكن الإسلام ليبيح قتل النساء والأطفال والمحاربين وغير المحاربين بلا تمييز بواسطة القنابل المندسّة هنا وهناك باسم السنّة والجهاد.

إن هؤلاء جميعا يجب ان يفيقوا من غفوة سالت فيها أودية من دماء المسلمين باسم السنّة وتحت راية شيوخهم الجهلاء وأسلافهم المبتدعين.

كما وأن مقتل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب والحسن والحسين رضي الله عنهم وكذا قتل خلفاء المسلمين على مر العصور لم يكن بمؤامرة أمريكية أو صهيونية ،إنما هي ثقافة العنف والتقتيل والخراب باسم دين الله بينما الله ورسوله ودينه

أبرياء من إفك هؤلاء القتلة، كما وأنّ ضعف الفقه السياسي بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم جمع أهل الإسلام على ذلك الخراب.

إن جميع الخروق الفكرية تنبع من تمسّك البعض بدلالات محددة للألفاظ دون غيرها أو من مرويات تتصادم مع كتاب الله أو فقه يختزل كتاب الله لصالح مرويّات يطلقون عليها السنة ،وما أرى إلاّ التوبة علاجا لهؤلاء المنتمين لهذه الأفكار.

من صور الاعتداء على أسماء الله وصفاته بدعوى الإسراء والمعراج

إن المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلّم حين أفرطوا في عواطفهم بلا ضابط بدعوى حبّ رسول الله، خرجوا من فنون الحبّ إلى جنون الاعتداء على الشريعة بما لا يرضى الله ورسوله ، تماما كما فعل النصارى في نبيهم حتى صار إلها عند المتأخرين منهم ، والأمثلة على خروج محبي رسول الله عن النص الشرعي بدعوى الحب كثيرة : منها محاولتهم هيمنة السنّة على القرءان بابتداع أحكام وأحاديث تتصادم مع أحكام القرءان وآياته ، والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها واقعة الإسراء والمعراج، فقد اتّخذت طائفة المحبين بلا عقل من هذه الواقعة صورة لنسج خيالاتهم والتركيز على ما يريدون وإهمال ما لا يريدون ؛ فقد صوّروا الإسراء وكأنه تسريه أو مكافأة أو جبر خاطر من الله لنبيه محمد في إثر ما لاقاه من عنت أهل الطائف ، فهم بذلك نزلوا بعظمة رسول الله دون أن يدرون، ثم تصوّروه يحتاج لرحلة كي يريح فيها أعصابه ، فهم بذلك تصوّروا بعقولهم أن الفكر البشرى والهمّة البشرية لرسول الله كفكرهم البشرى ،وتصوّروا تطلعاته كتطلعاتهم وأن ما يريح أعصابه من جنس ما يريح أعصابهم ويبعث الدفء في نفوسهم.

إن احتراف قلب لبّ الأمور وأهدافها هو عين من عيون البدعة، وإن واقعة الإسراء كانت أحد البراهين الحسّية على عظمة وقدرة الله وقد أجراها على جسد نبيه ، تماما كما حوّل هو سبحانه العصا في يد موسى عليه السلام إلى حية رقطاء تثير الذعر، ولم تكن واقعة الإسراء تسرية عن نفس رسول الله من عنت أهل الطائف كما يحب أهل الروايات والأساطير أن ينسبوها في أساطيرهم، وإلا فإن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام الذي قذف به في النار ولم يؤمن بدعوته أحد من قومه إلا اثنين فقط(سارة ولوط عليهما السلام) يكون هو أيضا أحق برحلات الترفيه،ولكن لم يفطن هؤلاء إلى أن رحلة الإسراء فيها هدف التثبيت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقد ثبّت الله رسوله فى أكثر من موضع حيث يقول تعالى فى سورة الاسراء (وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً{٧٣} وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً{٧٤} إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً{٧٥}.

إن للأنبياء شأنا غير شأن باقي العباد فقد تم صنعهم على عين الله ومراده ليصلحوا للمهمة التي أرسلوا من أجلها ، إن حقيقة حزن رسول الله يكون حين يفتر الوحي عن التنزيل عليه ، فتلمس العلاقة الحميمة بين الله ورسوله حين يقول تعالى في قرءان يتلى إلى يوم الدين (وَالضُّحَى{١} وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى{٢} مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى{٣})الضحى . فالنبي ليس في حاجة للتسرية عنه بسبب إعراض قومه عنه وإن كان يلتحف بالحزن من كفرهم وكان هذا حاله في كل الفترة التي قضاها في مكّة سواء أكانت قبل الإسراء أم بعده، فلم يكن الإسراء مانعا له من الحزن بعده حين كفر به قومه بعدها، وحاش لله أن يسرّى عن نفس رسوله من الحزن ثم يظلّ حزينا ،وليتأمّل المسلم حال الحزن عند رسول الله في الفترة التي قضاها في مكة من خلال كتاب الله فيما يلي:

*يقول تعالى:.(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ{٣٣}الأنعام.مكيّة.

*يقول تعالى:.(اصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ{١٢٧} النحل.........مكيّة.

*يقول تعالى:.(فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً{٦} الكهف....مكية.

*يقول تعالى:.(...... فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ{٨} فاطر.....مكية.

*يقول تعالى:.(وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ{٢٣}لقمان.مكية.

*يقول تعالى:.(فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ{٧٦} يس.........................مكية.

فلعل في السرد السابق ما ينهى أقصوصة أن الإسراء كان للتسرية عن النبي لأن الآيات تبين أن الفترة المكية كلها حزن على رسول الله لإعراض قومه عن دعوته حتى أمره الله بالهجرة . فكان الحزن قبل الإسراء وبعد الإسراء ولم يدخل السرور قلب رسول الله أبدا في مكّة ،ولم يكن هناك مصطلح (عام الحزن) كما يقول القصّاصون، لأن كل الفترة التي كانت فيها الدعوة في مكة كانت أعوام حزن لأن الدعوة كانت أهم ما يشغل الرسول.

*وترى أهل القصص الروائي وقد أخذوا يعظّمون رسول الله بكونه يصلى إماما والأنبياء الذين ماتوا من قبله مأمومين ،ونسوا أن الإسراء لم يكن رؤيا ولكنه حقيقة (وإن كان بعضهم قال أنه رؤيا مناميه ووجد من يصدّقه، ولست أدرى كيف يكون الإسراء معجزة بينما البعض يتصوّره مناما)– وحاش لله أن يختلط الأموات بردائهم وأجسامهم بالأحياء في أرض الواقع الدنيوي الحاضر، فلم يذهب أحد إلى الموت ليرجع ويؤدّى واجبات مفروضة على الأحياء وهى الصّلاة – وهم حينما قرروا بقصة صلاة النبي إماما بالأنبياء الأموات (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (الزمر:٣٠) ، إنما أرادوا بالقصة إثبات هيمنة رسول الله على من سبقه من الرسل والأنبياء ،ولو أنهم تدبّروا كتاب الله ما كانوا في حاجة إلى هذه الرواية، حيث يقول تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (آل عمران:٨١) .ألم يكتف أولئك المحبين والمعظّمين لرسول الله بلا ضابط بآيات كتاب الله تثبت المكانة العظمى لرسول الله؟؟؟ إن أصحاب الترويج للرواية ولو على حساب طمس الآية نجحوا تماما بقصّتهم هذه في طمس الحقيقة القرءانيه الواردة في سورة آل عمران ،واستبدلوها بما حفظته الألسن من قصة الصلاة بالأنبياء إماما وذلك رغم عدم وجوب صلاة مفروضة على الأنبياء السابقين لوفاتهم ،ولعدم جود صلاة مفروضة أصلا في توقيت الليل الذي تم فيه الإسراء، ولعدم وجوب صلاة جماعة في نافلة ،ولعدم إمكان اختلاط الأحياء بالأموات، وذلك لسبب هام هو قوله تعالى (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ *لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (المؤمنون: ٩٩&١٠٠) .

وأين أصحاب هذه القصّة من قول الله عز وجل أن بين الأحياء وبين الأموات برزخا إلى يوم القيامة؟؟ فلو أن رواة القصة أو أصحاب الحديث كانوا قد تدبّروا كتاب الله كما أمر، لكانوا انتهوا عما يقصّونه وينسبونه لرسول الله.

ثم هم لم يقفوا عند هذا الحد بل جعلوا رسول الله يقابل الأموات من الأنبياء بل ويقابل الصالحين والفاسدين في المعراج ليرى مصيرهم، وجعلوها قصة جميلة يتشدّقون بها على أنها حديث لرسول الله ويتأثّرون بها أكثر من تأثّرهم بكتاب الله في ذات الشأن.

ألم ينزّل الله قرءانا يؤكد فيه على سوء مآل الفاسقين وحسن حال الصالحين ؟؟أم أن الأمر يحتاج إلى قصّة تأثيرية تعلو وتسمو في ذكرها عن آيات الله؟؟ ، ثم هم يجمعون ذلك كله في بوتقة تعظيم رسول الله، وكأن عظمة رسول الله وقيمته العليا عند الله والناس كانت تحتاج إلى مثل هذه التخريجات أو تلك الاستنتاجات!!!.ولم ينتبه بعض الدّعاة من أصحاب القصص ولم يدرون بأن الواقعة المدّعاة بشأن إمامة رسول الله للأنبياء في الصلاة لم ترد في صحيحي البخاري ولا مسلم كذا لم ترد في مسند أحمد ولا أظنّها فاتت هؤلاء الأفذاذ بل أرى أن الأمر عرض عليهم حتما فلم يجيزوه، وعلى ذلك خلت صحاحهم منه، لكن لابد أن نذكر أن الأمر له أصل وهو دلائل البيهقى والنسائى رحمهما الله ، لكن هل يصح من المسلم أن يتتبّع الشاذ والغريب والمخالف لكتاب الله طالما أن الأمر يعجبه أو يثير فيه عاطفة الانبهار والاندهاش ولو على حساب المقومات العقلية لديه؟؟؟.

ولعل في مسند الإمام أحمد وهو من كتب الصحاح ما يفي بالرد على مزاعم الصلاة إماما بالأنبياء وذلك فيما رواه بالأحاديث أرقام٢٢٢٥٣ &٢٢١٩٧&٢٢١٩٧ من أن أبا حذيفة قال لزر بن حبيش(والله ما صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم ليلتئذ لو صلّى فيه لكتب عليكم صلاة فيه كما كتب عليكم صلاة في البيت العتيق).بل لقد علّق أبو حذيفة على الواقعة التي يقولون فيها بربط الرسول للبراق في الحلقة التي كان يربط بها الأنبياء دوابهم فقال (أو كان يخاف أن تذهب وقد أتاه الله بها؟؟؟) .وأظن أن في هذا الكفاية لمن أراد عقلا لمخّه أما من أراد أن يطيش به الفكر فسيجد الكثير وكلها في كتب الصحاح (المعقول واللامعقول).

ثم هم لم ينتبهوا أنهم حين أفرطوا بلا وعى في تعظيم شأن رسول الله بالقصص المشوقة أنهم قد ابتعدوا عن مراد الله عن واقعة الإسراء ومراده في ذكره لهذه الواقعة في القرءان ، فإن الله لم يذكر الواقعة في القرءان ليعلى شأن رسول الله كما ذهب هؤلاء إنما ذكر هذه الواقعة لإعلاء شأن الله في نفوس أشركت بالله أصناما تدّعى أنها تقربها إلى الله، وتثبيتا للنبي الأعظم.
ولقد كانت واقعة الإسراء لإثبات قدرة الله على ما يشرك به من أحجار أو أشخاص أو آلهة ،ثم امتنانه على عبده الصالح محمد نبينا ورسولنا الأمين بالإسراء به والعودة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إثباتا لهذا التنزيه الإلهي والاصطفاء البشرى.

وألا ترى معي عزيزي القارئ أن الله قد استهل هذه السورة بقوله تعالى (سبحان الذي.......) ،ومعنى سبحان أي تنزّه وتعالى ، تنزّه عن الإشراك به وعن كل النقائص ،وتعالى على المخلوقات والكائنات ، فالأمر أمر تعظيم للرب وليس لرسول الله ، إنما رسول الله كان أداة بشرية لتأكيد هذا التعظيم والتنزيه والقدرة والمقدرة لكل من أسلم قياده لله حتى يصير عبدا حقيقيا لله ، وليس عبد ساعة أو سويعات أو عبد لحظات أو فترات. أمّا الفائدة التي للنبي فهي فائدة تثبيته على الحق المبين الذي عايشه في الإسراء.

مراجعة نبى الله موسى لله عن طريق نبينا

ومن العجيب أنك ترى هؤلاء المحبّين يسهبون فيما تصوّروه من مراجعة موسى لله عن طريق رسول الله ،وعلّة المراجعة عندهم أن موسى قد خبر الناس وعلم ما يطيقون ومالا يطيقون من جراء نبوته في بني إسرائيل،وكأن الله لا يعلم من خلق بينما موسى عليه السلام يعلم الخلق ، وتراهم يمرّرون هذه القصه بيننا ونحن نرددها وكأننا لم نعلم ولم نقرأ أن الله تعالى قال: (مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (قّ:٢٩) أو كأننا لا نعلم قوله تعالى{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }الملك١٤.

لابد أن نبتعد بعقيدتنا عن تصوّر المراجعة التي يقولون أن رسول الله قام بها وراجع ربه حين فرض عليه وعلى أمّته خمسين صلاة في اليوم والليلة في أول الأمر، ثم وبوصاية من موسى عليه السلام وبالرغم من وجود خليل الرحمن إبراهيم في السماء السابعة والذي التزم الصمت، يتراجع الله فيما افترضه على الأمّة؛ فأي أقصوصة هذه؟؟؟ ولا يسعنا إلا أن نذكر قول الله عز وجل{وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ..... }الأنعام٩١، إن هذه الأقصوصة تنبع من شرائع اليهود الذين قالوا بأن الله يلعب مع الحوت ملك الأسماك وأنه يستريح وإلى غير ذلك من خبالاتهم. ومره أخرى نكرر قول المولى عز وجل(مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (قّ:٢٩).

فالله لا يتراجع في قراراته وهو أعلم بعبيده ولا يظلمهم وليس في انتظار موسى عليه السلام حتى يصحّح الأوضاع ويكون حكيم السماء بدلا من الله ،وما أرى ذلك إلا إنه يصبّ في بوتقة اليهود أتباع موسى حتى نكون نحن أضحوكة أو ألعوبة في أياديهم الكريمة، فصلاتنا التي نصلّيها وعددها كانت بناء على اقتراحات موسى عليه السلام ، وترى في جانب آخر من رواياتهم الخيالية والمخالفة لكتاب الله وللواقع أن نبينا جائع فينقذه يهودي يعطيه المال مقابل رهن درعه عنده ويتوفى الله رسوله ودرعه مازالت مرهونة عند يهودي.... وهكذا.

ألا يستحى هؤلاء من الله ،ألا يرى هؤلاء أن مسألة وصاية نبي الله موسى بالذات أمر يرمى مرامي ذات أبعاد يهودية؟؟؟وهل الصلاة فقط هي التي يؤجر فيها العبد الحسنة بعشر أمثالها حتى يقال بعد المفاصلة مع الله أنه جعلها الله خمسا في العمل وخمسين في الأجر؟؟؟ فأين أصحاب مذهب الخمس في العمل والخمسين في الأجر من قوله تعالى (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) (الأنعام:١٦٠) إن أي حسنة من أي عمل أو قول يفعلها العبد أو يقولها تكتب له بعشر حسنات وليست الصلاة فقط.

و أين هم إذا ما كانوا يتصوّرون عظم أجر الصلاة من قوله تعالى بشأن الصدقة أن لها سبعمائة حسنة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ؟ . إننا لابد أن نقف موقف الجد والاجتهاد من بعض معتقداتنا حتى يكون لله الدين الخالص.

وعودة مرة أخرى للمحبين بلا عقل مع ترك القرءان إلى غيره وتعظيم هذا الغير بدعوى أنه السنّة وأنه الحديث النبوي الذي لا يقف أمامه حائل ، فتراهم يقولون أنه لعظمة فريضة الصلاة فإن الله فرضها على المسلمين بلا واسطة من جبريل ، وهم بذلك يقعون مرة أخرى في خطأ فادح ألا وهو الغلو في فريضة حتّى يطمسوا فريضة أخرى أكبر أهم وأسبق منها وهى فريضة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله.

إن أصحاب الحب بلا عقل تصوروا أن فريضة لا إله إلا الله محمد رسول الله فريضة قوليه من قالها فقد أدّاها ،وهم بذلك أصحاب خطأ في الصميم ،إذ أن الفريضة هي في شهادة ذلك وليس في قولة تقال باللسان ، فهي شهادة عين وشهادة حق وحقيقة تستشري في أوصال من شهد ألا إله إلا الله محمد رسول الله .

أما الصلاة . التى يقولون فيها أنها عماد الدين . فهى فريضة على كل من معه لا إله إلا الله يريد أن يتحصّن بها ويقوّى الرباط بينه وبين الله بإتيان الفريضة التي افترضها الله ،وأسماها الصلاة لتكون الصلة بين العبد وربه، ولتكون الصلة بين العبد في الأرض ورفعته في السماء ،ولكن لابد أن يكون العبد من أصحاب العلم بشهادة ألا إله إلا الله، فبدونها لا تقبل صلاة، وهى ليست قولة تقال ولا شهادة عددية بأن الله واحد، ولكنها شهادة حق وحقيقة ولها مقتضيات وتبعات لابد للمسلم أن يعلمها (**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) (محمد:١٩) .

فعلى ذلك فإن عماد الدين هو شهادة ألا إله إلا الله محمد رسول الله شهادة عملية بالحق لمسلم حق

** **والخلاصة** أن الإسراء تعظيم لله وتثبيت لرسول الله ،والإسراء بيان في أن الصلاة هي الوسيلة للرباط مع الله وليست وسيلة لتبيان عظمة الصلاة، وعلى المسلم ألا يفرّط في كتاب الله على حساب روايات جاءته من هنا أو من هناك ، فإن البخاري رحمه الله

لم يخط في كتابه أبدا إلا بما يتفق مع القرءان وإن كان حرر في صحيحه مالا يتفق مع القرءان فله أجر الاجتهاد وفقا لما أعطاه الله من مقدرة في عصره ،لكن ما بال من تعرض عليه الحقائق فينكرها تفضيلا منه للبخاري على سائر الباحثين؟؟؟ بل أحيانا تجد من يقدّم نصوص صحيح البخاري على كتاب الله وتلك مصيبة أخرى.

وليت الأمر عبارة في قصّة أو قصّة فى عبارة، لكن أعلم حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه (إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهبط بها فى النار سبعين خريفا)، فالقصة السابقة من الكلمات التي توجب سخط الله وذلك لأنها تخالف صفات الله وحقائقه وتناهض آياته المحكمات، فبينما لا يكلّف الله تعالى نفسا إلا وسعها نجد أن نبي الله موسى (على حد زعمهم) يقول فى الأقصوصة انه خبر الناس وعلم ما يطيقون مما لا يطيقون.
وهل من يعلم الخلق ولا يكلّف نفسا إلا وسعها؟؟؟ ومن لا يتبدّل القول لديه؟؟؟ نجده بعدها يوافق على مراجعة النبي له بناء على اقتراح نبي الله موسى أو بزعم أنه يعلم ما يطيقه الناس وما لا يطيقونه ؟؟؟ونجد مراجعة لله بناء على اقتراح ممن هو من دون الله حتى وإن كان نبيا، إن خير ما يقال عن ذلك ({مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ }الحج٧٤.
كما لابد للمسلم أن يعتقد أن شهادة ألاّ إله إلا الله محمد رسول الله فى واقعها العملى هى عماد الدين وليست الصلاة .

<u>القرءان يكذب حدوث عروج أو صعود بالنبى إلى السماء</u>

لقد حمل لنا نبض الحقيقة القرءانية نبأ انعدام وجود عروج بالنبى إلى السماء، لقد كذّب القرءان هذه الأقصوصة قبل أن تلوكها ألسنة القصّاصين وأصحاب الخبالات. وإن الذين يستحبّون مخالفة كتاب الله، والذين يستحبون الخروج عن الأهداف القرءانية لينشدوا ضالتهم فى معجزة مادية مزعومة ليعالجوا بها هوى النفوس المريضة إنما يتصادمون مع الواقع القرءانى الذى يقرر حقيقة أن القرءان هو المعجزة الحقيقية وهو الضّالة المنشودة لمن أرادوا رشادا حيث يقول تعالى:. (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقرءان لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً{٨٨} وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقرءان مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً{٨٩}) والآيات التى سطّرها الكتاب المقدّس يحمل فى أحشائه من الآيات ٩٠-٩٤ من سورة الإسراء ما يؤكّد عدم العروج بالنبى إلى السماء وبالتالى سقوط التصوير المسرحى الذى اعتاده الناس ويستحبون سماعه حيث يقول تعالى (وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً{٩٠} أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً{٩١} أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً{٩٢} أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً{٩٣} وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَّسُولاً{٩٤}).

فالذى يتدبر الآيات السابقات من كتاب الله سيجد حتما رفض الله للتحدّى المادى الذى أراده الكفّار كشرط للإيمان برسول الله، بل لقد أمر الله بالتوجه إلى المعجزة الخالدة وهى القرءان الكريم ليقيموا فيه وبه محفل التّدبر الذى استهدفه الله من تنزيل الكتاب {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }ص٢٩.

فلقد أراد الكفّار من رسول الله إحدى المعجزات التى جاء بها الأنبياء السّابقين بل حددوا مطالبهم التى ذكرها القرءان ، وهى المطالب التى رفضت جميعها من الله وهذه المطالب هى:.

١. أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا .
٢. أن يكون له جنّة من نخيل وعنب ويفجّر بهاالأنهار .
٣. أن يطبق السماء على الأرض.

٤. أن يأتى بالله والملائكة قبيلا.

٥. أن يكون له بيت من زخرف.

٦. أن يرقى فى السماء شريطة أن يحضر لهم كتابا .(أوترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه).

ولقد تم رفض جميع هذه المطالب بقوله تعالى {........ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً }الإسراء٩٣، لقد أراد الله إبراز وتأكيد بشرية النبى وإعتبار الخوارق المادية التى يطلبها الكفار كشرط لإيمانهم إنما هى أقزام أمام المد والبيان القرءانى لمن أراد وعيا وفكرا وإيمانا من الذين يتدبرون القرءان.

إن الذين يتقوّلون بعروج رسول الله إلى السماء لم يصلوا بقصتهم الشيقة عن العروج إلى إرضاء وإرواء ظمأ النفوس الكافرة ، إذ ليس الأمر أمر ذهاب وإياب من الأرض إلى السماء والعودة ، بل لقد استهدف أهل الكفر للتحقق من هذا الصعود أن ينزّل لهم الرسول كتابا من السماء ليقرؤوا فيه ، وبالتالى فإن من يقصّون علينا واقعة المعراج لم يخاطبوا بقصتهم يقين اهل الكفر وذلك لقصور القصة عن مراد أهل الكفر فى الحصول على كتاب من السماء ({...وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ .... }الإسراء٩٣ وذلك لعدم رجوع النبى من السماء بكتاب !!!.

كما لم يخاطبوا بقصتهم العقول المؤمنة لأن القلوب المؤمنه تعلم أن القرءان هو معجزة التّحدى ،ويعلمون أن من يأبى أو يركن إلى غيره فقد ضلّ سواء السبيل.

بل إن التدبر هدف من الأهداف الإيمانيه لأهل الإسلام ولكن هيهات وقد تطاولت عليهم العصور فى انعدام الاهتمام بأداء فريضة التّدبر بل والركون والدّعة إلى بعض الأهازيج التى روّجوا لها وإن تصادمت مع أقدس مقدّس لديهم.
إننا نرى بضرورة مراجعة تراثنا الثقافى لينضبط مع كتاب الله وأن نتخلّى عن التبريرات والتأويلات ولىّ عنق الأمور ليبقى الحال على ماهو عليه، فلا يمكن أن نمسخ ديننا بكتب تراث تتصادم مع أصح كتاب ،ولا يمكن للكتاب الثّانى الذى يقدّسونه بلا ضابط (صحيح البخارى) أن يمسخ كتاب الله المقدّس.

وإن أصحاب قصّة المعراج روّجوا لبضاعتهم بتأويلات فاسده لبعض آيات كتاب الله من سورة النجم وذلك بالآيات من ٥-١٨ حيث يقول تعالى:. (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى{٥} ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى{٦} وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى{٧} ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى{٨} فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى{٩} فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى{١٠} مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى{١١} أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى{١٢} وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى{١٣} عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى{١٤} عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى{١٥} إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى{١٦} مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى{١٧} لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى{١٨}).

فهم يتصوّرون بتأويلاتهم أن رسول الله قد رأى الله عند سدرة المنتهى أو بعد سدرة المنتهى وهو عين التخبط فى العقيدة إذ أن حقيقة التأويل أن الله قد أعطى رسوله قدرة النظر إلى حبريل عليه السلام فى صورته الحقيقية مرتين، مرّة فى الأفق الأعلى ومرة أخرى عند سدرة المنتهى.

إن الترويج لقصّة رؤية النبى لله بزعم تأويل آية (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) كان لابد أن يتاح لها قدرا من التّدبر قبل نشرها بلا ضابط ، إن الآيه تقرر أن النبى رأى ما رأى مرتين (مرة أولى ومرة أخرى) فإذا كان أهل الرواية يصوّرون أن النبى قد رأى الله فلابد أنه قد رآه مرتين ولابد أن يقصّوا علينا المرتين(الأولى والأخرى) لكن أعلم تماما أن أمتى فقدت العقل قبل أن ترسب فى ذيل الأمم.

وعودة مرة أخرى إلى مسألة التخبط فى العقيدة والتى يمارسها من يؤمنون بعروج النبى إلى السماء، إن سبب تخبطهم فى العقيدة يرجع إلى تصورهم الإحاطه البصريه من رسول الله لله بما يعنى أن الله له بدايه ونهايه وأنه سبحانه وتعالى له جرم(جسم) يمكن رؤيته، كذا تصورهم وجود الله فى مكان بما يعنى أن المكان أكثر سعة من الله كذا تصور بعضهم أن سدرة المنتهى هى نهاية كون

الله ،وجميع ذلك من خرفهم وخرقهم.بل لقد قالت السيدة عائشة رضوان الله عليها (من زعم أن محمدا رأى ربّه فقد أعظم الفرية على الله).

لقد أخذ التصوّر المادى منا كل مأخذ حتى أصبحنا لا نركن ولا نتكئ فى إيماننا إلا إلى تلك الخرافات المادية بل وتركنا فريضة التّدبر وهبطنا إلى الدّعة الفكرية،وأصبحنا أسرى القصص الروائى وتركنا القصص القرءانى . بل لم ننتبه إلى أن الله قال فى كتابه {..... مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ }الأنعام٣٨ وقال تعالى :. {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقرءان وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }يوسف٣ وقال تعالى :. (.........وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً }الإسراء١٢ .

فلو كانت واقعة المعراج المزعوم حقيقة ما تركها القرءان نهبا لتأويلات المتأولين ولا لقصص القاصّين فلا شك أنها إن كانت حدثت فإنها أفضل فى الأهمية من قصّة زواج النبى من زينب بنت جحش أو تحريمه العسل على نفسه أو اتخاذه أسرى فى بداية الدّعوة ، وجميعها وغيرها قد تم ذكرهم فى كتاب الله ؛ بما يعنى أنها إن كانت حدثت ما تركها القرءان بغير تدوين .

لذلك فلا بد لنا ألاّ نقع فى تلك الأغلال التى يريد منا أهل الميراث بلا ضابط أن نكبّل عقولنا بها،ولننتبه إلى قول ربنا عزّ وجلّ{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }العنكبوت٥١ . ولنتدارك تراثنا الثقافى بضبطه مع كتاب الله وترك ما عدا ذلك مما رواه بعض الرّواة عبر عصر التّدوين الذى كان لا يجد كثير من الناس فيه غضاضة أن يلعنوا أو يسمعوا اللعن لأهل بيت رسول الله على المنابر والمآذن، وما أراهم إلا رجال قد خرجوا من أصلاب آباء لوّثت أياديهم بدماء الصّحابة الأجلاّء ،ثم نأتى نحن من بعدهم نردد كالببغاء فنرجم بلا عقل صفات العلى الأعلى بلا خشية أو علم صحيح.

إنّ الدين وشرائعه لا يتضادّ أبدا مع السنّة الصحيحة ،ولا يتضاد مع العقل لأننا أمّة العقل ويأمرها دينها بالتدبّر والتّعقّل،ولا تتضاد آيات الله مع سنّة رسول الله أو أحاديثه الصحيحة أو سيرته صلى الله عليه وسلم ، والقائلين بذلك القصص الممتع المنهك لفعالية كلمات كتاب الله وصفات الله فى العقول لا يدركون أبعاد ما بذروه من مناهضة لنصوص ومعاني كتاب الله ،ولا يدركون مدى تعطيلهم للآيات المحكمات لحساب قصصهم الذي لا أصل له ، ولا يقولن قائل أن هذا الأمر فى كتاب كذا أو قاله الشيخ فلان فإن رب الكتاب ورب الشيخ أصدق من كلام مؤلف الكتاب وقصة الشيخ طالما تناقضا مع كتاب الله ، واعلم أنك حيثما وجدت السنّة أو السيرة وجدت القرءان وحيثما وجدت القرءان وجدت السنّة والسيرة فهما صنوان متلازمان لا تعارض بينهما للعيان ، إلا ما شاء من شاء ممن يبررون كل شيء، ويقولون بألاّ وجه للتعارض ومن شاء فليؤمن ومن شاء فلا يؤمن..... حقا إنهم جعلوا الناس فى حيره من أمرهم.

زيف بدعة الطب النبوى

يحلو لبعض الذين يتصوّرون أنهم على السنّة الغلو والتطرف فى تصرفات بعينها ويعتبرونها من السنّة، فإذا كان تعريف السّنة كما جاء فى مراجعنا كما يلي:.

عند الفقهاء: ما يثاب على فعله ويعاتب على تركه ولا يعاقب .

عند الأصوليين: ما نقل عن رسول الله من قول أو فعل أو إقرار.

عند المحدّثين : هى الحديث والأثر والخبر عن رسول الله صلّ الله عليه وسلّم.

فإذا كانت السنّة هى أقوال وأفعال وتقريرات رسول الله كما قال بذلك من قال... فإنهم بتعريفهم المذكور قد أضرّوا بالنبي محمد أيما ضرر، إذ أن أقوال وأفعال وتقريرات رسول الله وما تركه أو واظب على فعله مع وجود الداعي والمقتضى كل ذلك كان لابد أن يضاف إليه عبارة هامة وهى **(مما يقرّب إلى الله)** ،كذلك فى تعريف المحدّثين كان لابد من إضافة تلك الإضافة، ذلك أن الرسول بشر وإن إطلاق كلمة سنّة على كل أفعاله وأقواله وتقريراته أو ما تركه تجرّ علينا الكثير مما لا تحتمله الرسالة، فمن ضمن رزايا هذا التعريف تجد أن أصحاب بدعة الطب النبوي تصوروا رسول الله طبيبا، واستخدموا ما قاله عليه الصلاة والسلام من أحاديث مروية في صحيح البخارى وغيره على أنها طبّا إسلاميا فأضافوا للدين ماليس منه، وإليك بعض الأحاديث الواردة في كتب الصحاح عن الطب الذى تصوّروه نبويا يشفى به المريض من العلل فيما يلي:

١- (إن كان فى شيء من أدويتكم- أو يكون فى شيء من أوديتكم . خير ففي شرطه محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن اكتوى).......أخرجه البخارى فى ٧٦ كتاب الطب، ٤ باب الدواء بالعسل

لاحظ أنه صلى الله عليه وسلّم قال (في شيء من أدويتكم أو أوديتكم) ولم يقل أنه دواء من عند الله أو من عنده

٢- عن ابن عباس قال (احتجم النبي وأعطى الحجّام أجره)أخرجه البخارى، ١٨باب خراج الحجام

٣- حديث بن عمر عن النبي (الحرّ من فيح جهنم فأبردوها بالماء) أخرجه البخارى فى ٥٩ كتاب بدء الخلق، ١٠باب صفة النار وأنها مخلوقة ٧٦ كتاب الطب، ٢٨ باب الحمى من فيح جهنم.

٤.........إن هذه الحبّة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام . قلت وما السام قال الموت)حديث رقم ٥٣٦٣

٥.(إن التلبينه تجمّ فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن) حديث رقم ٥٣٦٥

٦. (عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفيه) حديث رقم ٥٣٦٨

٧. (الكمأه من المن دماؤها شفاء للعين)حديث رقم ٥٣٨١

ولكن كل هذه النصوص وغيرها ورغم عدم طعننا عليها بثمة مطعن، إلا أننا نطعن فى الصّورة التأويلية البشرية التى انبثقت منها الحياة العملية لتكريس هذه الأحاديث على أنها نصوص واجبة التطبيق، أو تصوّر المتأولون لها بوجوب العمل بها وهم بذلك يرتدون في زهو عباءة الثّواب إن هم فعّلوها فى حياتهم، وهو عين الخطأ الذى يتم باسم السّنة.

إن الله قد أرسل رسوله بالهدى ودين الحق لسبب هام هو أن يظهره على الدين كله، فالمسألة مسألة دين وليست بحوثا ولا فحوصا طبية، وإن الذين يحبّون رسول الله بلا عقل ويندفعون فى اتجاه الحب بلا ضابط لابد أن يعلموا أن الحجامة كانت على عهد رسول الله وكانت قبل عهد رسول الله وبعد عهد رسول الله أيام كان العرب لا يعلمون للعلاج طريقا غيرها، فهي بهذا ليست سنة عن رسول الله ولكنها سنّة بدويه لأهل زمانها، ولكن حين أنزل الله العلم من خزائنه على من يشاء من عباده . وكانوا هم أهل الغرب لأننا غير أهل للعلم وغير جديرين به منذ تركنا الفكر والتّفكر يموت بالسكتة البحثية . فإننا فضلا عن تأخرنا فى البحث والدرس فإننا ارتمينا فى أهداب الماضى بلا ضابط، ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا ما وسعه إلا الذهاب إلى معامل التحاليل أو فحص الأشعة أو استخدام الجراحة بالمنظار أو التداوى بالكبسولات والعقاقير لأن تلك الأمور والمستحضرات علمها من عند الله وليست من عند جورج أو موريس، ورسول الله لم يبعث برسالة الانقطاع عن التقدّم العلمى وذلك لقوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً) (الإسراء:٨٥) وقوله(وقل ربّ زدنى علما).

فإن كلمة وما أوتيتم تعنى أن العلم من عند الله وليس من عند البشر ولكن الله يمنّ على من يشاء من عباده رويدا رويدا حيث يقول تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) (الحجر:٢١).

فخزائن العلم عند الله وينزل منها ما يشاء وعلى من يشاء رويدا رويدا، وإن أول الخليقة وهو آدم عليه السلام قد ميّزه الله بالعلم فعلّمه الأسماء كلها، وأوحى إلى رسوله فى أول وحى السماء إلى الأرض لنشر دين الإسلام فأمره (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ولكنا لا نحب العلم ونكره القراءة وبهذا جرى دوما بحثنا عن التخلف، ودائما نحن نرجع إلى الخلف وترانا نخطط دوما لنرى الوراء، فأصبح تخلّفا إراديا يجمع بين الكسل والجهل، ثم استخدمنا هراوات دينية ادّعى مستخدموها أنها السنّة، فكل ما يخطر على بال أكثر المحتكرين للدعوة بلا عقل يعتبره العامة سنّة فيجرى فكر المخبولين وينتشر فتتقعر المصيبة وتتسع تحت تهديد مباشر على الرافض بأنه يهدر السنّة أو ينكر السنّة، وما أظن رسول الله صلى الله عليه وسلم (الذى لم يوح إليه بشيء أسمه الحجامة ولكنها سنّة قومه وعشيرته من البدو والأعراب)، ما أظنه حين يعرض عليه الدواء فى كبسولات فإنه سيرفضه ويقول لا بل الحجامة وهل حين يتعاطى الدواء فى كبسولات سيكون هو الآخر رافضا للسنّة ؟؟

على المسلم أن يعلم أنه ليس معنى ورود حديث أخرجه البخارى يوصى فيه رسول الله بالحجامة أو التداوى بأبوال وألبان الإبل أن رسول الله لم يحدّث به أو بما معناه، لكن الأمر يعنى أنه عليه الصلاة والسلام كان يخاطب بذلك أهل زمانه ومن واقع بشريته صلى الله عليه وسلّم وليس من واقع النبوّة، وعلى ذلك فإن الأمر لا يؤخذ توقيفيا على كونه رسول أو أن الأمر موحى له به من السماء، كما أن الرسول لم يمنع الأخذ بغير الحجامة ولا يتوقف الشفاء على الحجامة أو العسل أو أبوال الإبل أو ألبانها أو الحبّة السوداء، كما أن الحجامة ليست وقفا علاجيا خاصا بالمسلمين، كما أنه لم يثبت فيها وحى، وليس كل ما يقوله رسول الله وحيا من السماء لأهل الأرض (راجع معنى آية وما ينطق عن الهوى الواردة بهذا الكتاب) وإلا ما هو الوحي حين يطلب رسول الله ماءا ليشرب أو يعمد لزيارة أحد أقاربه أو أصدقائه، وأين الوحي حين قام رسول الله بأسر الأسرى من مشركى مكّة بعد غزوة بدر ثم معاتبة الله له لعدم قتله إيّاهم؟؟؟كذا معاتبة الله له فى أكثر من موضع !!! وأين الوحي حين يقول الرسول لأحد زوجاته أنه يحبّها أو يقول لأحد المسلمين أنه يحبّ عائشة.

الأمر الذى نخلص منه أنّ النبي لم يكن موصولا بالسماء فى كل تصرفاته وأقواله وأفعاله إنما هناك مقام للنبوّة ومقام للبشرية فى قالب واحد هو النبى ، وآية ذلك قول المولى عزّ وجلّ {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً }الفتح٢ ،فلو كان موصولا فى كلّ أقواله بوحى السماء لما كانت هناك ذنوبا ليغفرها الله له.

إنّ المحافظة على صحّة الإنسان هو الهدف وهو السنّة الواجبة التنفيذ أما الوسائل فتختلف من عصر إلى آخر، والوسائل قد تتمثل فى استخدام الحبّة السوداء على عهد النبي أو فى استعمال العقار الطبي الحديث في زماننا فلكل زمان علاجه ولا شأن للسنة

النبوية بهذا ،ولا شأن بالشفاء فيما كان من أدوية البدو مما استخدمه النبي حتّى وإن شفى أحيانا بعض العلل كما لا شأن بالجنّة والقرب منها فى استخدام تلك الأدوية.

ثم ليس هناك ما يمنع بعد تناول العقاقير والتداوى بعلم الله الذى يسّره على أيادي (جورج ووليم وغيرهما) أن يدعو المسلم بدعاء رسول الله أن يشفيه، أو يتصدّق على الفقراء كما أمر بذلك لأن الصدقة تساعد على الشفاء، ولابد من الابتعاد عن التكلّس العقلي باسم السنّة أو الحلال والحرام بلا سبب من السنّة.

وعجبت لمن يضع العسل على دبره للشفاء من البواسير ويضعه أيضا حين يمرض بمرض فى عينه ثم يضعه حين يصاب بالصداع وغيره ويقول أن الله قال فيه (فيه شفاء للناس)؛ إن هذا المسلك ردّة فكرية وحضارية من الطراز الأوّل إذ لابد من معيار علمى لتنفيذ النصوص وإن الاعتقاد بآيات كتاب الله وتنفيذه وتأويلها لابد أن يكون وفق ضوابط.

نعم إن العسل فيه شفاء للناس والقرءان فيه شفاء ورحمه للناس، فهل نترك التداوى بعلم الله المنزل فى العقاقير ليشمل العسل كل حياتنا؟؟؟ وهل نستخدم آيات الله للشفاء حتى تتقعرمصيبتنا فى تأويل آيات الله والانحراف بها قدر الإمكان .

إن الخواجة استخلص من العسل ما فتح الله عليه به من خزائن علمه وبالمقدار الذي قام العلماء بتجربته ووضع مركّبات طبيعية ومركبات كيمائية لعلاج أمراض محدده بعينها... فلن ينفع المسلم طنّا من العسل إلا بالصورة العلمية التي قام العلماء بتجربتها وبالكيفية التى أرادها الله فى كتابه الذى يحثّ على العلم.

لقد ذكر الله فى كتابه أن الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس فهل نمتنع عن استعمال الحديد لأن الحديد فيه بأس شديد وقد يصيبنا ذلك البأس بالضرر؟؟؟ خاصة أن الله قدم البأس على المنافع فى الآية الكريمة الخاصة بالحديد...؟؟.

إن استنباط كلمة سنّة وكلمة حرام شاع بيننا حتى أصبحت فوضى يتزعمها كل من تصوّر نفسه متدينا، فأصبحت ثقافة التخاصم بين الناس منتشرة ولها ضحية يطلقون عليها اسم السنّة، وأصبحت الجلباب البيضاء من السنّة، ويتزعم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهم اللحية والسواك والمسك والعنبر والجلباب ولبس النساء للون الأسود مع تعمد تغطية الوجه والكفين تحديا لمشاعر من يؤمنون بحديث إمكان كشف النساء للوجه والكفين بل وتحديا لصريح آيات كتاب الله الذى لم يتدبّروه يوما أبدا.......الخ ، وهكذا أصبح الباقي من فرعيات السنّة، لكن الجزء الأهم عندهم هو فى السمات الشخصية، فدخل فى السنّة كيف تستحم على السنّة وكيف تصنع لعمامتك ذيل أسمه العذبة حتى ترطب به جسدك فى أيام الصيف الحارّة، وامتنع أناس عن استخدام معجون الأسنان فصنع لهم الأذكياء معجون أسموه (مسواك) حتى يجد زبائن من أصحاب الثقافات الخاصة.....وهكذا أهبطنا السنّة إلى مآرب وأمخاخ أناس لا يعلمون.

ولقد أعجبني ما خطّه الدكتور/يوسف القرضاوى في كتابه **كيف نتعامل مع السنّة النبويّة**، من أن الناس قد خلطوا بين المقاصد من جهة وهى الأهداف الثابتة التي تسعى السنّة لتحقيقها وبين الوسائل التي تعيّنها أحيانا للوصول إلى الهدف المنشود، فالأصل في تلك الأحاديث(أحاديث التداوى) هو أخذ المسلم بأسباب الشفاء وعدم ترك التداوى، وإن التركيز على الوسائل التي عينتها الأحاديث(حجامة/عسل/بول الإبل وألبانها/ العود الهندي/ الحبّة السوداء....الخ) أمر لم يكن بحال مما يستقيم معه فهم السنّة وإدراك مقصدها ، فهذه الوصفات ليست هي روح الطب النبوي . إن صحّت التّسمية . بل روحه هي المحافظة على صحة الإنسان وسلامة جسده وقوّته.

إن الوسائل قد تتغير من عصر إلى عصر ومن بيئة إلى أخرى بل هي متغيرة فعلا فإذا نصّ الحديث على شيء منها فإنما ذلك لبيان الواقع لا ليقيدنا بها ويجمّدنا عندها؛ بل لو نصّ القرءان ذاته على وسيلة بعينها فذلك للمثل لا لنتجمد عندها.

وانظر إلى قوله تعالى (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل....) فهل لو جمعنا كل خيول العالم هل ستخاف منا أمريكا؟؟ أم أن رباط الخيل يعنى الدبابات والطائرات ومما عرف في هذا العصر أنه قوّة وأنه رباط الخيل (راجع الفصل الخامس من المرجع المذكور).

ولقد بينا فى هذا الكتاب الماثل زيف اتساع تأويل الآية الكريمة (وما ينطق عن الهوى......) التى يتأوّلونها ليشمل معناها أن كل ما نطق به رسول الله هو وحي من السماء لأهل الأرض. كما وأن الذين تصوروا أن كل الأحاديث الواردة فى كتابي البخارى ومسلم هى وحي من السماء قد أصابوا كبد الخطأ، ذلك لأن رسول الله بشر، فهو يتكلم أحيانا ببشريته، وينطق أحيانا بما يوحى إليه من ربه، وتكون هذه الأخيرة في كل ما يبلّغ به الناس من دين وتشريع سماوي سواء أكان قرءانا أم شروح وتفصيلات للقرءان.

وعلى ذلك فيمكن أن نسمى نصائحه فى التداوى بالحجامة وأبوال الإبل وألبانها وبالتلبينه وغيرها ، إنما هى نصائح من رجل بشر مثلكم لأهل زمانه فيما يعلمه من علم زمانه ولا يصح نسبته إلى أنه طبّا نبويا نابعا من نبوّته صلى الله عيه وسلّم إذ لا شأن للنبوّة بهذا .

كما وأن من اعتمدوا الحديث الوارد بكتاب البخارى عن التداوى بأبوال الإبل قد ضلّوا ضلالا بعيدا ،ذلك لشذوذ الرواية التى ينسبونها لرسول الله من أنه أمر بالتداوى بها، لأن من ضمن أهداف الرسالة الإسلامية أن رسول الله إنما جاء ليحل لنا الطيبات ويحرّم علينا الخبائث، وإنه مما لا يخفى على عاقل أن أبوال الإبل من الخبائث فقد شاءت قدرة الله أن تتخلص الخلائق من البول لأنه مؤذ بطبيعته فلا يمكن أن يكون فيه شفاء للناس ولا يمكن لرسول الله أن يأمر به أبدا وإنّ الذين يعتقدون بالشفاء فيه فعليهم أن يتوضئوا به.

وقد ينبري البعض بالقول بأن الحجامة قد تمت تجربتها العملية وثبت جدواها فى شفاء بعض العلل التى عجز عن علاجها طب العقاقير؛ويستطردون فى زعمهم من أن دولة المانيا اعترفت بفضل الحجامة ،كما أن الأكل بأصابع اليد اخترعوا لها فقه التبرير من أن الأصابع ثبت أنها تفرز أنزيمات تساعد على الهضم، وكلها أمور وأنزيمات من صنع الرّدة العلمية والسكتة الدماغية التى أرادها لنا هؤلاء عن طريق ما يطلقونه من شائعات لا ينتهون عنها.

والرد على هؤلاء يسير إذ أن الصين وغيرها ممن جاورها من دول قارة آسيا لم يعتمدوا طب العقاقير ولا طب الحجامة والأبوال والألبان واعتمدوا طب الإبر الصينية والوخز بها ونجحوا أيما نجاح ، فهل يمكن نسبة هذا النجاح للإله بوذا الذى يؤمن به هؤلاء ؟؟؟ واعتمد آخرون ما يسمّى بطب البندول ، ونجحوا أيضا فى شفاء كثير من العلل عندهم فهل يمكن أن ننسب ذلك النجاح للشمس التى يعبدونها لأنها ألهمتهم الطريقة ووهبتهم الشفاء؟؟؟ وخرج علينا آخرون بما يسمّى العلاج بالأوزون، وكلّها أدوية ثبت لها النجاح في علاج مالم تنجح فيه أدوية أخرى،وهى مجرّد سعى حضارى من أجل بلوغ مرمى المحافظة على صحّة الانسان والتقدم بها وليس من بينها مرجع أومرجعيات دينية وليس لهذه الوسائل علاقة بوحى السماء أو نبوّة نبىّ.

الأمر الذي نلخّصه في أننا لا ننفى الحجامة وغيرها كطب كان معمولا به في عهود سابقة ولكن ننفى نسبتها فى أنها وحي من السماء أو طبّ ينسب لنبوّة النبي صلّى الله عليه وسلّم كما ننفى أي طب بما هو نجس فى أصله أو طبيعته.وننفى التقرّب إلى الله بدعاوى ما أسموه الطّب النبوي

نعم إنه شئ طيب ومحمود أن يقلّد الناس نبيّهم فيما كان عليه من طباع وعادات... فعلى سبيل المثال كان رسول الله يفضّل أكل الذراع من اللحم على سائر أجزاء الذبيحة، وكان يحب الثريد (الفتّه) وكان يحب الدباء (الكوسة) ولكن كل ذلك ليس من وحى السماء ولا يقرّبك إلى الله أبدا، ولكن من فعله حبّا فى رسول الله فلا ننهه بل نشجعه لأن فى هذا الفعل ذكرى وتذكر للنبى صلى الله عليه وسلّم ولكن يجب أن ننهاه عن المغالاة فى المعتقدات لتشمل هذه الأمور اعتقادا بأنها وحى سماوي أو علم إلهي أو صفه من

صفات النبوة أو سنّة من السنن فهي ليست كذلك، كما وأن تضليل الناس لطريق علاج عللهم باسم السنة هو عين الضلال الشرعي والحضاري فضلاعن المتاجرة بدين الله، وإننا نتساءل ماذا ترك هؤلاء من مساحة لبشرية الرسول الأعظم طالما أن كل شيء سنة وكل شيء نبوي!!!

وكيف بهم إن كانت الحجامة وغيرها وحيا في سنّة(كما يظنّون) حين لا يشفى عليلها أو حين لا يشفى المريض الذي لجأ إلى العسل على أنّه سنّة أو للحجامة على أنها وحى نبوي ممّن لا ينطق عن الهوى وفق تأويلاتهم.

إن هذه المعتقدات تضعف في صدق النّبوة وصدق السنّة لمن اعتقد أنها سنّة ولم يشف من مرضه.

وليعلم الجمع والجميع أنه ليست هناك نصائح نبوية ناقصة أو مبتورة لأن رسول الله أوتى جوامع الكلم فى أمور الدين واختصر له الكلام اختصارا ، وإن الذين عظّموه بما أسموه الطب النبوي قد أخطأوا فى حق النبوة، إذ كيف ينصح الرسول بعلاج أنه لكل شئ (مثل الحبة السوداء) بينما هى لا تشفى من السرطان أوالإيدز أوإنفلوانزا الطيور أونزيف الدم أوتسوس الأسنان أوتضخم البروستاتا والزهايمر.......وغيرها كثير.

إن هؤلاء البسطاء من أصحاب السنن المزعومة ينسبون النقص لكلمات النبوة دون أن يدرون، وإذا كانت الأدوية عندهم معروفه فى شرطة محجم أو كية بنار أو شربة عسل أو تلبينة أو بول للإبل وغيرها فلماذا أطلق رسول الله العلاج لأهل الأمراض فيما روى عنه من حديث(ألا إن الله أنزل الداء وأنزل الدواء ألا عباد الله فتداووا)؟؟؟.

قد نسى أصحاب السنّة المستحدثة وأصحاب الأسبقيّات المختلّة فى سنّة رسول الله، أن سنّة الحبيب تكمن فيما روى أنه كان خلقه القرءان، وليست الحجامة أو اللحية أو الجلباب أو طريقه الاستحمام أو نوع الطيب أو النوم على الجانب الأيمن هى مربط السنّة أو هى الأسبقية فى السنّة، هذا إذا ما ثبت أن أحداها سنّة، وإن كنت لا أعيب على اللحية ولا أتذمر على الطيب ولا أكره الجلباب ولكني على سنّة رسول الله الذى كان منهاجه (وقل رب زدنى علما). وكان من خلقه أن يولى الأمور من يعلم حتى وإن قلّ دينه وفى هذا يقول تعالى: (..........إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }البقرة٢٤٧...وهكذا لأن العلم له وزنه عند الله وعند عقلاء المسلمين وبه تم تفضيل آدم على الملائكة وما علينا إلا أن نقرأ باسم ربنا.......(إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون)........ (لعلهم يتفكرون).....(وما يعقلها إلا العالمون).الخ.

والتفكّر أحد الفروض الإسلامية ولقد بيّن لنا الله أن المعذبين يوم القيامة سيندمون لعدم تعقّلهم (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (الملك:١٠) . ولا يصح من مسلم أن يضفى على رسول الله مهمة ليست من مهامه فيجعله طبيبا مرة وفلكيا مرة ومهندسا........ وهكذا.

فالرسول جاء بدين يقرّب إلى الله ولم يأت بدواء للأمراض ولا نصائح فى الاستمتاع بالخلوة الشرعية ولا هو صاحب مناهج بحثيه فى الميكانيكا وغيرها من العلوم حتى تضفى عليه مهام ليست من مهامه ، وكفانا غلوا باسم السنّة وكفانا بعدا عن العلم وكفانا تقربا للجهل والجهلاء وكفانا محاولات تجميد فكر الأمّة.

وليعلم الجميع أن خلاصة السنّة هى تفعيل النص القرءانى إقتداء بالنبي ولا شيء فوق ذلك.

ومن عجيب علم أهل النقل بلا عقل أن أجد من أهل الفقه والعلم من يشجّع على مثل هذه التوجهات التى تحمّل رسالة رسول الله أكثر مما تحتمل ، فقد وجدت فى مكتبتي كتابا صدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى عام ١٩٧٢ ، كتابا ضخما مكونا من عدّة مجلدات اسمه (سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد) وعنوان الكتاب كما ترى أنه الهدى والرشاد فيمن اتبع ما كان عليه خير العباد ، ويقول مؤلفه المتوفى سنة٩٤٢ هجريه أي منذ حوالي خمسمائة سنة (.. وإذا تأملت هذا الكتاب علمت أنه نتيجة عمري وذخيرة دهري.......الخُ) ص٦ ج١ . بما يعنى أن مؤلف هذا الكتاب كان يعيش في عصور الظلام الحضاري والعلمي . ولكن اهتمامنا بتجميد الفكر وصل إلى مجامعنا الفقهية فأعادت طبع الكتاب في القرن العشرين كما هو بلا تعليق.

فتجد في ص٧٨ وتحت عنوان (جماع أبواب سيرته صلى الله عليه وسلّم في الطّب) جمع فيه المؤلف ٦٦ بابا من أبواب الطّب من سيرته صلى الله عليه وسلّم فجمع منها ما هو عن علاج السل والزكام والكسور والإسهال ووجع الصدر وعرق النسا والصداع والرمد والقمل والبواسير والدوخة والعشق كذا علاج القلب والورم والأسنان (راجع ص٨٠ المرجع السابق).

ونحن لا نطعن في صلاح المؤلف فهذه أدواته وذلك عقله في زمانه الذي عاش فيه ،خاصة إذا ماعلمت أنه جاء إلى مصر وأقام في منطقه صحراويه يقال لها البرقوقية (المرجع السابق صفحة حرف ز من المقدمة).

فإذا كان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر يرى أهمية الكتاب (وهو ما أتفق فيه مع المجمع) ؛إلا أنه كان لابد أن يضاف من المجمع تعليقات أو تنويهات أو أن يفرد المجمع جزءا خاصا كي يواكب المسلمون عصورهم التي يحيون فيها، ولا تكن كل الأمور مسلّمات تحت عنوان (......وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }الحشر٧ لتشمل كل ما جاء في حياة الرسول من علم وعمل يخص الحياة التي كان صلى الله عليه وسلّم لا يعلم لها بديلا ،فما أظنّ الرسول كان يمتنع عن إجراء الأشعة للكسور ولا يمتنع عن المسح الذرّى لعضلة القلب أو تغيير الشرايين التالفة أو يمتنع عن غسل الكلى.....الخ ، فكل ذلك طبّ أفضل مما كان عليه الطبّ في زمانه عليه الصلاة والسلام .

ولا يشمئزّ أحد من الجملة الأخيرة فإن الله أمر رسوله بالاستزادة من العلم لا ليعبث به ،ولا ليكون علما أكاديميا لمبارزة أهل العلم ونيل شهادات الدكتوراه ،ولكن ليستظل به العالم وتعمر به البلاد ويفيد العباد ، وتلك هي سنّته في الطبّ التي أعرفها وهى السنّة الواجبة التطبيق.

لابد لأصحاب بدعة الطب النبوى من مسحة من تقوى الله فى أموال وعقول وصحّة المرضى من أهل الإسلام ،ولابد لهم من ممارسة الوسائل العلمية فيما يعتقدون فليس كل ما جاء عن الغرب بدعة أو كفر أو شرّ أراده أهل الغرب بأهل الشرق.

وهل يعتبر منكرا للسنّة من يتأفف من أبوال الإبل في علاج نفسه، وهل من يخاف الحجامة ولا يثق فيها هل يعتبر متطرفا عن السنّة النبويّة، وهل من لجأ إلى الجراحة أو التداوى بالعقاقير هل يكون برجوازيا أوعلمانيا مجرما؟؟؟ الحقيقة أنى أرى التّطرّف فيمن يشدّنا للخلف باسم السنّة وما هم إلاّ على زيف وتزوير للسنّة النبويّة.لذلك كان لابد من التعقل في إدراك أهداف السنّة حتى نحسن التطبيق ولا نتطرّف ولا نحيد عن طريق السنّة أو يستغل سذاجتنا من يرمى إلى دغدغة عواطفنا بما يسمّيه لنا سنّة وما هو بسنّة.

فداء السماء لمن...؟؟؟

تذكر كثير من التفاسير المعروفة واقعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وما كان من شأن سيدنا إبراهيم حينما همّ بأن يذبح إبنه الوحيد إسماعيل امتثالا لأمر ربه ، فترى أهل التفاسير وقد تمحوروا حول قول إسماعيل لأبيه (يا أبت افعل ما تؤمر....الخ) ، وتراهم وقد عظم فى نفوسهم تضحية إسماعيل بينما لم ير هؤلاء شيئا فى الفتنة الكبرى التي ألقيت على نبي الله إبراهيم وما كان من شأنه من امتثال لأعظم اختبار مرّ على بشر منذ أن خلق الله البشرية وحتىّ يوم القيامة.

ورغم أن الرؤية القرءانية واضحة فى تبيان عظمة الابتلاء وأن سموّ الإذعان لأمر الله كان لإبراهيم قبل إسماعيل عليهما السلام ، إلا أن ما ابتليت به الأمة من حبّ القصص والأساطير وتناحر أهل ملّة الإسلام مع أهل ملّة الصليب واليهود حول الانتساب للذبيح ومن يكون الذبيح الذي ضحّى وأطاع هل هو إسماعيل أم هو إسحق ، فهم يقولون أن الذبيح إسحق بينما نحن نقول أنه إسماعيل، وبينما انشغل المسلمون وأهل الكتاب الأقدمون بهذه القضية نسى الجميع أصل الابتلاء وعلى من وقع البلاء ،ونسوا حقيقة عظمة الخضوع والطاعة ، فنسب كلّ فريق هذا الشّرف لصاحبه، فالنصارى قالوا إسحق والمسلمون قالوا إسماعيل كلّ فريق يرى الشرف فيمن انحدر منه نسله ، وظن الجميع أن التضحية كل التضحية فيمن قال (يا أبت افعل ما تؤمر....الخ).

كما وأن الحرب الغير معلنة على القرءان الكريم جعلت من إسماعيل عليه السلام أنه صاحب الفداء وصاحب البلاء ؛ وأرى أن هذا التأويل فى تعظيم تضحية إسماعيل بما تصاغر معه شأن الابتلاء الواقع على إبراهيم عليه السلام ينبع من الإسرائيليات التي اختلطت بالحقائق والتي انطلت على آبائنا الأقدمين ، ذلك أن بنو إسرائيل هم أحرص الناس على الحياة ، وحيث أن الابن هو الذي ضحّى بالحياة يكون فى زعمهم هو صاحب البلاء ،والابن فى مفهومهم هو إسحق، ولكن أصرّ الأقدمون من المسلمين من جانبهم على أنه إسماعيل يحاولون النصر فى المعركة الفرعية التي أنشأها اليهود على حساب عدم تدبّر أهل الإسلام لكتاب الله فيما يخصّ الفتنة ، وعلى حساب شخص صاحب البلاء المبين وعظمة الإذعان عند صاحب البلاء المبين الذي تحركت السماء له حتّى لا يتعذّب باقي حياته لقتله ابنه الوحيد بيده .

ولكنّه شأن اليهود دوما فى قلب الموازين وخلط الحق بالباطل ،كما أنه شأننا دوما فى اتّباع سنن من قبلنا شبرا بشبر وذراعا بذراع .

وعن الحقيقة اليهودية فى حب الحياة التي أفرزت الصّراع على دور البطولة هل يكون لإسماعيل أم لإسحق عليهما السلام يقول تعالى عنهم:. ({وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ }البقرة٩٦

لكن للنظرة الإسلامية شأن آخر فهي دوما تستقى تعقّلها وتعلّقها من القرءان الكريم وتستمد من عطاياه ثقافتها وتأويلاتها ،خاصة إذا ما كانت هناك نصوص صريحة وثابتة تؤكد أن صاحب البلاء المبين هو صاحب الفداء وهو إبراهيم عليه السلام وليس إسماعيل .

ولست من محبي المخالفة بلا ضابط ،لكن حكم القرءان هو الذي يتحكّم فى العقول والضمائر السّوية وهو ميزان عقل المسلم ولا ينبغى أن يتعلّق المسلم بروايات ضحلة من صنع البشر بل وتخالف كلمات رب البشر.

*فإبراهيم عليه السلام هو الأب الوحيد فى هذا الكون الذي اختبر هذا الاختبار العسير فهو صاحب البلاء المبين..

*وإبراهيم عليه السلام ابتلى بالأمر بذبح ابنه الوحيد .

*وإبراهيم عليه السلام حين ابتلى بذبح ابنه الوحيد فإنه أمر بذبحه بيده لا بيد أحد آخر.

*ولقد ازداد عليه البلاء اشتدادا حين أجابه ابنه الوحيد بقوله ({...... قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ }الصافات١٠٢ ولكن إذا ما كان الإبن سيصبر فكيف يصبر الأب الذي أجابه إبنه بقوله (يا ابتى).

١ . إن المفسرين لم يستشعروا بلاء الأب ولوعته طوال السنوات التي سيقدّرها الله له ليحياها بعد ابنه الذي سيموت بيده ، بينما لن يشعر ذلك الإبن بشئ اللهم إلا انه الموت الذي يدور على كل منا رغما عنه ، لم يستشعر المفسرون هذا الأمر رغم وجود مقياس قرءانى فى موضع آخر عن لوعة سيدنا يعقوب لفراق ابنه (غير الوحيد) يوسف عليه السلام ، حتى ابيضت عيناه من الحزن وهو يكظم أنفاس الألم لفقدانه ابنه مع صبره ولوعة عذابه.

٢ . إن الجفاف الفكري حين يلحق بالبلاء الواقع على إبراهيم عليه السلام فى الوقت الذي يتعمّق فى إبراز تضحية إسماعيل إنما ينبع من فكر لم يرتو برىّ القرءان ....فضلا عن أن تضحية إسماعيل بالنّفس سبق وأن أتمّها أبوه إبراهيم قبله حين قذف به فى النّار لتحطيمه الأصنام ،وقام بها بعده كل حواري الأنبياء ؛ولنا فى ذلك ريادة من صحابة رسول الله الذين ضحّوا بحياتهم في سبيل رفعة دين الله ،كما تتم التضحية بالنفس يوميا وإلى يومنا هذا ، فترى من يضحّى بحياته فى سبيل الوطن وفى سبيل الشرف وفى سبيل الجهاد، بل وترى البنات الفلسطينيات يلبسن الأحزمة النّاسفه ويتركن حياتهن فى الدنيا فى سبيل القضية الفلسطينية ، وهن يفعلن ذلك (سواء أكن صائبات أم مخطئات) من منعطف إسلامي بثّه فيهن مشايخهن ، فما بالكم بمن يعلم أن أباه نبيى!!!! لاشك أن عليه واجب فى طاعته كنبي فضلا عن واجبه فى الطاعة العامة له كأب، بل يعين الإبن على ذلك الخطب كونه حليما بالفطرة التى لا دخل له فيها إلاّ تأهيل الله له وتحلّيه بها.

٣ . وإن دور سيدنا إسماعيل فى أحداث الابتلاء كان دورا قوليا ولم يكن دورا فاعلا وآية ذلك أنه بعدما قال (يا أبت افعل ما تؤمر...) لم ينحن ويذلل رقبته لأبيه عمليا تمهيدا لأمر الذّبح، إنّما الذي تلّه للجبين هو أبوه إبراهيم (فلما أسلما وتلّه للجبين) فلم يقل القرءان (فلما أسلما وتلّ جبينه) وفى ذلك تبيان لبلاء آخر من تفصيلات البلاء الواقع على إبراهيم عليه السلام ويؤكد الجانب الإيمانى لإبراهيم عليه السلام وليس الجانب الإسلامى فقط (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ){١٠٣}الصّافات، فالاسلام كان نصيب الأب والإبن لكن الايمان كان نصيب الأب فقط لأن الإيمان ما وقر فى القلب وصدّقه العمل(تلّه للجبين).

الدليل القرءانى أن فداء السماء كان لإبراهيم عليه السلام

*وعودة إلى الدليل القرءانى الذي يؤكد أن السماء حين أرسلت الفداء إنما أرسلته لإبراهيم حيث يقول تعالى فى سورة الصّافات وهو يقصّ علينا قصّة سيدنا إبراهيم (..فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ{١٠٢} فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ{١٠٣} وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ{١٠٤} قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ{١٠٥} إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ{١٠٦} وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ{١٠٧} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ{١٠٨} سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ{١٠٩} كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ{١١٠} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ{١١١} وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ{١١٢}

.

فالذي يتدبّر الآيات من سورة الصّافات يجد العناصر والدلائل الآتية:.

(١) أن أساس سرد القصّة هو تبيان لسيرة سيدنا إبراهيم.

(٢) أن توجيه الخطاب بواسطة أمين الوحي جبريل (أو من الله) كان يتم إلى سيدنا إبراهيم (وناديناه أن يا إبراهيم).

(٣) أن سياق الآيات حين تم النداء على إبراهيم إنما تبيّن جزاء الصّالحين عموما وإبراهيم على وجه الخصوص(**قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين**) ، ومعناها (قد صدّقت الرؤيا يا إبراهيم فأنت رجل صالح ونحن دوما نجازى الصالحين بالجزاء الحسن) .

(٤) أن الذي قام بالبداية الفعلية لأمر الذّبح هو إبراهيم عليه السلام بدءا من تحركه من الشام إلى مكّة لذبح إبنه الوحيد وإنتهاءا بأنه هو الذّى تلّ إبنه للجبين (وتلّه للجبين).

(٥) تدلّ الآيات أن صاحب البلاء المبين هو إبراهيم عليه السلام(**إن هذا لهو البلاء المبين**) لأن أصل الخطاب وأصل النداء كان لإبراهيم عليه السلام فيكون أمر البلاء المبين عائد على آخر ضمير تمت مخاطبته وهو إبراهيم عليه السلام ، كما وأنّ التضحية بالنفس ليس بلاءا مبينا لا مثيل له لكن ذبح الأب لإبنه هو البلاء المبين(لا نظير له).

(٦) إن صاحب الفداء العظيم (**وفديناه بذبح عظيم**)هو ذاته صاحب البلاء المبين وهو إبراهيم النبي الصّالح الذي صدّق الرؤيا والذي يجازيه الله ، وهو صاحب آخر ضمير تمت مخاطبته.

(٧) أن الله امتنّ عليه بالسلام (**سلام على إبراهيم**) بدلا من حالة الألم والقلق ولوعة الفراق التي كانت ستصاحبه فى حياته بعد أن يقوم بتنفيذ أوامر الله بذبح ابنه الوحيد بيده ،وعلى ذلك فإن الله لم يقل سلام على إبراهيم وإسماعيل إنما اختصّ إبراهيم فقط بالسلام.

(٨) (**سلام على إبراهيم*كذلك نجزى المحسنين**) لاحظ تكرر وصف الإحسان للمرة الثانية(آية رقم ١٠٥، ١١٠) لتؤكد الآيات على أن المحسن هو إبراهيم وأن الجزاء (الفداء) كان لأجله.

(٩) (**إنه من عبادنا المؤمنين**) لتؤكد أن كلّ الأوصاف السابقة (من صلاح وإحسان وفداء) كانت لأجل ذلك الشخص العبد المؤمن الذي تتم مخاطبته بالضمير والإشارة (**إنه**)...(يلاحظ أن لغة الخطاب للمفرد) ولم يتم توجيه المدح أو الخطاب لفردين إنما لفرد واحد هو إبراهيم عليه السلام .

(١٠) أنه نظرا لطاعة إبراهيم عليه السلام لربه فى ذبح ابنه الوحيد فإن الله أنقذ نفس إبراهيم من ألم فراق ابنه بل وفداه بالذبح العظيم وكافأه ببشرى بولد آخر نبيا من الصّالحين وهو إسحق ومن وراء إسحق يعقوب.

(١١) إن المتأمّل في كامل تلك القصّة هو إبراهيم عليه السلام بدءا من تصديقه للرؤيا ثم رحلته من الشام إلى مكّة لتنفيذ أمر الله له بذبح ابنه وحتى تلّه للجبين ،فيكون الفداء لتلك النّفس المعذّبة منذ أكثر من شهر(مدّة الرحلة من الشام إلى مكّة) وهى نفس نبي الله إبراهيم.

وإنه من عجيب ما رأيت فى فكر المناهضين للأهداف القرءانية من أصحاب الإرث الديني عن آبائهم، أنّى حينما قرأت لهم الآيات سالفة البيان وفسّرتها لهم قالوا أن الآيات تحتمل الوجهين وجه أن فداء السماء لإبراهيم ووجه أنه كان لإسماعيل،فحمدت الله على زعزعة معتقداتهم الموروثة وغير المنضبطة على فقه سليم ورجوت الله لهم حسن التّدبر فى كتابه والهداية إلى صراطه المستقيم فى تعلّم التدبر عسى أن يهتدوا إلى التأكد بأن الفداء كان لإبراهيم .

من هو نبي الله إبراهيم عليه السلام

أولا:. بعض الابتلاءات التى وقعت عليه

١. نبي الله إبراهيم هو الذي سبق و صبر على فتنة قذفه في النار لتحطيمه الأصنام.....
٢. وهو الذي ابتلى بالطرد من بلدته بعد نجاته من النّار...

٣. وهو الذي ابتلى بعقم زوجته سارة فصبر......

٤. وهو الذي أبتلى بالأمر بترك زوجته هاجر وابنه الوحيد إسماعيل في واد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام ليقيموا الصلاة......

٥. وهو الذي أمر بإعادة بناء الكعبة فأتم بناءها فى وسط الصحراء وبين جبال مكّة بلا أدوات ولا معين إلا من إبنه إسماعيل........

٦. وهو الذي أمر بذبح ابنه الوحيد بعد أن ساعده في بناء الكعبة.........

٧. وهو الذي وسوس له الشيطان ثلاث مرّات كي يثنيه عن ذبح ابنه والامتثال لأمر ربه لكنه رفض وساوس الشيطان وترك مشاعر الأبوّة من أجل طاعة الله .

ثانيا :. مقامه فى الدنيا والآخرة

- لذلك لا عجب أن أقام الله شريعة الحج والعمرة على منهاج إبراهيم فى الطاعة وأمر الناس باتخاذ مقام إبراهيم مصلّى كي يذكّر المسلم بمدى طاعة جدّه إبراهيم لربّه وعدم تعلّقه بشيء إلا رضاه واستسلامه الكامل لربه فى كل شئون الحياة .
- كذلك قد جعل الله فى ذريته النبوّة والكتاب تكريما له {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ }العنكبوت٢٧ .
- ولقد جعل الله ملّة إبراهيم هي الملّة التي يجب أن يكون عليها كافة البشر فى عبادتهم لله {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } ١٦١ الأنعام وقال تعالى {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ }الحج٧٨ .
- ولقد جعل الله سيدنا إبراهيم إمام الأنبياء والناس أجمعين{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }البقرة١٢٤ .
- ومن الجدير بالبيان أن الله اتخذ إبراهيم خليلا وقال عنه أنّه أمّة وأنّه ما كان أبدا من المشركين {وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً }النساء١٢٥ وقال تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }النحل١٢٠ .
- أن الله جعل محمدا تابعا فى الملّة لإبراهيم عليه السلام {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }النحل١٢٣ ،بل جعل كلّ الناس على ملّة إبراهيم {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ }البقرة١٣٠.
- فهل بعد كلّ ذلك نجد من يطمس حقيقة جهاده وطاعته واستسلامه الكامل لقضاء الله لذمّة ولحساب من قال (يا أبت افعل ما تؤمر) لا لشيء إلاّ لكونه ضحّى بالحياة الغالية التي يحرص عليها اليهود من بني إسرائيل كلّ الحرص .

كما أنه من الجدير بالذكر أن من يمت لا يتألم إلاّ بقدر ما قدّره الله له من الألم ، وبخاصة إن كان بارا بأبيه محتسبا عند الله روحه مثل إسماعيل عليه السلام، إنما نبي الله إبراهيم هو الذي سيكون حبيس الألم حتّى يتوفاه الله ؛ ولقد سبق لإبراهيم عليه السلام التضحية بحياته فى سبيل الله حين ألقى به فى النار بعدما حطّم أصنام المشركين ، فلم تكن التضحية بالحياة فى سبيل الله أمرا غريبا علي إبراهيم ، ولا هو أمرا تفرّد به إسماعيل على البشرية أو سبقها إليه ، إنما هي أمر يحدث يوميا وسبقه إليه أبوه خليل الرحمن .

الخلاصة والهدف

من النقاط سالفة البيان وما تبعها من تفنيد وتعريف بنبي الله إبراهيم ، وجميعها مستمدّه من كلمات الله الواضحات ، يتأكد للمسلم أن فداء السماء كان لسيدنا إبراهيم عليه السلام ولم يكن بأية حال لسيدنا إسماعيل ، وهى آيات لا تحتاج إلى تأويل آخر اللهم إلا تأويل مدمني معاداة كلمات الله لحساب ما ألف عليه أصحاب الروايات المسرحية التي تتصادم مع نصوص كتاب الله ، وإن هدف وضع هذه الروايات المخالفة للقرءان هو إنكار الحقيقة القرءانية رويدا رويدا على مرّ الأزمان والعصور حتّى يأتي يوم نجد فيه القرءان معزولا تلاوة وعملا ونصّا ، وحقا روى عن رسول الله أنه قال (لتنقضنّ عرى الإسلام عروة عروة فأولها نقضا الحكم وآخرها نقضا الصلاة) .

كما وأنّ انتهاج فكر أنّ صاحب الفداء هو إسماعيل عليه السلام ينجم عنه تصادم مع مراد كلمات كتاب الله ، إذ أنّ التضحية بالنفس لها زبائن فى صبيحة كلّ يوم من قبل أن يولد إسماعيل وحتّى يومنا هذا وإلى أن تقوم السّاعة فبذلك لا يكون فعل إسماعيل يعبّر عن معنى البلاء المبين ، لكن فعل خليل الرحمن هو البلاء المتفرّد الذى لم يختبر به أحد من البشر لذلك فهو صاحب البلاء المبين وبالتالى فالفداء له عليه الصلاة والسلام .

وعلى المسلم الامتناع عن الاعتقاد فى أية رواية أو نص من النصوص التي تخالف كتاب الله حتّى لا يكون ممن سنوّا فى الإسلام سنّة سيئة أو أعان على سوء فهم كتاب الله أو أعان على طمس الحقيقة القرءانية، وعليه ألا يرث الاعتقادات بلا عقل وألاّ يذهل عمّا يتلوه من كتاب الله حتّى لا تكون اعتقاداته فى واد بينما تلاوته للقرءان وتدبّره فى واد آخر،وليعلم المسلم أن ثوابت الأمّة لابد وأن تكون نابعة من السياق أو التأويل الصحيح لكتاب الله الذي فصّله الله تفصيلا وحفظه من العبث والدّس ونحوه .

إفطار عاشوراء هو السنّة وليس صيامه

إن الأحاديث المتناقضة مع كتاب الله، والأخرى التي تتناقض مع بعضها البعض داخل الصحيح الواحد، والأخرى التي تتناقض بين بعضها ولكن بين كل صحيح وآخر كثيرة، فصحيح البخاري يتناقض مع صحيح مسلم، وأحيانا ترى البخاري يتناقض مع البخاري، وأحيانا تجد الاثنين يتناقضان مع القرءان، فكان لا بد أن تكون كافة هذه الأمور تحت بصر ورعاية مجامعنا الفقهية.

إننا في عصر الفضائيات ولسنا في عصر آخر من عصور الأمس، فالنّاس تطّلع على كل شئ وتنقد كل شئ طالما كان ذلك النقد في الملّة الأخرى، فلابد لنا من غربلة تراثنا قبل أن يدركنا السفهاء من الناس ويطلعونا على عورات فقهية في الجسد الثقافي للأمّة.

وعاشوراء (يوم ١٠ من شهر المحرم) أحد الأيّام التي أصابتني بالأرق من اجتهادات السابقين فيها سواء في حكم صومه أو في سبب صومه، فجميع كتب الفقه على أن صيامه مندوب (مفضّل)ومذاهب تقول أن صيامه سنّة، أمّا السبب ففيه خلاف أيضا.

ومع كامل احترامي لفقهاء الماضي والحاضر فإني أجد أحاديث بصحيحي البخاري ومسلم تنصّ على أنّ صيامه كان قبل أن يفرض على الأمة صيام رمضان فلما فرض صيام رمضان ترك رسول الله صيام عاشوراء. وأحاديث أخرى تقرر بأن رسول الله ترك صيامه وترك الناس من شاء صامه ومن شاء أفطر.

بينما هناك أحاديث أخرى في صحيح مسلم تدلى بدلوها أن رسول الله كان يصوم عاشوراء حتى قبض، بل إنه صلى الله عليه وسلم كان ينوى صيام التاسع والعاشر من المحرم لكن الموت عاجله فلم يصم إلا عاشوراء ،في الوقت الذي كان يصوم فيه رمضان أيضا، بما يعنى مواظبته على صومه مع صوم رمضان واليك بيان التناقض بين الصحيحين فيما يلي :-

أولا:. الاختلافات بين الصحاح في حكم صوم عاشوراء

١- الأحاديث الواردة بصحيح البخاري التي تؤكد ترك رسول الله لصوم عاشوراء بمجرد نزول تشريع صوم رمضان كثيرة وهى عن عائشة وعن ابن عمر وغيرهما، وهي الأحاديث أرقام ١٨٩٨ كتاب الصوم باب صوم عاشوراء و ٤٢٣٣ و ٤٢٣٤ كتاب تفسير القرءان و ١٧٩٣ كتاب الصوم، وإليك اثنتين منها على سبيل المثال:-

* عن بن عمر رضي الله تعالى عليهما قال صام النبي صلى الله عليه وسلم عاشوراء وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك وكان عبد الله لا يصومه إلا أن يوافق صومه صومه(يعنى يوافق يوم من أيام صيامه تطوعا) حديث رقم١٧٩٣ كتاب الصوم.

* وعن عائشة رضي الله عنها (كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه.حديث رقم١٨٩٨ كتاب الصوم وبذات المعنى حديث رقم٤٢٣٤.

وهكذا ترى أن ترك الصوم في عاشوراء هو صحيح السنّة عند البخاري لأن رسول الله ترك صومه بمجرد نزول فريضة صوم رمضان، والبخاري رحمه الله كان بعد الأئمة أبو حنيفة ومالك بما يعنى أنه قد عرض عليه قول الفقهاء السّابقين ولكنه تركها ، فضلا عن أننا نقلنا عن فقهائنا جيلا بعد جيل أنّ البخاري هو أصحّ كتاب بعد كتاب الله تعالى.

٢ – أما صحيح مسلم فله رأى آخر حيث يقول في صحيحه أن رسول الله لم يترك صيام عاشوراء حتى قبض حيث أورد في صحيحه ما يلي:–

*عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (لما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله إنه يوم تعظّمه اليهود والنصارى فقال إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله رواه مسلم وأبو داوود، وهناك حديث آخر بذات المعنى ولكن بألفاظ أخرى لذات الرواة(مسلم وأبو داوود).

ولكن لي تعليق على الحديث الذي رواه الإمامين مسلم وأبو داوود وذلك لأن به علل في متنه، فمن يتدبّر نصّ الحديث فسيخرج بنتيجة أن رسول الله صامه مرة واحدة في السنة التي تسبق وفاته مباشرة بدليل أنه يذكر (لما صام عاشوراء قال الناس إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال إذا كان العام المقبل صمنا اليوم التاسع...ولكنه توفى قبل أن يأتي العام التالي... الخ) وهو الأمر الذي نخرج منه بالدلالات الآتية كنتيجة حتمية لصدور تساؤل من الصّحابة :.

١. انه صامه بعد فريضة صوم رمضان وليس قبلها لأن قولهم بأنه توفى يعنى أن الحديث كان فى العام التاسع الهجرى.
٢. ويدل على انه صامه مرة واحدة فقط وتوفى بعدها.
٣. ويدل على انه كان يتمنى أن يصوم يومي ٩ & ١٠ من المحرم ولكن مشيئة الله لم تمهله.

وهو الأمر الذى يخالف روايات البخاري التي تؤكد أنّه ترك صوم عاشوراء حين فرض علي الأمّة صوم رمضان في يوم الاثنين الموافق ٢من شعبان من السنة الثانية من الهجرة.

أما الإمام البخاري فإن أحاديثه بشأن ترك الصوم لعاشوراء بعد نزول فريضة رمضان ففيه استنتاجات هي:.

١. أنه صام عاشوراء مرة واحدة بالمدينة المنورة وهى السنة الأولى من الهجرة ومكث تسع سنوات بالمدينة لا يصوم عاشوراء ويفطر فيه وذلك لفرضية رمضان فى السنة الثانية من الهجرة.

٢. أما عن حقيقة حال الناس فمن بلغه انه صلى الله عليه وسلم ترك صوم عاشوراء فهو يترك صومه ومن لم يبلغه فإنه يصوم عاشوراء كما وصله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا هو التحليل الذي أستنتجه لمعاني ما أقرأ من الأحاديث

*ومن عجيب ما أتت به كتب الشيخان مسلم والبخاري من تناقض في شأن صوم عاشوراء ،أن مسلم روى في الحديثين ١٩٠٥و١٩٠٦ أن رسول الله ترك صوم عاشوراء حين فرض عليه صوم رمضان وروى البخاري أحاديث عن صوم عاشوراء واستحبابه وقال بحرية من شاء الصوم أو الفطر .....وهكذا تجدهما وقد تبادلا المراكز في الصوم لعاشوراء وترك صومه فتجد الشيء ونقيضه في كل الصحاح!!! بل وذكر الإمام مالك أيضا في موطّئه حديثا عن ترك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لصوم عاشوراء.

ثانيا:. اختلاف تاريخ وسبب صوم عاشوراء

١ـ وهناك تناقض آخر عن سبب استحباب رسول الله صوم يوم عاشوراء فبعض الأحاديث تذكر أن رسول الله كان يصومه في الجاهلية في مكّة وأنه لما قدم المدينة أمر الناس بصيامه (صحيح البخارى٤٢٣٤).

٢. وأحاديث أخرى تذكر أنه صامه لما قدم إلى المدينة حين رأى اليهود تصوم ذلك اليوم وعلم أن سبب صيامهم أن الله قد أنجى في هذا اليوم موسى وأصحابه من فرعون وجنده فقال نحن أحق بموسى منهم.

٣. وهناك من اعتمد أنّ الاحتفال بيوم عاشوراء هو ذكرى حزينة لمقتل الحسين رضي الله عنه واستشهاده وهؤلاء هم طائفة الشيعة فهم يحزنون أشدّ الحزن في هذا اليوم.

فعلى أىّ منوال يكون عليه الاحتفال، وإذا ما افترضنا حدوث واقعة موسى وواقعة الحسين رضي الله عنه في هذا اليوم ،فإنه لا يصح إلاّ في شريعة الغاب أن تكيد الأمّة لبعضها البعض في هذا اليوم ،فأهل السنّة يأكلون الحلوى ابتهاجا وأهل الشيعة يذرفون الدمع

حزنا على سيد شباب أهل الجنّة ،وبين الطائفتين قول المولى عزّ وجلّ يتلى بينهما حيث يقول تعالى(....قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ }الشورى٢٣ .

إنّ هذا المنهج كان في عصور كانت عقول النّاس فيها تتصوّر أنّ العداء بين السنّة والشيعة هو من مواطن القربى لله ،أما في أيامنا هذه فلا شك أن العقول أكثر إدراكا في أنّ هذا المنهاج فيه عداء للقرءان والسنّة ،لأن الله يأمرنا بالاتحاد ولا يأمرنا بزيادة الهوّة بين أهل الإسلام عنادا ، بل وترى بعض المغالين يقومون بالقتل في هذا اليوم ،فلقد قتل في ذكرى عاشوراء عام ٢٠٠٦ م/١٤٢٧ هجرية أعدادا كثيرة من المسلمين بأيدي مسلمين في الوقت الذي اتحدت عناصر كثيرة ضدّ رسول الإسلام يسيئون إليه عبر نشر رسوم مستهجنة ، فمتى تنتبه الأمّة ؟؟؟ وقام البعض بالاعتداء على قباب قبور يقدّسها الشّيعة، فما كان من الشيعة إلا تخريب خمسة مساجد وإتلاف خمس وعشرون كذا قتل المئات من الطرفين الآثمين(كان ذلك أيام٢٠&٢١&٢٢ من فبراير عام٢٠٠٦ فأي عقول هذه؟؟ ومن أي ثقافة ترتوي؟؟؟

ويا ترى أيّ القصّتين نعتمدها في سبب الصوم وتاريخه؟؟ وهل نحتفل ابتهاجا بيوم عاشوراء أم نذرف الدّمع حزنا استظهارا للمودة لأهل بيت رسول الله ؟؟؟وهل نتعادى في هذا اليوم أم نتّحد؟؟؟ وهل يحطّم بعضنا مقدّسات بعض أم نتلاقى فكريا عبر حوار هادئ؟؟.

فكان عليّ كمسلم أن أسأل مجامعنا الفقهية عن التناقض بين كتب الصحاح وفي كتب الصحاح؟؟ وما سر هذا التناقض بين ماهو مدوّن بصحيحي البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك عن ترك صوم عاشوراء وبين ما يقوله الفقهاء ؟؟ وما سرّهذا التناقض العملي الصارخ بين فئات المسلمين وعلى أي المنوالين يجب أن يكون أمرنا في هذا اليوم (فرح أم حزن)وهل هذه مسألة هامشية كما يدعى أصحاب الهوامش ؟؟؟هل البحث عن حقيقة السنّة من الهوامش؟؟ وهل طلب إزالة التناقض بكتب الصحاح من الفرعيات التافهة ؟؟؟ وهل اتحاد الأمّة شيء هيّن ؟؟وهل من اتخذ حديث الترك للصوم هل يكون تاركا للأحاديث التي تذكر الصوم ؟؟؟وهل من يصوم يكون مخالفا لما فعله رسول الله من ترك صوم عاشوراء.؟؟؟وما هي مهمة مركز السنّة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ؟؟؟ وما هي مهمة أساتذة الحديث بمعاهدنا العلمية؟؟؟.

إن كانت مهمة هذه الصروح إعادة طبع وتدريس الموجود فالمسألة غير محتاجة لمجهود كبير ومناصب عليا فالسنّة موجودة والمطابع موجودة وسيتم الطبع دوما للكتب بتناقضاتها ولا نحتاج كل هذه المراكز والألقاب لإبقاء الحال على ما هو عليه فالحال سيبقى رغم أنف الجميع.

والسنّة التي يجب إتّباعها في مثل هذا الأمر هو ما كان عليه رسول الله وما اختاره هو لنفسه فلا يصح من فقيه أن يقدّم مرجوحا على الرّاجح ويجب أن نرجّح فعل رسول الله في إفطار عاشوراء على تصريحه للغير بقوله من شاء صام ومن شاء أفطر فذلك هو الفكر السديد في المقارنة والاستنتاج ، ولندع ما تركه رسول الله من صوم ذلك اليوم فذلك هو عين السنّة،فضلا عمّا يحمله منهج الاحتفال بيوم عاشوراء من عدم اهتمام المحتفلين بمشاعر الآخرين من إخوانهم المسلمين الذين يتذكّرون ذلك اليوم بالحزن ،وكفانا احتفالا بنجاة سيدنا موسى في الوقت الذي لا نكترث فيه باستشهاد سيد شباب أهل الجنة ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فذلك منهج يليق بيزيد قاتل سيدنا الحسين والذي اتّخذ من أهل بيت رسول الله من النساء أسرى وسبايا تم اقتيادهن إليه في موكب نصره الملعون.

وليعلم المسلم أنه ليس بالضرورة أن يكون كلّ فكره صحيحا وكلّ فكر الآخرين خطأ فذلك عين الخطأ.

المبشّرون بالجنّة ليسوا عشرة

إن عقيدة المرء تتكون من بعض الأفكار التي ترسخ فى الضمير فتتكون منها العقائد، وعقيدة المسلم يجب أن تنبع من مجموع كتاب الله والسّنة الصّحيحة المتوائمة مع آيات كتاب الله، ولا يجب أن يتّخذ المسلم لنفسه منهاجا منبثقا من مرويات تتصادم مع كتاب الله ، ولا أن ينجرف مع تأويلات لصحيح الآيات والأحاديث ليصنع منها نسيجا زائفا يتصادم مع حقيقة ما تنزّل من آيات هي أصدق الحديث {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }الزمر ٢٣

وإن من ضمن مهام الرسل مهمة التبشير ومهمة الإنذار وفق منهاج الرسالة المبعوث بها كل رسول، والقرءان الكريم منهاج لا يتبدّل، لكن قد يخرج بعض الناس بتضخيم لمهمة الرسول فى التبشير حتى ينتهي بهم الأمر أن تتكوّن لديهم عقيدة مخالفة لآيات كتاب الله بل ومخالفة لمرمى الحديث النبوي، وهو الأمر الذي حدث بشأن الاعتقاد فى المبشّرين بالجنّة رضوان الله عليهم.

لقد نشأت ووجدت لدى بني أهلي من جلدة الإسلام أنّ المبشرين بالجنّة عددهم عشرة يعلمهم القاصي والداني، ووجدت من ضمن مراجع مكتبتي كتاب أسمه الثلاثون المبشّرون بالجنّة . طبعة١٩٩٩ . لأحد أساتذة جامعة الأزهر وهو الدكتور/ مصطفى مراد، والحق أنى وجدت الكاتب منصفا ومحقّا لما انتهى إليه فى كتابه حين ذهب إلى أنّ المبشّرين بالجنّة عددهم ثلاثون وليسوا بعشرة كما هو مشهور ،وقد ساق الرجل أدلّته الصحيحة من المرويات المنسوبة لنبي الرحمة عليه أفضل الصلوات والتسليمات .

ولكنى وجدت فيما وجدت أن عددهم أكثر من ذلك العدد بكثير، وإن كان العدد ليس من اهتماماتي ،ولكن رسوخ مبدأ العشرة عند غالبية أهل الإسلام هو من الأمور الزائفة التي يعنى بها هذا المبحث وخطورته التي تكمن في توارث العقائد عن الآباء بلا سند، وتتصوّر ضمان دخول الجنّة لبعض الصّحابة الذين كان لهم فهم أعمق من فهمنا لحديث رسول الله فلم يخرجوا بتلك المعتقدات التي خرجنا بها ،ولا يمنع تعليق مصير الصحابي من استمرار حسن ظننا بالصّحابة أجمعين سواء من تم تبشيره منهم أم من لم يبشّر.ومن أمثلة بطلان مبدأ العشرة المبشّرين بالجنة كعدد ما نسرد بعضه فيما يلى:.

- الحسن والحسين رضي الله عنهما وهما سيدا شباب أهل الجنّة(كما ورد عن النبي) وذلك رغم عدم إدراجهما ضمن حديث العشرة المبشّرين بالجنّة،وما ذلك إلاّ ليعلم المسلم الوجه السياسي الذي تم جمع الأحاديث فيه .
- وكذلك آل ياسر الذين قيل فى حقهم (صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنّة) وكان عددهم ثلاثة لم يدرجوا فى حديث العشرة المشهورين بالجنّة.
- وكذلك عكاشة بن محصن الشهير بحديث (سبقك بها عكاشة) حين قال لرسول الله أدع الله أن يجعلني منهم (يعنى من أهل الجنّة) فقال (أنت منهم) فقام رجل آخر فقال أدع الله أن يجعلني منهم،فقال (سبقك بها عكاشة).
- والسيدات/ خديجة بنت خويلد وفاطمة الزهراء وآل بدر وغيرهم .

وعلى المسلم أن يسأل نفسه عن مصير ذلك الرجل الذي أبى رسول الله أن يبشّره بالجنّة بعد أن بشّر بها عكاشة ، هل يكون ذلك الصحابي الجليل فى النّار؟؟ ثم إنك ستجد بعض من العشرة المبشّرين بالجنّة وقد لوّث يده بدماء المسلمين إبان أحداث الفتنة الكبرى فى حرب عليّ وعثمان رضي الله عنهما، فعلى أي منوال سيتخذ المسلم مدى فعالية البشارة ؟؟ هل تصوّر المسلم غفران الله

لذنوب المبشّر بالجنة وإن قتل مؤمنا عمدا؟؟؟ وهل سيكون المسلم على هذا المعتقد وهو يعلم حديث رسول الله(لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما)؟؟؟رواه البخاري ، هذا ما أراه فى صحيح الفكر المنضبط على شريعة الله، أمّا من يرون العصمة فى الأنبياء تارة وفى الصحابة تارة فهؤلاء قد صنعوا أصناما من الزيف لا محل لها من صحيح الشريعة.إذ يبقى الأصل عندي ما قاله النبى صلى الله عليه وسلّم (كلّ ابن آدم خطّاء وخير الخطاءين التوابون) ولست شيعيّا حتى لا يرميني أصحاب ثقافة الخصام في أحضان من يقولون على الصّحابة ما لا يصحّ ، ولكن لا ينبغى لى . فقط لكونى سنيا . أن أدافع عن أفكار متطرفة أو لا أصل لها بل ومتصادمة مع مرامى النصوص القرءانية.

فالصحابة رضوان الله عليهم قوم صنعهم الله على عينه ولنصرة دينه وأيّدهم بالملائكة تارة وبالإلهام تارة وبالنفس المطمئنّة تارة...الخ. **إنّ الصّحابة ومع عظمة قدرهم فهم بشر يصيبون ويخطئون وسيحاسب الله منهم من أراد حسابه حتى وإن كان مبشّرا بالجنّة.**

والبشارة التي صرفها أغلب الناس إلى أنها نبوءة نبي واجبة النفاذ ،وتناقلتها الأجيال على ذلك المعتقد ،وساعد على ذلك بعض الدّعاة وبعض المؤلّفات فى ذلك الصدد ، بينما حقيقتها أنها بشارة من رسول الله وهى إحدى مهامه فى صناعة القدوة والتنافس بين الناس ليبلغوا رضي الله ،ولا يصح أن تنقلب البشارة إلى نبوءة واجبة إلاّ عند أصحاب الأمخاخ التي ذبل تعقّلها ،فضلا عن تصادم هذا الفكر مع كتاب الله ومع عقيدة التوحيد ،فإذا ما أضفنا عدم معرفة تحديد عدد المبشّرين بالجنة بل واختلفت الأحاديث المرويّة فى تحديد أسماء العشرة ،فإننا نكون بصدد خطأ فقهي وعقائدي.

فنبوءة أي نبي فى أمور العقيدة أمر محقق قطعي الحدوث فى المستقبل بيقين لا يداخله شك ، أما البشارة والتبشير ، فهو أمر آخر تماما لأنه صورة من صور بعث الأمل واستنفار النّاس للحصول على البشرى،وآية ذلك ما حدث عن أبى بكر الصديق وهو أوّل المبشّرين بالجنّة الذي قال (لا آمن مكر الله ولو إحدى قدماي فى الجنّة)، فلو كان أبوبكر على ذات المعتقد الذي يعتنقه النّاس فى زماننا لكان من المكذّبين بحديث رسول الله حين يقول تلك القوله الشهيرة المذكورة، ولكان الصحابة أول من يتّهمه بالتشكيك فى نبوءة النبي، بينما نحن نعلم عنه أنّه قد سمّى الصّديق لأنه كان يصدّق رسول الله فى كل ما يصدر عنه.

وإنه حسما للأمر فإن كتاب الله بين أيدينا هاديا فى هذا الشأن حيث يأمر الله تعالى نبيه أن يقول:.

- {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }الأعراف١٨٨
- ويقول تعالى {قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ }الأنعام٥٠
- ويقول تعالى {وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ }هود٣١.

إنّ الله يقصّ الأمر على الناس شارحا مهمة رسوله وإمكانياته بالنسبة للغيب وهو الأمر الذي نلخصه فى ثلاث عقائد يجب على المسلم ألاّ يخرج بمعتقده عنها وهى:.

الأولى :. عدم ملكية الرسول نفع نفسه أو حتى ضررها.

الثانية:. عدم علم الرسول بالغيب حتى ينتخب لنفسه أقضيات الخير ويبتعد عن أقضيات الشّر.

الثالثة:. انحصار مهمة الرسول فى البشارة والنذارة وفق ما يوحى إليه بخصوص العمل الصالح أو العمل الغير صالح دون معرفة النتائج الخاصة بمن يدخل الجنة أو النار.

إن من عقيدة التوحيد المطلق ألاّ يعلم المرء حتى وإن كان رسول الله مآل نفسه من حيث المصير ،ومن ثم فلا يملك أن يختار عاقبة فعله، فعقيدة التوحيد هي التّجريد المطلق بشأن الغيب لله رب العالمين ،لا يشاركه البشر فى جزء منها مهما كانت درجة قدر هؤلاء البشر، نعم تكون الرؤيا الصالحة من عاجل بشرى المؤمن ،وكذلك قول رسول الله بالبشارة بالجنّة من عاجل بشرى الصحابي الذي بشّره الرسول ،ولكن يبقى أمر حقيقة المصير يقينا لله رب العالمين.

إن الإخلاص لعقيدة التوحيد لا يكون بابتداع خصائص وتأويلات لأحاديث رسول الله ، وهذه التأويلات تتنافى مع صحيح عقيدة التوحيد ،فحين يقرأ المسلم ما يتلوه من آيات بخصوص الغيب فعليه أن يعتقد اعتقادا جازما بعدم علم رسول الله للغيب .

وحين يقرأ المسلم قول الله فى شأن نوح عليه السلام({وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ }هود٣١ ،فإنه لا يشك فى استئثار الله بعلم الغيب .

وأما ما يسمح به الله لأحد أنبيائه من إطلاع لبعض الغيبيات سواء أكان غيبا مضى أو آخر يقع فى المستقبل القريب أو البعيد فهو مروى فى كتاب الله فيما جاء بالقرءان على سبيل الحصر لا على سبيل المثال وعن قوله تعالى (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً*إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) (الجن:٢٧&٢٦) ، فالغيب الذى يطّلع عليه الأنبياء غالبا ما يكون غيبا عما مضى حيث يقول تعالى بشأن إعلام نبيه بما حدث ليوسف عليه السّلام {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ }يوسف١٠٢ فهو غيب عن حدث مضى بما يعنى أن الغيب ليس بالضرورة أن يكون عن المستقبل.

وقد حسم الله فى سورة النمل أمر التوسع فى العلم بالغيب فينفيه نفيا قاطعا فيقول تعالى {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ }النمل٦٥ .وحتى لا نتوسع فى استنباط الغيب بلا ضابط يقول تعالى {تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ }هود٤٩ .

ويقول أيضا({ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ }آل عمران٤٤ . فإنه وبناء على تلك الآيات فقد أطلع الله نبيه على بعض الغيبيات وحصرها فى كتابه حتّى لا يتوسّع المتوسعون.

فمن جماع ما تقدّم يصبح تأويل أحاديث المبشّرين بالجنّة على أنها واجبة النفاذ فى حق من قيلت فى شأنهم فكر تشويه شائبة عدم فهم القرءان وعدم فهم الحديث ، بل ويتصادم مع صحة الاعتقاد فى استئثار الله وحده بعلم الغيب، فضلا على أنهم ليسوا بعشرة.

وقد يتعلل بعض مرتادي حانات الفساد الفكري عن رسول الله بقول الله (وما ينطق عن الهوى) وهم دائما ما يقولونها هكذا (وما ينطق عن الهوى) وكأنها نزلت بلا كلمات قبلها ولا كلمات بعدها وكأنها لقيطة ليست لها سياق قيلت فيه، ولكن عوّدنا أهل الهوى على أن ينطقوا بالهوى ويقولون (وما ينطق عن الهوى).

إن رسول الله لا ينطق عن الهوى فيما أنزل إليه من قرءان وما أوحى إليه من شروح لتبيان العقيدة أو الفرائض فقط، وليس فى كل ما نطق به على الإطلاق وإلاّ ما عاتبه ربه فى شيء مما عاتبه فيه بالقرءان، بل ولما قال هو صلّى الله عليه وسلّم حين يقضى

بين الناس(إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلى، ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النّار) متفق عليه وراجع رياض الصالحين باب تحريم الظلم .

وليعلم المسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم وفضلا عن تبشيره لبعض صحابته فإنه قد بشّر آلاف بل وملايين البشر بدخول الجنة، وحسبكم الأحاديث المرويّة عنه التي تؤكد الجنّة للشهيد ـ وللمطعون ـ والمبطون ـ والمحروق ـ ولمن دمعت عيناه من خشية الله ـ ومن بات يحرس فى سبيل الله ـ ومن رابط على ساحل من سواحل المسلمين ـ ومن قال لا إله إلاّ الله موقنا بها قلبه ....الخ،لكن حدّث ولا حرج عن المغالاة فى حبّ الرسول بلا ضابط شرعي ، والمغالاة فى تعظيمه حتى يطغى على تعظيم العبد لربّه فيخرج المؤمن عن حقيقة الإيمان وعن حقيقة ما كان عليه صاحب الرسالة وأصحابه الأخيار.

وإنّ الله سبحانه وتعالى قد بشّر الناس جميعا بالقرءان ...وبشرّ الطائعين... وبشّر المجاهدين...الخ لكن لا يمنع ذلك حساب الناس على ما قدّموا من عمل، لكن من أراد الله له المعافاة من الحساب فذلك لا يعرف أمره إلا حين يرى ذلك عينا يوم القيامة.

الخلاصة

فعلى ذلك فليست هناك حتمية لدخول الجنّة لأحد من البشر ولا حتّى للمبشّرين بها إلا بقضاء الله لمن أحسن العمل من العباد وختم له على الخير والإسلام ، حيث يقول تعالى (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾آل عمران١٨٥ ـ فالبشارة بشارة وفقط، ولا يمكن أن تتعدى البشارة مهمتها لتصبح نبوءة فى عقائد النّاس بلا ضابط من كتاب الله.

ولا بد للمسلم من تصحيح عقيدته لأن عقيدة المسلم فى تصوّره وجوب دخول المبشّرين الجنة، فيها تدخّل سافر لغيبية المصير وفيها تصادم مع الحقيقة القرءانية التي تقول(قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (لأعراف:١٨٨).

وتتصادم مع الحقيقة الأخرى (قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (النمل:٦٥). وتتصادم مع حقيقة (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ .....ألخ) (الكهف:١١٠) .

وفيها جهل بمعنى شهادة ألاّ إله إلاّ الله التي يجب على المسلم أن يعلم خصائصها ويقف على حقيقتها.

وتتصادم أيضا مع ما فهمه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه وهو أحد المبشّرين بالجنة حيث قال (لا آمن مكر الله ولو إحدى قدماي في الجنّة) وتتصادم مع قول عمر بن الخطّاب وهو أيضا من المبشّرين بالجنّة الذي قال (ليت أم عمر لم تلد عمر) وقولته المشهورة عن البغلة التي تتعثر في العراق وخوفه من أن يحاسبه الله على تعثّرها(وذلك إن صحّت المقولة).

وفوق ذلك كلّه رسول الله الذي كان يسأل الله الجنّة ويتعوّذ من النار، والصّحابة كذلك، ولم نعلم أنّ أحد المبشّرين بالجنّة امتنع عن التّعوذ من النّار لأنه ضمن الجنّة بتبشير النبيّ له.

فلا بدّ للمسلم من أن يصحح عقائده ومفهومه ، فسبحانه وتعالى له مطلق علم الغيب ولم يطلع أحدا على مصيره ولم يطلع أحدا على مصير أحد لكنّها البشرى وفقط وهى من سياسات الترغيب في الاقتداء بصاحب العمل الصّالح وحبّ الحسنة وكره المعصية.

(البيان في علم من علّم الإنس والجان)

لقد ضم تراثنا الثقافي الكثير من الخزعبلات منها ما تم نسبته إلى أنه دين، ومنها ما تم نسبته إلى أنه ثقافة أصولية عربية، ومنها ما نسبوه إلى الثقافة الفرعونية .....وهكذا ، ولست أعني بهذا أنه لا يوجد في تراثنا الثقافي والفكري غير هذه الترّهات فلا شك أنّ فيه ما يحقّ لنا أن نفخر به ونقود الأمم كي يهتدوا إليه .

وأجدني وقد وقفت على أسباب كثيرة كجذور لهذه الترّهات ،ومن بين ما وجدت أنه قد تم تشويه كبير لتراثنا الفكري والديني حتى حملت الأمة عيوبا من التراث الغير مدروس ،وأجدني واقفاً أراهم يعظّمون رسول الله بالخيالات والخبالات ، فمن ضمن تعظيم رسول الله بالخبالات أنهم عظّموه لأنه يجهل القراءة والكتابة، بل وتكاتفوا على آيات كتاب الله ليخضعوها حتى يصلوا إلى مبتغاهم في تعظيم رسول الله لكونه يمتلك الجهل الأبجدي، بل ووصل بعضهم إلى أبعد من ذلك حين قرر جهل الأبجدية لكل الأمّة العربية وقال ناسبا هذا القول للرسول(إنا أمه أميّه لانكتب ولا نحسب الشهر كذا وكذا)...... (راجع فتح الباري ج٤ ص١٥١الحديث ١٩١٣) ... نسبه إليه وهو في نشوة من السعادة والفخر، وإذا سألت بعضهم عن سر هذا الفخر بالجهل أجابوك على الفور بأن هذا الأمر فيه تعظيم لكتاب الله وتنزيه له عن أن يكون كتبه محمد أو غيره وأنه بهذا الاستنتاج وفق زعمهم . يكون الكتاب من لدن الله ، ولا أرى ذلك إلا من فرط الجهل بكتاب الله فلو أنهم علموا المكونات الإعجازية لكتاب الله ما تصوّروا الأبجدية ونظمها وحروفها مهما طالت واستطالت أنها شيئاً ذا بال بالنسبة لإعجاز أو محيط كتاب الله من حقيقة الحياة الدنيا وما فيها والحياة الآخرة وما بها، فيكون ذلك هو البرهان على عدم بشرية القرءان .

فهل كان محمد يعرف أن الشمس والقمر لهما دورة فلكية ،وهل كان يعلم بأن البحر لا يختلط مع المحيط لأن بينهما برزخا فلا يبغي أحدهما على الآخر، وهل كان يعلم سر الأجنّة ،وهل كان يعلم أن الأرض بيضاوية، وهل كان يعلم أن الكون يتسع، أو كان يعلم باختلاف بصمات أصابع البشر بعضهم عن بعض.......الخ وكل ما سبق هي علوم سطّرها القرءان الذي أنزل على محمد ، وإذا كان لا يعلم كل هذا ، مع العلم بوروده في القرءان ، فكيف نصنع ترياقاً من الزيف ونزعم بجهله الأبجدي حتى لا يشك شاك في أنه هو الذي كتب القرءان ؟؟؟ وكيف بهم يذكرون ذلك في الوقت الذي يتلون فيه كتاب الله يتحدى {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }البقرة٢٣ ويقرؤون التحدي الثاني {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقرءان لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }الإسراء٨٨ .وأنه إذا ما كان للأقدمين عذر في تأويل تلك الأميّة المدّعاه فليس للمتأخرين عذر بعد أن عاصروا كافة المخترعات الحديثة التي جاءت لتبرهن على أن القرءان كتاب إعجاز بكل صنوفه وليس إعجازا لغويا فقط كما كان يراه الأقدمون.

الأسباب التي اعتمدها القائلون بجهل الرسول والرد عليها

إن الأسباب التي يعتمدها القائلون في زعمهم بجهل رسول الله بالأبجدية تنحصر فى بضع آيات وحديث للرسول تأولوا معانيهم بصورة خاطئة ،وسوف يتم الرد عليها من خلال القرءان والسنّة الصحيحة والسيرة النبوية العطرة، فهم يطيب لهم أن يذكروا الآية في كتاب الله كبرهان لهم بعد أن يفسّروها وفق معتقدهم ثم يحملوا الناس على منهجهم وتأويلاتهم وهذه الآية هي :.

***(وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ *بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآياتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) (العنكبوت:٤٨:٤٩)**

ويبدو أنهم ظنوا أن معنى كلمة " تتلو " أنها تعني تقرأ ، فالنص القرءانى في ذهنهم يعني (وما كنت تقرأ من قبله من كتاب) ..... وليس (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب).

*** إن الله عز وجل حين قال " وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ " لا تعني أنه ما كان يقرأ ولا يكتب... إنما تعني أنه لم يعرف عنه قبلاً أنه كان صاحب نظر وتمتمات وترنيمات في الكتب السماوية السابقة التي كانت تحوى إعجازا في بعض أجزائها الميسّرة، وما كان يعكف على الكتابة فيها وإلاّ يرتاب المبطلون في أنه كتب القرءان ، وذلك لفرط جهلهم بالقرءان ومدى إعجازه ؛ فتدبر رحمك الله قوله تعالى " إذا لارتاب المبطلون " وهل أصبح المبطلون هم هدف الدعوة وهمّ الدّعاة الذين لا يعرفون ذودا عن القرءان إلا بأن يرموا رسولهم بالجهل؟؟.**

***كما وأنهم وجدوا ضالّتهم حينما انحرفوا بتأويل معنى كلمات وردت فى حديث أورده البخاري فى الجزء الأول من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري .(باب بدء الوحي) . حين جاء الملك جبريل للرسول وقال له اقرأ فرد عليه (ما أنا بقارئ) فتصوروا كلمة(ما أنا بقارئ) أنها تعنى (لا أعرف القراءة البتة) ورغم أن هناك روايات وردت بلفظ (ماذا أقرأ) ورواية أخرى بلفظ (ما أقرأ) ورواية(كيف أقرأ) وكلها فى كتب الصّحاح وليس فى كتب أخرى ولكنهم اختاروا رواية (ما أنا بقارئ) لتتناسب مع مرادهم فى جهل النبي.**

إن على هؤلاء أن يفهموا أن للجملة معنى آخر غير معنى (لا أعرف القراءة) إذ أنها يمكن أن تعنى (<u>لن أقرأ</u>) ويمكن أن تعنى (<u>ماذا أقرأ</u>) وفى هاتين الحالتين يعنى الأمر أن رسولنا يعلم القراءة ولا يجهلها ، والغريب أن هذا المعنى مذكور فى ذات المرجع السابق ولكن أصحاب الهوى يطيب لهم الهوى ، كما يمكن أن تعنى أيضا (<u>لا أستطيع القراءة</u>)(قد يكون من فرط الخوف وليس للجهل بها) وآية ذلك الخوف أنه حينما رجع إلى زوجته خديجة بعد هذه الواقعة قال زملّونى زملّونى وكان يرتعد من الخوف .

وإذا ما اطّلع القارئ على كتاب لسان العرب لأدرك أن معنى كلمة الأمّى أنه هو الذي يقرأ ولا يكتب أو غير المحسن للكتابة بما يعنى أن الله حين أمر محمدا (اقرأ) فإن ذلك كان فى استطاعته فلا يمكن أن نصرف ما ورد فى الحديث (ما أنا بقارئ) إلى أنه يعنى عدم الإلمام بالقراءة.وإن كنت أختلف فى تأويل الأمية المذكورة فى كتاب الله عن العرب وعن محمد صلّى الله عليه وسلّم لأنها لا تعنى الأمية الأبجدية وهو ما سيرد فى هذا المبحث فى حينه.

كما أن الحديث له رواه آخرون غير البخاري رحمه الله ففي رواية أبى الأسود عن عروة أنه قال (**كيف أقرأ**) وفى رواية عبيد بن عمير عند بن إسحق (**ماذا أقرأ**) وكل ذلك يدل على أن إجابة رسول الله كانت إستفهاميه وإلا لو كانت نافيه ما قام جبريل بتكرار الأمر عليه ثلاث مرات كما جاء بالحديث ـ وكل ماسبق مذكور ومسطور بالمرجع المذكور فتح الباري ص ٣٢و٣٣ وهو الأمر الذي يعنى أن إجابة الرسول الأعظم بكلمة (ما) أنها كانت إستفهاميه ولم تكن نافيه ويما يعنى أن الإجابة تحتمل كل الوجوه (النفي ـ الاستفهام ـ الخوف).

ولكي نصل إلى حقيقة الأمر فإنه من الجدير بالبيان أن نعلم أن آيات كتاب الله والأحاديث الصحيحة والمتواترة متساندة يشد بعضها بعضاً وليست متهادمة ولا متناقضة يهدم بعضها بعضاً ، ذلك أن حقيقة البحث العلمي والفقهي توجب على الباحث النظر في الأمر من كل جوانبه ولابد أن يعلم الباحث الفرق بين كلمة (أتلو أو تتلو) وبين كلمة(اقرأ) وبين كلمة (قل) حتى يستطيع التمييز والتفسير. فإن الله عز وجل يقول لرسوله وللكافة{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقرءان فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ }النحل٩٨ وقوله تعالى {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقرءان جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً }الإسراء٤٥ {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً }الكهف٢٧ . ومع الوضع في الاعتبار الأمر الأول . (اقرأ باسم ربك الذي خلق).

نخلص من سطور الآيات السابقات أن رسول الله كان يقرأ أحياناً وكان يتلو أحياناً ، فالتلاوة غير القراءة وكان أحيانا يؤمر بالقراءة وأحيانا يؤمر بالتلاوة وأحيانا أخرى يؤمر ب (قل).

*وهم يستدلّون على جهل الرسول بالقراءة والكتابة بما تم من لغط بين على بن أبى طالب والمشركين فى تدوين صلح الحديبية من أن رسول الله قال لعلى كرّم الله وجهه أين هي يا على (يعنى كلمة رسول الله التي اعترض المشركون على كتابتها) فمحاها بيده الشريفة بعد أن بيّن له علىّ مكانها ، والرد على هذه الرواية(على فرض صحتها) يسير ويكمن فى النقاط التالية:ـ

أ . أن محمدا (ص) قد يكون يجلس بعيدا قليلا عن جلسة من يكتبون فلما حضر وعلم سبب الخلاف قال لعلى (أين هي) وهذا الأمر يفعله أىّ ممن يعلمون القراءة طالما كانوا على بعد ولو متر واحد ممن يكتب .

ب . أن محمدا (ص) حال هذا الصلح كان يبلغ من العمر أكثر من خمس وخمسون عاما ، والجميع يعلم أنه من قبل هذه السن يصاب المرء بطول النظر فلا يرى الكتابة إلا بنظّارة وهو الأمر الغير متوفر على عهد الرسول صلى الله عليه وسلّم مما يدعو النبي أن يسأل عن مكان الكلمة .

ج . أن من لا يعلم القراءة والكتابة لا يمسك القلم بيده ويقوم هو بمحو ما يراد محوه فلربما تطيش يده فتمحو غيره من الكلمات، ولربما ترتجّ يده فينتثر المداد على باقي الورقة التي كان وجودها شحيحا فى تلك الأزمان الأمر الذي يبيّن أنه (ص) كان يعلم كيف يمسك بالقلم.

من جماع ما تقدم يتبيّن تهافت حجج القائلين بالجهل.

الحقائق من القرءان والسيرة فى علم الرسول بالكتابة والقراءة

المناقشة الفقهية للأمر من الواقع الإيماني بالقرءان والسيرة

وعودة إلى البحث عن الحقيقه حيث يقول الله تعالى "(لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (البقرة:٢٨٦)
ويقول تعالى:ـ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ{١} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ{٢} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ{٣} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ{٤} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ{٥}) (١–٥ العلق).

* إن الآيات السابقات تعنى أن الله لايكلف أحدا إلا بما فى استطاعته ويعنى أن الله لا يمكن أن يأمر رسوله بما ليس في إمكانه بما يعنى أن رسول الله كان يعلم القراءة ، فما يكون له أن يقول له اقرأ حتى ينتظر الجواب منه ما أنا بقارئ . بمعنى لا أعرف القراءة . وعلى فرضيّة الزعم بالجهل بالقراءة فإن الله لو أمر أحدا من خلقه بالقراءة لقرأ حتى ولو لم يكن يعلم القراءة ،فكما علّم آدم الأسماء كلها وميّزه وفضّله على الملائكة كلها فهو يصنع الرّسل لنفسه وعلى عينه وبرعايته لرحمة العالمين ، وحاشا لله أن يقول لجاهل بالقراءة اقرأ ثم يحتاج أن يكررها ثلاث مرات ثم يستمر الجاهل أو يظل على جهله ، وإذا كان ربه هو الأكرم كما تنص بذلك الآية ، ويعلّم الإنسان ما لم يعلم ، فهل يعلّم الإنسان ويترك رسوله لا يعرف القراءة ؟ بينما يأمره و يقول له اقرأ ؟؟؟ وما الفرق إذن بين من يريد أن يتهكم على محمد ممن يريد أن يعظّمه ويشرفه بالرسالة التي ورد في مهدها اقرأ.

*أو أن الأمة كلها لا تعلم القراءة كما يزعم بعضهم في قولهم (إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب) وأين كل ذلك من صفة الله أنه الأكرم وأنه علّم بالقلم وأنه علّم الإنسان ما لم يعلم ؟؟؟ وهل يكون كذلك لكل البشر إلا لرسوله؟؟ ولماذا لم يكرمه ويكرّمه بأن يعلّمه القراءة والكتابة؟؟ ويا ترى هل سيأتي يوم نجد فيه من ينادي فينا بالالتزام بسنة الحبيب في الجهل بالقراءة والكتابة ويدعو إلى هجر المدارس الإبتدائيه؟؟لأنه صلّى الله عليه وسلّم التزم بجهله الأبجدي ولم يتعلّم !!!.

* ثم ماذا يرى القائلون بالجهل بالأبجدية ؟؟ماذا يرون في الرّسول وهو يأمر أسراه في غزوة بدر أن يقوموا بتعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة كشرط لإطلاق سراحهم؟؟ بينما يترك نفسه نهباً للجهل والأمية الأبجدية ويصرّ على أن يستمر في عدم الإلمام بالقراءة والكتابة بينما يأمر المسلمين بالتعلّم ومحو الأميّة الأبجديّة !!!!وكيف تكون الأمّة لا تقرأ ولا تكتب بينما كتب السيرة تذكر أن الرسول أمر أسراه بتعليم المسلمين القراءة والكتابة، ألا يعنى ذلك أنهم متعلّمون للقراءة والكتابة وهل يستمر رسول الله فى الالتزام بعدم الإلمام بالقراءة والكتابة بينما يأمر المسلمين بتعلّمها ألا يكون بذلك المنهج مناقضاً لكتاب الله القائل " (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (البقرة:٤٤).
وهل يصح ذلك الفكر في حق الرسول الذي كان خلقه القرءان ؟.

*ثم نظرة إلى ما أنزل على رسول الله في قوله تعالى(.....وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً }طه١١٤ . فمن حيث أن الرسول كان خلقه القرءان ،فلابد أنه كان يسعى لأن يستزيد من العلم ويدعو الله أيضاً بدعاء (رب زدني علما)، وإن التكامل بين المنظومة القرءانية كمحرر مكتوب وبين المذكرة العملية كنبي معصوم مثالي في كل شئ تقتضي أنه حتى لو كان لا يعلم القراءة والكتابة فلابد أنه تعلّمها، وإلا فكيف بربك يأمر المسلمين بالسعي لطلب العلم من المهد إلى اللحد ثم يترك النبي نفسه نهبا لأمية أبجدية؟؟؟!!! .

*وهل بالضرورة أن يكون الرسول أمّيا حتى لا يتهم بأنه هو الذي كتب القرءان ؟إنه يمكن للرسول أن يأخذ هذا القرءان من أحد أصحابه الملمّين بالقراءة والكتابة وهنا هل يمكن الذود عن القرءان بجهل الرسول للكتابة؟؟ . ثم إن لصق الأمية الأبجدية بالرسول هل كانت تعني أنه أبكم ؟... إن بإمكان أي بدوى أن ينظم لغة لا يستطيعها أهل المحافل العلمية في بلدان عربية كثيرة ، أم كانوا يتصوّرون أن رسول الله كانت تتنزّل عليه صحائف مكتوبة وهم ينزّهون الرسول عن شبهة كتابتها؟؟

وإلى أصحاب عقدة الأمية الأبجدية ، أهيب بهم أن يكونوا أصحاب عقل ولا يكونوا أصحاب نقل إلا حين يكون النقل واجباً وصحيحا ؛ الحقيقة أني أهيب بالمسلمين أن يكونوا أصحاب تفكّر ولا يكونوا أصحاب فكر متحيّز ، أهيب بهم أن يكونوا أصحاب عقيدة ولا يكونوا أصحاب عقدة.

*الأمية والأميين

*ويتجه فريق من القائلين بالجهل إلى الاستناد إلى قوله تعالى " (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ .....) (لأعراف:١٥٧)

فهم يستدلون بهذه الآية علي إثبات الأمية الأبجدية للرسول العظيم ، وعلى هذا فإني أدعوهم إلى النظر وتدبر قوله تعالى {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }الجمعة٢... فهل يعنى ذلك جهل كل أهل الجزيرة العربية بالأبجدية لأن الله وصفهم بالأميين؟؟؟.أم كما يقولون أن أغلب أهل مكة كانوا على جهل بالأبجدية ؟؟؟

وإن قوله تعالى عن اليهود يبين لنا وجها آخر عن معنى كلمة (الأميين) حيث يقول تعالى (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران:٧٥)

فالأميين في ألآيه السابقة لا تعني الأميّة في القراءة والكتابة ، إذ لا يوجد تلازم بين الجهل بالأبجدية وبين أداء الأمانات إلى أهلها ،بل تعني أن اليهود كانوا يأكلون أموال العرب بدعوى أن العرب **أميّون لا يعلمون حقيقة العلم بالله وليس لهم كتاب سماوي .**

كما وأن تسميتهم بالأميين إنما ترجع إلى آراء عدّة، فما ورد في معناها نذكر منها :ـ أنها الأمية بالحقيقة الإلهية وقالوا (الأميين) لعدم نزول كتاب أو رسول فيهم ، وقالوا(الأميين) لجحودهم كتب الله وعدم إلمامهم بما فيها،وقالوا

(الأميين) لكونهم يقيمون بأم القرى ،وقالوا (الأميين) لانتسابهم لإبراهيم عليه السلام الذي كان أمّة ، وقالوا أميين مشتقة من أمم........ الخ ولقد ورد فى كتاب لسان العرب أن الأمي هو الذي يقرأ ولا يكتب فلماذا اختار أنصار الجهل وصرفوا معنى الأمية أنه الجهل بالقراءة والكتابة ؟؟؟ إن أحدا لم يصر بأن الأميين لابد وأن تعني أمية القراءة والكتابة إلا من علماء منابر الأمية فقط خاصة إذا ما كانت هناك آيات تنفى عن رسول الله الجهل بالأبجدية وهو ما سنورده في موضعه فى هذا المبحث.

ولتبيان هذا الأمر (معنى الأمي فى القرءان) فإن فى القرءان آيتين تدلان على أن الأمي فى القرءان بمعنى الأمية عن الحقيقة الإلهية وليست الأمية الأبجدية ،وأن هؤلاء الأميين يكتبون ويقرءون حيث يقول تعالى(وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ{٧٨} فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِنْدِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ{٧٩}) البقرة

*وإذا كانت كلمة أمي أو أميين تعنى الجهل بالقراءة والكتابة، فكيف يتصوّر المدافعون عن النقل بلا عقل بأن الله يتحدى هؤلاء الأميين الجهلاء بأن يأتوا بسوره من مثله ؟؟ أليس فى قوله تعالى حين يتحدى الجهلاء أن يأتوا بمحرر مكتوب له نظم مثل نظم القرءان ؟؟؟حيث يقول تعالى :ـ(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة:٢٣) . أليس فى التحدي الذي يقيمه الله مع الجهلاء بالأبجدية أن يأتوا بمكتوب يكون فيه تصغيرا لمنطق الله فى التحدي وألا يكون ذلك التحدي دليل على تفاهة القرءان أيضا؟؟؟

*وإذا ما كنا دوماً نردد سبحان من كان أمره بين الكاف والنون ، تأولاً لقوله تعالى " (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (النحل:٤٠)

فعلى ذلك فإن الله إذا قال للجاهل اقرأ فإنه يقرأ فورا لأن أمره بين الكاف والنون ، وكيف بكم تصدّقون أن الذي عنده علم من الكتاب يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس ملكة سبأ من اليمن إلى الشام ولا تتصورون أن الله علّم رسوله القراءة والكتابة فورا ؟؟؟ وذلك على فرضيّة أنه لم يكن يعلمها وهو الأمر الذي سيأتي في موضع آخر لإثبات كونه يعلم الأبجدية قراءة وكتابة قبل البعثة فضلاً عن سابقة بدء البعثة بكلمة اقرأ.

*وانظر رحمك الله إلى قوله تعالى عن كافة البشر عالمهم وجاهلهم بالقراءة ، حيث يقول تعالى " (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً *اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) (الاسراء: ١٣ &١٤) ... وعلى ذلك فحين يقال لكل النّاس اقرأ كتابك فلن نجد يوم القيامة من يقول ما أنا بقارئ ؟ وسوف نرى الجميع يقرأ أعماله التي أحصيت عليه بصرف النظر عن كون بعضهم لم يتعلم القراءة والكتابة ذلك أنه بمجرد صدور الأمر اقرأ فإن الجميع سيقرأ بصرف النظر عن سابقة علمهم بالقراءة من عدمه.

* وتدبر قوله تعالى:ـ(وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ

اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) (النساء:١١٣)

فهذا يعني أن الله علّم رسوله الكتاب ، وعلّمه الحكمة ، **وعلّمه ما لم يكن يعلم على الإطلاق** ، فلا يمكن لعاقل أن يقول وعلّمك ما لم تكن تعلم إلا علم القراءة والكتابة وإلا لكان من المعطّلين لآيات كتاب الله ومن المتأولين بغير علم *وإذا كان الله تعالى يأمرنا بتدبّر القرءان وسمّى من لا يتدبر القرءان بأنه صاحب قفل على قلبه حيث يقول تعالى " (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقرءان أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:٢٤)
فتدبر قوله تعالى " (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) (العلق:٤) . وقوله تعالى "(....... وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) (النساء:١١٣)
فإن هذه العلائق والعلاقات إذا ما تدبّرتها تكفيك في الوقوف على حقيقة أن رسول الله كان يعلم القراءة والكتابة ،وإن كان لم يعلمها قبل البعثة فقد علمها بمجرد أن أمره الله بإقرأ "وذلك لقوله تعالى (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (النحل:٤٠)

*والقرءان اسمه القرءان بما يعني أنه مجموع ومضموم بعضه إلى بعض ،وقيل هو الكتاب المنزّل على رسوله محمد واسمه مشتق من القراءة، فهل ينزّل الله على رسوله كتاباً أسمه القرءان ويتركه لا يعرف القراءة ويأمره (اقرأ) وينتظر منه الجواب (ما أنا بقارئ) !!! ويقرأ ماذا ؟؟هل نزل رسول الله جبريل على محمد بمكتوب أم كان يقول له اقرأ الهواء ؟ أم كان يأمره بإقرأ وهو يقصد (قل) .؟؟؟

*وكيف لا يتدبر القائلون بالجهل قوله تعالى (فَإِذَا قرءانَاهُ فَاتَّبِعْ قرءانَهُ) (القيامة:١٨) أي أتبع قراءته . وكيف بالله ينزّل على عبده (الرَّحْمَنُ *علّم القرءان) (الرحمن:١&٢) **فهل يعلّمه كل علوم القرءان إلا علم القراءة فيه؟؟؟.**

*وإن الأمر بالقراءة (اقرأ) لابد وأن تعني محرر مكتوب ,وهو القرءان (قاله الشنقيطى فى تفسيره) وقد يكون لتعليم الرسول أنه لابد له حين يقرأ أن يقرأ باسم الله خاصة وأنه كرر عليه الأمر في قوله تعالى " اقرأ وربك الأكرم " ، فلابد أن يكون هناك إما محرر مكتوب أو هدف من ذلك الأمر غير إبراز جهل الرسول بالأبجدية.

* ومسألة ضرورة تحرير ما ينزل من القرءان . هذه المسألة – هي مسألة متواترة في جميع رسالات السماء حيث يقول تعالي (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى* صحف إبراهيم وموسي) (الأعلى:١٨&١٩) ... كذلك فى قوله تعالى عن موسى عليه السلام {........ وَأَلْقَى الألْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ .....الخ الآية }الأعراف١٥٠... ويقول تعالى {وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ }الأعراف١٥٤... وقوله تعالى (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الجاثية:٢٩) وقوله تعالى {رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً }البينة٢. بما يعني وجود صحف تتم كتابتها ، فهذا هو نهج الله في رسالاته سواء أكانت الرسالة الوحيدة المحفوظة بحفظ الله أم في الرسالات الأخرى أم فى إحصاء أعمال العباد ،مما يعني أن القراءة والكتابة كانت أمراً ذا حق وحقيقة في رسلات جميع الرسل عامة والرسول الخاتم خاصة .

* ومما يتّسق أيضا مع ذلك تأكيد الله على دور القلم (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ{١} مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ{٢}) سورة القلم. سواء أكان دور القلم فى تدوين الرسالات أو فى إحصاء أعمال العباد بما يعنى أهمية القراءة باللسان أو النظر وأهمية الكتابة بالقلم وبما يكتب به من أشباه القلم ويحاكى القلم فى النتائج.

*كما أنه لا يمكن أن نصرف معني كلمة اقرأ إلي معني تعلّم(كما ذهب البعض)، إذ أن المعاني تكون شاملة علي أن يكون من بين المعني الأمر الظّاهر موضوع التكليف ، فيمكن أن يكون المعني تعلّم ولكن الأمر يكون القراءة أي اقرأ وتعلم لأن القراءة هي لغة الإظهار والإبراز، والقراءة قد تكون من مكتوب وقد تكون من مكتوب يقرأه غيرك ، كما أنه لا يمكن أن نصرّف الأمر(اقرأ) على أنه(قل) أو على أنه (أتلو) فذلك كله تخصيص بغير مخصص ويحتاج لأحد علماء التبرير كي يقنع الناس بأن ثمرة الموز هي ذاتها ثمرة الخيار ....وهكذا.

*ثم إن الأمر بالقراءة لم يكن أمرا بين محمدا عليه الصلاة والسلام وبين جبريل الأمين فقط ، بل أن الله أمر رسوله أن يقرأ القرءان على الناس حيث قال تعالي (وَقرءاناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً) (الاسراء:١٠٦) ..... ويقول تعالى (رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً{٢} فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ{٣}) سورة البينة.

*الأمر الذي يعني أن الرسول كان مأموراً بتدوين ما ينزل عليه، ومأمور أيضاً أن يقرأه علي الناس، ومأمور بتلاوته، فقراءته علي الناس غير تلاوته، وهو غير قول ما فيه للناس.....أي يعرضه علي الناس بأن يقوم هو بقراءته علي الناس حتى يتعلموا أهميّة القراءة وأصول قراءته وحتى يؤمنوا به، فالرسول هو المعلّم لكل الناس مؤمنهم وكافرهم.... لا يعلّمهم علوم القرءان فقط..... إنما يعلّمهم قراءته أيضا ويستهدف أن يتعلّم جاهلهم القراءة لأهمّيتها.

*والحقيقة أن قصور التفسير عند الأمة بدأت مع تأويل تفسير الأمر الأول (اقرأ) فاتخذته الأمة على أنه معجزه نزول نص يقرأ ويكتب على نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ونست الأمة بفعل البعض المغزى الرئيسي من الأمر (اقرأ)، بل ونسيت أنها مخاطبه به وتصورت الأمر وحصرته فى رسول الله فقط ، ثم تعاظمت المصيبة مع عدم السماح بحرية التدبّر مع تقديس ما انتهى إليه تفكير المفسرين القدماء، ثم تقاطرت وتتابعت الأمة جيلاً بعد جيل ترث وهي لا تفكر بينما كتابها يخاطبها (أفلا تعقلون – أفلا يتفكرون – أفلا يتدبرون . وما يعقلها إلا العالمون .... الخ)

*ثم وكيف يتصور أصحاب معنى الأمية أنها الجهل بمفردات الأبجدية قراءة وكتابة؟؟؟ كيف بهم يتصوّرون الله وهو يتحدى الجهّال من الأميين أن يأتوا بسورة من مثل القرءان ؟؟؟ فأين عظمة التحدي فى أن تتحدى أميين لا يعرفون القراءة والكتابة ؟؟؟؟ وإني أعلم أنه سبق لي وأن كتبت هذا الأمر فى صفحة سابقة لكن لعظم خطورته على الاعتقاد أكرره وسوف أكرره دوما حتى أجد عقلاء ينشرونه ولا ينهزمون أمام طغمة انحرفت بالتأويل ثم انفردت بنشر ثقافتها وفكرها بين الناس.

*ثم وإنه من زاوية أخرى من زوايا النظر فإنه من المعلوم أن كل شئ في خزائن الله (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) (الحجر:٢١)
فاعلم رحمك الله أن علم القراءة أو غيره من العلوم إنما الأصل فيه أنه يأتيك ولا تأتيه أنت، وذلك وفق تيسير الله لك ووفق جهدك وذلك لقوله تعالي (............... وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً) (الاسراء:٨٥)

وقوله (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقرءانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) (طه:١١٤) وذلك مع عدم الإخلال بفريضة السعى فى طلب العلم. فهل يأتيك الله بعلم القراءة والكتابة ويحرم رسوله من تعلمها؟؟؟ وهل يترك رسوله يقول ويدعو ربّ زدني علما فيعلّمه كل شيء إلا القراءة والكتابة؟؟؟

فهل بعد كل هذا التبيان نجد من يصمم على جهل رسول الله بالأبجدية ؟؟؟ إن الدعاة الذين يكررون معاني الأمية الأبجدية للنبي لا يحمون الدّين بادعاءاتهم بل يحمون تأويلات بعض الفقهاء القدامى الذين قد يكون لهم عذرهم ، فلم يكن القرطبي والطبري وغيرهما في زمانهما وغيره يعلمون بتغيّر الضغط الجوي إذا ما طار الإنسان في أعالي الهواء مع قلّة فى الأكسجين اللازم للتنفس حيث يقول تعالي (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام:١٢٥)
ولم يكونوا يعلمون الكثير من الأمور العلمية التي أصبحت عادية في زماننا (كالدورة لفلكيه وغيرها) ولذلك فكانوا يرون أن النظم اللغوي للقرءان هو عين الإعجاز عندهم وكانوا يخشون من مقولة أن محمداً كتب القرءان بيده ،وكان بعضهم قرأ تاريخاً مزيفاً عن جهل رسول الله بالأبجدية فتصوروا ....وفق معطيات زمانهم....... فظنّوا أن صيانة القرءان من مظنّة الكتابة البشرية تكمن فيما ذهبوا إليه من معاني .

ولكن اليوم وبعد أن منّ الله علينا من خزائن علمه ، وآتانا منها وعلّمنا بعضا من الإعجاز العلمي في القرءان وأصبح لنا محدثين وأساطين فيه ، فلا يصح منا أن نتصور أن جهل رسول الله هو الذي يذود عن الظن في كتاب الله من أن رسول الله كتب القرءان بيده ؛ إن معني هذا أن مجرد معرفة الرسول بالقراءة والكتابة قد يبقي ولو نسبة ضئيلة من الظن في إمكانية قيامه بكتابة القرءان ،وهذا وغيره هو عين الهراء ، وعين الجهل بمرامي وقيمة كتاب الله وكلماته التي نزّلها علي محمد صلي الله عليه وسلم واليك شرح سببً واحدً من ملايين الأسباب ونوجزه فيما يلي :-

إن رسول الله لم يكن يعلم بتغير الضغط الجوي وقلة الأكسجين حين الطيران حتّي يقول من تلقاء نفسه (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام:١٢٥)
فلابد إذاً من دراسة هذا العلم والقيام بتجارب معملية حتي نتأكد من قلة الأكسجين وازدياد الضغط الجوي أو قلّته حتى نتصور ما يعنيه القرءان في هذا الأمر ،وإن الأمر علي هذا النحو وغيره من الأمور تؤكد رسولية محمد وأن القرءان من عند الله ،إذ أن هذا الأمر قد تم اكتشافه بعد أن تم اختراع الطيران بواسطة الأخوين رايت في عام ١٩٠٨ تقريباً أي بعد نزول القرءان بأكثر من ألف وثلاثمائة سنة ، بما يعني أن من تصوّر أن معجزة القرءان تكمن في نظمه فهو ساذج بمرامي وعلوم القرءان دون أن ينقص ذلك من كون القرءان معجزة لغوية بكل المقاييس ولكنها أبسط معجزاته ،ولابد ونحن نصيح بأن القرءان معجزة لكل العصور أن نتفاعل مع المعطيات لكل عصر، فما نعطه إلا بإذن الله ،ولابد أن تختلف نظرة المتأخرين عن نظرة الأولين دون أن يفسد ذلك من أمر عقيدة المرء فى شئ.

وإن التصور الحصرى في أن معجزة القرءان هي في منظومته اللغوية جعل بعض المخبولين من الولايات المتحدة ينشئ ما أسموه في أيامنا هذه (الفرقان) يضاهون به القرءان وماذا كم إلا لفرط جهلهم ولتفريط المسلمين في إعلام العالم بقيمة كتاب الله من كافة جوانبه ....هذا إذا ما كانوا يعلمونها .

<u>*الدليل على أن الرسول كان يعلم القراءة والكتابة</u>

أولا:. من القرءان

إن رسـول الله ولـد وعـاش فـي مكـة، وأهلهـا هـم أعلـم النـاس بمـا يعلمـه وبمـا لا يعلمـه فـانظر رحمـك الله إلـي قـولهم فيمـا جاء بكتاب الله عنهم وصفا لرسول الله الذي عرفوه تمام المعرفة.

(وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الفرقان: ٥)

فكلمة اكتتبها تعني في اللغة (اشترك فى كتابتها وقيل استملاه وقيل تكرر منه الكتابة) فلو كان مشركو مكة يعلمون بجهله فى الأبجدية ، أو أن القرءان كان شفوياً في صدر رسول الله وصحابته الأجلاء كما يزعم البعض ما كان قول المشركين (اكتتبها) له محل من الواقع ، لكن الآية تعني أن رسول الله كان يعلم الكتابة عموماً ثم قام أحد أهل الكتاب بتعليمه كتابة أساطيرهم وذلك بطريقة الإملاء. فهل يقولون ذلك علي من عاش بينهم جاهلاً؟؟؟ –و هل يقولون ذلك وهم يعلمون بجهله بالأبجدية؟؟؟؟؟ وهل يقولون بأن هناك من يملي عليه هذه الأساطير ،وكيف كان يملي عليه وهو جاهل ؟ إن الذي يكتب لابد أن يكون عالماً بالقراءة ، والذي يملي عليه هو أعلي درجة ممن يعرف الكتابة لأنه يكتب كل ما يملي عليه بما يدل علي مهارته ،ولا يمكن لأساطين الكفر فى مكّه وهم يخاطبون رعاياهم إلا أن يقولوا الحق عمن عاش بينهم ولو قالوا غير الحق لانفض الناس من حولهم وذهبوا إلى محمد ليؤمنوا به ،وهو ما يخشاه الأساطين من المشركين.

<u>ثانيا:. واقعية التشريع والتنزيل والرسالة فيما يخص القراءة والكتابة</u>

إن القـرءان لـم يكـن بحـال كتـاب ديـن يلجـأ إليـه النـاس وقـت الشـدّه وفـى الجنـائز والأفـراح والأمـراض وهكـذا ممـا نـراه فـى أيامنـا هـذه ، إنمـا هـو كتـاب علـم يهـدف لرقـىّ البشـرية ،وطريقـة للحيـاة والإعـداد لمـا بعـد الحيـاة ، وهـو كتـاب واقعـي ينيـر الطريـق لصـلاح المـؤمنين بمفرداتـه كلّهـا ، ومـن غيـر المقبـول أن نسـمع أن الرسـول كـان خلقـه القـرءان ثـم ننتهـي إلـى انعدام الواقعية والتطبيق القرءانى فى حياة أعظم الخلق وخاتم النبيين وإلا كنا من المخبولين فكريا.

إن الله أنــزل أول مــا أنــزل علــى رسـوله الأمــر الإلهــي (اقــرأ)...... وأنــزل عليــه فيمــا أنــزل (وقـل رب زدنــي علمــا) ....وبـيّن لـه فيمـا أوحـى إليـه (ن*والقلـم ومـا يسـطرون.....) فبـيّن لـه فضـل القـراءة والعلـم ، ومـا كـان لرسـول الله الـذي كانـت معجزتـه القـرءان الـذي هـو معجـزه عقليـة وعلميـة ولغويـة وحضـارية وأدبيـة ولـيس معجـزة لغويـة فقـط أن يتخلّف عن ركب تغذية العقل أو العلم.

وقـد كـان رسـول الله يطبّـق تطبيقـا عمليـا وواعيـا كـل مـا يتنـزّل عليـه مـن حـروف القـرءان وكلماتـه ويربطهـا مـع بعضـها ويـأمر بهـا أصـحابه، وكـان للقلـم وللقـراءة الـدور الأعظـم فـى واقعيـة نشـر العلـم ونشـر الـدين ونشـر القـرءان ، وقـد كـان الرسـول يـدرك ذلـك الأمـر ،وكـان صـاحب التطبيـق الـواعي لكتـاب الله فكـان يقـرأ لأن الله أمـره بـالقراءة ، وكـان يطلـب العلـم دوما لأن الله أمره بالاستزادة من العلم ، وكان يعلم أهمية القلم فى نشر العلم فكان يكتب.

والقـرءان نـزل فـى أهـل بلاغـة يـفد إلـيهم النـاس مـن أقطـار الأرض لأداء فريضـة الحـج وفقـا لشـريعة إبـراهيم ، ومـن البـديهي أن تكـون مكّـه وهـى مقصـد النـاس مـن كافـة الأقطـار أن يسـتزيد أهلهـا مـن ثقافـات وعلـوم البشـرية علـى اخـتلاف أقطارها.

وكانـت رحلـة الشـتاء والصـيف للتجـارة تـنمّ عـن حاجـة أهـل الشـمال والجنـوب لبضـائع أهـل مكـة ،كمـا تـنم عـن مطالـب أهـل مكـة مـن بضـائع الشـمال والجنـوب وعلـى مقـدرة أهـل مكـة فـى الترحـال للتجـارة، وبالتـالي فقـد كـان أهـل مكّـة فـى رغـد مـن عـيش ، فـلا يستسـاغ أن يكـون نبـي الله المرسـل للنـاس جميعـا هـو أفقـرهم وأجهلهـم رغـم مـا أنـزل عليـه مـن الأمر(اقـرأ) و(وقـل رب زدنـي علمـا) ثـم بعـد ذلـك نجـد مـن يتشـدّق بجهلـه الأبجـدي وكـأن المعجـزات شـحيحة لا ينقصـها إلا جهـل الرسول حتى تكتمل .

إن واقعيـة المـنهج القرءانـى وواقعيـة التشـريع وواقعيـة التنزيـل ، فضـلا عـن نـاموس الله فـى أنبيائـه أنهـم كـانوا اليـد الأعلـى دومـا علـى أقـوامهم ، وهـو مـا يؤكـد أن القـرءان لـم ينـزل علـى جاهـل لأن الله يؤهّـل أنبيائـه بمـا يـدعّم طبيعـة الرسـالة وطبيعـة مـن يبعـث فـيهم ......فالطـب والمعرفـة بخبايـا المـال كانـت طبيعـة مـن معجـزات عيسـى عليـه السـلام حـين أرسـله الله إلـى قـوم اشـتد بهـم مـرض العمـى منـذ الـولادة والبـرص، وكـانوا أشـحّاء فيمـا بيـنهم ،فكشـف غنـى الغنـىّ فـيهم ومـا يـدّخره مـن طعـام فـى بيتـه وداوى مرضـاهم. ......وكـان السـحر طبيعـة أهـل مصـر الـذين نـزل فـيهم موسـى فـزوّده الله بمـا يفتـك بالسـحر ويجعلـه صـاحب الكلمـة العليـا بيـنهم ،ولـم نسـمع عـن أحـد سـرق منـه العصـي حتـى يحرمـه مـن القـوّه السـحرية التـي معـه ....والـدروع كانـت خصيصـة داوود علـى قومـه المقـاتلين فعلّمـه صـناعة الـدّروع.......والقراءة والعلـم خصيصـة محمـد علـى قومـه مـن الشـعراء والبلغـاء الـذين كـانوا يقرضـون الشـعر ارتجـالا وكـانوا يتبـارون باللغـة العربيـة ولـه سـوق تسـمّى عكـاظ يتبـارون فيهـا بمنتجـاتهم الأدبيـة،وكانت لهـم معلّقـات ينظمونهـا ويعلّقونهـا افتخـارا بإنتـاجهم اللغـوي ، فلـم يكـن القـرءان ولا رسـول القـرءان غربـاء عـن مـوطن الرسـول وطبيعـة هـذا المـوطن ومـا يحملـه مـن بلاغـة أساسـها القـراءة والكتابـة والعلم ولم يكونوا أميين بالأبجدية أبدا.

ثالثا:. من السنّة الصحيحة

لقـد تعـددت الروايـات الصـحيحة التـي تؤكـد إحاطـة وعلـم الرسـول بالكتابـة والقـراءة ولقـد اخترنـا منهـا بعـض مـا رواه الشـيخان /البخاري ومسلم رحمهما الله وذلك فيما يلى :.

١ـ عـن بـن عبـاس قـال (يـوم الخمـيس ومـا يـوم الخمـيس اشـتد برسـول الله (ص) وجعـه **فقـال إئتـونى أكتـب لكـم كتابـا** لـن تضـلوا بعـده أبـدا .... الـخ الحـديث) حـديث رقـم ٤٠٧٨ صـحيح البخـاري كتاب المغازى .

٢ـ عـن بـن عبـاس رضـي الله عنهمـا قـال (لمـا حضـر رسـول الله (ص) وفـي البيـت رجـال وقـال النبـي (ص) **هلمـوا أكتـب لكـم كتابـا** لا تضـلوا بعـده أبـدا فقـال بعضـهم إن رسـول الله قـد غلبـه الوجـع وعنـدكم القـرءان حسـبنا كتـاب الله فـاختلف أهـل البيـت واختصـموا ....الـخ الحـديث – يقـول بـن عبـاس أن الرزيـة كـل

الرزيـة مـا حـال بـين رسـول الله (ص) وبـين أن يكتـب لهـم ذلـك الكتـاب لاخـتلافهم ولغطهـم) حـديث رقـم ٤٠٧٩ صحيح البخاري كتاب المغازى

٣ـ عـن بـن عبـاس أنـه قـال (اشـتد برسـول الله (ص) وجعـه فقـال آئتـونى أكتـب لكـم كتابـا لـن تضـلوا بعـدى أبـدا فتنـازعوه ومـا ينبغـي عنـد نبـي تنـازع .... الـخ الحـديث) حـديثا رقـم ٣٠٨٩ صـحيح مسلم كتاب الوصية

٤- عـن بـن عبـاس أنـه قـال (قـال رسـول الله (ص) إئتـونى بـالكتف والـدواة أو اللـوح والـدواة أكتـب لكـم كتابـا ....الـخ الحـديث) حـديث رقـم ٣٠٩٠ صـحيح مسـلم كتـاب الوصـية. وورد ذات المعنـى بالحـديث رقـم ٣٠٩١ صحيح مسلم – كتاب الوصية أيضا.

مـن جمـاع الروايـات السـابقة يثبـت أن الرسـول كـان يجيـد القـراءة والكتابـة ،وأنـه كـان يريـد كتابـة وصـيته للمسـلمين لـولا اختلافهم بحضرته ، وهـى تقطـع بـاليقين فـى أن معنـى قـول الرسـول فـى حـديث جبريـل لـه اقـرأ ورد الرسـول عليـه بقولـه مـا أنـا بقـارئ بمـا يعنـى مـاذا أقـرأ أو بمـا يعنـى لا أسـتطيع مـن فـرط الخـوف ،ولكـن لا تعنـى أبـدا لا أعـرف القـراءة كمـا فسـرها الـبعض ولـيكن ذلـك الفكـر هـو منهاجنـا حتـى لا يطعـن أحـد فـى السـنّة النبويـة أنهـا تـأتى بالشـيء ونقيضـه فـى آن واحـد ونكـون نحـن سـبب هـذا الأمـر بتأويلاتنـا العرجـاء ، هـذا فضـلا عـن أن الحـديث ذكـر مـن عـدة طـرق فمـن بـين ألفاظـه (مـا أقـرأ) وهـذه أيضـا قـد فسـرها الـبعض بأنهـا (مـا) الاسـتفهامية وفسـرها آخـرون بأنهـا (مـا) النافيـة ولكـن إذا مـا كـان لأهـل الفقـه علـم فـى قواعـد الإثبـات لعلمـوا أن القـرائن المتسـاندة هـي خيـر دليـل علـى مـا تسـاندت عليـه وأنهـا فـى موضـوعنا هـذا تتساند فى صالح علمه (ص) بالقراءة والكتابة هذا فضلا عن وجود دلائل على علمه بهما (ص).

رابعا :. <u>من العقل</u>

*إننـا لا نقبـل مـن قائـل أن يسـتنبط مـن أن رسـول الله صـلي الله عليـه وسـلم كـان لديـه كتّـاب للـوحي ويسـتند علـي ذلـك فـي الخـروج باسـتنتاج أنـه كـان لا يعلـم القـراءة ، ذلـك أن رسـول الله كـان لـه كتّـاب وكـان لـه حـرّاس وكـان لـه خـدم ، وكلمـا عـلا شـأن المـرء كـان لـه كتّابـا وحرّاسـا وغيـر ذلـك دون أن يفـتّ ذلـك فـي شـأن علمـه بـالقراءة والكتابـة أو فـي شـأن قدرتـه علـى الـدفاع عـن نفسـه .. الـخ ،لكـن حـب هـذه الأمـة للأسـاطير وعزوفهـا عـن البحـث والفكـر مـع قلّـة القـراءة والكتابـة كـل ذلـك أفرز ذلك المعتقد وغيره.

*كمـا وأن جهـل رسـول الله بـالقراءة والكتابـة مـع احتياجـه لكتّـاب للـوحي ومـع عـدم إلمامـه بـالقراءة والكتابـة سـيجعل هنـاك حـائلا يحـول عـن معرفتـه صـحة مـا تـتم كتابتـه ومـدى دقتـه فيحـرم مـن مهمّـة التحقـق والمراجعـة، وفضـلا عـن ذلـك فـإن القـرءان كـان المهمـة الرئيسـية للرسـول وحيـا وبلاغـا وقـراءة وكتابـة وتـلاوة وجمعـا ، فـلا يصـوّر لنـا أحـد الـزاعمين بالجهـل أن الرسـول تـرك المهمـة لأبـى بكـر أو عثمـان رضـي الله عنهمـا لـيكملا أمـر جمـع القـرءان بعـد سـنوات عـن فكـره عنّـت لأحـدهما فـإن فـي ذلـك تكـذيب لقولـه تعـالى (............الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَـيْكُمْ نِعْمَتِـي وَرَضِـيتُ لَكُـمُ الْإِسْـلامَ دِينـاً فَمَـنِ اضْـطُرَّ فِـي مَخْمَصَـةٍ غَيْـرَ مُتَجَـانِفٍ لِإِثْـمٍ

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المائدة:٣)

***كمـا وأن كتّـاب الـوحي مـا كـان لهـم أن يكتبـوا(ألم) ولا(كهـيعص) ولا(حـم) متشـابكة الحـروف إلا بتوجيـه نبـوي عـن صـورة الكتابـة ، إذ أنـه لـو تـرك الأمـر إلـيهم لكتبوهـا مقطّعـه كمـا سـمعوها منـه يقولهـا مقطّعـه ،فـالقرءان تـم تنزيلـه وجمعـه وتدوينـه فـي عهـد رسـول الله وتحـت إشـرافه وعلـى بصـيرته وبصـره حيـث يقـول تعـالى (إن علينـا جمعـه وقرءانـه)١٧القيامـة فلـم يقـل إن علينـا جمعـه فـي عهـد مـا بعـد الرسـول أو فـي عهد عثمان.......الخ من تلك الترّهات.**

نضـيف إلـى الـدلائل العقليـة مـا سـبق وذكرنـاه مـن اسـتحالة توجـه الله بالتحـدي لأميـين ، بمعنـى أنهـم لا يعلمـون القـراءة والكتابـة ، واسـتحالة أن يعلّـم الله كـل الأنبيـاء إلا محمـدا ،وعـدم معقوليـة أن ينـزل جبريـل لأحـد ليـأمره (اقـرأ) ثـم يكتشـف أنـه لا يعـرف القـراءة والكتابـة ،وعـدم استسـاغة أن يقـول أسـاطين أهـل مكـة الـذين تربـى بيـنهم النبـي أن هنـاك مـن يملـى عليـه هـذا القـرءان ويقـوم هـو بكتابتـه فـى الوقـت الـذي يعلمـون أنـه يجهـل الكتابـة ، مـع اسـتحالة أن يـدعو نبيـا ربـه (رب زدنـي علمـا) ولا يسـتجيب لـه ، مـع عـدم منطقيـة وسـوء أدب وجهـل مـن قـال بـأن الله علّـم رسـوله مـالم يكـن يعلـم إلا علـم القـراءة والكتابـة، وسـوء أدب مـن يقـول بـأن رسـول الله يـأمر مشـركى مكـة مـن الأسـرى أن يعلّمـوا مـن لا يعلـم القـراءة والكتابة ثم هو يترك نفسه نهبا للجهل بهما......وغيرها كثير مما ذكرناه

وبعـد كـل هـذه الـدلائل القرءانيـة والعقليـة ودلائـل السـنّة والسـيرة الصـحيحة سـتجد فريقـا ممـن يتـدينون بالوراثـة ممـن يحبـون روايـات ورثوهـا بـلا عقـل يقولـون:ــ ومـا الـدّاعي لفـتح هـذا الموضـوع فـي هـذا الوقـت بالـذات ؟؟؟– نـرد علـيهم ولمـاذا لـم تفتحـوه أنـتم فـي الوقـت الماضـي وفـي خـلال عمـركم المديـد ومـا أدراك بأنـه سـيحين الحـين الـذي يرضـي هـؤلاء فـي المسـتقبل ليفتحـوا فيـه أي موضـوع ؟؟؟ إن هـؤلاء هـم عبيـد الجمـود عنـد حـد اجتهـاد الآخـرين بـلا عقـل وبـلا هـدى أو كتـاب منيـر، وهـل تبرئـة الرسـول مـن تهمـة الجهـل لا تسـتحق منـا بـذل الجهـد وإعمـال العقـل مـن أجـل الوصـول إلـى حقيقـة الهـدف القرءانـى أولا ثم الحقيقة التيقرّها العقل السويّ ثانيا؟؟؟؟.

وسـيقول آخـرون ومـا الغـرض مـن فـتح هـذا الموضـوع ؟؟؟ فهـؤلاء نـرد علـيهم بقـول الله تعـالي (أَفَـلا يَتَـدَبَّرُونَ الْقـرءان أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:٢٤)

وكيـف بالمسـلم يـتجهّم عنـد كـل فكـر طالمـا لـم يوافـق مـا ورثـه مـن فكـر ، إن هـذا المـنهج مـذموم بمـا ورد بكتـاب الله مـن قوله (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) (الأنعام:١١٦)
وقولـه (وَإِذَا قِيـلَ لَهُـمُ اتَّبِعُـوا مَـا أَنْـزَلَ اللَّـهُ قَـالُوا بَـلْ نَتَّبِـعُ مَـا أَلْفَيْنَـا عَلَيْـهِ آبَاءَنَـا أَوَلَـوْ كَـانَ آبَـاؤُهُمْ لا يَعْقِلُـونَ شَـيْئاً وَلا يَهْتَـدُونَ) (البقـرة:١٧٠) ....وغيرهمـا كثيـر فـلا يجـب علـى المسـلم أبـدا أن يكـون علـى هـذا المنـوال المـذموم مـن تقليـد الآباء دون علم أو تدبر.

وفضـلا عمـا ذكرنـا بخصـوص تـدبّر القـرءان فـإن شـباب هـذه الأيـام لهـم عقـول تصـل إلـى منـاطق أكثـر عمقـا ممـا وصـل إليـه أسـلافهم، وتعـرض علـيهم عبـر شـبكة المعلومـات الدوليـة(الإنترنت) مسـائل قـد تفتـنهم ،وإن موضـوع الـزعم المتـوارث بجهـل الرسـول بـالقراءة فـي الوقـت الـذي يـأمره الله فـي رسـالة أنـزل عليـه فـي أولهـا اقـرأ فضـلا عمـا أوردنـاه مـن تناقضـات هـو أمـر يثير حفيظة الكثيرين ويعرّض شبابنا إلى فتن لا داعي لها.

*كذلك قد يقول أنصار جهل رسول الله بالقراءة والكتابة أن الأمّة تواترت على هذا الأمر (جهل الرسول) فهؤلاء لابد وأن يعلموا أن الأمّة المسيحية أكثر عددا وهم أصحاب عقول وعلم ومع هذا فقد ساقهم قساوستهم إلى رأيين كلاهما خطأ وهما(أن عيسى عليه السلام هو الله . والثاني أنه ابن الله) وما ذاكم إلا لتعطل وظيفة العقل عندهم.

الخلاصة:. أن الرسول الأعظم كان يعلم القراءة والكتابة قبل البعثة، أمّا من أراد أن ينكر الأمر فهو وشأنه ولكن ننصحه حتى لا يدخل فى منظومة تقييد مطلق القرءان بلا سند ،وتعطيل الحقائق القرءانية لذمّة رأى دعاة ما تدبّروا حقّ التّدبر، وإنه توحيدا لرأى الأمّة على أقل تقدير فى الصواب أنه عليه السلام.......وعلى أقل تقدير ومع التحفّظ....... قرأ وكتب بمجرّد أن أمره الله(اقرأ) فقرأ بحول الله وقوته وكتب بحول الله وقوته منذ ذلك الحين لأنه علّمه ما لم يكن يعلم (إذا كان لم يكن يعلم القراءة و الكتابة) كما يزعم الزّاعمون.

وإن المعتقدين فى جهل رسول الله بالأبجدية هم فى حقيقتهم معطّلين للحقيقة القرءانيه وليس الأمر مجرد اختلاف فى تأويل نص قرءانى إذ لا يوجد معنى لقوله تعالى (لا يكلّف الله نفسا إلا وسعها) فى ذات الوقت الذي يعتقدون فيه بأن الله أمره بالقراءة وهو لا يعلمها إلا معنى واحد هو التكذيب بتلك الآية.كما أنه لا يوجد معنى للإيمان بقوله تعالى (إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) فى ذات الوقت الذي يصر فيه أصحاب منهج الجهل بالأبجدية أنه لم يعرف القراءة والكتابة لأن الأمر على هذا المنوال يكون فيه تعطيل للآية وحصرها عن رسول الله دون باقي الخلائق.

كما وأنهم مضيّقين للموسع إذ يعتقدون بأن الله علّمه كل العلوم إلا القراءة والكتابة وتركه على جهله الأبجدي(على فرض أنه كان لا يعلمها) بينما الله يقول (وعلّمك ما لم تكن تعلم) أي علّمه كل ما لم يكن يعلم على إطلاقه.

وإنّ الرسول إن كان أمّيا وإن كانت الأمّة أميّه قبل البعثة فلا مجال لما يتشدّق به البعض باستمرار بكلمة أمي لأنه يستحيل أن يستمر النبي والأمّة على الأمية حتىّ بعد نزول الوحي.

(غنى رسول الله في الدنيا والآخرة)

لست أرى إلا أن أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري قد تكاتفت علي مصنّفه قوى الشّر التي كانت مسيطرة في زمانه على مقاليد الأمر في أحاديث نسبوها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بذل الرجل من الجهد ما بذل لكنه لاشك وقع في حبائل خدعهم فى بعض قليل مما جاء به، وأنه حين جمع ما جمعه من أحاديث لم يمنع ذلك تلميذه أبا الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم من أن يصدر كتابه الذي خالف فيه شيخه في بعضها ووافقه في البعض الآخر، وقد أتي بعدهم فقهاء للحديث أذكر منهم في

عصرنا الحديث الألباني رحمه الله الذي قام بإصدار سلسلة أحاديث صحيحة وسلسلة أحاديث ضعيفة ،وذلك في سعيه لتنقية التراث الفكري لهذه الأمّة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فمازال الجهد متواصلاً.

وسوف يظل كتاب الله على شموخه لا تمتد إليه يد بشر لأنه ليس من قول البشر ولا روايات البشر بعضهم عن بعض، بينما صارت السنّة النبوية شظايا من السنّة بفضل عدم تفقّه أكثر المتناولين لأمر الدّعوة بالحديث النبوي ،فدخل فى الأحاديث ما دخل واكتوت الأمة بنار هذه الدخائل، فمنها ما أفسد العقيدة ومنها ما يتصادم مع كتاب الله ومنها ما يتصادم مع العقل...وهكذا.ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قاموا بابتداع فقه يختزلون به كتاب الله لصالح ما خطّته أيديهم ولكي يكتسب فقههم القدسية فقد نسبوه للنبى.

وإن من ضمن ما روي من أحاديث تم نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفضلاً عما سردناه بشأن فخرهم بأنه جاهل بالأبجدية، وقد بيّنا من خلال الكتاب والسنّة والسيرة وفاة هذا المعتقد وأنه ما كان إلا زيفاً من وهم عبر لنا من السنين الغابرة التي كانت تزيّف على رسول الله كل شيء ، ونتعرض هنا لمزعم آخر من مزاعم هذا الزمان الغابر الذي كان يضع النقص في رسول الله ثم يفخر بالنقص ، وكانت أجيال الببغاوات تكرر . بلا عقل . هذه المزاعم ومن بينها إدعاء الفقر ، بل الفقر المدقع لرسول الله مخالفين بذلك الكتاب والسنّة بما ظنوا أنه سنّه. بل ومعطّلين لكتاب الله لصالح مروياتهم المدسوسة داخل الصحاح.

سند المدّعين بفقر الرّسول إلى ما قبل العدم:

لقد اعتنق الناس فكرة عن فقر نسبوه لرسول الله اتخذوها من سطور الظلام التي تم إدخال الغش فيها على مراجع المجتهدين أمثال البخاري ومسلم، ولا يظن ظانّ بأنهم نقلوا أن رسول الله كان زاهداً...لا.... بل تعمّدوا إظهاره فقيراً فقرا مدقعا وليس زاهداً، وإليك الأحاديث الدّالة على ذلك من الصحيحين.

١٨٧٠- حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم ارزق آل محمد قوتاً". [وهو ما يدل على استجداء القوت بالذات وذلك لعلة الفقر وليس لعلة الزهد] أخرجه البخاري في: ٨١ كتاب الرقاق: ١٧- باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

١٨٧١- حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم، منذ قدم المدينة من طعام البر، ثلاث ليال تباعاً، حتى قبض. [أي أنه ما شبع من طعام القمح ثلاث ليال تباعاً لمدة عشر سنوات هي مدة إقامته بالمدينة المنورة صلى الله عليه وسلم]. أخرجه البخاري في: ٧٠- كتاب الأطعمة: ٢٣- باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون.

١٨٧٢- حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: ما أكل آل محمد صلى الله عليه وسلم، أكلتين في يوم، إلا إحداهما تمر. [بما يعني أنهم كانوا لا يجدون في اليوم إلا أكلة واحدة].أخرجه البخاري: ٨١- كتاب الرقاق: ١٧- باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويبدو أنهم كانوا فى حالة صيام قهري بفعل الفقر وهو ما سيأتي فى موضعه من أنّ الأمر ليس بزهد ولكنهم تعمدوا إبراز الفقر المدقع.

١٨٧٣- حديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت لعروة: ابن اختي! إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلّة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار. (قال عروة) فقلت: يا خاله! ما كان يعيّشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء. إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، جيران من الأنصار، كانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ألبانهم فيسقينا. [وذلك يدل على الفقر وليس على الزهد فلو كان الأمر أمر زهد ما ذكرت أم المؤمنين الألبان على أنها منحة وتم تكرارها]. أخرجه البخاري في ٥١- كتاب الهبة: ١- باب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

١٨٧٤- حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: توفى النبي صلى الله عليه وسلم حين شبعنا من الأسودين: التمر والماء. (أي أن طعامهم كان تمرا وماء، ولم يشبعوا منه إلا مرة واحدة في كامل الحياة الزوجية لأم المؤمنين قبض بعدها رسول الله). أخرجه البخاري في: ٧٠ . كتاب الأطعمة ٦٠ . باب من أكل حتى شبع.

١٨٧٥- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم، من طعام ثلاثة أيام حتى قبض. أخرجه البخاري في: ٧٠- كتاب الأطعمة: ١- باب قول الله تعالى . كلوا من طيبات ما رزقناكم..........................المرجع فيما سبق [اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج٣]

وقد ذكر صحيح مسلم الأحاديث الآتية:.

٢٩٧٨. عن ذكر عمر بن الخطاب ما أصاب الناس من الدنيا فقال(لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يتلوى ما يجد دقلا يملأ به بطنه).باب كتاب الزهد والرقائق ..... ولست أدرى أي نوع من الزّهد كان يعنيه الإمام مسلم فيمن يتلوى من الجوع ويضعه هو فى صحيحه تحت بند الزهد ،ولست أدرى لم لم يضعه تحت بند الفقر طالما أن الرسول يتلوى من الجوع فالزاهد لا يتلوى وهو يملك القوت ثم يسمى نفسه زاهدا.

٢٩٦٧ . عن خالد بن عمير قال سمعت عتبه بن غزوان يقول (لقد رأيتني سابع سبعه مع رسول الله (ص) ماطعامنا إلا ورق الحبله حتى قرّحت أشداقنا).

ثم ضع فوق هذا ما يتناقلونه من أنه صلى الله عليه وسلم مات **ودرعه مرهونة لدى يهودي**، أي أنه مات مديناً بثمن الرّهن، وأنه لقي أبا بكر وعمر كل منهما يربط حجراً على بطنه من الجوع فأراهم أنه يربط حجرين على بطنه الشّريف يسدّ رباط الجوع عن بطنه بالحجرين، ولو أني لست أرى علاقة بين ربط الأحجار على البطن وبين سد رمق الجوع اللهم إلا زيادة الألم، ولكنه التراث الفكري الذي وصلنا عبر السنين وما علينا إلا التحقيق والتحقق من باب تأوّل وتنفيذ قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ] الحجرات ٦ ، فما بالكم وهؤلاء يرجمون كتاب الله وهم لا يدرون بل ويظنّون أن الأمر هيّن سواء أكان رسول الله غنيا أو فقيرا وما ذاكم إلا لفرط انعدام الفقه أو تعمد تشويه صورة النبى صلى الله عليه وسلم.

الحقيقة المؤكدة عن غنى الرّسول من الكتاب والسنّة والسيرة

وإليك رؤيتنا في شأن هذا الادعاء والرّد على إفكها من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل، ومن السيرة العطرة والسنّة الصحيحة.

١. يقول تعالى [وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى] ٨ الضحى ٩٣ وهي سورة مكية أي نزلت كلها بمكة.

٢. ويقول تعالي [وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] ٤١ الأنفال ٨ وهي سورة مدنية إلا من آية ٣٠-٣٦ مكية وهي نزلت بعد سورة البقرة . وهى أول سورة نزلت بالمدينة.

إن الذين تقولّوا عن فقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى درجة ما قبل العدم ، والذين أوّلوا الفقر بالقناعة قوم ضلّوا طريق التعامل مع كتاب الله ومع سيرة رسول الله ،وضلوا تدبّر آيات الله وصدوا عن سبيل الله دون وعي وأضلوا بعد أن ضلّوا.

وإلى المتشككين أقول إياك أن تنظر إلى الآيات الواضحات من كتاب الله وتنتظر كالطّفل الرّضيع القليل الحيلة إلى من يرشدك إلى معناها وكأنك من أهل الإنجليزية أو الفرنسية ، هل تجد في نفسك معنى آخر عن غنى رسول الله في قوله تعالى (وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى) . ٨ الضحى ٩٣ .

نعم لقد كان رسول الله فقيرا ولكن ذلك كان حين ولادته يتيما بلا أب ثم كفالة جدّه عبد المطلب له، ثم كفالة عمّه أبو طالب له وهو فى سن الصبا، ولكن لم يثبت له فقرا حين بلغ مبلغ الرجال، حيث زوّجه الله السيدة خديجة بنت خويلد أغنى أغنياء قريش وكان قبلها تاجراً ناجحاً لها في مالها، كما وأنه يستحيل أن تكون خديجه قد استوظفته عندها إلا بعد أن ذاع صيت مهارته التجارية وأمانته الشخصية، ثم مكث في هذا الأمر ثلاث عشر سنة بعد نزول الوحي، هذا غير ما عاشه من سنين في هذا الرّغد قبل الوحي؛ ثم ولابد من أن نسأل أنفسنا من الذي ورث أموال خديجة؟؟؟ أم ترى أنها أشهرت إفلاسها؟ ...... إننا بحاجة إلى بساطة فكرية وعدم تعقّد وتعقيد في فهم القرءان والسيرة النبوية.

إن سورة الضّحى وهي سورة مكيّة وهي من أوائل ما نزل من كتاب الله، تعني أن رسول الله كان غنياً قبل البعثة وبعدها، وأن مرضى ومدمني القصص والروايات ينتصرون لفهمهم بما ينسبونه لرسول الله وهم في ذات الوقت يصدّون عن سبيل الله في اتجاه آخر، حيث يقومون بمناهضة نصوص قطعية الثبوت هي كتاب الله ، يناهضونه بنصوص ظنيّة الثّبوت ظنيّة الدّلالة لينتصروا لأنفسهم أو لتاريخهم وتراثهم الذي أوصلنا إلى ما نحن فيه من مهانة حين ناقضنا كتاب الله ؛ وإن القارئ لبعض ما ورد عن رسول الله والصّحابة وتاريخهم سيقف حتماً على الأسلوب المسرحي الذي صيغ به تاريخ هذه الأمة.

إن الرسول(ص) بعد أن هاجر إلى المدينة ونزلت سورة الأنفال وبالذّات فى أعقاب يوم بدر ، وفي هذه السورة أحلّ الله لرسوله "صلى الله عليه وسلم" خمس الغنائم يضعها في بيت المال ينفق منها حيث يشاء ومنها ينفق على نفسه وزوجاته ، ولم نعلم لرسول الله "صلى اله عليه وسلم" عملاً بالمدينة المنوّرة غير الدّعوة إلى الله فكان لابد أن يكون له دخل ثابت من بيت مال المسلمين ، ومن غير المتصوّر عدم دفع المسلمين للزّكاة أو خلوّ بيت مال المسلمين من المال أو عدم وجود فقير بالمدينة المنورة إلا رسول الله وزوجاته وصحبيه الكرام أبو بكر وعمر!!!.

وتفكّر رحمك الله واسأل نفسك ... إذا ما كان رسول الله بهذا الفقر حال حياته فكيف بحال زوجاته من بعده وقد عشن سنوات بعده ، هل كن يتسولن فى طرقات المدينة؟؟؟

ولعل أصحاب فرية رهن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" درعه ليهودي لم ينتبهوا أنهم يكذّبون القرءان والسنّة ذلك لأنه فضلاً عما يحمله درع العربي من شرفه، فإن أكذوبة رهن الرسول لدرعه تحمل في طياتها رهنا لشرفه ، وهل لم يجد من يرهن لديه شرفه إلا يهودي؟؟ .

إن هذه الافتراءة تصبّ في صالح معين اليهود ... ومن أجل خاطرهم نحن نكررها بلا عقل أو وعى.

ثم كيف برسول الله ولا يدري بفقره وحاجته أحد من الصحابة ومنهم من حملت إلينا السيرة أنه كان من أغنى أغنياء الجزيرة العربية أمثال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وأبو بكر الصّديق وغيرهم.

وهل يريد منا صاحب الأكذوبة أن نتصوّر أن المسلمين كانوا غير رحماء وغير متكافلين وغير متباذلين ولا يعرف أحدهم شيئاً عن أحد، وأن رسول الله" صلى الله عليه وسلم" كانت بينه وبين المسلمين غربة اجتماعية ،أليس في هذا التّصور تكذيب لقوله تعالى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ....) الآية ٢٩ الفتح ٤٩ ، فأين الرحمة بينهم في عدم معرفة شيء عن جوع رسول الله "صلى الله عليه وسلم" وحاجته للمال لدرجة رهن درعه أو ربط الأحجار على بطنه يسد بها نبضات ألم الجوع ؟؟؟وأين التكافل؟؟؟ وأين الاخوَّة في نفس رسول الله "صلى الله عليه وسلم" تجاه أصحابه ؟؟؟حتى أنه يغادر إلى حي

اليهود ويشكو حاله لأحدهم فيرفق به هذا اليهودي ويرهن الدرع لقاء بعض الدراهم أو الدنانير أو البضائع الغير موجود منها في ديار الإسلام بالمدينة المنورة بأسرها ،أليس في ذلك تكذيب لحديث رسول الله "صلى الله عليه وسلم" الذي قاله بعد فتح مكّة (أخرجوا اليهود من جزيرة العرب لا يجتمع فيها دينان) أخرجه البخاري ، وهل معنى هذه الأقصوصة أنه لم يقل حديث إخراج اليهود بدليل مخالفته إياه ولجوئه بنفسه إلى اليهود ؟؟؟.

وأين عقول المسلمين من هذا الغموض وتلك التساؤلات وما تحمله واقعة رهن الدرع من طعن على سلوكيات الصحابة!! .

إن القصة ورواتها(رهن الدرع وموضوع الفقر عموما) تحمل فى أحشائها تحدّ للقرءان في أخص خصوصياته حيث أن المولى عز وجل وعد بالحياة الطيبة كل من أطاع حيث قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ٩٧ النحل ١٦. بما يعني الحياة الطيبة في الدنيا وحسن الجزاء في الآخرة، فهل هناك من هو أفضل من رسول الله وأبو بكر وعمر يستحقون الحياة الطيبة ؟؟؟ كما أن ربط الأحجار على بطون أفضل ثلاثة على ظهر الأرض تعني من طرف خفي كذب ما جاء في كتاب الله عن البركات والأكل من فوق ومن تحت التي وردت في القرءان ووعدها الله الصالحين من عباده حيث يقول تعالى: [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] ٩٦ الأعراف ٧.

فهل معنى ذلك أن محمداً وصحبيه كانوا غير مؤمنين وغير متّقين بل ومن المكذّبين بصحيح ما نزّل من الكتب السماوية حيث يقول تعالى: [وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ] الآية ٦٦ المائدة.

وهل يا ترى صاحب القصّة يريد منا أن نعلم أن اليهود في المدينة كانوا يقيمون التوراة ولذلك فإن حالهم ميسور ورزقهم موفور حتى أنهم أقرضوا محمدا إشفاقاً عليه؟؟؟؟

وكيف بأبى بكر الذي كان يأتي بكل أمواله يتصدق بها في سبيل الله أين هي تلك الأموال ؟؟؟ هل تم إشهار إفلاسه وما سبب ذلك الإفلاس المفاجئ ؟؟؟ وكيف بعمر بن الخطاب الذي كان يأتي بنصف ماله (وفق أقاصيصهم) يتبرّع بها في سبيل الله !!! أين النصف الثاني ؟؟ وهل تم إفلاسه أيضا مع أبا بكر جزاءا وفاقا لكثرة إنفاقهم فى سبيل الله؟؟؟ وهل كانوا يتصدقون ويتبرعون وهم يتضوّرون ويهيمون في طرقات المدينة على وجوههم من الجوع يشكي بعضهم لبعض قلة الزاد وألم الجوع.

إن أصحاب منهج فقر رسول الله وصاحبيه هم في حالة فقر عقلي وضلال شرعي تمكن من نفوسهم المريضة وهممهم المعتلّة التي روت عن علي بن أبي طالب قوله (لو كان الفقر رجلاً لقتلته) يعني بذلك أنه عانى هو الآخر من الفقر وكابده حتى تمنى نزاله حتى الموت.

وهل يرى المسلم فى ثقافته شيئا عن غنى رسول الله أو الصّحابة؟؟ لقد حمل لنا التراث المزيف عللا أصابت أفكارنا وما زلنا مرضى بهذه العلل بل أصبح الفقر هو الثّقافة الأعم والأشمل فى فكر أهل الإسلام.

رسول الله لا يخالف قوله فعله أبدا

* من الأحاديث المشهورة بين الناس ما روى عنه "صلى الله عليه وسلم" أنه قال: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء).

يعني أن من يستطيع تحمّل أعباء وتكاليف الزواج فليتزوج أما غير المستطيع فلا يتزوج ،فكيف به يأمر بهذا الأمر بينما يتزوج هو تسع نساء في الوقت الذي يربط حجرين على بطنه من الجوع؟؟؟ فكيف بحال تسع من النسوة في مسئوليته؟؟؟ ولماذا كان يتزوج وهو صاحب فقر مدقع بينما يأمر الشباب بألا يتزوجوا إلا إذا استطاعوا تكاليف وأعباء هذه المسئولية؟؟؟ وكيف بنا لم

نسمع أنين نسائه التّسعة فراغ البطن وألم الجوع في مرويات أصحاب مدرسة قال الراوي والسيناريوهات المسرحية التّصورية المناهضة لنصوص كتاب الله!!!.

إن أصحاب فكر هذه المرويات المناهضة لكتاب الله والمناهضة لبعضها البعض يجب أن ينتهي أوانهم لأنهم وبال على هذه الأمّة وعلى تاريخها وعلى كتابها ؛ واليوم وقد أصبح شبابنا غير مستطيع لأعباء وتكاليف الزّواج فهل يفعل مثل رسول الله ويتزوج ولا يهمه إن كان مستطيعاً أو غير مستطيع ؟؟؟؟ أم يسمع كلامه ولا يتزوج إلا إن كان مستطيعاً ؟؟؟ وماذا لو أن أحد أصدقاء الإنترنت واجه شبابنا بهذا التناقض بين فعل رسول الله وبين قوله ترى بماذا يرد الشاب!!!؟؟؟.

إننا لسنا أمّة من الجياع ، والفقر ليس من سماتنا ،إن الذين يتعللون ويهللون على المنابر بقوله تعالى: [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ] ١٥٥ البقرة هم فى حالة من حالات الفقر الفكري.

إني أجد كثيرا من الدعاة يتشدقون تفسيرا لهذه الآيه بأن الأمّة الإسلامية هي أمّة الخوف والجوع والفقر والمرض وقلة الزاد وما ذلك إلا لبعد التدبّر الواعي لكتاب الله، ذلك أن مرمى الآية يعنى أنه بلاء عرضي، لأن الابتلاء لا يكون في عموم الحياة إذا ذكرت كلمة (بشيء) والناظر إلى الآية يجد أن الله يقول (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ) والشيء هو الجزء والجزء لا يكون عموماً ولا يكون كلاً أبداً خاصة إذا ما ذكرت كلمة (من) بما يعنى أن الابتلاء جزء من جزء (شئ من)وأن أصحاب النظرة الموضعية ذهلوا عن النظرة الموضوعية التي قال تعالى فيها:[إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ] ٣٠، ٣١ فصلت ٤١.

أي أن أولياء الله لهم ما تشتهي أنفسهم في الدنيا وفي الآخرة [وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا...]، وانظر رحمك الله إلى مريم ابنة عمران التي كانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً؛ ويسألها أنّى لك هذا؟؟ تقول هو من عند الله ، فهذا إثبات آخر من القصص القرءاني على ريّ وشبع موفور في الدنيا لمن أطاع .

*وإن من ضمن ما يحمله هذا المنهج المعتل (منهج فقر رسول الله وصحابته) الترويج لتكذيب لكتاب الله، فهو بما صوّروه لنا... إما أن رسول الله وصحابته الأجلاء أبو بكر وعمر لم يكونوا مؤمنين ولذلك فإن الله لم يطعمهم وأذلّهم بالجوع لدرجة ربط الأحجار، وأكل الرسول الأسودان، وعدم شبعه أبداً في يوم من الأيام هو وأهل بيته، وإما أنهم مؤمنون حقاً ولكن القرءان هو الكاذب لأن الله لم يطعمهم من فوقهم ولا من تحت أرجلهم وتركهم يتكفّفون اليهود من السؤال.

وعلى ذلك فإن العلّه لا تكمن فى كتاب الله ولا تكمن فى فقر مزعوم للرسول ولم يكن عليه الصلاة والسلام يخالف قوله فعله أبدا، إنما هو قول أهل الزور على رسول الله وباسم السنّة النبوية التي يتمتعون بالعبث بها هو الذي أوجد هذا التناقض ليكون حجّة علينا وحتى يجد أعداء الإسلام فرصتهم للانقضاض على الفكر الإسلامي من خلال فقه أصحاب رواية الفقر وغيرها.

* وتكذيب آخر ضمني لكتاب الله ،إذ كيف بالله تعالى يأمر في القرءان [آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ] ٧ الحديد ٥٧ وقوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ...] ٢٥٤ البقرة ٢.

بينما أن الحقيقة التي يريد المؤرخون وواضعو الأحاديث على النبي وصحابته الأجلاء تأكيدها أن الله لم يرزقهم مالاً ولم يستخلفهم فيه ،وآية ذلك الفقر المدقع للجميع وعلى رأسهم رسول الله وأهل بيته، ولا يقولنّ قائل أن هذا زهد إذ أن الزّاهد لا يزهد في الطعام ثم يترك نفسه نهباً لألم الجوع يتلوّى ويتألم بينما الطعام أمامه ويسمي نفسه زاهداً .

كما وأننا لا يمكن أن نسمّى التّصادم مع المعاني الصّريحة للنصوص القرءانية اجتهادا، إذ أنّ الاجتهاد له شروط والبلادة لها علامات.

* وإليك إحدى الروايات الصائبة عن فكر الرسول الأعظم فى موضوع الغنى والفقر والزهد وذلك من صحيح البخاري المتوائم مع كتاب الله.وهو الحديث المذكور ص٤٢٧و٤٢٨ ج٥ من كتاب فتح الباري حيث روى البخاري بسنده عن سعد بن أبى وقاص قال جاء النبي(ص)يعودني فى مكّة وهو يكره أن يموت فى الأرض التي هاجر منها قال يرحم الله آبن عفراء قلت يارسول الله أوصى بمالي كله قال لا قلت فالشّطر قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثّلث كثير إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون النّاس فى أيديهم ....ولم يكن له يومئذ إلا إبنه.ح٢٧٤٢

وكيف يحكى أن آل بيت رسول الله يمرُّ عليهم الشهران وهم يأكلون التّمر والماء فقط بلا خبز وبلا لحم وبلا عود أو ثمرة من خضرة الأرض ، ويصورونه صلى الله عليه وسلم وقد أقام الحصير علاماته في جسده الشريف، ويصورونه وهو النبي أن بشعره القمل حيث أورد البخاري أنه كان عليه الصلاة والسلام يذهب إلى امرأة اسمها (أم حرام) متزوجة فيأكل ويقيل (أي ينام القيلولة) عندها وهي تفلي رأسه. لست أدري ما هي هذه الصورة المهيضة التي أرادوا تصويرها عن فقر الرسول باسم سنّة ماهى سنّته !!!

حقيقة فوق الحقيقة عن غنى وسخاء رسول الله وأهل بيته

١. وهاكم دعما آخر من كتاب الله يؤكد غنى وسخاء رسول الله وأهل بيته حيث يقول تعالى فى سورة الأحزاب آية رقم٥٣(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً) (الأحزاب:٥٣)

إن معنى الايه السابقة أهديه لأصحاب الزعم بفقر رسول الله فهو يؤكد على أن نزول قرءان يتلى لتنظيم الدخول إلى بيوت النبي بحيث لا يدخلها أحد الصحابة إلا بدعوة إلى الطّعام بما يدل على كثرة الدعوات ،ولو كانت حدثا نادرا ما تناوله القرءان ،بل وتناول القرءان طبيعة الطعام في بيت النبي فبين أنه طعام مطهو ونصح الصحابة بعدم البكور في تلبية الدعوة انتظارا لنضج الطعام مع الائتناس بحديث النبي ، الأمر الذي يدل على كثرة إيقاد النار في بيوت النبي لطهو الطعام على عكس منهج المعاكسين لكتاب الله بالرواية الذين قالوا بأنّه كانت لا توقد في أبيات رسول الله نار(حديث١٨٧٣ البخاري)،بل إن الآية تشير إلى أن الصحابة كانوا يطلبون مطالب من أمهات المؤمنين وهى بالطبيعة طلبات طعام أو شراب مما يطلب عادة من المرأة بما يدل على وفرة هذه المطالب فى بيت رسول الله.

٢. وتدبّر قول السيدة عائشة حين طهت شاه فأخرجتها كلها في سبيل الله إلا الذّراع وذلك لعلمها بحبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعة اللحم من الذّراع فقالت حين حضر النبي :. ذهبت كلها إلاّ الذراع فرد عليها النبي معلّما (بل قولي بقيت كلها إلا الذراع)بما يعنى أن الصدقة باقية وبما يعنى سخاء النبي وأهل بيته وبما يرد على أصحاب الزعم زعمهم المناهض للحقائق القرءانيه والواقعية من سيرته صلى الله عليه وسلم؛ وهل كانت السيدة عائشة أم المؤمنين تتصدق بكامل الشاه دون أن تهب باقي زوجات النبي شيئا منها إلا إذا كانت الأخريات على ذات القدر من الغنى والشبع!!! بما يعنى أيضا غنى وسخاء الرسول وآل بيته الكرام.

٣. ومما رواه البخاري موائما لما في كتاب الله الحديث رقم٣٠٩٢ (أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله(ص) مما أفاء الله عليه............ المرجع(فتح الباري ج٦ ص٢٢٧)

فإذا كانت فاطمة الزهراء تسأل عن ميراثها من أبيها النبي فلا شك في غناه. حيث روى البخاري أيضا قول النبي (لا يقتسم ورثتي دينارا...ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنه عاملي فهو صدقه)................المرجع السابق ج١٢ ص٨ فإن لم يكن له ميراث فما الذي يدعوه أن يقول مثل هذا الحديث؟؟!!

ومما يعرف به غنى رسول الله وصحابته ما رواه البخاري (سمعت انس بن مالك رضي الله عنه قال:كان النبي صلى الله عليه وسلم يضحى بكبشين وأنا أضحى بكبشين) ....المرجع السابق حديث رقم٥٥٥٣

٤. أما كونه صلى الله عليه وسلم كان يؤثر إنفاق الخمس لأهل الصّفّة والأرامل فهو وشأنه ، ولكن لا يعنى ذلك مروقه عما تكون عليه الفطرة السوية وسلامة العقل فلا يرجمه أحد بأنه كان يربط أحجارا وآخر يقول أنه ما كان يجد دقلا يملأ به بطنه والثالث يقول بتقرّح شدقه الشريف من أكل أوراق الأشجار وآخر برهن درعه وآخر بـ كذا وكذا.........الخ بينما نجد له ميراثا تطالب به ابنته بعد موته ونجد له وصية في هذا المال.................................المرجع السابق ج٦ باب فرض الخمس من٢٢٦.٢٥٨

ثم ألا ترون أن الله يكون قد أذلّ رسوله بين الرسل إذا أراد له ما رووا عنه.... سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ،إذ أن إبراهيم عليه السلام كان غنياً إذ راغ إلى أهله فجاء بعجل حنيذ ليكرم ضيفين اثنين ، وإسماعيل كان غنياً إذ كانت له سقاية زمزم ،وداود كان صاحب حرفه لا يناهضه فيها أحد ،وسليمان كان له ملكا ترويه الأساطير، ويوسف كان وزيرا للمالية، ويعقوب الذي كان لديه إثنى عشر ابنا يطعمهم ولهم بضاعة كانوا يستبدلونها بما يريدون، وموسى الذي تربّى في بلاط فرعون ، ومريم التي كان يأتيها الرزق دوما وأبدا وعيسى....الخ ولم نسمع بهذا الفقر المدقع لأحد منهم ، وهل رأي هؤلاء المدّعين أن الفقر مزية لابد أن يعطاها الرسول ؟؟؟ فكما ألبسوه تاج الجهل بالأبجدية وهم في عزّة وفخار فهم أيضا يلبسونه وسام الفقر والجوع، أم أنهم تصوروا الطهارة مذمومة كما كانت مذمومة عند آل لوط فزينوا لنا نقيضها لنعتبره ميزة يتحلى بها رسول الله جهلاً وفقراً !!!إن هذا الفكر المناهض لكتاب الله والمناهض للسيرة النبوية الصحيحة يجب أن يقضي عليه ويجب أن يتم تطهير كتب التراث من أشباهه وشظاياه ،ويجب أن تسخّر أبواق الإعلام للقدح فى فكر الجهل والفقر الذي يرمون به الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

وإن وظيفة الأمة أن يكمل بعضها بعضا وليس هناك عيب في أن نعمل بعمل البخاري ومسلم رحمهما الله إذ تركا أحاديث كانت في عهدهما منسوبة لرسول الله ،ولكن الصورة الإحصائية العلمية لعملهما كانت تقتضي من كل منهما أن يترك ما يراه مخالفاً للقاعدة العلمية التي أرساها كعصب لبحثه فى صحة الحديث أو عدم صحته؛وبالمثل فإنه يجب علينا أن نرتوي بنعمة العقل التي وهبها الله إيّانا لنميّز بين الغثّ والثّمين.

الخلاصة:.

١. أن رسول الله كان غنيا قبل أن يبعث وكان غنيا بعدها، وإن الله أغنى المسلمين على يديه وأكرمهم بطاعتهم لرسوله مالا وجاها وسعادة فى الدارين، وإن كان مر على بعضهم شظف في عيش فكان أمرا عارضا لا تفرد له أبواب فقهيه ولا يصح أن يكون سنّة فما كان الفقر من سنّة محمد ولا أصحابه.

٢. وإن ترك مثل هذه الثقافات المتضاربة مع كتاب الله لتؤثّر في عقيدة الشباب المسلم الذي يتعرّض لهجمة شرسة عبر الانترنت وغيره ما يدرى بها أحد من أصحاب ملّة الرواية على حساب الآية،بل إن الهجوم كل الهجوم يكون عبر بوّابة المرويات الغير منضبطة مع كتاب الله.

٣. إن في اعتقاد المسلم لقصة وفاة رسول الله ودرعه مرهونة لدى يهودي وما واكبها من أساطير عن فقره يحمل في طيّاته تكذيب للحقيقة القرءانية التي قال الله فيها (ووجدك عائلا فأغنى) فلا بد للمسلم أن يقنع بالحقيقة القرءانيه بدلا من أهازيج الهوى التي تورد مردديها مورد التهلكة بلا مراء.

٤. إن في اعتقاد المسلم عن فقر الصّحابة تكذيب لقوله تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل:٩٧) ـ وتكذيب لقوله(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (لأعراف:٩٦)

وهكذا لابد للمسلم أن يتدبّر ويمحّص ويقيم الدليل على حرفيات حياته وما يعتقده، ثم إذا أراد أن يكون مهملاً لشيء فهو وشأنه ولكن لا يهمل في ذكرى وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يصوّر لنا النقائص أنها ميزات ويناقض كتاب الله بباطل من القول وينسبه لخير أهل البرية، فهو النور الهادي لنا وكما نزّهه الله عن النقائص وأكرمه وعلّمه وأغناه فلا نصفه إلا بما وصفه به ربه.وليعلم هل ملّة الإسلام أن الله قال لنبيه {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ }الطور٤٨، فهل يكون رسول الله نهبا للجهل والجوع وهو بأعين الله؟؟؟.

الفصل الثالث

نظرة حول معتقدات المسلم الحق

لماذا نقرأ القرءان

لقد فقدت معان كثيرة فى حياتنا ،ومن ضمن المفقودات ضياع اعتبارات كانت لها شأنها فى الماضي ،ولكن لما تكاثرت الأزمنة جاء الخلف بلا اعتبار لما كان من هيبة للمقدسات فحطّموا الأهداف وتمسّكوا بالوسائل، بل وصار التنافس فى تناغم الظاهر دون موضوعية أو سمو للأهداف، ولقد كان الدّعاة على مرّ عشرات السنين مضت سببا فيما أصبح عليه المسلم من قراءة القرءان دون تدبر بما يمطروا به الناس من مرويات تحض علىالقراءة والقراءة فقط بل واشترطوا للإمامة كثرة حفظ القرءان وحسن الصوت به ولو بغير فقه.

لذلك فإنك إذا نظرت إلى حال الأمّة، تجد أكثر أهل الإسلام فيها لا يميلون إلى قراءة كتاب الله ،وإذا نظرت إلى القرّاء منهم تجد أكثرهم يميل إلى تكرار القراءة وكثرة ختم القرءان ،فمنهم من يختم قراءته مرة فى السنّة ومنهم من يفعلها مرة كل شهر ومنهم من يتمّها كل أسبوع ، ومنهم من يقرأ يوميا" بعد صلاة الصبح فى المسجد ما شاء الله له أن يقرأ منه ...الخ وما ذلك إلا لوجود نزعة حسابية فى عقولهم ملأت عليهم أغلب ملكاتهم تجاه التلاوة فى كتاب الله وهى أنّ الحرف بعشر حسنات .

وموضوعي الذي تسطّره سطوري يعنى بهذه الفئة الأخيرة (فئة القرّاء) فإني وجدتهم يقرؤون ويكررون ختام القرءان لما فى ذلك من ثواب جزيل وما شكره الله للذاكرين خاصة وأن القرءان هو أفضل الذكر عند الله ، وهؤلاء تجدهم صفوة مسلمى العصر الحاضر، ولكنهم لم يجدوا من يلفت نظرهم أن القراءة وسيلة وليست هدفا، فهي وسيلة للسعي لنيل الهداية عبر آيات الكتاب المبين ،وهى وسيلة كي نسوس الحياة وفق التعليمات والمقتضيات الإسلامية ولا يكون ذلك إلا بالتّدبر الذي يصاحب القراءة التي لم تكن

أبدا نوعا من الادّخار الحسابي لعملات لا يمكن أن تكون لها قيمة تذكر إلاّ بالتدبر والتنفيذ كلّ وفق قدرته العقلية والثقافية والتنفيذية.وبنظرة سريعة على الآيات والأحاديث الدّالة والحاثّة على قراءة القرءان نجدها كثيرة ونتداول بعضها فيما يلى:-

أولا:- الأمر بقراءة القرءان من خلال النصوص القرءانية.

*يقول تعالى (.......إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقرءان فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ) (النمل:٩١&٩٢)

*(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ) (فاطر:٢٩)

*(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (البقرة:١٢١)

*(أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقرءان تَرْتِيلاً) (المزمل:٤)

*(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقرءان عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المزمل:٢٠)

*(وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقرءان وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً) (الاسراء:٤٦)

ثانيا":- من السنّة المطهرة

١- (تعاهدوا القرءان فوالذى نفسي بيده لهو أشد تفلتا"من الإبل فى عقالها) أخرجه البخاري.

٢- (مثل الذي يقرأ القرءان وهو حافظ له مع السفرة الكرام ،ومثل الذي يقرأه وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران) أخرجه البخاري.

٣- (إقرءوا القرءان فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا" لأصحابه) رواه مسلم.

كل ما سبق من بيان يؤكد على أهمية تلاوة كتاب الله، ولكن هل المطلوب هو القراءة أو التلاوة وفقط ؟؟؟ لقد رأيتهم فى المساجد فى حلقات تلاوة القرءان وكل همّهم إخراج اللّسان فى أحرف (الذال) أو القلقلة أو الإدغام وغيرها من أحكام التلاوة ، بينما هم ذاهلون عن هدف القراءة وغالبيتهم يكتفون بالقراءة مرات ومرات فقط لا غير.

إن هؤلاء الأخيار وقفوا على أعتاب الخيرية ولم يدخلوها، فهم على أعتاب الرحمة ولم يغمسوا أنفسهم فيها، لأنهم لو علموا أن للأمر بالقراءة هدفا غير ما يفعلونه من قراءة مجرّدة من أنّ (أ ل م) كل حرف بعشر حسنات ليس هو الأمر المبتغى وليس هو الهدف النهائي للقراءة لكان لهم شأن آخر، وأعترف تماما بأن الله حثّنا على تلاوة وترتيل القرءان لكن لابدّ للمسلم المستنير الوقوف على الهدف من التلاوة أو الترتيل.

إن الموضوعية الفكرية لابد أن تقوم بعملها فى ميزان فكر المسلم، فإنه يقتضى من كل مسلم حين ينفّذ أىّ شعيرة من شعائر الدين أن يستحضر كل ما ورد فى شأن ما ينفّذه حتى يتم هدف الشارع من التشريع، فهؤلاء القرّاء لم يستحضروا إلا الآيات والأحاديث التي تحثّ على القراءة، وكان من نتيجة ذلك توالد أجيال كالببغاوات يتكلمون بكلمات القرءان دون أن يدركوا مراميها ، لأنهم أصحاب حصيلة ضحلة من التدبّر فى القرءان ومراميه برغم استمرارهم فى قراءته شهورا وسنوات.

<u>بعض الآيات الأخرى الدالة على الهدف من قراءة القرءان</u>

***هدف التّدبر**

يقول تعالى (أَفَلا **يَتَدَبَّرُونَ الْقرءان** وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) (النساء:٨٢)

يقول تعالى (أَفَلا **يَتَدَبَّرُونَ الْقرءان** أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:٢٤)

يقول تعالى (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ **لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ** وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (صّ:٢٩)

(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقرءان مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**) (طه:١١٤)

فالمطلوب هو تدبّر القرءان وهو من أسباب التنزيل وطلب زيادة العلم فيه أمر مفروض على الأمّة

***هدف التّعقل**

يقول تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قرءاناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف:٢)

يقول تعالى (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قرءاناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الزخرف:٣)

فنزوله عربيا كان لزيادة رقعة مساحة إدراك العقل البشرى لما تحمله اللغة العربية من سعة وقدرة على حمل المعانى والمترادفات والأضداد وتنوّع الصور الجمالية فى حروفها وكلماتها ، وهذا دليل أيضا على أن المستقبل حتما سيكون لأهل اللغة العربية وأنها ستزدان فى البلدان كما إزدانت الإنجليزية فى هذه الأيام ،.

بعض الأحاديث التي تحث على طلب العلم من القرءان

١- (خيركم من تعلّم القرءان وعلّمه) رواه البخاري.

٢- (إن الله يرفع بهذا القرءان أقواما" ويضع آخرين).

٣- (ليس للإنسان من صلاته إلا ما عقل منها).

فالآيات والأحاديث السابقة والخاصة بتدبّر القرءان وتعلّمه والتّفكر والتّعقل فى آياته مع الآيات والأحاديث التي تحثّ على استدامة القراءة جميعهم يكوّنون منظومة واحدة تفيد المسلم وتوضح له الهدف من القراءة، فالقارئ للقرءان يقرأه كي ينفّذ آياته وكي تستجيب دوافع الإيمان لديه، ولكي يتعرّف على دروب الهداية الكامنة فى كلماته، وليس يقروه للقراءة ولكي يختم مرات ومرات دون أن يفقه ما يقرأ، وفى الحديث (إن أناسا" يقرءون القرءان لا يجاوز حناجرهم......) والله تعالى ذم الذين لا يفقهون حيث قال (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (لأعراف:١٧٩)

إن سبب تفصيل الآيات هو أن يفقه الإنسان مراد ربه (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) (الأنعام:٩٨)

ولكن من كثرة مرور السنوات على من يقرؤون كتاب الله على منوال من تصحيح أحكام التّلاوة أو معرفة ما غمض من المعاني اللغوية فقط ، فإنّه قد فقدت أهداف ومعان وقيم كثيرة فى حياة الأمّة الإسلامية.

لقد تصوّر الناس أن القراءة في القرءان هدف بينما حقيقتها التي بيّنها ربّ العزّة أنها وسيلة للهداية والتّفقّه والتّفكر في النفس والآفاق والحياة عموما (دين ودنيا).

ولقد قال الله (في صدد أنّ مدارسة القرءان وسيله وليست غاية) في سورة التكوير ما يمكن للمسلم أن يتدبّره(**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ{٢٧} لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ{٢٨}**) ، كما بيّن الله تعالى أنه كي يستفيد المسلم من تلاوته لكتابه الكريم فعليه أولا بالانتماء لكوامن الهداية بكثرة الطاعات حيث يقول تعالى {... إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا

خَاشِعِينَ }الأنبياء٩٠ . حينئذ ستكون القراءة زيادة في هداية العبد الذى يبغى الوصول لحقيقة الخشوع لبناء التقوى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)٢ البقرة . فتبين الآية تعلّق فعالية القرءان في الهداية على شرط المحاولات المستمرة من العبد للوصول إلى التقوى (صوم /صدقة/توبة/كثرة ذكر الله/ ....الخ)،فتكون قراءة العبد للقرءان داخل منظومة الطاعة وذكر الله حتى وإن وقع ذلك العبد فى المعاصى، وليس الإيمان بالقرءان فقط ولا الانتساب إليه من مقوّمات الهداية.

إنّ مدارسة القرءان تعنى القراءة والفهم والتّدبر والتّعقل والتّبين لسنن الله فى الأنفس والآفاق ومقوّمات الشهود الحضاري ومعرفة الوصايا والأحكام ،ولقد كان الأوّلون يقرؤون القرءان ليرتفعوا إلى مستواه ولكن فى أزمنتنا يقرؤون القرءان وينزلونه لمستوياتهم....... فترى من مناهجهم أنّ هذا أفضل من ذاك لأنه ختم القرءان مرتين وليس مرة واحدة ،وهذا يحضر المقرأة ،وذاك لا يحضرها....وهكذا من ترّهات ما ابتدعوه ظنا منهم أنه مقياس الأفضلية.

ولا بدّ للمسلم لكي يرتفع إلى مستوى القرءان أن يحاول أن يتعرّف على أثر القرءان على نفس رسول الله حين تنزّل عليه وحين كان يتلوه ،ويحاول أن يرتقى بذاته للوصول إلى هذا السمو النبوي، وهو الأمر الذي عبّر عنه الشافعي رضي الله عنه وهو يعرّف السنّة فقال (السنّة هي فهم النبي للقرءان) بما يعنى ارتباطه صلّى الله عليه وسلّم بالقرءان فى ظاهر سلوكه وداخل طيات نفسه وأفكاره ارتباطا تاما يفوق مرحلة التلازم.وهو المعنى الذى قال فيه الله {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ }فاطر٢٩، بما يعنى أن تلاوتهم جعلت من حياتهم صلاة قائمة مستمرة.

أمّا الذين يقرؤون القرءان على أنّه تراتيل دينية للثواب فهؤلاء مساكين وفقراء فكريا، وسبب فقرهم هو ما ورثوه من مفاهيم عن آبائهم الأقدمين عن قراءة القرءان ،ولست أعنى بكلمة آباءهم الأقدمين جيل الصّحابة بل أعنى عموم الأجيال منذ أكثر من ألف سنة أو يزيد ، وعلى الخصوص الأجيال التي واكبت سقوط الأندلس وما بعدها ، وحيث فقد القارئون للقرءان حاسة التّدبر فيه وعلى ذلك فقدوا أهدافه السّامية فانقلبت تلك الهامشيّة عليهم فى صورة حياتهم وطريقة معايشهم فى بلدانهم حتّى صاروا كما ترى.بل أنهم لا يدركون أنهم ومع مرور مئات السنين عليهم وهم على هذه الحال بأنهم يشكّلون قوة طاردة مركزية للبعد عن دين الله بل وعن موائد تلاوة القرءان بما يقدّمونه من نموذج لا يتفق مع السوية الفكرية التى فطر الله الناس عليها، فهم لا يكادون يرون وافدا جديدا على مائدتهم حتّى يمطروه بأحكام التلاوة وحرمة الخروج عنها حتى لا يلبث أن ينفضّ عنهم.

*التفاعل العملي مع ما يتلى من كتاب الله

إن عددا لا يحصى من المتدينين . الذين يفترض فيهم حمل مصباح النّور للأمة . على نهج من التّباعد وعدم التّجاوب مع كتاب الله عمليا وفكريا ، فتراهم وقد انفصلوا عن الرؤية القرءانية المتجاوبة مع ناموس الله فى خلق النفس والكون، وأصبحوا يصدّون عن سبيل الله بما يقدمونه من نموذج المتدين المتخلّف، لأنهم ابتعدوا عن فطرة الدين ومصادره العقلية والدينية فعلى سبيل المثال تجدهم لا يتناوبون ولا يتجاوبون مع قول المولى عزّ وجل {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }فصلت٥٣ . فهل كلّف أحدهم خاطره عمليا في رؤية وبحث خلق الله وآيات الله التي أمره الله بالبحث والنظر فيها؟؟؟. هل حينما يقول المولى عزّ وجل (**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت**) هل بحث القارئ المتدين أونظر إلى حكمة الله فى خلق الإبل ،ونفّذ مراد الله حتى ينقل هذه الحكمة عبر قنوات المعرفة لأهله من المسلمين أو إلى إخوانه من البشر حتّى يقدّم الصورة المثلى التي ينبغي أن تكون للمسلم ،والقالب الذي يجب أن يقدّم به الدين للآخرين أيّا كانت ملّتهم؟؟؟؟ ولا يكفيه أنه ينظر الآن للسيارة كيف صنعت ؟،إذ المبتغى النظر في عجائب قدرة الله فيما أمرنا أن ننظر فيه تحديدا، ثمّ يأتي بعد ذلك دور النّظر في الآيات الأخرى كمرحلة تالية.

إن مشكلة المشاكل توقف العقل المسلم عن النمو فى التجاوب مع الكون منذ عدّة قرون حتى تم حصر الدين فى ترنيمات وصلوات منعزلة عن مراد الله من وجودنا وسط الكون الذي أمرنا بتدبّر آياته فيه ، فالتّدبر لا ينحصر أيضا فى آيات الله المقروءة بل يجب أن يشمل آيات الله المنظورة ،ويشمل آيات الله فى النفس والآفاق ثمّ يتم التفاعل بين ما تمّ تدبّره من قراءة فى كتاب الله لينسجم ذلك ويطبّق فى حركة حياة المسلم فلا تكاد ترى المسلم إلاّ منظومة خلقها القرءان على الوجه الذي أراده الله وبالصورة المضيئة التي كان عليها النبي الخاتم ،وبهذا أمرنا القرءان لكننا فى ذهول عن هذا الأمر.

إنّ التدبّر ليس حالة مخاض عقلي أو قولى من شخص لا يدرك حقيقة التعقل أو أسبقيات الفكر القويم ،لكنّ التدبر يكون مستندا إلى قواعد علمية وفكرية ،وقد يكون من حالة الحركة في الحياة {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }فصلت٥٣ ،فبذلك يكون التّدبر حال السكون وحال الحركة فى الحياة.ويمكن أن يكون التّدبر من أميّ لكنه يحسن الإيمان فيتدبر آيات الله فى الكون فيدفعه ذلك إلى استدامة ذكر الله ليل نهار.

لابد من تحويل النص القرءانى إلى طاقة متحركة فى نفوسنا وطريقة حياتنا ونظم بلداننا سواء أكانت نظما سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.....الخ حتى يشاهدها الناس جميعا فيمكنهم مشاهدة الصورة المثلى للإسلام. وهذا يبدأ من تدبّر أهل القرءان للقرءان ، وأقصد بكلمة أهل القرءان أي الذين يقرءون القرءان ، وهى تسميه مجازية فى هذا العصر لأنك تكاد لا ترى أحدا ممن نسميهم أهل القرءان يمكن أن ينطبق عليه هذه الصّفة، ناهيك أنه حينما نذكر كلمة أهل القرءان نجد العامة والدهماء حتى الذين لا يقرؤون القرءان يتصوّرون أنهم من أهله ،وهذا من فساد الفكر الموروث عن صورة مباشرة المسلم لإسلامه وطريقة انتمائه وتعامله مع كتاب الله......(راجع ـ كيف نتعامل مع القرءان لفضيلة الشيخ محمد الغزالي).

إن انفصال المفكّرين عن الحقيقة القرءانية فى بلوغ أهداف العمل والحياة البشرية على الأرض وحصر اهتمامهم فى استنباط الأحكام التشريعية جعل القرءان ماده روحية وتشريعية ومادة لحصد ما ظنوا أنه ثواب مضمون فقط، لكن الحياة العملية الحياتية(كالاعتبار مثلا) كقوله تعالى (فاعتبروا يا أولى الأبصار) فنحن نقرؤها دون أن نستمد منها عطاء العمل فى حياتنا اليومية، **فحقيقة أهل الإسلام أنهم يعانون أزمة فكر ولا يعانون أزمة منهج** ، ولقد استطاع الاستبداد السياسي منذ أزمنة بعيدة أن يجمّد حركة الفكر الديني بمفهومه الشّامل لينزوي الفكر داخل دور العبادة وشعائر العبادة فقط ،ثم امتد على استحياء ليشمل بعض المعاملات الشرعية مثل الزواج والطلاق وما شابه ذلك.

لابد أن يعرف المسلم أنّ صلاحية القرءان لكل عصر لا يعنى اكتشافات ومخترعات يقوم بها أهل الملل الأخرى ثم يخرج علينا مسلم بعدها بسنوات ليقول لقد وجدنا هذا فى كتاب الله ويسمّيه الإعجاز العلمي فى القرءان.

إنّ صلاحية القرءان لكل العصور مسألة فكرية بحته وليس مسألة تطبيقية فقط ، إنّ الأصل الأصيل الذي انبثقت منه الشريعة الإسلامية هي أنها منهج فكرى وديني وحياة اجتماعية، لكن قصور همّة أهل القرءان عن تنفيذ وإدراك الحقيقة القرءانيه جعلت من صلاحية القرءان لكل زمان نظرية أكاديمية لا روح فيها ولا تعبّر عن أى واقع فى ديار الإسلام كما ترى ، بل منهم من أطلقوا على أنفسهم لقب فقهاء فى الوقت الذي يناهضون فيه الحقيقة القرءانية باعتماد أحاديث تتصادم مع كلمات القرءان وآياته ومراميه ؛ بل لقد أصدروا فقها يختزلون به كثير من آيات كتاب الله تحت مسمّى الناسخ والمنسوخ فى القرءان.

إن الذين يقرءون القرءان بلا تدبّر ولم يدركوا المرمى والهدف الحقيقى من التلاوة ، ولا يفقهون ولا يتجاوبون مع آيات الله المقروءة ولا آياته المنظورة ...لن يدركوا أبدا الهداية الكامنة في كتاب الله لمن تدبّره فأحسن تدبّره.

وإليك الدليل من كتاب الله حيث يقول تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) (البقرة:٢٦)

فعلى كلّ منا أن يسأل نفسه ما هو مراد الله من ضرب المثل بالبعوضة؟؟؟ فإن أدرك فإنه من أهل الإيمان وأهل التدبّر وإن لم يدرك فلينظر فليراجع نفسه ، وسؤال آخر كم مرة قرأت هذه الآية ؟ فماذا أفدت منها؟ أم أنك تقطع الآية تلو الآية تنهب الآيات والسور باللسان دون العقل.

و المسلم له آية من قوله تعالى (وقل ربى زدني علما") وهل يكون طلب الزيادة فى العلم أول ما يكون إلا فى كتاب الله؟؟؟!!!

وكيف لا يستحيى المسلم وهو يتدبّر كل ما يقرؤه وما يعرض عليه من شئون دنياه ولا يتدبّر كتاب الله رغم أنه يقطع الوقت الطيب الكثير فى قراءته .

إن المثالين الذين اتخذناهما عن ذكر البعوضة والإبل فى كتاب الله وعدم تنفيذ أهل القرءان لما أمر به القرءان من ضرورة النظر إلى (كيف خلقت الإبل) ،وموقف المتدين من أهل الإسلام من هذه الامثلة وغيرها لا نذمّ به قارئ القرءان على إطلاق أمر الذّم ومعناه ،بل على العكس فتقديره عندنا كبير ولا شك أنه على خير وعلى أعتاب روضات الهداية ،لكن المستهدف من المقال الارتفاع به إلى المستوى الذي أعدّه الله لقارئي القرءان بتدبّر، وحتى لا تتآكل الأهداف فى الأمة الإسلامية ويضيع أصل الحق بينما نحن نعظّم ظلاله، فالقراءة ظلّ القرءان وعماده التدبّر والقراءة وسيلة لكن التطبيق الواعي المنبثق عن تدبر هو الهدف.

لكن المؤسف أن ترى كثيرا ممن يقرؤون القرءان يوميا" لا تتحرك فيهم جفون التدبّر وتراهم رغم مرور سنوات وسنوات عليهم في هذه الحال الطيبة إلا إنهم مازالوا يقفون فى مكانهم ، لم تظهر لهم زهرة ولا تتنسّم لهم عبيرا ولم يترسّم القرءان ببهائه عليهم وعلى من حولهم ،وما ذلك إلا لعدم تطبيقهم للنص القرءانى الذي يداومون على قراءته ، بل إني داخلت من هذه الشاكلة كثيرا من الناس فوجدت الشقاق بكل صنوفه يملأ العلاقات بينهم بل ويملأ عليهم بيوتهم مع زوجاتهم وأبنائهم.

إن القرءان فيه هدى ولكن هدى لمن يقوم بتفعيل النّص القرءانى في واقع الحياة ، وتدبّر رحمك الله قوله تعالى (إِنَّ هَذَا الْقرءان يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) (الاسراء:٩) .

و قوله تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة:٢) .

فمعنى ذلك أن القرءان يهدى العبد المستقيم سلوكيا، والعبد ذو النفس اللّوامة ،والعبد الذى يسارع ليخلط عملا صالحا لتسبق حسناته سيئاته بل والعبد الذى انتوى الاستقامة (لمن شاء منكم أن يستقيم) ...وغيرهم من أصحاب الانشغال بالذكر ، أولئك جميعا يهديهم القرءان لما هو أقوم ، ومعنى ذلك أن القرءان فيه هدى لمن تحرّى رضي ربه واتقى الله فى حياته وعمل الصّالحات وهو يتدارس القرءان، لا يتدارسه مدارسة ترتيل أو مدارسة معان مدرسيّة (وإن كان ذلك مطلوبا) لكنّه يصير عيبا فيه إذا ما استمر لسنوات وسنوات على هذه الوتيرة المدرسية.

كما أن دراسة السنّة النبوية والسيرة النبوية أمر لابد منه لمن أراد أن يسلك الطريق الصحيح ،لكن شريطة أن يعلم السالك فى سنّة رسول الله أنه دخل إلى صيدلية فيها من السموم وفيها من الدواء ،وعليه أن يقوم بالفرز الصحيح وليكن رائده البسيط في الفرز تناغم الحديث مع كتاب الله فإن لم يستطع فعليه بسؤال أهل الإخلاص من العلماء.

وإن من التهميش فى علوم القرءان أن تقرأه ولا يجاوز حنجرتك، ولقد ذمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الصنف من الناس الذين يقرءون القرءان لا يجاوز حناجرهم .

والمسلم الحق يجب أن يكون محبّا" للدين وعلوم الدين ({.......... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ }٧ الحجرات . وليس كما نرى من غالبية المسلمين الذين يتخلّفون عن الفرائض قدر استطاعتهم ويتنسّمون نسيم الحرية والمتعة وهم خارج الإطار الديني ما أمكنهم إلى ذلك السبيل ، أظنهم فى النهاية طعام إبليس ،

بل قد يخرجهم إبليس من الملّة قبل بلوغ الروح الحلقوم وما ذالك إلا لقلة العلّم وبالتالي قلة الإيمان وتدبّر قوله تعالى:- (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (إبراهيم:٢٧) ، ويقول تعالى (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ*وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) (المؤمنون:٩٨&٩٧)

فالقول الثابت يكون مرافقا" للإيمان أمّا الإضلال فيكون مصير المهتزّين المصرّين على معاصيهم فهؤلاء لن تتركهم الشياطين حتى فى حال احتضارهم تمهيدا" للوفاة الحتمية حتى تجعل من وفاتهم نجاحا لمنهاج الشياطين في إضلال بن آدم إلى آخر رمق من حياة فيه.

كما وأن تنقية الحياة من الشرك أمر يتطلّب العلم ،ذلك أن المسلم قد يصاحب إسلامه شرك بالله كما يفعل أغلب الناس حيث يقول تعالى (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (يوسف:١٠٦) – لكن أهل العلم والهداية تجدهم وقد دخلوا الحصن الحصين لذلك لا عجب أن تجدهم وقد انطبق على سلوكهم الحديث القدسي القائل (لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن عذابي) ولكن ترى تصوّر لبعض الدهماء فى شأن تطبيق هذا الحديث فتراه يقطع الساعات الطوال يقول لا إله إلا الله فهو بذلك قد تصوّر نفسه فى حصن الله وأنه أمن من عذاب الله ،وما ذلك إلا لفرط السذاجة مع التعلق بالمظهر دون الجوهر ،فلا فقه ولا فكر ولا اهتمام .

لقد كان من الممكن أن تكون هذه المقالة عن (لماذا نقرأ القرءان) مذمومة فى عصور خلت ،لكن فى عصر لغة الحاسب الآلى مع تنامى أعداد المتعلمين فى الأمّة فلابد للأهداف أن ترتقى برقى الأمة التى محا الله أمّيتها بالقرءان.

فهل وقف المسلم على أهمية العلم وأنه عليه أن يبتعد عن دائرة العلم المتوارث وعن التّقليد الأعمى فى دين الله ؟؟؟ وأن عليه واجبا" تجاه نفسه يتحرّى بها الحقيقة العلمية والحقيقة الفقهية والحقيقة الإيمانية والحقيقة القرءانية لأنه سيقف وحده أمام الله ولن تكون هناك أعذار أو علل ؛ وسوف تعلّق ذنوبه فى رقبته قبل أن تعلّق فى رقبة العالم أو الفقيه، وإنّ المسلم إن فعل ذلك فسوف يحرّك الرّكود الفكري للأمّة في تدبّر وتنفيذ كتاب الله عسى أن تخرج أجيال تتدبّر القرءان وتقوم على تنفيذه بدلا من أجيال المطالعة المدرسية من الذين يتعاملون مع الله بالقطعة والحساب؛ فهم يحسبون على الله كلّ حرف بعشر حسنات وكأنهم ضامنين على الله قبول الثواب،ولا يهمّهم بعد ذلك حال أهل الإسلام وما ذلكم إلاّ نتيجة عدم تدبّر كثير من أهل الصّفوة لكتاب الله.

الحقيقة الكبرى لسعادة البشر

(الذّكر)

إن التّصور الفكرى الإسلامي في كثير من مراجع الفقه والحديث من دمج للتّسبيح مع الذّكر في باب واحد دون تفرقة بينهما إنما تبعث في فكر الأمّة نسيجا من خليط لا يجوز دمجه ولا يجوز إخراجه على نحو من الموجود في صفحات تلك المراجع.

إن القرءان الكريم قد فرّق بين الذّكر وبين التّسبيح فقال تعالى على لسان نبيه موسى في سورة طه(كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً{٣٣} وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً{٣٤}) وكل منهما في آية مستقلّة كما ترى.

كما قال تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً{٤١} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً{٤٢}) الأحزاب . وكل منهما (الذّكر والتسبيح) في آية مستقلّة.

ولقد كان لنشوء فكر وثقافة دمج الذّكر والتسبيح في قراب واحد في تلك المراجع أثره السيئ على الأمّة، فحين أخذ الناس عن تلك المراجع عدم الفصل بين الذّكر وبين التّسبيح تأثّر مذاق وشكل الدين في حياة المجتمعات الإسلامية، وفقد النّاس طريقة الوصول إلى درجة الإحسان التي قال عنها النبي صلّى الله عليه وسلّم(اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ،وأذاق النّاس بعضهم بأس بعض ،وظلّ الجميع يشكو من الجميع.

١. فالذّكر طريقة حياة وفقا لإرادة المعبود جلّ في علاه في كلّ وقت وحين، بينما التّسبيح هو حمد وتعظيم وتنزيه قولي لله ربّ العالمين في أوقات مخصوصة.

٢. والذّكر صورة تنظيمية لكل شئون الحياة، وليتأمّل المسلم قوله تعالى {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فقنا عذاب النَّارِ }آل عمران١٩١ . أمّا التسبيح فهو صورة قوليه بألفاظ محددة.

٣. أمّا التسبيح فهو يساعد على التدريب على ذكر الله، لكنّ ذكر الله أعمّ وأشمل وأعلى قدرا من التّسبيح ،والذين دمجوا التسبيح في الذّكر والذّكر في التسبيح لم يتلمّسوا مراد الله من قوله تعالى({وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }الذاريات٥٦ . فتراهم وقد تصوّروا تسبيحاتهم أنها هي الذّكر المعنى بالقرءان في قوله تعالى(....اذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ }الأنفال٤٥ أو قوله تعالى(...اذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }الأعراف٦٩ أو قوله تعالى (وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ..... }المائدة٧....الخ وترى النّاس تتعجّب من قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات:٥٦) ، والتعجب يكون حين تصوروا وحصروا العبادة على سجادة صلاة أو داخل مسجد ، فتصوروا الله يأمرهم بالانقطاع عن العمل وعن الحياة ،وما ذلك إلاّ من القصور الفكري عن معنى ذكر الله ومعنى العبادة ومعنى الإخلاص.

٤ . والذّكر صورة من صور الحياة الفكرية للقوالب البشرية المؤمنة إيمانا حقيقيا، وهو في ذات الوقت سموّ بالروح وهو صورة من صور الفعل والقول والصمت في كل أوقات الحياة، فالتّفكّر صورة من صور الذّكر لقوله تعالى(......وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }آل عمران١٩١ . أمّا التسبيح فهو صورة قوليه في أوقات محددة بعينها.

٥ . والتسبيح شأن تشترك فيه الخلائق كلها لقوله تعالى {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً }الإسراء٤٤.

أمّا الذّكر فهو شأن خاص بالمؤمنين من البشريّة المكلّفة به على أسرها لأنه فريضة على المخيّرين حيث يقول تعالى({إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً* لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً }الأحزاب٧٢&٧٣.

فعلى ذلك فإنّ من طمس الحقائق دمج الذّكر مع التسبيح حتّى طفآ التسبيح وانطمس الذّكر، وتلك هي حقيقة كثير من الممارسين للتسبيح وهم يظنّون أنهم يذكرون الله ،لذلك فلا عجب أن تراهم في كل محافل المعاصي والغلظة بينما هم يتصوّرون ويتشدّقون بأنهم الذّاكرين، وتراهم وقد أطفأ القصور الفكري جلاء حقيقة الذّكر عندهم فهم يتصوّرون أنهم من الذّاكرين الله كثيرا والذّاكرات لصلوات يؤدّونها في المساجد أو لتسبيحات وأوراد معينة في أوقات مخصوصة، وما ذلك إلاّ لانطماس المعنى الحقيقي لذكر الله في أفهامهم.

أمّا الذين لا يسبّحون ولا يذكرون الله إلاّ قليلا بينما هم يعملون ابتغاء رضي النّاس ،فهؤلاء أقرب إلى النفاق العملي منهم إلى الإيمان حيث يقول تعالى في شأن المنافقين({إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً }النساء١٤٢.

فالمسلم الذّاكر تجد له قلب ذاكر وفكر ذاكر وضمير شاكر ونفس صابرة محتسبة، وهذا المسلم تنشأ له آلية التصدي للفتن وذلك بالامتناع عن الوقوع في المعاصي لوجود واعظا له في نفسه يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر،وحتى إن وقع فى المعصية فإنك تراه وهو معذبا بسياط ضميره ذلك لأنه أوّاب مهما أذنب وذلك ما أورد الله فى شأنه بأول سورة القيامة (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ{١} وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ{٢}) وتجده وقد نشأت له خصيصة الصّبر مع الرضي على البلاء، ثم وفى مرحلة تالية تنشأ له خصيصة الحقيقة الإلهية لحبّ الله . ولا أعنى هنا حبّ الله إنما أعنى حقيقة حبّ الله . وهى إكسير لذّة المجتبين لهذه النّعمة الكبرى.

لذلك فمن حسن إسلام المرء التدرّب على الانشغال بالله في كل دروب حياته (وليس من خلال حضرة ذكر في وقت محدد ثم ينقضي الأمر) فهذا هو أوّل مراتب الذّكر، فالذّاكر الحق ينشغل بالله حال أن يأوي إلى فراش نومه متوجها إلى الله ، يجود بنفسه برضي إذا ما أمسكها الله حال نومه، ثم هو يتحرّى أن ينضبط ليقوم من نومه مع موعد صلاة الصبح في توقيت الفجر ليستيقظ ملبّيا نداء ربه ليصلّى إذا ما قدّر له مولاه الحياة، ثم يبدأ يومه وهو يضع رضي ربه نصب عينيه في كل قول أو فعل أو فكر حتى ينتهي يومه فيأوي إلى فراشه ....وهكذا؛ ثم هو يتعايش دوما مع الله ويستشعر قرب مولاه فيظل هذا القرب يدنوا رويدا رويدا حتّى يصبح العبد عبدا ربّانيا.

وإن الله حين قال(إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لمن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ }التكوير٢٨&٢٧ يعنى ذلك أنّ القرءان منهاج حياة وذلك هو الهدف، أمّا الوسيلة في أن يحيا العبد مستقيما على منوال القرءان فهي الترتيل والتّدبّر، ولكن للأسف الشديد فقد اتخذ الناس من الترتيل بلا تدبّر وبلا منهجية من تفعيل القرءان في واقع الحياة هدفا لهم رغم أنه وسيلتهم للاستقامة بينما شريعتهم لم تكن أبدا غايتها القراءة كما يفعلون.

أمّا التسبيح فهو صورة صغرى من صور الذّكر فلا يمكن أن نتصوّر جرّاحا يقوم بعمله وهو يسبّح، إنما يمكن أن يكون ذاكرا لله إن قصد بعمله وجه الله، كما أنّ إبداعه في عمله يكون إبداعا واستغراقا في ذكر الله بما يعنى أنّ المسلم الذّاكر بعيد دوما عن الغفلة عن ذكر الله وقريب دوما من الله... وفى ذلك كنت دوما أقول لتلامذتي (تعامل مع الله الواحد الأحد يكفيك الله همّ كل أحد)، والمسلم الحق يسير على نهج تعظيم حبّ الله في نفسه اليوم عن يوم الأمس وسبيله في ذلك هو الذّكر بمعنى الحياة لله متفعلا قوله تعالى:. {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }الأنعام١٦٢.

كما وأن الذّكر أحد أسباب حياة القلوب فإنّ أهل الكتاب لماّ قست قلوبهم عن ذكر الله ذمّهم الله في القرءان هذا فضلا عن أنه بيّن للمسلم أنّ الطريق إلى التقوى يمرّ عبر بوّابة الذّكر، وبيّن أنه لا يكفى المسلم أو المؤمن المخلص إسلام أو إيمان.... بل لا بد أن يخضع قلبه للخشوع الدائم عبر ذكر الله وفى ذلك قال تعالى في سورة الحديد(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ{١٦} اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ{١٧}.

فالمتدبّر للآيتين السابقتين يجد أنه ما كان الله ليضع في سياق الآيتين موضوع إحياء الأرض بعد موتها إلاّ لأن الذّكر حياة للقلوب، وقد ذكر الله ذلك بعد أن أخجل المؤمن بضرورة أن يأتي الوقت الذي يخشع فيه لله مما دلّ أيضا على أنّ الإيمان ليس كافيا للوصول إلى درجة الخشوع بل أنّ على المرء أن يستدفع إيمانه إلى طريق الخشوع عبر ذكر الله الدائم الذي سردنا شكله وطريقته أنّه الحياة لله ،وتأمّل قوله تعالى (ألم يأن) الواردة في أوّل الآيتين لترى حقيقة تلطّف الله مع عبده في الطلب فلابد علينا جميعا أن نصيح (أفلا نستحي ..أفلا نستجيب لذكر الله)!!!.

فالذّكر هو الحقيقة الكبرى في كيان سعادة البشرية ، فهو منبع ومنتهى السعادة في الدّارين للسالكين في رحابه، ولا يمكن بحال أن نقوم باختزاله في تسبيحات أو حضرات يقوم بها البعض وهم يتصوّرون أنّهم يذكرون الله كما أراد وكما بيّن في كتابه ،فمتى كان الله غائبا عن المؤمن التّقى حتى يستجلب حضرة أو استحضاره لله ربّ العالمين فيسبّح الله ويذكر الله ويختزل ذكر الله المطلوب آناء الليل وأطراف النهار في حضرة تبدأ وتنقضي بعد ساعة أو سويعات ،فذكر الله المطلوب هو الذّكر الكثير ويكون من قيام ومن قعود وعلى جنب ويكون بالفكر وباللسان وبالجوارح وفى كل وقت وحين، ولا يكون للمرء ذلك إلاّ بتفعيل كتاب الله في كلّ مناحي الحياة، وبذلك نصل إلى درجة الإحسان التي نوّه عنها الحديث عن الصّادق الأمين صلّى الله عليه وسلّم (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

بين الشّكر والحمد

ولعلّ القارئ لا يدرك أنّ هناك فرق بين الشّكر وبين الحمد ، فالشّكر هو ذلك الخضوع القلبي والفكري الملازم للمسلم باستمرار إن هو استمرّ فى الإحساس الدائم بنعم الله عليه ، وقليل من النّاس من تجده على هذا الحال حيث يقول تعالى ({....اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ }سبأ١٣ .

والشكر تراه غالبا فى صورة الحياة وقد اتخذ شكلا عمليا يتّسم به المسلم ، أمّا الحمد فغالبا ما يكون باللسان وفى أوقات ظهور النعمة على العبد واستشعار العبد بها، وقد يبرز الفارق من خلال قوله تعالى {.... أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ }لقمان١٤ فالشكر كما تبيّنه الآية نوع من أنواع الخضوع الدائم لله وللوالدين.

والشكر خصيصة من خصائص بني الإنس، لكن الحمد صورة يشترك فيها مع الإنسان كافة الخلائق حيث يقول تعالى:.{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً }الإسراء٤٤

ولتبيان أن التسبيح يقترن بالحمد وأنه فى أوقات محددة يقول تعالى{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى }طه١٣٠ ويقول تعالى ({فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ }غافر٥٥ .

وحيث أنه وكما أسلفنا أن الشكر حالة مستمرة فى الحياة لاستشعار الشاكر الدائم بنعم الله عليه لذلك فهو يرتبط بالذكر ،وحيث أن الحمد حالة استنفار لمشاعر الشكر فى أوقات محددة وبألفاظ يتم التلفظ بها باللسان فيكون مرتبطا بالتسبيح . لذلك فإن عباد الله الشاكرين قليل، فأكثر الناس لا يشكرون {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ }غافر٦١ . وعن ارتباط الذّكر بالشكر يقول تعالى {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ }البقرة١٥٢

ذكر الله الأولى بالرعاية

قدّمنا أن الذّكر أعم وأشمل من التّسبيح وهوما ورد فى قوله تعالى :. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراًوَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الأحزاب:٤١&٤٢) فدلّ هذا على أن الذّكر غير التسبيح وإن كان من جنسه.

**ولقد ذم الله أقواما" فى كتابه لأنهم يذكرونه قليلا" فقال تعالى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً) (النساء:١٤٢)

**ولقد نبأنا الله أن الشياطين تتنزل على خلقه إلا فئة واحدة بيّنها فى سورة الشعراء حيث قال (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (الشعراء:٢٢٧)

**فنرى أيضا أن الله أكّد على ضرورة الذّكر الكثير فى الآية السابقة وقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً(الأحزاب:٤١)

**وليعلم المسلم أيضا أن الحكمة التي كان عليها رسول الله أنها هي أيضا من ذكر الله وأنه مطلوب الأخذ بها بقوه حيث يقول تعالى (............ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٣١)

** ولقد أمرنا الله أن نذكر آلائه فقال(وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (لأعراف:٧٤) .

وقد ذكر الله مهمة إبليس أنها الصد عن ذكر الله حيث قال (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) (المائدة:٩١) فمهمة إبليس صد البشر عن ذكر لله ومهمة البشر ذكر الله ومن يترك الذكر يلتهمه شيطان البشر وفى ذلك يقول الله {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ }الزخرف٣٦ والآيات كثيرة تدل على تكرار التنبيه على ذكر الله الكثير حال القيام وحال القعود وعلى جنب وأن الله ما خلق الإنسان إلا لعبادته ،ثم إنك تجد آية أخرى يقول الله فيها (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ*رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ

تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) (النور:٣٧&٣٦)

* لقد تصّور الناس أن ذكر الله منفصل عن التجارة والبيع وأعمال الحياة بأسرها واتخذوا مناهج فى التّسبيح والخلوة والعبادة ظنّا منهم أن منهاجهم هو الذّكر المعنى فى القرءان ، لكن ذلك خطأ فادح فكما أن التّسبيح من ذكر الله كما نوهنا فإن الصلاة أيضا" من ذكر الله والتجارة إن قصد بها عمارة الأرض ورعاية من يسأل المسلم عنهم . سواء أكان تاجرا أم غير ذلك . من أبنائه وزوجاته وأقاربه فهي من ذكر الله (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) (النور:٣٧)والكلمة الطيبة صدقه وهى من ذكر الله، فكل ذلك يكون من ذكر الله وفى ذلك يقول تعالى (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام:١٦٣)

فدل ذلك على أن الحياة والممات بكل ما فيها من صنوف التعامل هي لله رب العالمين وهى بالتالي تكون من ذكر الله حيث يقول تعالى (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (الملك:٢)

فإحسان العمل له درجة (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) (الاحقاف:١٩)

وإحسان العمل من أهداف الحياة وهو من الذّكر وذلك من غزارة رحمة الله على عباده فلعلّ الراعي البسيط أو الذي لم ينل قسطا من العلم أو الثقافة له نصيب من ذكر الله بحسن سريرته رغم كونه لا يسبّح ولا يدعو بالمأثور كالمجتهدين من الأمّة.

ولقد اختص الله العمل بالمراقبة حيث يقول (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة:١٠٥)

ويقول تعالى (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) (فاطر:١٠)

فالعبد يلبس ثيابا" نظيفة كي يظهر بمظهر المسلم النّظيف وفى نيته أنه يلبسه نظيفا" لأن الله تعالى يحب التّوابين ويحب المتطهرين فهو بذلك ذاكر لله بلباسه، والذي يستحم أيضا" لله فهو ذاكر لله باستحمامه لأن الله يحب التّوابين ويحب المتطهرين، والذي يأكل ليتقوى ويصون نعمة الله فى الصحة فهو ذاكر لله بأكله ....وهكذا.

وبهذا التناغم بين كل ما فى الحياة من أعمال وأقوال وبين ذكر الله الذي يعنيه الله وبين معنى انه سبحانه وتعالى خلق الناس لتعبده فقط يكون الذكر الكثير هو الحياة بأسرها شهيقها وزفيرها، فلابد أن تنطبق تصرفات العبد الخارجية منها على مراد الله، وتنطبق إرادته الداخلية على ما يحبه الله فيكون بذلك ممن يذكرون الله قياما" وقعودا" وعلى جنوبهم، ويكون ممن عناهم المولى عز وجل بكلمة (إلا ليعبدون) فما ينفلت العبد أبدا" من طاعة الله حتى وإن ارتكب المعصية فإنه يعاجل بالتوبة فتتبدل سيئاته حسنات وتلكم هي العبودية الحقة وحقيقة الذكر.

بين منهاج حياة المسلم ومنهاج قبول الدعاء

لقد اتخذت الدعوة الإسلامية في بعض دروبها مناهج ورثتها من عقول الماضي التي لم تكن على دربة كافية في معرفة ما يدبر للإسلام من أعدائه، ولقد ورث بعض الدعاة منهاجا لترقيق القلوب وتحبيب السامعين دون النظر إلى عواقب هذا المنهج، فتجدهم قد تمسكوا بثوابت الرحمة والمغفرة وصارت أقوالهم تدور حولها بلا ضابط فتراهم وهم يقولون:.

(إن الله غفور رحيم – إن الله يغفر الذنوب جميعا – إن الله سبقت رحمته غضبه...... الخ)، وهناك مجموعه أخرى من الثوابت أرادوا بها دفع المسلم للدعاء فصاروا يدورون حولها أيضا وهى (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا – إن فى الجمعة ساعة إجابة – الدعاء فى أوقات مخصوصة – الدعاء فى أماكن مخصوصة – وضع الدعاء بين صلاتين على رسول الله – الانشغال بمعرفة الاسم الأعظم لله........ الخ)،

ولقد كان من نتيجة نشر هذه الثقافة والتركيز عليها فى الدعوة أن صار المسلم يجوب كل المعاصي وبكل اجتراء اعتمادا على أن الله يغفر الذنوب جميعا ، وصار يدعو الله فيما أهمه بينما قلبه وكل جوارحه وفكره فى باقي حياته تدور في فلك ما ألفه من المعاصي و الهنّات، وكان ذلك من نتاج ثقافة التبشير لأقوام كان لابد لهم من نذير،فكان أن استخفّ النّاس بالمعاصي ووظّفوا مرادهم فى الله فى حياتهم للاستجابة لمطامعهم – ولم لا – وقد قال لهم شيوخهم ودون أن يشرحوا لهم فقه القرعان أن الله قال : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة:١٨٦)
فظنت الراقصة والقوّاد واللص والمنافق والمرتشي والعاق لوالديه ومن على شاكلتهم من أصحاب المعاصي...أنهم داخلون في مقام قبول الدعاء مع الاستمرار فى معاصيهم، خاصة وأنهم مسلمون وخاصة وأن رسول الله محمد سيشفع لهم، وذلك وفق مصادر مشايخهم المبشّرين الذين لم يمحصوا لهم الأمر– ونسى أولئك وهؤلاء تعاليم القرعان– ثم أسهب أصحاب منهج التبشير بلا ضابط فى بضاعتهم فى دعوة الناس فقالوا بضرورة أن يكون الدعاء صادرا من القلب ، وبضرورة ختام الدعاء بكلمة آمين والحمد لله رب العالمين وأفهموا الناس أن ذلك تأوّل وتطبيق لقوله تعالى (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (يونس:١٠)

إن سمّ البلاء الذي تعيشه الأمة ينبع من فقه معوج ابتعد عن القرعان وعن صحيح السنّة واتخذ مناهج لا ضابط لها.

إن إجابة الدعاء فضلا عما يقوله هؤلاء من ضرورة التوبة وضرورة رد المظالم إلى أهلها إلا أنه كان من الضروري أن يرشدوا الناس إلى أن إجابة الدعاء وقبول التوبة معلّقين على أن يكون الإيمان منظومة حياتية يحياها المسلم وليست قصاصة من التوبة ولا ظلاّ من الطاعة فى لحظة من الزمان لا يلبث أن يختفي سريعا مع غروب شمس الإيمان وكأن التوبة كانت طرفة عين وانقضت.

فالله تعالى يقول (**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**) (لأعراف:٢٩) ويقول تعالى (**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**) (غافر:١٤)

فانظر رحمك الله إلى العلاقة بين الدعاء وبين إخلاص الدين فى الآيتين السابقتين، إن الله لم يشترط إخلاص الدعاء ولكن اشترط إخلاص الدين حال الدعاء وهو فارق عظيم بين ما يفهمه الناس وبين ما يقوله ربّ الناس وما ذلكم إلا لعدم تدبر القرعان.

أما الذي يدعو الله فى حالة الاضطرار الطارئة فإن الله جعل لهذه الحالة ميزانا آخر ، فلأن الله لا يبخل على العبد المضطر بالإجابة حتى يعرف حالة العبد من الإخلاص حين يصير إلى حال الرخاء بعد حال الاحتياج وانقطاع السبل عن العبد، فإذا أحسن العبد بعد أن أحسن الله إليه فإنّ الله يتوب عليه ويهديه و إن أساء بعد أن أنجاه الله من الواقعة الطارئة فإن الله يمهل ولا يهمل.
أذكر ذلك حتى تنجلي الغشاوة الفقهية عن المسلم الذي يتصوّر الصّلاح فى رؤية رآها فى منامه فجاءت كفلق الصبح . فقد ضرب الله مثلا عن ذلك الملك(الكافر) فى عهد يوسف عليه السلام الذي رأى رؤية السبع بقرات السمان اللائي يأكلن سبع بقرات عجاف وكانت رؤياه صحيحة ، لكن ذلك لا يعنى صلاحه لأنه كان كافرا بل يعنى أمرا آخر هو الإفراج عن يوسف عليه السلام من السجن . فلا يتصوّر المسلم أن إجابة دعاء أو رؤيا صادقه هي جواز مروره إلى الصلاح إنما هي أوراق اختبار له من الله ولا يعلم حكمة الله ومراده إلاّ هو سبحانه وتعالى.
*وعودة مرة أخرى إلى كون أن إجابة الدعاء متعلقة بمنظومة حياة المسلم مع ربه ومع عباد الله فإن الله تعالى يقول:.
(وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً) (الجن:١٦)
ويقول تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت:٣٠)
وقوله تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل:٩٧)

والمتدبر للآيات السابقات مع آيات الدعاء والإخلاص فى الدين التي سبقتها يجد أن القبول معلّق على كون أن تعاليم الدين هي منظومة حياة بالنسبة للمسلم وليس كون الطاعة ساعة أما المعصية فهي كل ساعة .... فإن كان الدين منظومة حياة العبد فلا شك أن دعاءه مقبول غير مردود والعكس بالعكس.

وقد يتساءل سائل فى كون مسألة الإخلاص فى العبادة قد تقتضى وقتا لا تتحمله بعض الأمور التي قد تحدث للمسلم ويحتاج فيها ربه على الفور والسرعة .

والإجابة على ذلك تكون فيما أوردناه من أن الله يجيب المضطّر فورا دون حاجه إلى منظومة حياتيه من الطاعة وان الله يمتحن إخلاص ذلك المضطر بسرعة الاستجابة لدعائه حتّى وإن كان صادرا عن قلب لاه فى أغلب الأحيان...... فإن نجح العبد ورجع إلى الله بتوبة فقد نجا وإن رسب فالله يوفيه ما يناسبه من الجزاء ،أو لربما عفا عنه وأعطاه فرصة أخرى، لكن لن يستمر المنهاج على هذا المنوال، وليحذر المسلم عاقبة عدم شكره للنعمة وليكن دائما عبدا لله بمعنى العبودية الحقّة حتى يجد ما نصت عليه الآية(وإذا سألك عبادي عنى فإني قريب ...) فاشترطت الآية العبودية الحقّة لله كشرط لاستجابة الدعاء؛ ولو تصوّر أحد أن كلمة عبادي الواردة فى الآيه تعنى العبودية عموما فإنه بذلك يكون ممن لا يتدبّرون القرءان ،لأن هذا الأمر مخصص لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ويخاطب الله نبي الإسلام بهذه الآية وسط آيات فرض الصوم فليس أمر إجابة الدعاء هنا لكل العباد.

وليعلم المسلم أن القرءان نظام حياة وكتاب علم وحضارة وذكر وهو منظومة إعجازيه فى كلّ صنوف المعرفة ،وليس كتاب دين للذّكر القولى، وليعلم أنه لابد له من تدبّر آيات الله وإنزالها منزل التطبيق لتكون منهاج حياة ،وليفرّ المسلم من طبقات المغفرة الساذجة التي يتصوّرها إلى طبقات الطاعة والهداية، فإن المسلم الخطّاء هو توّاب دوما، وما يكون خطؤه إلا ساعة وليس كل ساعة وطاعته دوما وذكره لله يكون قياما وقعودا وعلى جنبه من خلال الإخلاص للحياة، والإخلاص في العمل، والإخلاص في الحب، والإخلاص في الرجاء حتى يقابل الله بقلب سليم.

أهمية الاستغفار وشروط قبوله وما هي الرحمة

الاستغفار هو طلب العبد من الله محو الذّنب ،وهو اعتراف من العبد بسوء الذنب ،وهو طلب للبراءة من العقوبة بعد الاعتراف بالخطيئة وهو منهاج وضعه الله لأهل الإسلام ، فإن هم اتّبعوه فإن الله يغفر الذنوب جميعا ،ولقد استحثّ الله أهل الإسلام على الاستغفار فقال تعالى في مواضع كثيرة:-

***{وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً }النساء١١٠**

***{أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }المائدة٧٤**

***{وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }الأنفال٣٣**

***{وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ }هود٣**

***{وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ }هود٥٢**

***{وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ }هود٩٠**

***(........وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }المزمل٢٠**

***{قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }النمل٤٦**

***{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً }نوح١٠**

***{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ }غافر٥٥**

***{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً }النصر٣**

***{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً }النساء٦٤**

فليتأمّل المسلم كم يطلب الله من عباده الاستغفار، ومع إيمان العباد بالكتاب إلاّ أننا نجدهم قلّما يستغفرون الله عقب المعاصى ، وتأمل كم يعلّق الله توبته علي المسلم لمجرد أن يستغفره كلما عصاه ، ثم إن علي المسلم واجبا آخر وهو التوبة فلا يكن منهاج العبد المعصية والاستغفار فقط إنما عليه بالمبادرة إلى التوبة ،وبالتوبة وحدها يمكن أن تبدّل الذنوب إلى حسنات.

استغفار الآباء والأبناء والملائكة والناس جميعا بعضهم لبعض

ومن آداب الاستغفار التي أوردها الله في كتابه ضرورة استغفار بعضنا لبعض جميعا وهو الأمر الذي يمكن تبيانه من الآيات التاليات:-

*{رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ }إبراهيم٤١

*{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ }محمد١٩

*{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ }غافر٧

*{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }الشورى٥

*{قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ*قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }يوسف٩٨&٩٧

فمن آداب الاستغفار أن تستغفر لنفسك ولأولادك وبناتك ولوالديك وللمؤمنين وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك فتتشبّه بذلك بفعل الملائكة من حملة العرش وغيرهم.

وعد الله بالمغفرة

لقد أطلق الله عنان الوعد بالمغفرة لعباده الذين أخلصوا العبادة له دون أن يلبسوا إيمانهم بشرك وفى ذلك يقول تعالى:-

١-{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }الزمر٥٣.

٢- (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }البقرة٢٦٨.

٣- {وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ }المائدة٩.

٤ - {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً }النساء١١٦.

تلكم كانت وعود الله وذلكم كان وعد الشيطان فإلى أين سينتهي اختيارك

بعض صفات من تجب لهم المغفرة

١- **الخوف من الله والعمل بالتنزيل** .....(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ{٢} الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ{٣} أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ{٤}الأنفال

*ويقول تعالى:-{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ }الملك١٢

٢- **حبّ الله**......(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }آل عمران٣١

٣- **الدعاء للصالحين**....... {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }الحشر١٠

*{رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً }نوح٢٨

٤- **قيام الليل والاستغفار قبل الفجر والصدقة**...... (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ{١٥} آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ{١٦} كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ{١٧} وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ{١٨} وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ{١٩} وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ{٢٠} وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ{٢١} وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ{٢٢}الذاريات

*ويقول تعالى....{وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }النور٢٢

*ويقول تعالى...{إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ }التغابن١٧

٥- الجهاد في سبيل الله ونصرة المؤمنين......{وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }الأنفال٧٤

*ويقول تعالى...{يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }الأنفال٢٩

٦- الإيمان بالله مع عمل الصالحات..... {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }الحديد٢١

*ويقول تعالى...... {فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }الحج٥٠

*ويقول تعالى....{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً }الأحزاب٣٥

ويقول تعالى.. {الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ }فاطر٧

٧- طيب العشرة والقول والقلب....{الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }النور٢٦

٨- تقوى الله مع الإيمان.... {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }الحديد٢٨

٩- تنفيذ كتاب الله عمليا.....{إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ }يس١١

١٠- اجتناب كبائر الذنوب....{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى }النجم٣٢

١١- الاستجابة لنصح الدعاة إلى الله.....{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ }الأحقاف٣١

١٢- الابتعاد عن الشرك....(إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً }النساء٤٨

*ويقول تعالى....{إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً }النساء١١٦

*من أسباب رحمة الله ....(خمسة أسباب)

أولا :طاعة الله ورسوله وأداء الفرائض

*{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }آل عمران١٣٢

*{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً }النساء١٧٥

*{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }النور٥٦

*{وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ }الأعراف١٥٦

*{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }التوبة٧١

*{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً }مريم٩٦

*{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }الحديد٢٨

ثانيا: كتاب الله رحمة

*{وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }الأنعام١٥٥

*{وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }الأعراف٥٢

*يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }يونس٥٧

*وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }النحل٨٩

*{وَإِذَا قُرِئَ الْقرءان فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }الأعراف٢٠٤

*{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقرءان مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً }الإسراء٨٢

*{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }العنكبوت٥١

ثالثا: بعثة رسول الله إلينا رحمة من الله لنا

*{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }الأنبياء١٠٧ فعلى ذلك فرسالته رحمة وسنّته رحمة.

رابعا: كثرة الدعاء والاستغفار من موجبات الرحمة

*{قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }النمل٤٦

*{وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ }الأعراف٥٦

خامسا: كثرة قيام الليل والصدقة والإصلاح بين الناس والصلاة على النبي

*{وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }التوبة٩٩

*{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }الزمر٩

*{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }الحجرات١٠

إن الرحمة والمغفرة صنوان وهما محببان لنفس كل مؤمن لكن على المؤمن أن يعلم أنّ المغفرة أعظم أثرا عليه من الرحمة إذ أن المغفرة محو للذنب أمّا الرحمة فقد تكون تأجيل للعقوبة لكن الرحمة أوسع أثرا من المغفرة لأن المغفرة تكون عن الذنوب فقط أما

الرحمة فقد تكون في لطف القضاء وقد تكون في الهداية وقد تكون في طيب الحياة وطيب الممات وهكذا فإن المسلم يحتاج إلى الاثنين معا.

كلمة لتصحيح الفكر عن التوبة

لقد تقلّد الناس مفهوما عن التوبة بعيد كلّ البعد عن منهاج الله وما أنزله في كتابه، وما سبب ذلك إلا دعاة قصّاصين أصحاب علوم بعيدة عن كتاب الله، وبعيده عن تعاليم رسول الله الذي لم يخالف قوله ولا فعله كتاب الله أبدا

لقد غرس هؤلاء الدعاة في أدمغة النّاس أن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر ونسبوا ذلك (فيما رواه ابن ماجه والترمذي) لرسول الله زورا وبهتانا على سيد الخلائق صلّى الله عليه وسلّم ،بل لم ينته بهم المقام عند هذا الحد، وابتدعوا قصصا لتوثيق الزيف في الأدمغة مثل قصّة الشقيقين اللذين كان أحدهما صالح والآخر طالح ولزوم الحبكة الدرامية فإن كلّ منهما وفى ذات الوقت قرر أن يترك منهاجه فلما همّا (الأول ليرتد إلى الطلاح والثاني ليرتفع إلى الصلاح) إذ توفيا من فورهما دفعة واحدة فدخل الرجل الصالح النار بنيته ارتكاب المعاصي ودخل الرجل الطالح الجنة بنيته فعل الخيرات.....فهذه القصة وأمثالها تؤكّد على عدم أهمية العمل وتتزيّد بلا ضابط في أهمية النيّة؛بينما تجد ناموس الله في خلقه وكلماته إلى عباده تتصادم بالكلية مع ذلك المعتقد ،فمنهاج الله ألاّ توبة بلا إصلاح ولا جنّة إلا بفعل الخيرات ،بل رأيت هؤلاء الدعاة وأعوذ بالله أن أكون منهم يؤكّدون للناس ما يدعون إليه من منهاج هابط عن التّوبة بأن يقولوا لهم أن سحرة فرعون دخلوا الجنّة دون أن يصلّوا لله ركعة ،وما ذلك إلاّ لقصر نظرهم عن الجهاد الذي جاهده السحرة حيث قطّع فرعون أيديهم وأرجلهم من خلاف وتم تصليبهم في جذوع النخل دون أن يتزعزع المؤمنون عن إيمانهم ،وحتى وافتهم المنية فهؤلاء ضربوا أروع المثل على الثبات على الإيمان فضلا عن أن نبيهم موسى لم تكن قد أنزلت عليه فريضة صلاة بعد فبهذا لا يكونوا قد تخلّفوا عن أي فريضة.وما يقصّونه عن الرجل الذى قتل مائة نفس ونوى أنيتوب فأدخله الله الجنّة بنيته ويدونعمل صالح...الخ.

إنّ تلك القصص أفرزت فكرا يقلل من أهمية العمل ويعظّم بلا ضابط أهمية النية ولو لم يعمل صاحبها أي خير ،ولكن الدلائل القرءانية تؤكّد هبوط هذا المنهج وإليك بعض القضايا التي أثارها الكتاب الخالد حيث يقول تعالى :.

* (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ{٨٥} كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ{٨٦} أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ{٨٧} خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ{٨٨} إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ{٨٩} إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ{٩٠} إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ{٩١} لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ{٩٢} آل عمران

الناظر إلى الآيات السابقات يجد أن الله قد فتح للتائبين من المرتدّين عن دين الإسلام بابا للتوبة وذلك بنص الآية ٨٩ بينما يجد في سياق آخر في الآية رقم ٩٠ أنه لن يقبل توبتهم ،ولعلّ في ذلك إشكالية لمن أراد التدبر في كتاب الله ؛ لكن الحقيقة التي يجب

أن يلحظها كل مسلم أن التوبة القولية لا تقبل بينما يتقبل الله التوبة التي يعقبها عمل صالح ، وفى ذلك يجب أن تكون هناك فسحة من الزمن في حياة العبد حتى يعمل من الصالحات،فالآية٨٩ تفيد أنّ التوبة عن الردة إذا ما أعقبها صاحبها بعمل صالح فإن الله يقبل التوبة ويغفر لصاحبها، أمّاالآية٩٠ فهي تفيد المرتد الذي تاب توبة قوليه فهذه لا يقبلها الله لأن التوبة كالإيمان لا تقبل إلا بعمل صالح.

والعمل الصّالح قد يكون عملا صالحا خاصّا أو عملا صالحا عاما ،فالعمل الصّالح الخاص هو في إصلاح ما أفسده العبد بمعصيته إن استطاع إلى ذلك سبيلا ،أمّا الصلاح العام فهو يعنى أن يقوم التّائب بغرس الأعمال الصالحات تكفيرا لذنبه وهو صلاح لابدّ منه لمن أراد أن يتقبّل الله توبته.

*وإن الله لم يتقبّل توبة فرعون حين أدركه الموت غرقا حيث يقول تعالى في سورة يونس :ـ (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ{٩٠} آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ{٩١} فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ{٩٢}..

فهكذا ناموس الله في خلقه فلا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل الغرغرة بكثير ، ولا يتفلسف متفلسف بما تعنيه كلمة الغرغرة فالمنطق عند سامع الرواية هو إمكان التوبة حتى قبيل الوفاة مباشرة وهو منطق مخالف للمنهج الذي أنزل على محمد صلّى الله عليه وسلّم

كما لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت قبل ظهور أحد أشراط الساعة الكبرى حيث يقول تعالى:.

({هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ }الأنعام١٥٨ . فلعل المسلم يدرك ما تعنيه الكلمات (أو كسبت في إيمانها خيرا) إذ لا بد لكي ينفعك الإيمان أن تقرنه بالعمل الصالح وكذلك لكي تنفعك التوبة فلابد أن تتبعها بالعمل الصالح ،وعلى المسلم أن يتدبّر قوله تعالى:.

{وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً }النساء١٨ .

وفى ذلك المضمار(عمل الصّالحات بعد التّوبة) آيات كثيرة نذكر منها ما يلى:.

*{إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }البقرة١٦٠

*{فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }المائدة٣٩

*{أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }التوبة١٠٤

*{وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً }الفرقان٧١

*{وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً }النساء١٦

*{إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً }النساء١٤٦

*{وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }الأنعام٥٤

*{وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }الأعراف١٥٣

*{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }النحل١١٩

*{إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً }مريم٦٠

*{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى }طه٨٢

*{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }النور٥

*{إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً }الفرقان٧٠

*{وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً }الفرقان٧١

*{فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ }القصص٦٧

فهكذا تتوالى الآيات تترى ليصبح العمل الصّالح قرين الإيمان وقرين التّوبة لمن أراد التّوبة، ولقد كان من نتاج منهج التّوبة بالقول والتوبة قبل الموت أن رأيت مسلمين وقد تمّ إدخالهم غرف الإنعاش وسمعتهم يتوبون إلى الله ويستغفرونه، لكن عدم وجود آلية طاعة في كيانهم أفقدتهم إمكانية الصلاة حتّى وهم على الفراش ،بل رأيت بعضهم ممن يستطيع النهوض يدخلون إلى دورات المياه دون أن تدفعهم قدرتهم على الحركة إلى تأدية صلاة الصبح في موعدها بل وجدتهم لم يصلّونها أصلا رغم توبتهم الشفوية ، ورأيت منهم من لم يمهله الله إلا ساعة ومنهم من أمهله سويعات ولكنهم ماتوا دون أن يصلحوا أو يفعلوا خيرا فهؤلاء هم ضحايا دعوة مغلوطة عن معنى الرحمة وصنوف المغفرة.

ولابد للتائب أن يسرع فى عمل الصّالحات عسى أن يكون من المفلحين ،ولما كان هذ الأمر من المستحيلات فلابد عليه من اغتنام الوقت فى التوبة والأوبة قبل أن يوافيه الأجل وهو على دروب المعاصى.

الإسلام معنى ومبنى

الإسلام كديانة ليست كما يدّعى بعض الأدعياء من كلمات حق يقولونها ولكن يريدون بها باطل، فهم كثيرا" ما يرددون (إن الدين للدّيان)، نعم الدين للدّيان ولكن حقيقة قصدهم أن تبقى أيها المتدين بعيدا"بدينك عن ميدان الحياة ، فالحياة حياة والدين دين، ولقد ورد هذا المعنى فى بعض أفكارهم فقالوا (لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين) ،واستمر هذا الشعار ردحا" من الزمن يحاول تحييد الإسلام عن ساحة الحياة وحصره فى داخل الشعائر وداخل المساجد، فكان أن تخلّفت الأمة لمّا تم تحييد الديّن ،وكان أن خرب اقتصادها لمّا تم إبعاد الدين عن الاقتصاد ،وانحدرت قيمة العمل ونتيجته حين تم إفساح السّاحة للعاملين بغير وازع من الدين، بل وأصبح في أفكارهم أن الدين والتدين والمتدين مصطلحات تنافى التّحضر .

ولقد قرأت الكثير فى توظيف الإسلام فى الحياة فما وجدت ملخصا" أوفى مما جاء به الشيخ سيد قطب رحمه الله في كتابه في ظلال القرءان حيث قال (الإسلام ليس نظاما" لاهوتيا" يتحقق بمجرد استقراره عقيدة فى القلوب وتنظيما" للشعائر ثم تنتهي مهمته ؛ إن الإسلام منهج عملي واقعي للحياة يواجه مناهج أخرى تقوم عليها سلطات تقف وراءها قوى معادية فلا مفر للإسلام لإقرار منهجه الرباني من تحطيم تلك القوى المادية وتدمير السلطات التي تنفذ المناهج الأخرى وتقاوم المنهج الربانى).

وقد يتصور أحد رعاة المناهج المعادية لمنهج الإسلام أن هذه دعوة لحرب بين الإسلام والمناهج الأخرى ،والإجابة لا إنها دعوة لدفاع أهلي فكرى ضد حرب فكرية شنّها أعداء الإسلام على الإسلام، وازدان هذا المنهاج في نفوس هؤلاء الأعداء المحاربين للإسلام وتعاليمه ،فتغلغلت تلك المناهج في عقيدة بعض ممن ينتمون للإسلام اسما" ولا يعرفون آليات تفعليه لا في المساجد ولا خارج المساجد ،فقويت هذه المناهج واستفحل شرها في ديار الإسلام حتى صار فقيه الأمة والعالم والشيخ أقل وزنا" عند عامة الناس من الضابط والسياسي بل وممن ترتزق من وظائف تغضب الله ،بل إن نفير هؤلاء يجتمع عليه أناس أكثر ممن يجتمعون علي نفير المؤذن لأي صلاة ، فهذه هي حربهم الفكرية التي انتصرت عمليا ولابد لأهل الإسلام من حرب فكرية مقابلة حتى تصبح كلمة الله هي العليا ولابد أن يتم تصحيح الميزان الإجتماعى حتّى يتبوأ العالم والشيخ والداعي إلى الله المكانة الاجتماعية التى يستحقونها ، ولا يمكن لذلك أن يتم إلا بدعوة فكرية تنبثق من بين ثنايا كتاب الله وسنّة رسوله ، فحينئذ ستجد المناهج الأخرى وقد تم تدميرها وتحطيمها بلا حرب أهلية وبلا خروج على النظام ، ولابد في سبيل هذه الحرب الفكرية من حشد وسائل الإعلام والاتصالات لصالح أصحاب المنهج الصحيح .

وليعلم أهل الحق أن الانتصار العملى لأهل الباطل قد تمّ لما حشدوا لصالحهم جهود الإذاعة والتليفزيون بينما اهتم أهل المسجد بميكروفون المسجد، وياله من فارق هائل انتشر به الفسق فى كل مكان وانزوت دونه كلمة الحق داخل المساجد فقط .

إن الإسلام دين الاستسلام للواحد الخالق الله رب العالمين فى كل ما أمر ، وهو دين للانقياد العملي لتعاليم الله وليس دين ينتقى المرء منه ما يصيب هوى فى نفسه أو ما يرى أنه مناسب له ثم يترك الباقي، ذلك أن المنهج الإسلامي ذي جزئيات مترابطة ومتسقة بتناسق من لدن حكيم خبير، فلا يصح من المسلم إهدار جزئية بدعوى أنه يقيم أخرى ، كما أن ولى الأمر عليه جزئيات لابد أن يحققها حتى تتحقق العزّة للدولة ؛وبغير دين الله لن تتحقق العزة للأمة الإسلامية.

والناظر إلى تاريخ العرب يجد أنهم لم يكن لهم ذكر قبل الإسلام، فلما اجتمعوا على دين الإسلام ونفذوه تنفيذا"عمليا" دانت لهم العرب والعجم وصاروا أسيادا" فى هذه الأرض، فلما أصابهم الوهن فى دينهم امتد الوهن إلى عزتهم حتى صاروا بمثل ما ترى.

فالإسلام إيمان بالله ورسوله فيه إصلاح للحياة بمنهج تفصيلي وارد بكتاب الله عز وجل يكمن فى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله بمقتضياتها الفعلية التي إن أداها العبد فذلك برهان منه على أنه يشهد ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وإن لم يؤدها العبد أو أدى بعضا" وترك بعضا" تشاغلا" أوتكاسلا" أو عمدا فذلك برهان منه على عدم اتصال فعله بقوله فى الشهادة بتوحيد الله ورسولية محمد صلى الله عليه وسلم وماذاكم إلا من أمراض القلوب.

وقد جعل الله دواء القلب في الشعائر" من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت فإن فعل العبد ذلك بإخلاص كان ذلك خلاصا" لأمراض قلبه وبذلك يستطيع ممارسة الإسلام عمليا".

لكن أولئك الذين تربوا على موائد الدنيا وجعلوا دينهم فى هامش حياتهم فهم يرون غير ذلك **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ *أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ }البقرة ١١&١٢}** فمصيبتهم الكبرى ليست في الإفساد باسم الإصلاح فقط إنما تكمن أيضا في انعدام شعورهم بفساد منطقهم وأعمالهم.

فهم لا يعلمون قول الحق **{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }الصف٥ .**

فزيغ القلب عن منهاج الحق يكون بلجوء الناس لمناهج غير منهاج الله وذلكم هو الزّيغ ،ولا يشترط إن يكون الزّيغ فى العقيدة فقط إنما يكون الزّيغ فى تعمّد الانحراف عن المنهج الذي وضعه الله بينما يدّعى بعض الناس أنهم يؤمنون بذلك المنهج فى الوقت الذى تعمدوا الانحراف عنه، فهؤلاء بطبيعة الحال ومع الاستدامة على هذا الدرب يتحوّلون بأفعالهم من الإيمان إلى الفسق

وترى كثير من الناس ممن لا دراية لهم بقوله تعالى **{.....وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }الأنعام٤٣**– إنهم تصوروا مع مناهجهم الباهتة أن القرءان نزل يتكلم عن كفار فى آيات، وعن المنافقين فى آيات أخرى، وعن أهل كتاب فى آيات ثالثة ،ثم عن جنات ورحمات فى آيات رابعة لأولئك الذين شهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدا" رسول الله قولا" (رغم أنّهم لم تكن لهم أي ترجمة عمليه لهذه الشهادة)وما ذلك إلاّ من الهبوط الفكري الذي أصابهم .

ولقد رأيت بعضا" من الوجهاء وقد صاحبتهم فى حل وترحال لا يهمهم إن تأخروا عن صلاة أو تجاوزوا الحدود فى مشرب أو مأكل ممّا حرّم الله ،وهم لا يدركون بذلك أنهم يخرجون عن تعاليم دينهم الذي ارتضوه لأنفسهم ، كما رأيتهم وهم أصحاب رأى يسمع الناس لقولهم وينظرون لإشاراتهم يقولون بأنّ الدين للمشايخ ،أما العلم والتقدم وعمارة الدنيا فهو لهم ولأمثالهم ،تلك هي تصنيفاتهم، وتراهم يقطعون الليل والنهار على هذا المنوال الذي فى رؤوسهم لا يدركون معنى لقوله تعالى **{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }الجاثية٢٣.**

ويكمن السر في عدم إدراكهم لمعنى هذه الآية وأمثالها أنهم يصنّفون هذه الآية على أنها من الآيات الموجهة إلى الكفار ، إذ أنهم تصوروا أن بعضا" من آيات القرءان مخبأة فى مصاحف لأناس من الكفّار (رغم علمهم بأن الكفّار لا يقرؤونها ولا يؤمنون

بها)وتلك فى رأسهم مهمة هذه الآيات ، فأي عته شرعي عليه هؤلاء ...؟؟ إن الله سبحانه وتعالى لم يجعل الهداية فى أن يرفع الإنسان عقيرته وكفّيه إلى السماء ويقول اللهم اهدني.... نعم قد يكون هذا جزءا" من مطلوبات الهداية لكن لابدّ أن يعلم التائب ان التوبة منهاج وتفعيل بين الاستقامة والدعاء ،ذلك أن من أنعم الله عليه بنعمة العزم على التوبة لابد أن يعي قول المولى عز وجل **{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ *وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }النور٥٥&٥٤}.**

إن الله تعالى بيّن أن طريق الهداية يكمن فى طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وإن تطيعوه تهتدوا)، فليس بالدعاء وحده من قلب لاه عن تفعيل كتاب الله وسنة رسوله يقبل الدعاء ويهتدي العبد ،إنما هناك مطالب عملية يجب على العبد أن يفعلها ويتمكّن منها حتّى تتمكن منه و يدعو الله ليستجيب له ،فالاستقامة والدعاء كالشهيق والزفير ،كلاهما لايمكن الوقوف عند حدّه دون الآخر ، وقد ترى مثلا" فيما يدعى به فى مساجد الأقطار الإسلامية (اللهم انصر الإسلام والمسلمين وأذلّ الشرك والمشركين) سمعتهم وأمّنت على دعائهم منذ أكثر من ستة عقود هي مشوار عمري فى الحياة فما أجد إلا أنّ ذلّ اليوم أكبر من ذلّ الأمس وذلّ أمس أكبر من ذلّ سابقه للمسلمين ،وماذاكم إلا لعدم تفعيل كتاب الله لمن يقومون بالدعاء ،و تجد قلوبهم لاهثة وراء مناهج غير منهاج الله ولا يقيمون الصلاة وإن أدّوها .

إن الإسلام هو دين الانقياد لله حال اليقظة والنّوم وحال الحياة وحال الموت، وقد شرح الله تفصيلا" فى كتابه لعباده فى دستور أنزله لهم اسمه (القرءان العظيم واسمه القرءان الكريم واسمه كتاب الله) قال الله فيه **{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقرءانِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً }الإسراء٨٢ . وهنا أيضا"** قد يتصوّر بعض الواهمون أن القرءان شفاء ورحمة للمسلمين وخسرانا" على الكافرين وهو معنى فيه منتجع للكسالى الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، بل رأيتهم يتأوّلون هذه الآية عمليا فى الشفاء من أمراض الجسد كالمغص والرمد ونحوه.

وإن لفظ الظّالمين المدرج في الآية السّابقة وغيرها من الآيات ورد فى كل من حاد عن منهاج الله سواء كان مسلما" أو غير مسلم ونضرب لذلك الصنوف القرءانيه وذلك فيما يجده المسلم من قوله تعالى :-

***(........تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }البقرة٢٢٩**

***{وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }**المائدة٤٥

***({يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }التوبة٢٣**

***{وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }الأنعام١٢٩.**

فمن الآيات السابقات ما يرمى إلى إبراز حقيقة ظلم أهل الإسلام لأنفسهم

نعم قد ينصرف معنى الظّلم إلى الكفر أحيانا" وقد ينصرف إلى عدم تطبيق شريعة الله أحيانا" لكن العاقبة وخيمة، ولا شك أن الظلم منقصة لم يجعل الله لأصحابها شفاء إلاّ التّوبة، لذلك فإن الذين يتعدّون ويعتدون على حدود الله بدعاوى الجاهلية أو بدعاوى سياسية أو اقتصادية أو حضارية فهم واهمون بمنهجهم المتصادم مع منهج الله ،وهؤلاء أصحاب خطر عظيم على الإسلام

والمسلمين ،وهؤلاء هم سبب ما نحن فيه من ضعف على المستوى العالمي سواء كان ذلك ضعفا" فى هيبة معنوية أو ضعفا" فى قوى مادية ،بل حينما تأوّل بعضهم بالخطأ آية {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقرءان مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً }الإسراء٨٢ ،فصار يستخدم القرءان ويتعاطاه كدواء لشفاء وجيعته التي يشكو منها ،ولم يستخدمه علاجا لفسقه وانكبابه على المعاصي يوميا ومواظبته على عدم صلاة الصبح في موعدها (الفجر) وتأخّره الدّائم عن سماع خطبة الجمعة وتأففه من دخول المساجد وعزوفه عن تلاوة كتاب الله.....الخ.

وقد يظن ظان أنّ عربان هذا الزّمان مؤمنون لكن أقول له لا ، إنهم مسلمون باللّسان ولم تؤمن قلوبهم بعد فقديما" قال البعض آمنا" فرد الله عليهم بنفى الإيمان عنهم قائلا:- {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }الحجرات١٤

ذلك إنهم كانت تعتريهم رغم إسلامهم سمات الجاهلية وعاداتها، والخوف كل الخوف من أن تتمكن هذه من تلك فيخرج المسلم من الملّة بحبه للمعصية وبعده عن تعاليم الدين ،فإنك لست ضامنا على الله بإسلامك الهش أن تظل محافظا" على هشاشتك الدينية ،بل الأحرى أن تزلّ فى هاوية المعاصي ثم فى هاوية الإشراك بالله خاصة وأن آية فى كتاب الله تقول لك {وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ *وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ }المؤمنون٩٨&٩٧ وأظنّ أن كثير من أهل الإسلام لم يدع بهذا الدعاء بل وتجدهم لم يهتمّوا أصلا، رغم أن عدم تدبّر الآية يعنى الحفاظ على ميثاق التحالف مع الشياطين.

والمتأمل لكتاب الله يجد أن الله لم يناد أبدا" بيا أيها المسلمون إنما نادي المؤمنين ،إذ أن الإسلام صفة والإيمان عمل ولابد أن يكون للموصوف حقيقة، وحقيقتك أيها المسلم فيما تقوم به من أعمال، فإن خيرا فخير وإن غير ذلك فغير ذلك .

التقسيم الأكاديمى للدين والتقسيم الفئوى لأهل الإسلام

وهناك دسيسة أخرى بين المسلمين ، فديار الإسلام ضاعت هيبتها حين تم تقسيم الدين إلى عبادات ومعاملات وقسّمت تارة إلى شريعة وحقيقة وقسّم قبل ذلك أهل الإسلام إلى سنّة وشيعة وغيرهما وقسّم أهل السنّة إلى مذاهب كذا تمّ تقسيم الفرق الإسلامية الأخرى وراح الجميع يضرب أعناق بعضهم البعض بغير وازع من دين الله، بل انى قد عاصرت حين اعتدت العراق على إيران حيث خالف جميع العرب (وهم ينتمون إلى الإسلام) ، خالفوا دين الإسلام القائل {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }الحجرات٩ . فكان ما كان من العرب أن تحزّبوا لصالح العراق المعتدية لا لشيء إلا لأنها عربية بينما إيران فارسية وخالفوا قول رسولهم صلى الله عليه وسلم (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) ،وحيث كانت الكويت هي فارسة المعونة للعراق فى حربها ضد إيران ..... فكان أمر الله وقدره الذي لابد كائن أن انتهت الحرب بين إيران والعراق، ثم إن هي إلا سنوات قلائل إلا واحتلّت العراق أرض الكويت ،ثم ولأننا جميعا لم نتّبع كتاب الله فقد أذلّنا الله بأمريكا وإسرائيل فهذه تضرب هنا وتلك تضرب هناك فى أولئك الذين قال الله لهم {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }آل عمران١٠٣ وقال لهم {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ }الأنبياء٩٢ وقال لهم ({وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }الأنفال٤٦ ولكنهم ذهلوا عن حقيقة شهادة ألا إله إلا الله محمد رسول الله التي يظنون أنهم عليها فلم يطبّقوا أىّ من واجباتها، وذهلوا عن تطبيق آيات كتاب الله ولم يكن لهم أي عبرة فى الآية رقم٩ من سورة الحجرات والمذكورة فكان ما كان مما

جرى ومما تعلم، فالإسلام دين وحدة وتكامل وطاعة وانقياد وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وتطبيق كامل فى وضوح لكتاب منشور هو دستور لمن وعى أنه الإسلام....

فقه تكوين آلية تدبّر آيات الله في النّفس والآفاق

إنّ تذوق الرّحيق الديني وتنسّم العبر والدّروس لا يحظى به إلاّ أولو الألباب، فالمسلمون من أمتي لا يحسنون التّدبر ولا تذوق المعاني الإيمانية التي يبثها الله فيهم تترى، ولابدّ للمسلم ألاّ يحرم نفسه من البث الإلهي المباشر عبر آياته في الآفاق وفى الأنفس، لذلك فلابد من أن يبنى المسلم في نفسه تلك الآلية حتى يستفيد من آيات الله ولا تمر عليه وهو غافل لاه ، بل لابد أن يعي ما حوله بميزان الله ، ولا يكون كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون .

ولنضرب لانعدام حاسة تذوق آيات الله في النّفس والآفاق مثلا قريبا، ولنبيّن من خلال المثل كيف يكون التّدبر الواعي للأمور؛ فلقد قامت حرب ضروس لمدة ثماني سنوات بين العراق (المهاجمة) وبين إيران (المدافعة) وهما دولتان مسلمتان، وهى الحرب التي باركها العرب وساندوا إبانها العراق ماديا ومعنويا، وكانت حجتهم في تلك الحرب والمساندة لا تخرج عن عناصر ثلاث هي:.

أ ـ أن إيران أنشأت الجمهورية الإسلامية بينما العرب لا يرون أن للإسلام دخلا في تكوين وتقنين الدول مع الخوف من تصدير الثورة الإسلامية إلى الدول العربية فتهتز عروش قياصرة العرب من الملوك.

ب ـ أن العراق بلد سنّي بينما إيران بلد تتنذهب بمذهب الشّيعة.

ج ـ أن العراق دولة عربية بينما إيران دولة فارسية.

وبينما هم غارقون في حيثياتهم السّابقة نسوا من بيده مقاليد السماوات والأرض، وذهلوا وبينهم المتخصصون والمؤسسات الفقهية عن تطبيق كتاب الله فيما بينهم.

- وحيث أنّ الله غالب على أمره دوما.
- وحيث أنّ قضاءه ولابد نافذ في عباده حيث قال تعالى {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً }الإسراء١٦.
- وحيث قامت دولة الكويت بالمساندة الرئيسة للعراق المعتدية في تلك الحرب.

١ ـ فقد شاء الله أن تنتهي الحرب بين العراق وإيران ؛ وإن هي إلّا شهور حتّى انقضّت العراق بشعبها المسلم ممثلا في جيشها على دولة مسلمة أخرى هي الكويت التي كانت تمثّل رأس المساندة في الحرب الأولى، وقام الشعب العراقي ممثلا في جيشه بأسر بعض أميرات العائلة المالكة بالكويت.

كان ذلك هو الدرس الإلهي الأول الذي كان لا يجب أن يغيب عن العقول التي تتدبّر قانون الله.

٢ ـ قامت أمريكا بدخول المنطقة ببركات ومطالبات ملحّة من الحكّام العرب، فدخلت أمريكا بجيشها في حرب مع شعب العراق ممثلا في الجيش العراقي المعتدى ، وإن هي إلاّ أيّام حتّى وفرّ الجيش العراقي من ساحة القتال التي كان يستأسد بالأمس فيها، وتم تدمير البنية التحتية والفوقية لدولة العراق وتم نهب البنوك والمتاحف والبيوت والأعراض لرجال ونساء العراق على السواء، وتم قتل ستمائة وخمسون ألف عراقي منذ بداية الحرب حتّى تاريخ كتابة هذه السطور(٢٠٠٦/١٢/٣٠)، ودخلت ذئاب البشر من كلّ دولة تساعد في الخراب والتقتيل بأهل العراق، بل وتم التقتيل المذهبي في حرب أهلية بين العراقيين أنفسهم، وأصبح الأمن من مفقودات الأمّة العراقية لأن الله يقول فى سورة الأنعام(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)٨٢ الأنعام....فبظلم وإيمان شابه شرك من شعب العراق فقدت الأمّة العراقية الأمن.

وكان ذلك هو الدرس الثاني من دروس التّدبّر لأمة لا تعي ولا تتدبر قانون الله وقضائه.

٣ ـ قامت الحكومة العراقية بالتعاون مع دولة أمريكا المعتدية بإعدام رئيس الجمهورية المخلوع /صدام حسين شنقا (وكان هو يريد أن ينفذ فيه حكم الإعدام رميا بالرصاص فلم يجن ما يريد حتّى في طريقة الموت فكما قتل الناس بلا نظر فقد قتل دون أن ينظر في طلبه النهائي)، وكان الإعدام في أول أيّام عيد الأضحى المبارك عام ١٤٢٧ هجرية الموافق ٢٠٠٦/١٢/٣٠ ميلادية، وحقا يقول تعالى {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }آل عمران٢٦.

فنزع الله الملك من صدّام، وكان هذا هو الدرس الثّالث من دروس التّدبّر.

٤ ـ وقامت الدول العربية الإسلامية التي ترتعد فرائصها من أمريكا بشجب توقيت تنفيذ الحكم على الرئيس المخلوع ، وذلك بدعوى أن التنفيذ في العيد يؤذى مشاعر المسلمين كأحد أهم توجهاتهم في الاهتمام بالفرعيات والذهول عن المهمات.

وكان ذلك الإذلال مع تأذّى المشاعر المزعومة هو الدرس الرابع من دروس التّدبر.

٥ ـ ولقد سبق هذا كلّه حلّ الجيش العراقي المعتدى على جيرانه من المسلمين وذهبت ريح قادته، بل وذهب النّظام المعتدى كلّه بوزرائه وقادته وأسياده كأحد أقضيات الله في خلقه.

وكان هذا هو الدّرس الخامس من دروس التّدبّر.

٦ ـ ومن أعاجيب القدر أنّ صدّام هو الذي كان قد أصدر قرارا بتعيين القاضيين اللذين حاكماه بالقضاء العراقي ، وفى ذلك يقول الله عز وجلّ عن فرعون حينما خاطب موسى عليه السلام حيث قال تعالى في سورة الشعراء:ـ (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ{١٨} وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ{١٩}) .....بل كان صدّام قد عفا عن أحد القاضيين في حكم سبق وصدر ضده بالسجن المؤبد، وفى ذلك عبرة لمن أدرك قوله تعالى {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ }القصص٨ .

وعلى ذلك فإنّ من يتدبر ما حدث لصدّام وأهل العراق يجده بذاته ما كان قد حدث لفرعون وآله ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا وليهلك من هلك عن بينة وليحيى من حيى عن بينة ، وسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون.

وكان هذا هو الدرس السّادس من دروس تدبر آيات الله في النفس والآفاق.

ورأيت النّاس بين حزين وبين مسرور لإعدام صدّام حسين فهذا يذكر مناقبه وذلك يذكر مساوئه ، ولى ـ في هذا المقام ـ كلمة وهى تنحصر في أنّ أي إنسان ـ رجل كان أو امرأة ـ إذا ما عاش أربعين عاما أو يزيد فلا بد أن تجد له مناقب عند البعض،فعلى سبيل المثال لابدّ أنّ قارون كان قد قام بفتح بيوت وإطعام أسر كانوا يعملون بتجاراته وأعماله، أفلا تعدّ هذه من مناقبه؟؟؟ ، كما وأنّ دفع صدّام حسين الأموال لدول عربية من منظور سياسي لا هدف لإرضاء الله فيه يلحق بما كان يفعله قارون مع موظفيه، لكن يبقى الأهم وهو الحكم بما أنزل الله والإخلاص له سبحانه وهو الأمر المفقود وإلاّ ما تمّ الاعتداء على الدول الإسلامية والتّكبر على شعوبها وحكوماتها.

إن الذين حزنوا لفراق صدّام لم نر لهم حزنا ولا دمعا على ستمائة وخمسين ألف قتيل عراقي حتى الآن منذ بدأ الهجوم الأمريكي على الديار الإسلامية في العراق؛ ولم يتدبّر هؤلاء تدمير دولة بقانون سماوي ، حيث يقول المولى عزّ وجلّ فيه (فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) ولم يتدبّروا كيف ينزع الله الملك من أقوى ملك فيهم (وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء)، ولم يقوموا بدراسة أخطائهم التي أوردت الأمة هذا المورد بعدم تدبّر قوله تعالى:ـ {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }الحجرات٩، ولم يرجع النّاس الأمر لله، فمثل هذه الأمّة متى تنتبه ومتى تفيق من غيبوبة ألمّت بها ؟؟ وأين أولو الأبصار فيها ؟؟ وأين توجيه المؤسسات الدينية فيها لموضوعية فكر هذه الشّعوب وأسلمتها؟؟؟.

إن تدبر آيات الله لا يكون فقط حينما يقرأ المسلم كتاب الله، فإن الآيات المنظورة لها دبيب واقع يهزّ أصحاب المشاعر فحقا يقول تعالى:. {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }فصلت٥٣......فما تم بالعراق، وقبلها في لبنان إبان الحرب الأهلية، وقبلها حين حاربت مصر شعب اليمن وما كان بعدها من نكسة ١٩٦٧ للجيش والشعب المصري.....الخ هو من آيات الله في النفس وفى الآفاق، ولا يمكن لمسلم يمارس الإيمان إلا إذا تذوّق معاني هذه الآيات المنظورة وأحسن تدبّرها وأقام البناء الإيماني في نفسه من خلال دروسها وما عبّرت عنه هذه الآيات، وذلك هو ما يمكن أن نطلق عليه اسم الهداية، إذ أنّ الهداية لا تتنزل أول ما تتنزّل سكينة وصلاة لكنها تتنزل أولا قناعة وحسن تذوق لمنهج الله وقضائه وقدره في النّاس؛ علينا دوما أن نربّى دوافع الحب والمعرفة والخشية من الله من خلال تلك الآيات فإن فقدنا الإحساس فقدنا معه كلّ شيء.

إنّ أهل العراق أرضوا حاكمهم ولم يرضوا ملك الملوك الله جلّ في علاه، وحاربت هذه الأسر العراقية التي مات منها ستمائة وخمسون ألف قتيل، حاربت أهل الإسلام من أجل منع إقامة نظام إسلامي في إيران وخوفا من المد الإسلامي أن يمتد، فكان لابد لله من أن يري هؤلاء البيان القرءانى والبنيان التنفيذي القهري لقانون الله واقعا عمليا في الآفاق وفى أنفسهم، لكن ولأسفي فإن فكرهم لا ينهض على استيعاب الحقائق.

لقد تمّ تدمير دولة العراق وما زلنا نشجب توقيت الإعدام للرئيس المخلوع فهمّنا دوما في الرئيس حتى في توقيت إعدامه، ولا تهمنا الشعوب ولا ربّ الشعوب، ولا ستمائة وخمسون ألف قتيل في حرب واحدة مع استمرار الزيادة يوميا في أعداد القتلى،إنّ عدد قتلى الجيش الأمريكى منذ بدء الحرب حتّى اليوم هو ثلاثة آلاف قتيل أى أن كلّ قتيل منهم يقابله مائتى وسبعة عشر عراقيا منا ، هذا فضلا عن الأطفال المعوّقين والمشوّهين نتيجة لسنوات الحصار التى كانت قبل الحرب، نتيجة عدم وجود كفاية من الأمصال أو الأدوية أو الغذاء.

إن دأبنا في انعدام آلية التّدبر وفى الاهتمام بالفرعيات والذهول عن المهمات من الأسباب التي أوردتنا ما نحن فيه. ولن يتمكن المسلم من بناء الإيمان في داخل نفسه بينما هو ذاهل عن الحقيقة الإلهية التي تسعى وتتسرب يوميا بين يديه دون أن يدرى.

أهمية وضوح المنهج الإسلامى فى فكر المسلم

والفرد المسلم مأمور بمستوى من العمل الإسلامي سطّره الله في كتابه حيث قال {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }القصص٧٧

فذلك المنهج (الإحسان كما أحسن الله) يجب أن يكون شعار المسلم في حال شهيقه وزفيره ،ولن يستطيع المسلم الإحسان إلا مع وضوح المنهج الإسلامي لديه، ولا يمكن له هذا إلا إذا ارتوى بنفسه بروّ العلم، وقال في دعائه مخلصا (ربّ زدني علما) ؛وعمل وسعى في سبيل تحصيل العلم من أهله وأولئك هم عباد الرحمن.

إن صفات عباد الله الذين يتطاولون عسى أن تدركهم رحمته سبحانه وتعالى لهم وصف حدده الله في كتابه عن عباد الرحمن حيث قال في سورة الفرقان الذي يفرّق الله به بين أهل القرءان وباقي الناس:. (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً{٦٣} وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً{٦٤} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً{٦٥} إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً{٦٦} وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً{٦٧} وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً{٦٨} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً{٦٩} إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً{٧٠} وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً{٧١} وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً{٧٢} وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا

بآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً{٧٣} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً{٧٤} أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً{٧٥} خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً{٧٦}) .

فلابد للمسلم من السعي لاكتساب تلك الصّفات العملية وأن يكون من الدّاعين بدعوات عباد الرحمن في كل وقت وحين وليس في دبر كلّ صلاة فقط.

ويجب أن تتسم كل العبادات والمعاملات بالإخلاص لرب الكائنات حيث يقول تعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }البينة٥ ، ولكن الإخلاص لله فى حال دروب الحياة كلّها وليس فى شأن الشعائر فقط ،ولقد تواتر العهد فيما بيننا أننا تصوّرنا العبادة أنها الشعائر ولم نتصوّر أنها الحياة بأسرها ،وهذا خلط معيب وقع فيه المسلمون جيلا بعد جيل كما لم نحقق الهدف من وجودنا كما أراده الله حيث قال تعالى({وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }الذاريات٥٦ .فلا نحن حققنا الهدف من وجودنا ولا عملنا بالإخلاص الواجب الذي أمرنا الله به.

ولمّا تواترت العهود والقرون بنا على هذا المنوال حتّى انتهى الأمر إلى زماننا الذي نحيا فيه والحال الذي نعيشه، فلا تكاد تجد راع مسئول عن رعيته يعلّم الرعية هذه المعاني فذبل الإخلاص فى العبادة، وانزوى التوفيق بالتالي ،وترى الناس سكارى فى الحياة ما يدرون الهدف من وجودهم، فأعطاهم إبليس هدفا مغايرا لما أراده الله ؛وكان ذلك الهدف الإبليسى هو استهداف الحياة للحياة واستهداف الرفعة فيها ،وأصبح ذلك هوغاية ما يرجوه الناس ،وظن البعض من فرط جهلهم أن الرفعة فى الدنيا على ذلك المنوال الضحل هي من دلائل التوفيق، وتحطّم ركن الإسلام الأول فلا تكاد الناس تنتبه لمراد الله فيه ، ولم يروا فيه إلا أن الله واحد فى العدد وترى شهادتهم قوليه وليست عملية، وانتبهوا إلى الركن الثاني (الصلاة) فجاءت صلاتهم تفتقر إلى الإخلاص الواجب المنبثق من شهادة ألاّ إله إلاّ الله محمد رسول الله وظل هذا حالهم حتى أنهم لم يعلموا لماذا سمّيت سورة (قل هو الله أحد .....)باسم سورة الإخلاص رغم كثرة ترديدهم لها فى صلاتهم، وترى المسلم فيهم لا يعلم مقدار حق الله عليه فى الزكاة، ولا وقت إخراجها، ولا نصابها الذي تجب به، رغم أن الزكاة من أركان الإسلام؛ وإذا ما تصادف له بعد عمر طويل أن تيسّر له الحج فهو يتسوّل معرفة واجبات الحج وفرائضه من هنا وهناك ثمّ يذهب إلى الحج ليهتمّ بعودته باللقب (حاج) أكثر من اهتمامه بعودته إلى الله فتراه يسارع بالعودة إلى مراد إبليس.....إلا من رحم الله منهم.

وترى علم الرّجل فى حقه بالزواج من أربع إناث أكبر من علمه بأركان الإسلام ،وترى الآباء يتسوّلون برّ أبنائهم بينما الأبناء لا يكترثون ،وما ذلك إلا لأن أباهم لا يعلم عن الإخلاص (إلاّ إخلاص الصديق لصديقه أو المخدوم لمن خدمه) ولم يعلّمهم ما هو الإخلاص فصاروا عاقّين بالوراثة عن والدهم وفاقد الشيء لا يعطيه، وترى المرأة التي تسير فى ركب إبليس رغم صلاتها أو حجابها ......الخ، وهكذا انفصل المظهر والأداء الديني عن واقع الحياة.

وترى المسلمين وهم يعزفون نشيد المعصية صبيحة كل يوم فى وقت صلاة الفجر، فلا تكاد ترى منهم من يصلّى الفجر إلاّ القلّة القليلة منهم ،وإذا ما صادف أحدهم صلاة فى مسجد وطلب منه الصلاة على جنازة، فإنك تراه يكاد يستغيث بصراخ مكتوم من يعلّمنى صلاة الجنازة الآن (هذا إن كان الموقف الاجتماعي يحتّم عليه صلاتها).

وترى الجميع يردد فى صوت واحد فى تكبيرات العيد (ولا نعبد إلاّ إياه ،مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، اللهم صلّى على سيدنا محمد.....الخ) وما يملك من مقوّمات الإخلاص حبّة خردل.

الإخلاص العملي لله كعلاج

لكن نعود إلى سؤال ماهو الإخلاص ؟؟؟؟الإخلاص يتلألأ فى قوله تعالى (....وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }القصص٧٧....والإخلاص من أسرار الله يستودعه قلب العالم المؤمن. .....والمخلصون لا سلطان من إبليس عليهم حيث يقول تعالى (.....كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ }يوسف٢٤..ويقول تعالى

واصفا حال إبليس مع المخلصين {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ }ص٨٣&٨٢ .. والإخلاص من شرائط الإيمان وذلك لقوله تعالى (إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً{١٤٦}النساء

ويقول تعالى فى شأن أن الإيمان شرطه الإخلاص في سورة الزّمر(إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ{٢} أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ{٣}

ويقول قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ{١١} الزمر ١١

ويقول {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي }الزمر ١٤

ولقد علّق الله قبول الدعاء على إخلاص الدين حيث يقول تعالى {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ }الأعراف٢٩ ويقول تعالى {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }غافر ٦٥.

نخلص من ذلك كله بأنه لا تثمر عبادة بلا إخلاص ولا تثمر شعيرة بلا إخلاص، وبالتالي فالجنّة هي ثمرة الإخلاص الذي تخللته شعائر الصلاة والزكاة والحج والصوم وحسن الخلق وبر الوالدين والعفو عند المقدرة وقيام الليل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.....الخ كل ذلك لوجه الله وكل ذلك حبّا فى الله وكل ذلك مع الإحساس بالتقصير فى جنب الله.

ولمن يريد طلب الإخلاص فيمكنه الطرق على حبّ الله بشدّة، ومن يريد حبّ الله فعليه بالطرق حتى يعرف بين النّاس أنه من أهل الدين ،وأن يصادق المرء لا يصادقه إلا لله، ولا يحبّه إلا لرضاه ، وأن يتخذ الشيطان عدوا كما أمر الله بذلك ،وأن يستشعر القرب من رسول الله وعترته أهل بيته الكرام، وأن يعلم بيقين لا يفتر أنه فى حضرة الله فى كل وقت وحين (وهو معكم أينما كنتم)، وأن يستحيى من الله حق الحياء، وأن يعلم فضل رسول الله عليه بيقين مستمر لا ينقطع ،وإذا مات له عزيز فليعلم أن مصيبته فى موت رسول الله أعظم من مصيبته فى موت من يحب ممن هو دون الرسول صلّى الله عليه وسلّم ،وأن يصل حزنه على صديقه أو عزيزه بحزنه الواجب على فراق رسول الله كما كان يعيش الصحابة من بعده ،وأن يكون حكما منصفا لله فى كل ما يعرض عليه من أمور الدنيا، وأخيرا أن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فهو يراه ويراك.

كان ماذكرت هو الإسلام مبنى ومعنى لا ينفصل المعنى عن المبنى ولا يختلط بهما غيرهما، فالمعنى هو التّصرف الإنسانى والمبنى هو العقيدة وتدخل الحياة عليهما فتجدهما لحمة واحدة لا تنفك ولا تنفصل بفعل أي فاعل ،فتثبت بذلك أمام الفتن حتى يلقى العبد ربّه على هذا الحال.

الأوبة والإنابة

لابدّ للمسلم ان يمارس الأوبة والإنابة إلى الله في كل حياته، وسوف نبدأ بالأوبة شرحا وتفصيلا:- *حيث يقول تعالى فى شأن نبيه داود (... وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ }ص١٧

*وفى شأن نبيّه سليمان " {وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ }ص ٣٠ وفى شأن أيوب(.... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ }ص٤٤

*وفى شان المتّقين {هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ }ق٣٢

*ويقول تعالى فى شان الصّالحين {رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً }الإسراء٢٥

فالأوبـة هي العودة وكلمه (أوّاب) تعني المسارعة فى الرجوع إلى الله، والتوبة من حسن خلق العبد مع ربه، فأهل الإيمان والصّالحين دوما ما تراهم أوّابين بمعنى رجّاعين لله فى كل أمورهم، وهم حينما يسارعون فى الخيرات إنما يسارعون فيها لتحققهم من سرعة ومباغته الموت ولأنّهم يطلبون بهذه الأوبة السريعة رضي الله.

أمّا الإنابة فيقول الله فى شأنها

*عن إبراهيم عليه السلام {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ }هود٧٥

*ويقول تعالى آمرا الناس {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ }الزمر ٥٤

*ويقول تعالى مرغّبا النّاس فى الإنابة (......اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ }الشورى١٣

*ويقول تعالى عن نبيه شعيب (..... وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }هود٨٨

*ويقول تعالى فى كتابه الكريم {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }الشورى١٠

*ويأمر الله أهل الإسلام فيقول {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }الروم٣١

والإنابة تعني إنابة القلب وانجذاب دواعيه لمراضاة الله تعالى مع حمل البدن على ما في القلب من صلاح، مع الإعراض عمّا سوي الله.

وجماع الأمر على أن الإنابة أعلى درجة من الأوبة، ولابد منهما للعبد خاصة حين يمارس حياته العادية ،فتكون كلّها خالصة لتذكّر آلاء الله ونعمه وشكره على نعمة الحياة والتّكريم البشرى، ثمّ يأتي بعدها الأدوار الأخرى التي أراها جميعا ثانوية ولكننا برعنا في فقه انعدام الأولويّات ففقدنا أول ما فقدنا فقه معنى الإسلام وفقه معنى ممارسة الشعائر فصرنا نقوم ونقعد ونصوم ونزكى بدعوى أن الله أمرنا ،ولم ندرك حقيقة التشريع فى أن فريضة الصلاة إنما شرعت لمساعدة العبد كى ينتهى عن المنكر ،وأن فريضة الصوم إنما شرعت لتسهيل بلوغ العبد درجة التقوى، وشريعة الزكاة إنما فرضت لأجل أن يصل العبد إلى درجة الفلاح بيسر وسهولة، وشريعة الحج إنما شرعت للإشتراك فى تعظيم الله وتعظيم دين الإسلام بالاجتماع عند أول بيت وضع للناس .

نخلص من هذا أن هدف الشرائع الحقيقى ليس تقييد للعبد أو إحاطته بتكاليف تأخذه بالمشقة والجهد والقيد ، إنما شرّعت لفائدته وخيره فى الدنيا والآخرة، تلك الشرائع التى إن أداها بإخلاص وفهم وحب وعرف الله وأصلح علاقته به سبحانه، وعرف حقوقه وحقوق المجتمع حوله ،وعرف نفسه وطاقاته وحدد أهدافه ليحقق لنفسه حياة مثمرة طيبة فى الدنيا ومآل طيب فى الآخرة كما وعد بذلك الخالق جلّ فى علاه {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }النحل٩٧.

.

حدود العلم والاهتمام الدّيني الواجب للمسلم

أكثر المسلمون يعيشون وليس ضمن اهتماماتهم بذل الجهد من أجل الاستزادة من العلم الديني وهم يكتفون بما يسمعونه فى خطبة الجمعة... إن بذلوا الجهد والاهتمام لسماعها أو للحضور مبكّرين لسماعها إذا ما حضروا الجمعة، وهم يتصوّرون العلم الديني رفاهية لمن شاء الرفاهية أو لربّما تصوّروه تخصصا لفئة معينة، وترى الدعوة إلى العلم والاستزادة منه تأتى هزيلة ،وترى الكتاب الديني المفيد غالى الثمن ، وهجران القراءة في كتاب الله منهج كل هؤلاء الفارّين من الهداية ،وتراهم يمتنعون عن كل ما يجهد أجسادهم الكسولة من صلاة مثل صلاة الفجر أو الصلاة في المساجد ؛ لهذا فقد تولّد عن هذه الظواهر مجتمع الكسالى من الدّعاة أيضا ، فإن الداعي إلى الله على بصيرة يكدّ ويبحث من أجل إفادة المهتمّين بشأن دعوته، كما نشأ مجتمع الفخورين بالقشور

الدينية التي هم عليها ، وبرزت كتب العلم التافه ، وتحولت المنابر في خطبة الجمعة إلى خطب للمناسبات الدينية في أغلب الأحوال ، بل قد اختط البعض كتبا أسموها خطب الجمعة ، ولست أدرى ما يفيد الناس من خطيب يقرأ خطبة الجمعة بلا روح ولا ريحان.

وأصبح علم الفرد من ميراث سماعي لا يدرى إن سألته عن مصدره ممن سمعه أو متى وعاه؟؟ ، وأصبح التقليد الأعمى هو رائد الجميع في حياتهم فيما يخص دين الله، وأصبح ميزان العلم هو ما تقدّمه الحكومة عبر التلفاز أو ما يقدمه أي شخص شريطة أن يرتدى عمامة، وأصبح ميزان الصلاح إطلاق اللحية للرجال أمّا الإناث فلهنّ النقاب وأحيانا الحجاب ، وأصبح العلم الديني الذي يطرب الآذان هو الداعية القصّاص الذي يقص على الناس كثير من القصص الذي ينسبونه إلى صلاح الدين للترغيب أو القصص الآخر الذي ينسبونه إلى سوء السلوك وعواقبه للترهيب من المعاصي ، كذلك تخصص دعاة في أحكام الحيض والنفاس وطريقة حسن المعاشرة الزوجية، وما يصرّح للخاطب أن يرى من خطيبته ،وحقوق المرأة في الخلع وحقوقها في الفراش ،وحق الرجل في التزوّج بأكثر من واحدة.....وغير ذلك مما يطرب آذان المشتاقين إلى الفساد باسم أنه ينفق الوقت في الدين تحت شعار(...لا حياء في الدين.....) ولست أدرى من أين أتوا بهذا المذهب في الدعوة إلى الله؟؟؟.

ولقد قمت بإجراء اختبار ديني يخص حدود العلم والاهتمام الديني عند المسلمين ففشل جميع المصلّين بالمسجد ،ولقد كررت الاختبار مرّات ومرّات بعد ذلك ،ولكن بين كل فترة وأخرى كانت تمر بعض السنوات ففشلوا جميعا ،وما يرجع ذلك إلا لتعطّل الإدراك في العلم الديني عند المسلمين وتعطل الاهتمام بتذكّر العلم وانقراض ذكر الله في القوالب والقلوب ، وسوف أقوم بإجراء هذا الاختبار على القارئ لهذا المبحث الآن وسوف يرسب معظم القرّاء رسوبا مدوّيا.

فجميعنا يعلم أنّ العلم بالقرءان الكريم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة خاصة في مسائل العقائد والإيمان، ولكننا حين نطبّق الأمر في واقع الحياة تجدنا نهتف بأنّ العلم للمتخصصين فينا، وذلك سبب رئيسي من أسباب رسوبنا الفكري، وترانا نردد بلا تفعيل قوله تعالى(وقل ربّ زدني علما) ولا نهتمّ ولا نسعى لتحصيل العلم ،وإليك الاختبار الذي يسعى ليؤكّد حقيقتك في التّدبر أو في تعبير أدق حقيقتك في الاهتمام أو عدم الاهتمام.

الاختبار

يقول تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) (البقرة:٢٦)

فبما أنك من الذين آمنوا فقل لنفسك ماذا أراد الله بأن يضرب مثلا ببعوضة، وما هو مراده من هذا المثل وما هو الحق الذي علمه الذين آمنوا في هذا المثل ؟؟؟ وما موقف المسلم الذي وقف مكتوف الأيدي أمام هذا المثل وقال كما يقول الذين كفروا (ماذا أراد الله بهذا مثلا؟؟)، وهل ما علمه الأقدمين في هذا المثل يعبّر عن منتهى العلم الواجب أم لا .

إني لأعلم أن الإجابة جدّ عسيرة وما ذاكم إلا للفقر العلمي والفقر في العقيدة وقلّة الاهتمام التي يجمعها المسلم بين جنبيه فى تدبر كتاب الله، كذا انفصال فكر المسلم عن استخدام أدوات المعرفة فى عموم الحياة عن دينه...ولكن إليك الإجابة:.

أولا: يجب أن تعرف مفردات المعاني لبعض الكلمات التي يمكن أن تكون مفيدة . فكلمة لا يستحيي تعنى لا يتغير ولا ينكسر لأنه سبحانه وتعالى يغيّر ولا يتغيّر ، وكلمة فما فوقها تعنى فما أقلّ منها في الصّغر.

ثانيا: هذا المثل تأكيد من الله على ضرورة العلم ،فما يفهمه الأقدمون من هذا المثل أقل مما يفهمه المحدثين من هذا المثل، وذلك لأن الله يزيل الغشاوة كل يوم عن البشر ليكتشفوا علوما جديدة من خزائن علمه ،عسى أن يؤمن البشر أو يزداد يقينهم بالخالق ، لكن هيهات لأمّة لا تقرأ ولا تتعلّم ولا تستجيب ثم بعد ذلك تتصوّر أنها المعنية بقوله تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران:١١٠)

إن الأقدمين من الذين آمنوا فهموا من هذا المثل أن الله يضرب هذا المثل بالبعوضة فهي رغم دقّتها وصغر شأنها بين المخلوقات، إلا أن بها سرّ الحياة الذي استودعه الله الخلائق جميعا،وبها سرّ الخلق الذي احتفظ الله به لنفسه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) (الحج:٧٣) وهذا هو حدّ الكفاف في العلم بشأن هذا المثل.

أما من أراد الاستزادة حتّى لا يكون ممن لا يهتمون بعلوم القرءان ولا يهتمّون بكلمات الله ولا يقرؤونها إلاّ وهم غير مهتمّين إن أقاموا فريضة التدبّر أم لم يقيموها، فإن مثل البعوضة يحمل في طيّاته حقائق عديدة نذكر منها ما يلي:.

*أن الله يضرب المثل بأنثى البعوض (الدليل كلام الله) وهى الوحيدة التي تمتص الدّم وليس الذّكر.

*لها مائة عين في رأسها على شكل يشبه قرص العسل.

*لها مائة سن في الفك السفلى من فمها.

*لها ثلاثة قلوب في جوفها بكل قلب الأقسام المعروفة في تكوين القلوب.

*لها ستة سكاكين في الشفة العليا ولكل سكين وظيفته.

*لها ستة أجنحة (ثلاثة في كل جنب) ولكل جناح عروق تقوية.

*لها ممصات بأرجلها تمنع الهواء من إزاحتها من على جلد الإنسان إذا ما اشتد الهواء (كالهواء الصادر من المراوح الكهربية ونحوه).

*مزوّدة بجهاز حراري يعمل بمثل نظام الأشعة تحت الحمراء وظيفته أن يعكس لها لون الجلد البشرى في الظلمة إلى لون بنفسجي حتى تراه، كما أن لها إمكانية الإحساس بالكائنات الأخرى بواسطة الطاقة الحرارية الخارجة من تلك الكائنات.

*مزوّدة بجهاز تخدير موضعي يساعدها في عدم كشف حالها أثناء غرسها لإبرة مص الدم، وينتهي تأثير المخدّر بمجرد انتهاء مهمتها في مص دم الإنسان فيشعر الإنسان بوخز قرصتها ولكن بعد مغادرة البعوضة لجلد الإنسان.

*مزوّدة بجهاز لكشف الدماء الدّسمة والتفرقة بينها وبين الدماء الغير دسمة (الدماء التي يعانى أصحابها من الكولسترول هي الدماء الدّسمة وهى التي تستهدفها البعوضة) لذلك لا تعجب أن تجد في المجلس الواحد من يشتكى لدغ البعوض ومن لا يشتكى).

*مزوّدة بجهاز لإفراز سائل لمنع تجلط الدّم حال الامتصاص من خرطومها الرفيع جدا إلى جسمها حتى لا يتجلط في جهازها الهضمي.

*مزوّدة بجهاز للشّم حتى تتعرف على نوع الدماء الذي تحبه من مسافات بعيدة.

*البعوضة إذا جاعت عاشت وإذا امتلأ جوفها انفجرت وماتت.

ولميكانيكا وطبيعة عمل البعوضة شأن عجيب في الدقّة والنظام والعلم ،فهي تشم أولا رائحة الإنسان الذي تنتقيه لمص دمه، ثم تقف على الجلد تستهدف المهاد السريرى للدم الموجود أسفل الجلد مباشرة ،وتضع أرجلها ذات الممصات على الجلد لتثبيت وضعها، وتقوم الأجنحة بدور حفظ الاتزان حتى في حالة تحرّك الإنسان (الهدف) فهي تظل ثابتة على رقبتك مثلا حتى وأنت تسير أو تجلس أو تتكلم، ثم تفرز نقطة دقيقة جدا من المخدر تكفى مدة عمليّتها الجراحية في جسد الإنسان، ثم تقوم السكاكين بعد ذلك بعملها في قطع الجلد، ثم إنزال سائل مانع التجلط أولا من خلال خرطوم خاص، ثم ثقب الإبرة للجلد من خلال القطع الذي قامت به السكاكين والموضوع به المخدّر والمعالج بمانع التجلط ، ثم تبدأ عملية الامتصاص.

ومن آياته الجليّة الوسطية في كل شيء . ولأن الشبع يؤدى إلى التخمة عموما. لذا فإنك ترى البعوضة إذا ما امتلأ جوفها فإنها تنفجر وتموت لذلك تدبّر الحديث الشريف (ما ملأ ابن آدم وعاءا شر من بطنه) وغيره من الأحاديث فى هذا الشأن كثير. وإنه بعد انتهاء عمل البعوضة على جلد الإنسان فإنها تطير وينتهي عمل المخدّر ويشعر الإنسان بوخز ما كان من أمر البعوضة.

فتأمل رحمك الله سر الحياة وسر الخلق وقل سبحان الذي خلق الأزواج كلها وتذكّر قوله تعالى(.....وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً }الفرقان٢. وتدبّر قوله تعالى (إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ) (يونس:٦) وقوله تعالى(وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون)٤ الجاثية . ويقول تعالى(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) (الشورى:٢٩)

ويتأمل المسلم من هداية الله للبعوضة في طريقة حياتها المتناسبة مع إمكانياتها حيث يقول تعالى {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى }طه٥٠ ،ويقول ({هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }لقمان١١ . ويتحقق من قوله تعالى {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ }السجدة٧

وإليك بعض المعلومات الإضافية عن البعوضة:.

إن ذكر البعوض عندما يصل إلى مرحلة البلوغ فإنه يقوم بالبحث عن الأنثى مستخدما حاسة السمع فإن حاسة السمع عند الذكر ليست مثل الأنثى فإنها أقوى وأرهف للحس.

الغذاء الرئيسي للبعوض هو خلاصة الزهور لكن الأنثى تحتاج إلى امتصاص الدم لتتغذى على ما فيه من البروتين اللازم لنمو البويضات بما يعنى أن عملية امتصاص الدم لازمة لاستدامة النوع.

تطير الذكور في جماعات كبيرة فعندما تدخل أي أنثى في داخل السرب يمسك بها أحد الذكور بواسطة كلاليب خاصة وتتم عملية التزاوج حال الطيران وهى تستغرق لفتة صغيرة من الزمن.

بعد أن تتغذى الأنثى على الدم تكبر البويضات ثم تقوم الأنثى بوضعها على الأوراق الرطبة أو بجانب البحيرات اليابسة وهى تميّز المكان الرطب عن غيره بواسطة لاقطات حسّاسة موجودة في أسفل بطنها، ولا يصل طول البويضة إلى واحد مليمتر، وهى تضع بيضها إما بالواحدة تلو الواحدة أو تضعه في هيئة مجموعات مترابطة تصل المجموعة الواحدة إلى ٣٠٠ بويضة، وتكون البويضات باللون الأبيض أولا ثم وبعد مرور ٢.١ ساعة تتبدّل لونها إلى لون أسود حتى يتم تمويه البيض عن خطر الحيوانات والحشرات الأخرى، وبعض أنواعها يتغير لونه وفقا للون البيئة الموجودة عليه.

وتوجد معلومات كثيرة جدا عن أطوار النمو وطريقة التنفس وغيرهما مما يعجب له المرء ويقف مبهورا أمام عظمة وقدرة الله وأمام هدايته لخلقه فى سبل حياته وبقاء نوعه بدلا من وقوفه مبهورا أمام شاشة التلفاز في تمثيلية هابطة مما هو متوفر للعق العقول الفارغة البعيدة عن العلم وعن التدبر والتي اكتفت بإيمان قديم أو موروث،أو الجلوس أمام شاشات الكمبيوتر للعب الأشواط القاطعة للوقت أو مشاهدة الساقطات ممن يتخنّعن ويتمايلن بالغناء مما توفره أجهزة الإعلام كمنتج رئيسي حتى يتم التأكد التام من بعد الشباب عن دين الله .

فما تم تقديمه عن البعوضة هو التّدبر الواجب في كتاب الله لأهل هذا العصر وهو التّدبر الذي لا يقف عند حد وتنهض به الدعوة وينتشر به الإسلام في ربوع الأرض، وحقّا يقول تعالى {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }فصلت٥٣.

وتجد النّاس وهى في منهاجها في عدم التّدبر تمر عليها الآيات تلو الآيات وهم ذاهلون عمّا يقرؤون (هذا إن قرؤوا القرءان) فعلى سبيل المثال قول المولى عز وجل في سورة المدثر (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا

لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ{٣١}

إن المسلم لا يجب أن يتساوى مع الكافر وهو يتلو هذه الآية ،لذلك فيتعيّن عليه معرفة ما يعنيه العدد (١٩) عدد خزنة جهنم، وكيف سيزداد إيمان الذين آمنوا بمعرفة ما يعنيه هذا العدد ،وهو الأمر الخارج عن إطار البحث الماثل لكن تم ذكره ليفيق المسلم من إغماءة القراءة في القرءان بلا تدبّر ،أو يترك أمر تدبّره لغيره ممن نسميهم بالمتخصصين وكأنّ القراءة علينا والتدبّر عليهم ولا حول ولا قوّة إلا بالله ، ولكن لك أن تعلم أنّ بسم الله الرحمن الرحيم ١٩ حرف وأنّ خزنة جهنم ١٩ ملك حيث يقول تعالى فى سورة المدثر (لا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ{٢٨} لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ{٢٩} عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ{٣٠} وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ{٣١}) وغيرذلك كثير عن الرقم ١٩ فيتم الرجوع إليه لمن أراد الاستزادة.

وأضرب مثلا آخر ولكن عن عدم تدبّر أحاديث رسول الله فإننا كثيرا ما نتشدق بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم (الإيمان بضع وسبعون شعبه أولها لا إله إلا الله وآخرها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) ؛ فهل كلّف أحد خاطره في إحصاء ومعرفة ألبضع وسبعون شعبة من الإيمان كما أجهد البعض أنفسهم في إحصاء مذاهب الأمة التي ستتفرق إلى بضع وسبعون فرقة كلّهم في النار إلا واحدة.....الخ ، لا شك أن لنا مذهبا دمويا حتى في البحث العلمي ولذلك لا تنهض الدعوة لله فى ربوع الأرض على أيدي الكسالى أو الدمويين من الدّعاة.

*وعودة إلى حدود العلم الديني ومقداره الواجب على كل مسلم حيث يقول تعالى ({........ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً }طه١١٤ . وكما هو معلوم أنه يجب على المسلم تفعيل النص القرءانى في واقع حياته حتى يكون مؤمنا صحيح الإيمان ومتأسيا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذي كان خلقه القرءان ، وليس الأمر أمر دعاء يدعوه المتخاذل ويقول (رب زدني علما) .

والله حين يضرب الأمثال فى القرءان إنما يضربها كي نعقلها وفى ذلك يقول تعالى({وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ }العنكبوت٤٣ .

وإن الله حينما بدأ الخطاب السماوي للناس ليؤمنوا بالإسلام دينا بدأه أول ما بدأه بقوله تعالى (اقرأ)، كما أمرنا الله تعالى بتدبّر آيات كتاب الله ولا نكتفي بقراءتها ({أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقرءان أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }محمد٢٤، ولعلّ مسلم هذه الأيام قد تصوّر هذه الآية تعنى خطابا خاصا للكافرين لعدم تدبّرهم كتاب الله ....وهذا من عجيب نهج المسلم ، أو لعلّ المسلم بما أصابه من آفة التخصص قد تصوّر الأمر خطابا للمتخصصين وليس أمرا للكافة كافرهم ومسلمهم عالمهم وجاهلهم دون تمييز .

فالجميع يحتاج الاستزادة من العلم ويحتاج التّدبر حتى يهتدي أو يقوى إيمانه أو يتحصّن ضد مكايد الشيطان، ولعل البعض تصوّر أن ذكر الله المعنى في القرءان فى قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً *وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً }الأحزاب٤٢&٤١ . هو تكرار القول بتسبيحات وتهليلات وتكبيرات وغيرها....وسواء أكان هذا مع التمايل أم بدونه ولكن ليس ذكر الله المطلوب المعنى في القرءان الذي هو الدستور الأسمى للإسلام هو ذلك الحال من التّسبيح المتمايل أو غير المتمايل، ولست أدرى ماذا يفيد هؤلاء أو يفيد البشرية في عمرانها من تكرار ملايين المرات باللسان سبحان الله أو غيرها، قد أجد هذا الأمر غذاءا روحيا لمن لم يتيسر لهم طريق العلم والثقافة وهو لهم زاد هام، لكن أين وسعك أنت فيما اكتسبت من علم وعقل ؟ .

أن معتقدا راسخا قد أصبح عند الناس فإنهم يتصوّرون أنّ الذّكر قد انحصر فى قول سبحان الله أو غيرها من التسبيحات، وقد يتصوّرون أنهم طالما لا يقومون الآن بالصلاة فهم لا يذكرون الله، فحين يكون المسلم في عمله أو وظيفته فهو يتصوّر أنه لا يذكر الله مما أدى إلى فساد الوظائف تحت ظلّ هذا المفهوم عن ذكر الله، وأجهدت السلطات التي لا تعمل بذكر الله نفسها في سنّ

قوانين لمنع الرشوة ولمعاقبة المقصّرين في أعمالهم ممن تصوروا عدم وجود علاقة بين العمل وبين ذكر الله، وتراهم يعلّقون لافتات مكتوب عليها أن العمل عبادة لكنهم يعلّقونها كما يعلّق المهزوم لافتة يشجع بها فريقه المتخاذل، ذلك أنها لافته لم تمس شغاف القلوب بإيمان رغم أنهم يدّعون ذلك الإيمان، ويعلّقونها للتفلت من عدم إمكانهم الصلاة فى المساجد ولتبرير ما هم فيه من بعد عن ذكر الله فقط ، وما أعنيه هنا أن الشعارات المفرّغة المضمون والأقوال التي لا تساندها أفعال هي وبال على الأمة ، فما بالك والجهل هو رائد هذه الأقوال حتى وإن سبّحت بحمد ربها وحتّى وإن استدامت على قراءة القرءان ،وإن كان الأمل موجودا في هؤلاء لكن أخشى أن يصل قطار الأمل في الهرم أو في المرض ولربما وصل لمريض على فراش الموت فلا يستطيع إحسان العمل ولا تدارك ما فات .

إن منهجنا في الحياة عموما ونهجنا في الممارسة الدينية خصوصا أفرز أمة أصبحت عالة على أهل الصليب خاصة، وفى الوقت الذي نتمتع فيه بعلومهم ومخترعاتهم التي جاد الله عليهم بها ومنعنا إياها ، ففي ذات الوقت فنحن نلعنهم ، ولست أدرى أي خطاب ذلك الذي نقدّمه لأهل الصليب أو لأهل القلنسوة ؟؟ أخطاب نكران الجميل مع التصميم على الجهل والاستمرار فيه !!! أم خطاب المتفجرات التي تأوّل بها بعض الفاسدين فى دينهم وقدّموه دمارا للعمران والأرواح باسم الإسلام حتى لم ينج من تحت أيديهم المسلمون فى العراق والمسلمون فى الجزائر ؟؟؟ ناهيك عما يقدمه كثير من حكّام الدول الإسلامية من نموذج ينسب للإسلام والإسلام منه براء من تصيد للنشاط الديني وترصّد له حتى تطرّف البعض نتيجة لهذا الترّصد ، **وما ذاكم جميعا إلا لفقدان هوية التّدبر الديني لدى الفرد والجماعة** ، وإنه إن تدبر أحدهم خيرا رجموه بكل سياط التكفير والذّم والقدح فلا يجد مناص من مغادرة البلاد إلى أرض الصليب حيث الحرية الفكرية والتشجيع على البحث، أو إلى أراضى أخرى إن كان من علماء الدين حيث يجد الرواج الفكري والدعاية لبضاعته بدلا من تهميشها أو مناصبة العداء له ولها؛ فنحن نعلم عن طيور دينية مهاجرة ونعلم عن طيور علمية مهاجرة ،ولكن لا نعلم عن طيور من أهل الفن والغناء مهاجرة من أرضنا، بل نجد فرق الشو الروسي وأفرادا من أهل الفن العربي قد استعمروا أراضينا الإسلامية بفضل ترصدنا وتكريسنا للجهل الديني.

وحتى أنك تجد كثير من الجماعات الإسلامية تأوّلت سنة الرسول وحصرتها فى لحية أو سواك ولم تتأولها دعوة لله بالقول والفعل فترى معظمهم أشد الناس غلظة على أهل الإسلام وأكثر تطرفا مع الملل الأخرى ،وما ذاكم إلا لغياب المنطق الديني الحق والذي لا تنهض المؤسسات الدينية لري شبق الناس منه ،فهم أيضا يقدّمون الهزال المعرفي ويكررون هذا الهزال في كل محفل .

ومن سوء إدراكنا للعلم بالدين أننا أوّلنا قوله تعالى (.....فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }النحل٤٣. أن نسأل أهل الدين بينما نحن قابعين فى دياجير الجهل وظلماته ولوكان أحد تدبّر قوله تعالى (إن كنتم لا تعلمون) كما ينبغي لعلم أنّ الأصل أن يعلم المسلم والاستثناء ألاّ يعلم فحين ذلك يسأل أهل الذكر فى الدين، أمّا أهل الذكر من الطب والهندسة وأمثالهما فهؤلاء يجب سؤالهم ولا يتكلّف المسلم دراسة كلّ تلك العلوم التخصصية.

فهل وقف العبد المسلم على أهمية العلم و أنه عليه أن يبتعد عن دائرة العلم المتوارث و عن التقليد الأعمى في دين الله ؟؟؟؟؟ و أن عليه واجبا تجاه نفسه يتحرّى الحقيقة العلمية و الحقيقة الفقهية و الحقيقة الإيمانية لأنه حتما سيقف وحده أمام الله و لن تكون هناك أعذار أو علل و سوف تعلّق ذنوبه في رقبته قبل أن تعلّق في رقبة العالم.

إن حدود مسؤوليتك في المعرفة الدينية لا تنتهي عند حد يعرف، وطالما أننا لم نؤت من العلم إلا قليلا، وطالما أننا مأمورون (بإقرأ) ومأمورون بالاستزادة من العلم ، وطالما أننا مأمورون بالتّدبر ، وطالما أننا نعلم أن صلاتنا ونسكنا ومحيانا ومماتنا كلّها جميعا لله بلا تمييز بينها اللهم إلا ما كان له وقتا محددا كالصلاة والصوم والحج والزكاة ، وطالما أن نهج الله مع أنبيائه أن زوّدهم علما وحكمة ، وطالما أن الله سيحاسبنا على ما أعطانا من علم وعقل ومال وصحة ، فلا بد أن نجد أنفسنا في حالة استذكار دائم ونفع

دائـم لأهل الأرض جميعا وذلك هو الذّكر الدّائم لله وهو العلم الذي تعمر بـه الأرض ، بدلا من التّفكر في سفاسف من تـأويلات التّطرف الذي يغذّيه إبليس مع كساد من نفع في دنيانا التي نحياها حتى خرب العمران وفسدت الهمم وتكلّست العقول عند أحجار من صنع بشر وما هم ببشر لكنهم أبالسة البشر.

وليحاسب المسلم نفسه لماذا يقتنى كل الكتب والمجلات ولا يقتنى كتب الدين ؟؟وما سبب عدم وجود كتاب فقه في بيتـه؟؟ ومـا سبب مواظبته على قراءة الجرائد يوميا مع التزامه بعدم قراءة القرءان شهريا ؟؟؟ وما سر محافظتـه على موعد لقاء الصاحب والزميل مـع عدم مواظبته على موعد اللقاء مع الله في الصلاة؟؟؟؟ وما سر همومك في مستقبلك في الدنيا مـع عدم اهتمامك بمستقبلك الأبدي في الآخرة ؟؟؟ وما سبب رواج التعليم الأجنبي لأولادنـا ؟؟؟؟ ومـا سبب إلحاقك لأولادك للتعلم بالمدارس الأجنبيـة؟؟؟ ومـا سبب بعد الناس خاصة المتحضرين منهم عن تعليم أولادهم التعليم الأزهري..... وغير ذلك من الأسئلة التـي تدل علـى غياب الـوعي العقلـي وانعدام التمييز والترتيب للمهمات والمسئوليات وتدل على أن الإنسان نسى نفسه ومآلها ودينه وما يفيده في أمر آخرته.

دعوه لزيارة يومية مجّانية للرسول الخاتم

لقد سيطرت الماديات على الروحانيات واتخذت تلك السيطرة أشكالا عدّيدة، ومن هذه الأشكال السيطرة المادية فى الإطار الديني، فلطالما دأب أهل الإسلام على حبّ زيارة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم بالمدينة المنوّرة، فإذا ما وصلوا هناك فهم يأخذون فى السلام عليه والدعاء له والصلاة عليه، حتى إذا ما انتهت رحلتهم الميمونة قلّ منهم من يسلّم على رسول الله بل وقلّ أكثر من يدعون ويصلّون على النبي، وكأن المكان المادي هو شغلهم الشاغل.

إن تصوّر أهل الإسلام أن زيارة الرسول لا تكون إلا بشدّ الرحال إلى المدينة المنوّرة هو تصور مادي بالدرجة الأولى، لذلك فإنهم حين يعودون من رحلتهم تنتابهم حالة الفقر الروحي التي كانوا عليها قبل أن يرحلوا، ولست أدرى ألا يعلم هؤلاء أنّ رسول الله فى عالم آخر غير عالمنا الذي نحن فيه؟؟ وهو عالم له قوانينه الخاصة به وهى غير تلك القوانين الفلكية والزمنية التي نعيش فيها، فمرور الوقت هناك غير مروره هنا والمسافات ليست بأمر هام ولا شاق هناك... {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ }الحج٤٧. وأضرب لذلك مثلا عن رائد الفضاء الذي هبط على سطح القمر والذي كان يدعى (نيل أرمسترونـج.....الذى أشهر إسلامه بعد ذلك وطردته وكلة ناساً للفضاء من العمل بها) إذ أنـه إن نظر من عليائـه القمري إلى كوكب الأرض فهل ستراه يحمل همّ المسافة بين نيويورك ولندن؟؟ لا شكّ أنّ الأمر غير ذي بال بالنسبة له بينما يكون ذات الأمر ذا بال بالنسبة له إن كان على الأرض، وما بال المسلم يتعلّق بالمكان الذى كان فيه رسول الله ولا يتعلق بمن خلق جسده الذى يحيا به وقد خلقه الله لك فلماذا لا تتعلق بالله الذى قال {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ }الذاريات٢١.

وكذلك لا بدّ لأهل الإسلام أن يعلموا أنّ العالم الآخر الذي يعيش فيه رسول الله عالم لا يهمه إن كان الزائر لرسول الله فى المدينة المنوّرة أم فى الجزائر أو دمشق والذين يمرّون على المقابر ويقولون السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين لا يقولونها لموجودين

داخل تلك الأماكن، ولا بدّ للمسلم أن يعيش كتاب الله فى سورة المؤمنون (حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ{٩٩} لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ{١٠٠}) ،فأين البرزخ الفاصل بين الأحياء والأموات فى ذهن من لا يتصوّرإلا الأماكن والماديات؟؟؟ وهل موتى هذا المكان موجودين فى ذات المكان وموتى الدولة الأخرى فى الدولة الأخرى ؟؟ إن هذا فقدان للمعاني القرءانية بعدم تدبّركتاب الله، فإذا ما أضاف المسلم لعلمه أن لرسول الله خصائص فى مماته كما كانت له خصائص فى حياته، لعلمت أيها المسلم أنه يمكنك زيارة رسول الله يوميا والسلام عليه من مكانك الذي أنت فيه بلا ترحال ولا مشقّة، المهم هو حضور الرسول فى قلبك، ولتسأل نفسك هل غاب رسول الله عنّى وسكن بالمدينة المنوّرة ؟؟؟أم أنه موجود فى نفسك بل وترك لك رسالة مادية وهى المصحف الذي تركت تلاوته أو تتناوله بالقراءة كلّ عام مرة واحدة فقط فى شهر رمضان، وهى رسالة مقدّسة إن كنت ممن يولعون بالتقديس المادي.

ولقد تعلّم الناس المادية أيضا من خلال ذكر الله . رغم أنّ ذكره سبحانه وتعالى أمرا روحيا بالدرجة الأولى . فأقاموا ما يسمّونه حضرة لذكر الله حتّى إذا ماانصرفوا عن الحضرة بعد انتهاء وقتها انصرفت قلوبهم.

لكنّ الله عزّ وجلّ أراد لنا الحضرة الدائمة معه، وأراد لنا الحضرة الدائمة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وما علينا إلاّ أن نتأمل قوله نعالي:.

(........الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكّرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)١٩١ آل عمران

وعن أمر الله لنا بالصلاة والدعاء للنبى يقول تعالى(إن الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما)٥٦ الأحزاب فكلما صلّى العبد وسلّم على رسول الله كلما كان العبد أقرب إلى الله ، كما وان الله يذكر من يذكره وبالتالي يمكنك أن تكون دوما مع الله إذا ما تدبّرت قوله تعالى(فاذكروني أذكركم ...)١٥٢ البقرة .

ولست هنا للترويج لمنهج جديد، ولكن للترويج للمنهج الذي كان عليه النبي الذي كان خلقه القرءان ولم تكن الماديات من اهتماماته ولكن جاء ليسمو بالنفس البشرية ويزكّيها ويعلّمها الكتاب والحكمة بعد أن يزكّيها.

ولقد رأيت الناس يهرعون لأداء صلاة كسوف الشمس حين كسفت كسوفا كليا يوم الأربعاء ٢٠٠٦/٣/٢٩ وأظلمت السماء فى وقت الظهيرة وبدت الكواكب فى السماء وكأننا فى منتصف الليل ورأى ذلك كلّ الناس فى مدينة السلّوم وغيرها من المدن فى الأقطار الأخرى، لكن هؤلاء الذين صلّوا من أجل الكسوف باعتباره آية من آيات الله (وهى سنّة مؤكدة) ذهلوا تماما عن أنهم محاطين بآيات الله ليلا ونهارا دون أن يأبهوا بتلك الآيات وما ذلك إلا لاضمحلال المشاعر الروحية لديهم فلم يعودوا يحفلون إلاّ بالجديد والغريب.

فالليل والنهار من آيات الله حيث يقول تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }فصلت٣٧ .

كما وأنّ النوم من آيات الله حيث يقول تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ }الروم٢٣.

والآيات كثيرة لكن الله يريد منا ألاّ ننظر ببلاهة إلى تلك الآيات ،كما لا يريد منا أن نفعل كما يفعل البعض فى الدول الأخرى من النظر إليها من منظور سياحي ،لكن الله أمرنا بتدبّر تلك الظواهر وتسبيح الله حين نشاهدها حيث يقول {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى }طه١٣٠ . ويقول (.....وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ }آل عمران٤١ . ويقول تعالى {وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ }الطور٤٩ . ويقول {وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً }الأحزاب٤٢.

فالمتأمّل يجد ارتباطا وثيقا بين ما يريده الله منّا أن نرتبط به فى القراءة فى كتاب الله المنشور وبين القراءة فى كتاب الله المنظور وهو الأفق والخلائق جميعا ومن جماعهما تتكوّن حقيقة المسلم الذّاكر ،وهو بذلك يريد للمسلم منهاجا علميا وروحيا يتفاعل مع الكون ، فتلكم هي الحضرة الحقيقية فى كون الله المشهود الذي ذهل عنه النّاس وراحوا يتلمّسون الذّكر والتسبيح فى أماكن أو مع أحداث ليست فى متناول يدهم، لكنّهم يجاهدون ليصلوا إلى تلك الأماكن سواء أكانت مدينة رسول الله أم مكان الحضرة، فهم يتكلّفون بينما لم يكلّفهم الله ولا فى دينهم ذلك التكلّف

،لذلك تجد كثيرا منهم وقد دبّ فيه مرض الرياء فهذا لأنه يحج كلّ عام وذاك لأنه يعتمر فى كلّ شهر رمضان من كلّ عام وذاك لأنّ معه مفاتيح المسجد وأصبحت هذه العناصر وغيرها من مفاخرهم .

إنني لا أعيب على أهل الحضرة ما هم فيه ، ولكن أعيب عليهم انزوائهم خلف الحضرة لذكر الله أو استمرارهم فى حضرة يوم الخميس مثلا بينما المفترض فيهم أنهم فى حضرة كل ساعة من ساعات الأسبوع لكنّهم ذاهلين عن الحقيقة الربّانية فى الكون.

إنّ زيارة رسول الله فى متناول يديك فأقبل على زيارته الآن وقم بالسلام على سيدك ونبيّك ولا تنتظر لتكلّف نفسك مالم يكلّفك به الله ولا تطيقه النّاس.

إنّ الكعبة الصّماء رمز للخضوع لأمر الله فهي من الروحانيّات ، والصلاة فيها قد تكون بمائة ألف صلاة كما أخبر بذلك الصّادق صلّى الله عليه وسلّم ، لكن ليس فى الإسلام ما يمنع أن تكون صلاتك فى بيتك (فى غير الفريضة)بمائة ألف صلاة أو يزيد ، فإن أحدنا لا يدرى أين تكون البركة ومتى يكون القبول ،فإنّ قبول الأعمال لا ينحصر فى مكّة ولا فى المدينة المنورة إنما ينحصر فى الإخلاص وهو من أعمال الروحانيات التي عزّت فى أيامنا هذه، لقد جعل الله الأرض كلّها مسجدا وترابها طهورا فلا يهم أيّة بقعة تلك التي يمسّها جبينك لكن المهم أن يمسّ الإيمان شغاف القلب فيخلص العبد السجود لله ولا ينشغل بسواه وليعلم أنّ رسول الله بيننا مازال معلّما وهاديا وبشيرا وسراجا منيرا ، فلا تذهب نفسك حسرات على مسافة بينك وبين المدينة المنوّرة ،لأن رسول الله ليس ممتنعا هنا وموجودا هناك فتلكم سذاجة فكرية ،ووطّن نفسك على الإخلاص وكثرة الدعاء له والسلام عليه والصلاة عليه تماما كما تدعو لولدك وكما تذكر أباك ونفسك.

اللهم جازه خير ما جازيت نبيا عن أمّته ورسولا عن قومه وصلّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين..آمين.

بيان للمسلم للتعرّف على أهل النفاق وأهل الشرك

قد يتصور الكثير من المسلمين أن الإيمان لا يداخله شرك وهو الأمر المخالف لصريح القرءان فقد يجتمع مع الإيمان شرك فى قلب العبد وذلك لقوله تعالى ({وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ }يوسف١٠٦ – لكن قد تكون كلمة الشرك المصاحب للإيمان غير واضحة فى ذهن المسلم وسوف نتولى البحث عن تعريف الإشراك بالله وتعريف النفاق العملي وهو ما يمكن ان نوجزه فيما يلى:-

النفاق

النفاق نوعان نفاق في العقيدة ونفاق في العمل أما نفاق العقيدة فهو إظهار الاسلام وإخفاء حقيقة الكفر التي يكون عليها المنافق فهو بذلك ينافق أهل الإسلام ويصوّر لهم أنه مسلم مثلهم بينما هو فى حقيقته كافر بالله.

أما نفاق العمل وهو كثير، وهو النفاق المصاحب للإسلام فالمرء يكون مسلما ولكنه لم يتهذّب بأخلاق القرءان (كالرياء /وابتغاء رضاء غير لله ...الخ) فيصاب إيمانه بشرك في العمل وأحيانا يميل فينقلب ليكون نفاق عقيدة والعياذ بالله.

ونظرا لما يهتم به بعض أهل الإسلام من الأحاديث دون القرءان ،فإنك تجد أكثر الناس إذا ما سألتهم عن النفاق فانه يدلى بدلوه فى حديثين أو ثلاثة لرسول الله صلى الله عليه وسلّم بشأن صفات المنافق ، فكثير منا من يعتمد على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفات المنافق حيث روى أنه قال عليه الصلاة والسلام:.

(أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدّث كذب وإذا اؤتمن خان – إذا عاهد غدر– وإذا خاصم فجر) رواه البخاري . وحديث آخر يقول فيه الرواة (آية المنافق ثلاث ......الخ) وهى أحاديث صحيحة لا تقبل الجدل .

ولكن حرى بالمسلم التعرف على باقي صفات المنافق التي عنى بها كتاب الله حيث اهتم بها وأفرد لها الآيات محذّرا من هذا المنقلب فمن هذه الصفات الأخرى ما يلى:-

أوّلا:. علامات النفاق الواردة بكتاب الله

١. موالاة أهل الكفر .

٢- طلب العزّة عند أهل الكفر(والكافر هنا هو من لا يؤمن برسولية محمد صلى الله عليه وسلم ولا بالقرءان) والله تعالى يقول فى هذا الصنف من المنافقين:- {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً *الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً }النساء١٣٩&١٣٨ .

إن تصوّر هؤلاء فى الولاية والعزّه جعلهم يركنون إلى الذين ظلموا تصورا منهم واعتقادا بأنّ الكافرين سينصرونهم وسيجعلونهم الأعزّة، وظنوا أنهم بهذا يأخذون بالأسباب، والحقيقة أنها أسباب الهوى والهوان الذي يهوى بصاحبه في دركات العذاب الأليم الذي بشّرهم الله به فى الآية.

٣. الإفساد باسم الإصلاح .

٤. عدم شعور المنافق بأنه يفسد باسم الإصلاح.

والصفتان الثالثة والرابعة مستمدتان من قوله تعالى فى صفات المنافق

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ*أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ }البقرة١٢ &١١ . فمصيبتهم تكمن فيما أذلّهم الله به من قناعة بأنهم يصلحون بينما هم في حقيقتهم يفسدون باسم الإصلاح وفي ذات الوقت هم لا يشعرون بذلك وتلك هي الطامة الكبرى .

فإن الذين لا يخلصون لله يتعذّر أن يشعروا بفساد أعمالهم لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد يتأرجح في نفوسهم تبعا للأهواء الذاتية وليس له قاعدة من دين الله .

كما أنهم يفسدون – لا – بل يتبجحون ويجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آيات الله وتعاليم رسوله هزوا ،وغرّتهم الحياة الدنيا وزخرفها، وأصبح لهم منطق مجادلة فى تعاليم الدين فى الوقت الذي هم بعيدون فيه عن الدين.

٥. السخرية من الملتزمين و (أصحاب العمائم)

٦. الجهل بشريعة الله

من صفات المنافق الجهل والسخرية من المتدينين ووصمهم بصفات لا يرضاها لنفسه بل يظن نفسه أعلى مرتبة من أهل الاستقامة، وما ذلك إلا من فرط الجهل بشريعة الله لأنه إن علم أفاده علمه، لذلك لا عذر لمن جهل عمدا ولم يرتو بالعلم حين يسخر من الذين يعلمون، وهى من مسائل الهبوط الخلقى وحقا قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ{٢٩} وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ{٣٠} وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ{٣١} وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ{٣٢} وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ{٣٣} فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ{٣٤} عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ{٣٥} هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ{٣٦}......المطففين .

ويقول تعالى {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون }التوبة١٢٧

فما أشبه ما أورده القرءان بما يحدث فى محافل الواقع من الذين يتهرّبون من مجالس القرءان لكن العزاء أن الدنيا ساعة وإن طالت سنواتها.

٧. المنافق ذو الوجهين .

وهى إحدى صفات النفاق الواردة فى كتاب الله حيث يقول تعالى:-(وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ{١٤} اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)١٥ البقرة .

فها هم بمنطقهم المريض يصارعون الحق ويواجهونه بالمداهنة ،فإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، ولكن تغلب عليهم شقوتهم بمجرد أن يجدوا أصحاب الفسق من أمثالهم ،فينطلقون متبرّئين من أهل الالتزام ومن المشايخ والعلماء ويعلنون أنهم من أهل الفسق إعلانا بلا مواربة ؛ وهنا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (...... وتجدون شر الناس ذي الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) رواة مالك والبخاري ومسلم.

٨. التكاسل في أداء الصلاة

٩. العمل من أجل الرياء والسمعة

١٠. قلّة ذكر الله

والصفات الثلاثة السابقة مستمدة من قوله تعالى عنهم {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً }النساء١٤٢ .

فكم من النماذج تشاهدها يوميا من أناس يصلّون للرياء والسمعة، وإذا لم يكن هناك محفل للرياء فهم يقومون لها متكاسلين متخاذلين كأنما يساقون إلى الموت، وقد تفلت منهم صلاة أو صلوات كنتيجة حتمية لهذا التخاذل لكن لا يتحرك لهم جفن ولا يستيقظ لهم ضمير وتراهم دوما يرفعون عقيرتهم بقولهم (إن الله غفور رحيم) وكأن رحمة الله جعلت لأهل المعاصي والنفاق فقط .

فعلى المسلم استبانة سبيل المجرمين من المنافقين حتى لا يقع فريسة للإشراك بالله بينما هو يعلن الإسلام ،و ليس بالمسلم من أعلن الإسلام وليس في سلوكياته شروى نقير منه ،والمنافق صاحب قلب مريض وهو إن لم يدرك حقيقة مرضه وعلّته فسوف ينقلب عليه مرضه فيخرجه من دائرة نفاق السلوك إلى دائرة نفاق العقيدة ثم يختم له بسوء والعياذ بالله ؛لذلك فان من رأى فى نفسه ميلا لإحدى الصفات السلوكية للمنافق فعليه بالمبادرة بالتخلّص منها خشيه مما هو بعدها من المصائب ولينصح عشيرته الأقربين ويحذرهم من نفاق العمل الذي يستدرج أصحابه إلى هاوية مالها من قرار .

ثانيا:. عدم الانتباه لما يقع فيه المسلم من الإشراك بالله

لطالما كان الإنسان حريصا لما أهمّه في حياته ، وإنّ الدّين وسلوكيات الحياة الواقعة تحت بند الحرام أو العقيدة من الأهميّة بمكان بحيث يجب أن يكون محور اهتمام العبد الذي يرغب في مراضاة مولاه، وأخصّ ما يكون الاهتمام يكون في العقائد إذ أنّ تمحور المسلم حول اعتقادات السّابقين دون فكر منه قد يودى به مورد التّهلكة وينتهي به المطاف أن يلقى الله وقد داخل إيمانه شرك بالله .

ولعلّ بعض ما سردناه في الكتاب الماثل صورة عن بعض تلك المعتقدات التي تورد مورد التّهلكة ، فقد يكون لابتداع أحقيّة لرسول الله في تشريع حدود عقابية على بعض المعاصي خاصة تلك العقوبات التي تخالف ما ورد في كتاب الله مع الاعتقاد في كونه يعلم من سيدخل الجنّة ....كلّ ذلك إشراكا صريحا لرسول الله مع الله.

وقد تودي بعض المفاهيم التي يرتادها النّاس منذ مئات السّنين عن فقر رسول الله إلى ما قبل العدم ،وأمّيته حتّى بعد نزول القرءان عليه،مع ما يتصوّرونه من مراجعته لله بنصائح نبيّ الله موسى عليه السّلام مع استجابة الله لتلك المراجعة المبنيّة على عدم مقدرة النّاس على تنفيذ ما كلّفهم الله به ، قد تكون تلك المفاهيم من أخصّ خصائص إنكار الحقيقة القرءانية وجحد آيات كتاب الله لحساب مرويّات بشريّة.

وقد يكون في بعض القصص الذي يتعاطاه مرتادي حانات الجمود الفكري عن عدل عمر(في قصّة رحلته إلى بيت المقدس) أو خشيته من الله (حتّى أن دموعه حفرت مجارى سوداء على كلتا وجنتيه) ،وما يتناولونه عن قصّة خشوع ذلك الرجل الذي قطعوا رجله أثناء صلاته بناء على طلبه حتّى لا يشعر بألم البتر بدعوى تقديم صورة سحرية عن الخشوع ....وحدّث ولا حرج عمّا يتناولونه من انسحاب جيش

الأعداء حين خشي على جنوده أن تأكلهم عسكر الإسلام حين ظنّوا أن المسلمين يسنّون أسنانهم ليأكلوا أعدائهم بينما كان المسلمون يستاكون بالسواك وذلك لتبيان فضل السّواك....وغير ذلك من قصصهم الزّائف الذي يروّجون به لنوع من الإسلام ما أنزله الله على رسوله ،فى الوقت الذي يتركون فيه أحسن القصص الوارد فى كتاب الله، ورغم ما فى قصصهم الزّائف من ضرر على الإسلام وعقيدة أهله وفكرهم ، بل أؤكد خطر هذا القصص وتلك المعتقدات على عقيدة المسلمين.

وإن الإشراك بالله لا ينحصر فى عبادة صنم، ولكن الإشراك بالله له صور عديدة ومن صورها ما يمكن أن يظهر فيما يصيب العاصي من استدامة المعاصي والاستهانة بها ،وتحقيقه لمهمة إبليس فى داخله وعدم ارتواء هواه من شراب الإيمان الخالص الذي أورده الله فى كتابه ، وحبه لانعدام الالتزام فمثل هذه الشّخصيات يخشى عليها من أن يختم لها بسوء والله تعالى يقول فيمن يتوكل على رحمة الله وهو مقيم على معصيته فى استدامة ،{يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً }مريم٤٥ ، فويل للذين يستهينون بالمعاصي ويقيمون لها محافل البهجة والسرور، وسوف يرون أعمالهم يوم القيامة تسعى بين أيديهم ومن وراء ظهورهم {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ }آل عمران٣٠ ،فلن ينفعهم الانتباه لما لفظوه وراء ظهورهم في حياتهم الدّنيا من نصيحة النّاصحين حين ينطبق عليهم قول المولى عزّ وجلّ({هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ }الأنعام١٥٨ .

جدول المقارنة

المعراج كما ذكر في روايات البخاري و الاختلاف الواقع

الحوادث كلها لم يذكر فيها إسراء رسول الله	**البخاري كتاب التوحيد رقم ٦٩٦٣ باب وكلم الأنبياء باب صفه النبى رق ٣٠٩٤م**	**بخاري كتاب الصلاة رقم ٣٣٦ باب كيف فرضت الصلاة**	**البخاري رقم ٣٥٩٨ كتاب المناقب باب المعراج**	**البخاري بدأ الخلق وباب ذكر الملائكة رقم ٢٩٦٨**
– بداية الرحلة – بنص الرواية ١. النبي نائم في الحرم أتاه ثلاث نفر. ٢. النبي في بيته أتاه جبريل وحده. ٣. النبي في الحجر أتاه آت لم يذكره. ٤. النبي عند البيت وهو رجل رجلين	فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم. ثم استيقظ وهو في المسجد الحرام (في نهاية الرحلة).	قال رسول الله فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم.	بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا أتاني آت فشق ما بين نحره إلى شعرته فاستخرج قلبي.	بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان وذكر يعني رجلا بين رجلين فأتيت بطست.
حادثة شق الصدر والغسيل: ١. غسيل الجوف. ٢. غسيل الصدر. ٣. غسيل القلب. ٤. غسيل البطن.	فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه.	ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم.	من نحره إلى شعرته وغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثانية.	الشق من النحر إلى مراق البطن وغسل البطن بماء زمزم ثم ملء حكمه وإيمانا.

٤- الطست المملوء إيمان وحكمه وحشو صدره ولغاليده.	ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا إيمانا وحكمه فحشا به صدره ولغاليده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا.	ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمه وإيمان فأفرغه في صدري ثم أطبقه.	طست مملوء إيمان فقط.	فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمه وإيمانا.
وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار البراق ١. لم يذكر البراق. ٢. عرج يد بيد مع جبريل بدون براق. ٣. حمل على البراق. ٤. انطلق بالبراق.	يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا بدون الذهاب إلى القدس.	ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا (بدون ذكر براق أو غيره).	وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار (البراق) يضع خطوة عند أقصى طرفه فحملت عليه.	وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار (البراق).
فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا (بدون إسراء)	بعد حشو عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا.	ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا	فحملت عليه فأنطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا.	فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا.
كيفية دخول أبواب السماء: ١. فضرب بابا من أبوابها حتى سمع أهل السماء (لأنهم لم يروه). ٢. قال جبريل لخازن السماء افتح (بدون ضرب الباب). ٣. فستفتح جبريل (الملائكة لم يروه وهو قادم). ٤. قيل من هذا (راوده).	فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد....	فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح قال من هذا، قال هل معك اجد قال نعم معي محمد فقال أرسل إليه قال نعم فلما فتح علونا السماء الدنيا.	فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك....	قيل من هذا قال جبريل قيل من معك محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم.
ما يوجد في السماء الأولى	أدم فسلم عليه هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان قال هذا النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ زبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك اذفر قال هذا الكوثر الذي خبالك ربك.	فإذا رجل قاعد على يمينه أسوده وعلى يساره أسوده وإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا أدم.	أدم رحب بي.	أدم الذي قال مرحبا بك من ابن ونبي.
الثانية	إدريس في الثانية.	قال أنيس فذكر أنه وجد في السموات أدم وادريس وموسى وعيسى وإبراهيم في السماء السادسة.	يحيى وعيسى.	عيسى ويحيى.
الثالثة	لم يذكر من فيها.		يوسف	يوسف
الرابعة	هارون في الرابعة.		إدريس	إدريس
الخامسة	أخر في الخامسة لم أحفظ اسمه.		هارون	هارون
السادسة	إبراهيم في السادسة.	إبراهيم في السادسة ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف	موسى فلما تجاوزت بكي قيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي	موسى فلما جاوزت بكي فقيل ما أبكاك قال يا رب هذا الغلام

		الأقلام ففرض الله على أمتي خمسين صلاة.	يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل الجنة من أمتي.	الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي.
السابعة	وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى رب لم أظن أن يرفع علي أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى.	لم يذكر فيها.	إبراهيم ثم	إبراهيم- فرفع لي البيت المعمور فسألت فقال جبريل يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا.
سدرة المنتهى	في سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك في اليوم والليلة.		إبراهيم ثم رفعت سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل أذانم الفيله قال هذه سدرة المنتهى واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران النيل والفرات هم رفع لي البيت المعمور.	ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر وورقها كأنه أذان الفيول- في أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران النيل والفرات ثم فرضت الصلاة.
تخفيض عدد الصلوات ونهاية الرحلة: والسؤال الهام؟ هل المعراج بعد الإسراء؟ ولماذا لم يذكر الإسراء وهو الأصل؟ والذي أجمع العلماء على أن المعراج حدث من القدس بعد الإسراء؟؟؟	فاحتبسه موسى بعد فرض ٥٠ صلاة، فوضع الله عشر صلوات وعشرة إلى خمس صلوات، يا محمد هي خمسين في أم الكتاب وخمس عليك ثم استيقظ وهو في المسجد الحرام؟ أي أنها رؤية منامية؟ حسب الرواية؟	فوضع الله شطرها ثم وضع شطرها ثم قال الله هي خمس وهي خمسون لا يبذل القول لدى ثم انطلق بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدرى ما هي ثم أدخلت الجنة وفيها حبائل اللؤلؤ وترابها مسك.	ثم أتيت بأناء من خمر وأناء من لبن وأناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة هم فرضت على الصلوات خمسون ثم خفضت عشرا عشرا حتى خمس ثم نادي مناد إني قد أمضيت فريضتي.	فرضت على خمسون صلاة فجعلها الله أربعين ثم ثلاثين ثم عشرين ثم عشر ثم خمس ثم نودي إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزئ الحسنة بعشر.

الحوادث	البخاري كتاب التوحيد	بخاري كتاب الصلاة	مسلم	الإمام أحمد	بن الإمام أحمد	البيهقي دلائل النبوة	أبو يعلي	البزار	النسائي	رواية لأحمد وهي في البخاري بدأ الخلق ومسلم في الإيمان
١. بداية الرحلة نائم في بيته- فرج سقف بيتي		به			به					
٢. نائم في الحرم فيما يرى قلبه وتنام عيناه (البخاري).	به									به
٣. حادثة شق الصدر والغسيل من زمزم	به	به								
٤. الطست المملوء إيمان وحكمة وحشو صدره ولغاليده	به	به			به					به
٥. العروج من بيت ولا يوجد إسراء.		به			به					
٦. العروج إلى السماء من المسجد الحرام.	به									به
٧. الإسراء إلى المسجد الأقصى بالبراق.		به	به						به	
٨. رؤية موسى يصلي في قبره.			به				به			
٩. الصلاة في طيبه ثم طور سيناء ثم في بيت لحم ثم القدس						به			به	
١٠. إقداح اللبن والخمر.			به	به						
١١. الماء واللبن والخمر.						به				
١٢. العسل واللبن والخمر.										به
١٣. رؤية النبي للحور العين في القدس.									به	
١٤. صلاته وحده.			به	به						
١٥. صلاته بالأنبياء قبل العروج.						به			به	
١٦.المعراج كمسلم.										
١٧. المعراج كشجرة ترتفع بها وكرى طير النبي في وكر وجبريل في وكر وكان النبي في ملأ.								به		
١٨. المعراج كشجرة ترتفع بها وكرى طير النبي في وكر وجبريل في وكر وكان نائم.						به		به		
١٩. العروج في الأقصى.	به		به	به						به
٢٠. الأذن لدخول السماء الدنيا وسؤال الملائكة من بالباب؟	به			به						به
٢١. سؤالهم من معك وهل بعث؟	به			به						به
٢٢. سدرة المنتهى بها أربع أنهار النيل والفرات ونهران باطنان.										به
٢٣. الكوثر في السماء السابعة.									به	
٢٤. النيل والفرات والكوثر في السماء الدنيا.	به									
٢٥. أدم- إدريس- هارون- إبراهيم- موسى.	به	به								
٢٦. أدم- يحيى- عيسى- يوسف- إدريس- هارون- موسى- إبراهيم.			به	به		به			به	
٢٧. البزار عن أنس أنه رأى ربه.								به		
٢٨. رؤيا العجوز والشيطان والأنبياء (إبراهيم وموسى وعيسى).						به				
٢٩. لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم.			به							
٣٠. فوقع جبريل مغشيا عليه.						به				
٣١. ودنى الجبار رب العزة فتدلى فأوحى إليه ٥٠ صلاة.	به									
٣٢. التردد على موسى حتى صارت خمس صلوات.	به	به	به	به	به				به	
٣٣. عند سدرة المنتهى أوحى الله إليه ما أوحى خمسون صلاة.		به	به	به	به				به	
٣٤. في العودة مر بعير قريش منها جمل مكسور.									به	
٣٥. قول أبو بكر لقد صدق.									به	
٣٦. البيت المعمور وابراهيم وسبعون ألف ملك.				به						به

مراجع الكتاب

م	اسم المرجع	م	اسم المرجع
١	القرءان الكريم	٢٥	فن الذكر والدعاء ـ محمد الغزالى
٢	في ظلال القرءان ـ سيد قطب	٢٦	كيف نتعامل مع القرءان
٣	في رحاب التفسير- عبد الحميد كشك	٢٧	دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين
٤	تفسير القرءان ـ ابن كثير	٢٨	الدعوة الاسلامة في القرن الحالى
٥	تفسير آيات الأحكام ـ الصابونى	٢٩	جدد حياتك
٦	الترغيب والترهيب ـ ابن الجوزى	٣٠	الحق المر
٧	مدارج السالكين ـ ابن الجوزى	٣١	المحاور الخمسة للقرءان
٨	الحديث الشريف رواية ودراية ـ د/نعمان القاضى	٣٢	الجانب العاطفى من الاسلام
٩	تحقيق المختصر من مصطلح الأثر	٣٣	السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث
١٠	نداء إلى ضمير الأمّة ـ على يوسف	٣٤	هذا ديننا
١١	الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث ـ ابن كثير	٣٥	تراثنا الفكرى في ميزان الشرع والعقل
١٢	الاعتبار في النّاسخ والمنسوخ ـ الهمذانى	٣٦	فقه السيرة ـ محمد الغزالى
١٣	البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث ـ د/حسين عبد المجيد	٣٧	اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان
١٤	نواسخ القرءان ـ ابن الجوزى	٣٨	صحيح مسلم بشرح النووى
١٥	دراسات في السيرة ـ د/ حسين مؤنس	٣٩	حياة الصحابة للكندهلوى
١٦	رياض الصالحين ـ النووى	٤٠	الفقه على المذاهب الأربعة
١٧	تهذيب سيرة بن هشام ـ عبد السلام هارون	٤١	النسخ عند الأصوليين –د/على جمعة
١٨	العقل في الاسلام ـ د/صابر طعيمة	٤٢	سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد
١٩	أفلا يتدبرون القرءان ـ عبد القادر سيد أحمد	٤٣	ظاهرة التكفير ـ عبد الفتاح شاهين
٢٠	نحو تأصيل الخطاب الدينى ـ د/محمد السعيد مشتهرى	٤٤	كيف نتعامل مع السنّة النبوية ـ د/يوسف القرضاوى
٢١	لا نسخ في القرءان ـ د/احمد حجازى	٤٥	
٢٢	الرحيق المختوم في السيرة ـ صفى الرحمن المباركافورى	٤٦	مجلة الازهر- أعدادمختلفة
٢٣	بداية المجتهد ونهاية المقتصد ـ ابن رشد	٤٧	قبول الآخر ـ د/ ميلاد حنا
٢٤	حقيقة التنظيم الخاص للإخوان ـ محمود الصباغ	٤٨	مقالات وبحوث ـ أ/عبد الفتاح عساكر

ملحوظة:. المراجع من ٢٥. ٣٦ للشيخ محمد الغزالى رحمه الله

فهرست